كتاب الأغاني

لأبي الفرج الأصفهاني

الجزء الخامس





الهيئة المصرية العامة للكتاب

كتاب
الأغاني

الكتاب: الأغانى
تأليف: أبوالفرج الأصبهانى
الغلاف: د. محمد شجاعة
الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب
كورنيش النيل ــ رملة بولاق ــ القاهرة ــ ت: ٢٥٧٧٥٠٠٠ ــ ٢٥٧٧٥٢٢٨
فاكس: ٢٥٧٥٤٢١٣ (٠٠٢٠٢) ص.ب: ٢٣٥ ــ الرقم البريدى: ١١٧٩٤ رمسيس
www.gebo.gov.eg email: info@gebo.gov.eg

أبوالفرج الأصبهانى، على بن الحسين بن محمد بن أحمد ابن الهيثم، ٨٩٧ ــ ٩٦٧.
كتاب الأغانى / لأبى الفرج الأصفهانى؛ إشراف: محمد أبوالفضل إبراهيم.ــ
القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٠.
مج٥؛ ٢٥سم. ــ (التراث).
تدمك ٨ ٥٥١ ٤٢١ ٩٧٧ ٩٧٨
١ ــ الأدب العربى ــ مجموعات
أ ــ إبراهيم، محمد أبوالفضل (مشرف)
ب ــ العنوان

رقم الإيداع بدار الكتب ٢٠١٠/١٥٣٤٨
I.S.B.N 978-977-421-551-8
ديوى ٨ر٨١٠

كتاب الأغانى

لأبى الفرج الأصفهانى

الجزء الخامس



الهيئة المصرية العامة للكتاب

٢٠١٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الجزء الخامس
من كتاب الأغاني

ذكر النابغة الجَعْدىّ ونسبه وأخباره
والسبب الذى من أجله قيل[1] هذا الشعر

نسبه وكنيته

هو — على ما ذكر أبو عمرو الشَّيْبانىّ والقَحْذَمىّ، وهو الصحيح، — حِبّان[2] ابن قيس بن عبد الله بن وَحْوَح بن عُدَس[3] — وقيل ابن عمرو بن عُدَس مكان وحوح — ابن رَبيعة بن جَعْدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صَعْصَعة بن معاوية ابن بكر بن هَوازِن بن منصور بن عِكْرِمة بن خَصَفة بن قيس بن عَيْلان بن مُضَر. هذا النسب الذى عليه الناس اليومَ مجتمعون. وقد روى آبن الكَلْبىّ وأبو اليَقْظان وأبو عُبيدة وغيرهم فى ذلك رواياتٍ تُخالف هذا؛ فمنها أن [آبن][4] الكلبىّ ذكر عن أبيه أن خَصَفة الذى يقول الناس إنه آبن قيس بن عَيْلان ليس كما قالوا، وأن عِكْرِمة آبنُ قيس بن عَيْلان وخَصَفة أمه، وهى آمرأة من أهل هَجَر. وقيل:

---

(١) فى م: «قال» والمراد بهذا الشعر ما ورد فى آخر الجزء الرابع من هذه الطبعة ونسب للنابغة.

(٢) كذا فى أسد الغابة (ج ٥ ص ٢) وخزانة الأدب (ج ١ ص ٥١٢) والإصابة (ج ٦ ص ٢١٨) والاستيعاب (ج ١ ص ٣٢٠). وفى جميع الأصول: «حسان».

(٣) عدس: هو بضم العين وفتح الدال، وكذا ضبط كل من آسمه عدس فى العرب إلا عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم فهو وحده بضم العين والدال. (راجع مختلف القبائل ومؤتلفها لآبن حبيب ص ٤ طبع أوربا).

(٤) التكملة من م.

بل هى حاضنته ؛ وكان قيس بن عَيْلان قد مات وعِكْرِمة صغير فربّته حتى كبِر،
وكان قومه يقولون : هذا عكرِمة بن خَصَفة، فبقيت عليه ؛ ومن لا يعلم يقول : ١٢٩/٤
عكرِمة بن خَصَفة بن قيس ، كما يقال خِنْدِف (١) ، وإنما هى آمرأة وزوجها
إليـاس بن مضر . وقالوا فى صَعْصَعة بن معاوية : إن الناقية (٢) بنت عامر
ابن مالك ، وهو النـاقم (٣) ، سُمّى بذلك لأنه انتقم بلطمة لُطِمها ، وهو ابن سعد بن

---

(١) خندف (كزبرج) هى ليلى بنت حلوان بن عمران زوج إلياس بن مضر، وأولادهما : عمرو وهو مدركة وعامر وهو طابخة وعمير وهو قمعة ، وزعموا أن سبب هـذه التسمية أن إلياس خرج مرة فى نجعة فنفرت إبله من أرنب ، فخرج إليها عمرو فأدركها ، وخرج عامر فتصيدها وطبخها ، وانقمع عمير فى الخباء، وخرجت أمهم ليلى تسرع ، فقال لها إلياس : أين تخندفين؟ فقالت : ما زلت أخندف فى أثركم . فلقبوا مدركة وطابخة وقمعة وخندف فذهب لها آسما ولولدها نسبا (شرح القاموس مادة خندف) .

(٢) فى شرح القاموس مادة «نقم» : «والناقية هى رقاش بنت عامر و بنوها بطن من عبدالقيس نسبوا إلى أمهم . وقال ابن الأثير : هى أم ثعلبة وسعد ابنى مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد بها يعرفون . وقال الكلبي : تزوج غنم بن حبيب بن كعب بن بكر بن وائل الناقية وهى رقاش بنت عامر وهى عجوز فقيل : ما تريد منها ؟ فقال : لعلى أتعيز منها غلاما فولدت منه غلاما سمى عيز وأنشد الجوهرى لسعد بن زيد مناة :

لقد كنت أهوى الناقيـة حقبة * فقد جعلت آسان وصل تقطع»

الآسان : جمع أسن بضمتين و بالكسر وتسكين السين وكعتل : الحبل . وكتب مصحح شرح القاموس بهامشه ما نصه : «قوله : أتعيز كذا بالنسخ وحرره» ولم نجد هذه الكلمة فى مادتها فى الكتب التى بين أيدينا ؛ وقد استقصيناها فوجدنا صوابها فى شرح القاموس فى مادة «غبر» حيث قال : «وتزوّج غنم (وفى القاموس عثمان وهو غلط) بن حبيب بن كعب بن بكر بن يشكر بن وائل امرأة مسنة اسمها رقاش بنت عامر فقيل له : إنها كبيرة السن ! فقال : لعلى أتغبر منها ولدا أى أستفيده فلما ولد له سماه غبر كزفر فهو أبو قبيلة» اهـ .

وجاء فى لسان العرب بمادة «غبر» ما نصه : «تزوّج رجل من العرب امرأة قد أسنت فقيل له فى ذلك فقال : لعلى أتغبر منها ولدا فولدت له غبر، مثل عمر، وهو غبر بن غنم بن يشكر بن بكر بن وائل ، ومعنى أتغبر منها ولدا : أستفيد منها ولدا» اهـ . وقد ورد أيضا فى المشتبه للذهبي ومختلف القبائل ومؤتلفها لابن حبيب (ص ٢٣ طبع أوربا) : «غبر (بالغين المعجمة و بالباء الموحدة) بن غنم بن حبيب بن معاذ بن عمرو ابن الحارث بن معاوية بن بكر بن هوازن» اهـ .

(٣) كذا فى شرح القاموس والصحاح للجوهرى (مادة نقم) . وفى جميع الأصول : «مسعود» .

جَدّان[1] بن جَديلة بن أسد بن ربيعة بن نِزار، كانت عند معاوية بن بكر بن هَوازن فمات عنها أو طلّقها وهى نسء[2]، فتزوّجها سعد بن زيد مَناة بن تميم، فولدتْ على فراشه صعصعةَ بن معاوية، ثم ولدت هُبَيْرة ونَجْدة وجُنَادة؛ فلما مات سعد اقتسم بنوه الميراثَ وأخرجوا صعصعة منه، وقالوا: أنت ابن معاوية بن بكر؛ فلما رأى ذلك أتى بنى معاوية بن بكر فأقرّوا بنسبه ودفَعوه عن الميراث؛ فلما رأى ذلك أتى سعدَ بن الظَّرِب العَدْوانىّ فشكا إليه ما لقى، فزوّجه بنتَ أخيه عَمْرة بنت عامر بن الظَّرِب، وأبوها عامر الذى يقال له: ذو الحِلْم[3]؛ وعَمْرة ابنتُه هذه هى التى كانت تَقرَع[4] له العصا إذا سها فى الحكم[5]؛ وله يقول الشاعر[6]:

لذى الحِلْم قبلَ اليوم ما تُقرَع العصا * وما عُلِّم الإنسانُ إلا ليَعلَمَا

قال: وكانت عَمْرَة يوم زوّجها عمُّها نسئا من ملك من ملوك اليمن يقال له: الغافِق بن العاصى الأَزْدىّ، والمُلْك يومئذ فى الأَزْد، فولَدت على فراش صعصعة عامرَ بن صعصعة، فسمّاه صعصعةُ عامرًا بجدّه عامر بن الظَّرِب. وقال فى ذلك حبيب بن وائل بن دُهْمان بن نصر بن مُعاوية بن بكر بن هَوازن:

---

(١) كذا فى شرح القاموس مادة جدد وكتاب مختلف القبائل ومؤتلفها (طبع أوربا ص ٣) وهو قريب لما جاء فى نسخة م من التصحيف فقد ورد فيها: «حدان» بالحاء المهملة. وفى سائر الأصول: «خندف» وهو خطأ.

(٢) النسء (بالتثليث): المرأة المظنون بها الحمل، وقيل: التى ظهر حملها.

(٣) كذا فى م وهو الموافق لما جاء فى اللسان والقاموس (مادة قرع) ومجمع الأمثال للميدانى (طبع بولاق ج ١ ص ٣٢). وفى سائر الأصول: «الحكم» بالكاف وظاهر أنه تحريف.

(٤) قيل: إن أول من قرعت له العصا عمرو بن مالك بن ضبيعة أخو سعد بن مالك الكنانى، وقيل: خالد بن ذى الجدّين حكم ربيعة، وقيل: هو ربيعة بن مخاشن حكم تميم، وقيل: هو عمرو بن حممة الدوسىّ حكم اليمن. (راجع شرح القاموس مادة قرع ومجمع الأمثال للميدانى).

(٥) كذا فى م. وفى باقى الأصول: «ولها يقول الشاعر».

(٦) نسب هذا البيت فى اللسان وشرح القاموس (مادة قرع) الى المتلمس.

أزعمتَ أنّ الغافقىّ أبوكم * نسبٌ لَعَمْرُ أبيك غيرُ مُفنَّد[1]
وأبوكم مِلكٌ يُنتِّفُ بآستِه * هَلْباءَ[2] عافيةً كعُرف الهُدْهُد
جَنَحتْ عجوزُكُم إليه فودّها * نسبًا بعامرِكم ولمّا يُولَد

ويكنى النابغةُ أبا ليلى .

وأخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلّام قال :

هو قيس بن عبد الله بن عُدَس بن ربيعة بن [جَعدة[3] بن كعب بن ربيعة بن عامر بن] صعصعة . وقال ابن الأعرابىّ : هو قيس بن عبدالله بن عمرو بن عُدَس ابن ربيعة بن جَعْدة بن كعب بن ربيعة ، ووافق ابنَ سلّام فى باقى نسبه[4] . وهذا وَهْمٌ ممن قال : إن آسمه قيس[5]؛ وليس يُشكّ فى أنه كان له أخ يقال له وَحْوَح بن قيس ، وهو الذى قتله بنو أسد؛ وخبره يُذكر بعد هذا ليصدق نسب النابغة .

وأمه فاخرة بنت عمرو بن جابر بن شِحْنة الأَسدىّ .

سبب لقبه النابغة

وإنما سمّى النابغةَ لأنه أقام مدّةً لا يقول الشعر ثم نبَغ فقاله .

---

(١) مفند : مكذب . (٢) هلباء : كثيرة الشعر؛ يقال : رجل أهلب وامرأة هلباء . والهلباء صفة غالبة على الآست . وعافية : طويلة الشعر غزيرته؛ يقال : عفا شعر البعير اذا طال وكثر فغطى دبره؛ وفلان عفا شعره وأعفاه : تركه حتى طال وكثر . (٣) التكلة عن م وطبقات الشعراء لابن سلام (ص ٢٦ طبع ليدن) . (٤) كذا فى م . وفى سائر النسخ : «فى بعض نسبه» . (٥) ورد فى كتاب المعمرين لأبى حاتم السجستانى (ص ٧١ طبع ليدن) أن اسمه قيس بن عبد الله . وقد استدل المؤلف على بطلان قولهم بأن له أخا يسمى وحوح بن قيس ، واذا فقيس آسم أبيه لا آسمه . قال فى الإصابة : «ويحتمل أن يكون أخاه لأمه» . ولعل مصدر هذا الاحتمال قول النابغة :

ألم تعلمى أنى رزئت محاربا * فما لك منه اليوم شىء ولا ليا
ومن قبله ما قد رزئت بوحوح * وكان "ابن أمى" والخليل المصافيا

والتعبير عن الأخ بابن الأم يحتمل معه أن يكون الأخوان لأب واحد أو لأبوين . وذكر ابن قتيبة فى كتابه طبقات الشعراء (ص ١٥٨ طبع ليدن) ما نصه : «هو عبد الله بن قيس من جعدة ... الخ»

أخبرنى الحسين بن يحيى قال قال حمّاد : قرأت على القَحْذَمىّ :

قال الجعدىّ الشعرَ فى الجاهلية ثم أَجْبَلَ[1] دهرا ثم نبَغ بعدُ فى الشعر فى الإسلام.

أخبرنى أحمد بن عُبيد الله بن عمّار عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابىّ قال:

أقام النابغة الجعدىّ ثلاثين سنة لا يتكلّم، ثم تكلّم بالشعر .

عمره وشعره فيه

قال القَحْذمىّ فى رواية حمّاد عنه : كان الجعدىّ أسنّ من نابغة بنى ذُبيان .

قال ابن سلّام فى رواية أبى خَليفة عنه : كان الجعدىّ النابغةُ[2] قديما شاعرا طويلا مُفلِقا طويل البقاء فى الجاهلية والإسلام، وكان أكبر من الذُّبيانىّ، ويدُلّ على ذلك قولُه :

ومن يكُ سائلا عنّى فإنى * من الفِتيان[3] أيامَ الخُنانِ[4]
أتت مائةٌ لعامَ وُلدتُ فيه * وعَشْرٌ بعد ذاك وحِجّتان
فقد أبقتْ خطوبُ الدّهرِ منّى * كما أبقتْ من السيفِ اليَمانِى

١٣٠ / ٤

[قال[5] وعُمِّر بعد ذلك عُمُرًا طويلا . سُئل محمد بن حبيب عن أيام الخُنان ماهى؟ فقال : وقعةٌ لهم؛ فقال قائل منهم وقد لقُوا عدوّهم : خُنُوهم[6] بالرماح، فسُمّىَ ذلك

(١) أجبل الشاعر : صعب عليه القول . (٢) عبارة ابن سلام فى كتابه طبقات الشعراء (ص ٢٦) : «وكان النابغة شاعرا قديما مفلقا فى الجاهلية والاسلام وكان .. الخ » . (٣) ورد هذا الشطر فى كتاب الشعر والشعراء (ص ١٦٢) وشرح القاموس مادة خنن هكذا :

* ومن يحرص على كبرى فانى *

(٤) الخنان (كغراب) : داء يأخذ الطير فى حلوقها وفى العين وزكام للإبل ، وزمن الخنان كان فى عهد المنذر بن ماء السماء ، قال الأصمعىّ : كان الخنان داء يأخذ الإبل فى مناخرها وتموت منه ، فصار ذلك تاريخا لهم . (٥) هذا الخبر الموضوع بين قوسين مذكور فى ص، م دون سائر الأصول .

(٦) خنوهم : اقطعوهم .

العامُ الحُنانَ . ويدل على أنه أقدم من النابغة الذبيانىّ أنه عُمِّر مع المُنذر بن المُحرِّق قبل النعمان بن المنذر، وكان النابغة الذبيانىّ مع النعمان بن المنذر وفى عصره، ولم يكن له قِدَمٌ إلا أنه مات قبل الجَعْدىّ، ولم يُدرك الإسلام . والجعدىّ الذى يقول :

تَذكَّرتُ شيئًا قد مضَى لسبيلِهِ * ومِنْ عادةِ المحزونِ أن يتذكَّرا
نَدَاماىَ عند المُنذر بنِ مُحرِّقٍ * أرى اليومَ منهم ظاهرَ الأرض مُقفِرَا
كُهولٌ وفِتيانٌ كأنّ وجوهَهم * دنانيرُ مِمّا شِيفَ(١) فى أرضِ قَيصَرا]

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر قالا حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنى عبدالله بن محمد بن حكيم عمن كان يأخذ العلمَ عنه ولم يُسمِّ إلىّ(٢) أحدا فى هذا : أنّ النابغة عُمِّر مائة وثمانين سنة، وهو القائل :

لبِستُ أُناسًا فأفنيتُهم * وأفنيتُ بعد أناسٍ أناسَا
ثلاثةَ أهلِينَ أفنيتُهم * وكان الإلٰه هُوَ المُستآسَا(٣)

وهى قصيدة طويلة، يقول فيها، وفيه غناء، :

صوت

وكنتُ غلامًا أُقاسِى الحُرو * بَ يَلْقَى المُقاسون منّى مِرَاسَا
فلمّا دَنَوْنا لِجَرْسِ(٤) النُّبَا * حِ لم نعرفِ الحىَّ إلا آلتماسَا
أضاءتْ لنا النّارُ وجهًا أَغَرَّ * مُلتبِسا بالفُؤادِ آلتباسَا

غنّى فى هذه الثلاثة الأبيات فُلَيح بن أبى العَوْراء خفيفَ ثقيل أوّلَ بالوسطى .

(١) كذا فى جمهرة أشعار العرب، وشاف الدينار أو السيف : جلاه . وفى م ، سه المذكور فيهما هذا الخبر : « سبق » بالسين والقاف ، وهو تحريف . (٢) كذا فى م . وفى باقى الأصول : «ولم يسم أحدا إلا فى هذا» . (٣) المستآس : المستعاض والمستعان ، من الأوس ، وهو العوض والعطية . (٤) جرس النباح : صوت نباح الكلاب .

رجع الخبر إلى رواية عمرَ بن شبّة :

قال : وقال أيضا :

ألا زعمتْ بنُو سعدٍ بأنّى * ـ ألَا كذَبوا ـ كبيرُالسنّ فانِى
أتتْ مائةٌ لعامَ وُلدتُ فيه * وعشرٌ بعد ذاك وحِجّتانِ

قال : وأَنشد عمرَ بنَ الخطاب رضى الله تعالى عنه أبياتَه التى يقول فيها :

* ثلاثة أهلين أفنيتُهم *

فقال له عمر رضى الله تعالى عنه : كم لبِثتَ مع كل أهل؟ قال : ستين سنة .

سمع أعجمىّ شعره فقال إنه مشئوم

وأخبرنى بعض أصحابنا عن أبى بكر بن دُريد عن عبدالرحمن آبن أخى الأصمعىّ عن عمّه قال :

أُنشِد رجلٌ من العجم قولَ النابغة الجعدىّ :

لبِستُ أُناسًا فأفنيتُهم * وأفنيتُ بعد أُناس أناسَا

قيل إنه عاش ٢٢٠ سنة

وفُسِّر له ، فقال : "بدِين شان بود"، أى هذا رجل مشئوم . وأما آبن قُتيبة فإنه ذكر ما رواه لنا عنه إبراهيم بن محمد أنه عُمّر مائتين وعشرين سنة ؛ ومات بأَصْبهان . وما ذاك بمُنكَرٍ؛(١) لأنه قال لعمر رضى الله تعالى عنه : إنه أفنى ثلاثةَ قرون كلّ قرن ستون سنة، فهذه مائةٌ وثمانون، [ثم عُمّر(٢) بعده فمكث بعد قتل عمر خلافةَ عثمان وعلىّ ومعاوية ويزيد ، وقدِم على عبد الله بن الزبير بمكة وقد دعا لنفسه ، فآستماحه ومدَحه؛ وبين عبد الله بن الزبير وبين عمر] نحوٌ مما ذكر آبنُ قتيبة؛ بل

(١) كذا فى م . وفى باقى الأصول : «الا أنه ... الخ» وهو تحريف . (٢) هذا ما ورد فى م . وفى باقى الأصول : «ثم عمر بعدهم فمكث بعد قتل عمر الى خلافة عثمان ... ... وبين هؤلاء وعمر نحو ... ... الخ» .

لا أشــك أنه قد بلغ هــذه السنّ وهاجى أَوْسَ بن مَغْراء بحضرة الأخطل والعجّاج وكعب بن جُعَيل فغلبه أوسٌ، وكان مُغَلَّبًا[1] .

أنشـد النبي شعرا فدعا له

حدّثنا أحمد بن عمر بن موسى القَطّان المعروف بابن زَنْجَوَيْهِ قال حدّثنا إسماعيل بن عبد الله السكّرىّ قال حدّثنا يَعْلَى بن الأَشْدَق العُقَيلىّ قال حدّثنى نابغة بنى جَعْدة قال :

أنشدتُ النبىّ صلى الله عليه وسلم هذا الشعرَ فأُعجِب به :

بلغنا السماء مَجْـدُنا وجُدودُنا[2] * وإنا لَنَبْغِى فوقَ ذلك مَظْهَرَا

١٣١/٤ فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : " فأين المَظْهَرُ يا أبا ليلى "؛ فقلت : الجنة؛ فقال : " قل إن شاء الله "؛ فقلت : إن شاء الله .

ولا خَيْرَ فى حِـلْمٍ إذا لم يكن له * بَوَادِرُ تَحْمِى صَـفْوَه أن يُكَدَّرَا

ولا خيرَ فى جهلٍ إذا لم يكن له * حليمٌ إذا ما أَوْرَدَ الأمرَ أَصْدَرَا

فقال النبىّ صلى الله عليـه وسلم : " أَجَدْتَ لا يَفْضُضِ اللهُ فاكَ "؛ قال : فلقـد رأيته وقد أتت عليه مائة سنة أو نحوُها وما انفضّ مِن فِيه سِنّ .

أنكر الخمـر فى الجاهلية وهجر الأزلام والأوثان

أخبرنى محمد بن الحسن بن دُرَيد قال أخبرنى أبو حاتم قال أخبرنا أبو عُبيدة قال :

(١) يقال : شاعر مغلب أى كثيرا ما يغلب . (٢) فى جمهرة أشعار العرب (طبع مطبعة بولاق الأميرية) :

بلغنا السما مجدا وجودا وسوددا * وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا

وفى اللسان (مادة ظهر) :

بلغنـا السماء مجـدنا وسـناؤنا * ... ...

كان النابغة الجَعْدىّ ممن فكّر فى الجاهلية وأنكر الخمرَ والسُّكر وما يفعل بالعقل، وهَجَر الأزلام[1] والأوثان[2]، وقال فى الجاهلية كلمتَه التى أولها :

الحمـد لله لا شريكَ لَهُ * من لم يقُلْها فنفسَه ظلَمَا

وكان يذكر دين إبراهيم والحنيفيّة، ويصوم ويستغفر، ويتوقّى[3] أشياء لعواقبها .

وفد على النبى وأسلم

ووفَد على النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال :

أتيتُ رسولَ الله إذ جاء بالهُـدى * ويتـلو كتابًا كالمَجَرّة[4] نَـيِّرَا

وجاهدتُ حتى ما أُحِسّ ومن معى * سُهَيـلًا إذا مالاح ثُمّتَ غَـوّرَا

أُقيم على التقـوى وأرضَى بفعلها[5] * وكنتُ مِنَ النار المَخُوفة أَوْجَرَا[6]

وحسُن إسلامُه، وأنشد النبيَّ صلى الله عليه وسلم؛ فقال له : " لا يَفْضُضِ اللهُ فاكَ"؛ وشهِد مع علىّ بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه صِفِّينَ . وقد ذُكر خبره [مع عمر رضى الله عنه؛ وأما خبره][7] مع عثمان فأخبرنا به أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال قال مَسْلَمة بن مُحارِب :

---

(١) الأزلام : قداح كانت فى الجاهلية مكتوب عليها الأمر والنهى : افعل ولا تفعل، كان الرجل منهم يضعها فى وعاء له، فاذا أراد أمرا مهما من سفر أو زواج، أدخل يده فأخرج منها زلما (الزلم بفتحتين أو بضم ففتح) فان خرج الأمر مضى لشأنه، وإن خرج النهى كف عنه ولم يفعله . (٢) الوثن : الصنم ما كان، وقيل : الصنم الصغير، وقال ابن الأثير : الوثن كل ماله جثة معمولة من جواهر الأرض أو من الخشب والحجارة كصورة الآدمىّ تعمل وتنصب فتعبد، والصنم : الصورة بلا جثة، ومنهم من لم يفرق بينهما وأطلقهما على المعنيين . (٣) كذا فى م . وفى باقى الأصول : «يتوقع»، وهو تحريف . (٤) المجرة : نجوم كثيرة لا تدرك بمجرّد البصر وإنما ينتشر ضوءها فيرى كأنه بقعة بيضاء . (٥) كذا فى م وهو الموافق لما فى الإصابة . وفى باقى الأصول : «بفعله» . (٦) أوجر : خائف، يقال : وجر من الشىء إذا خاف، وبابه كفرح، والوصف منه وجر وأوجر . (٧) التكلة عن م .

استأذن عثمان فى سكنى البادية

دخل النابغــة الجعدىّ على عثمان رضى الله تعالى عنــه فقال : أَستودعك اللهَ يا أمير المؤمنين ؛ قال : وأينَ تريد يا أبا ليلى ؟ قال : أَلحَقُ بإبلى فأشرَبُ من ألبانها فإنى مُنكِر لنفسى ؛ فقال : أَتَعرُّبًا[1] بعد الهجرة يا أبا ليلى ! أمَا علمتَ أن ذلك مكروه ؟ ! قال : ما علمتُه ، وما كنت لأخرجَ حتى أُعلِمَك . قال : فأذِنَ له ، وأجّل له فى ذلك أجلا ؛ فدخل على الحسن والحسين ابنى علىّ فودّعهما ؛ فقالا له : أَنشِـدْنا من شعرك يا أبا ليلى ؛ فأنشدهما :

الحمــدُ لله لا شريكَ لهُ * من لم يقُلْها فنفسَه ظلَمَا

فقالا : يا أبا ليلى ، ما كنّا نروِى هــذا الشعرَ إلا لأُميّة بن أبى الصّلت ؛ فقال : يا ٱبنَىْ رســول الله صلى الله عليــه وسلم إنى لصاحبُ هــذا الشعر وأوّل من قاله ، وإن السُّرُوق[2] لَمَن سَرَق شعرَ أُمية .

كان مغلبا ما هاجى قط إلا غلب

قال أبو زيد عمرُ[3] بن شَبّة فى خبره :

كان النابغة شاعرا متقــدما ، وكان مغلَّبا ماهاجى قطّ إلا غُلِب ، هاجى أوسَ ابن مَغْراء وليلى الأخيليّة وكعبَ بن جُعَيل فغلبوه جميعا .

مهاجاته أوس ابن مغراء

وقال أبو عمرو الشَّيْبانىّ : كان بدءُ حديث النابغة وأوس بن مغراء أنّ معاوية لمـا وجّه بُسْرَ بن أَرْطاة[4] الفِهْرىّ لقتل شيعة علىّ بن أبى طالب رضى الله تعالىٰ عنه ،

---

(١) يقال : تعرّب الرجل : صار أعرابيا بعد أن كان عربيا وفى الحديث : ثلاث من الكبائر : منها التعرّب بعد الهجرة وهو أن يعود الى البادية و يقيم مع الأعراب بعد أن كان مهاجرا . (٢) فى م : «إن السروق عين السروق من ...» . (٣) فى الأصول : « قال أبو زيد قال عمر ... الخ » بزيادة « قال » وهو خطأ ، اذ أبو زيد كنية عمر بن شبة . وفى م : « قال أبو زيد فى خبره » بدون «عمر بن شبة» . (٤) فى أسد الغابة «وقيل : ابن أبى أرطاة» ومثله فى طبقات ابن سعد . وفى الاستيعاب : «بسر بن أرطاة بن أبى أرطاة» وهو أحد من بعثه عمر بن الخطاب مددا لعمرو بن العاص لفتح مصر وشهد صفين مع معاوية وكان شديدا على علىّ وأصحابه .

قام إليه معنُ بن يزيد بن الأَخْنَس السُّلَمى وزياد بن الأشهب بن وَرْد بن عمرو ابن رَبيعة بن جَعْدة، فقالا : يا أمير المؤمنين، نسألك بالله وبالرحم ألّا تجعل لبُسْر على قيس سلطانا، فيقتل قيسا بمن قتلتْ بنو سُلَيم من بنى فِهْر وبنى كِنَانة يومَ دخل (١) ١٣٢/٤ رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة؛ فقال معاوية : يا بُسر لا أَمْرَ لك على قيس؛ (٢) وسار بسرٌ حتى أتى المدينة، فقتل ابنى عبيد الله بن العباس، (٣) وفرّ أهل المدينة ودخلوا الحرّة (حرّةَ بنى سُلَيم). ثم سار بُسر حتى أتى الطائف، فقالت له ثقيف : ما لك علينا سلطان، نحن من قيس؛ فسار حتى أتى هَمْدان وهم فى جبل لهم يقال له شِبَام، فتحصّنت فيه همدان، ثم نادَوْا : يا بُسر نحن هَمْدان وهذا شِبَام، فلم يلتفت إليهم؛ حتى إذا اغترّوا ونزلوا إلى قُراهم، أغار عليهم فقتل وسبى نساءهم؛ فكنّ أوّلَ مسلماتٍ سُبِينَ فى الإسلام. ومرّ بحىّ من بنى سعد نُزُولٍ بين ظَهْرَىْ بنى جَعْدة بالفَلَج، (٤) فأغار بُسْر على الحىّ السّعديّين فقتل منهم وأسر؛ فقال أَوْس ابن مَغْراء فى ذلك :

مُشَرِّين ترعَوْن النَّجيل وقد غَدَتْ * بأوصال قَتْلاكم كِلابٌ مُرَاجِيم

— المُشَرّ : الذى قد بَسَط ثوبه فى الشمس . والنجيل : جنس من الحَمْض —

فقال النابغة يجيبه :

---

(١) كذا فى م . وفى باقى الأصول : «فيجعل قيسا ...» وهو تحريف . (٢) فى م : "لا إمرة على قيس ... الخ" . (٣) فى الطبرى والمعارف لابن قتيبة أن قتلهما كان باليمن ، وقد كان أبوهما واليا عليها من قبل علىّ ؛ فلما بلغه مسير بسر فرّ الى الكوفة ، فكان من أمر ابنيه الطفلين ما ذكر . (٤) الفلج (بالتحريك) : موضع لبنى جعدة بن قيس بنجد ، وهو فى أعلى بلاد قيس ، وفيه قال الراجز :

نحن بنو جعدة أرباب الفلج * نضرب بالبيض ونرجو بالفرج

(راجع معجم ما استعجم ج ٢ ص ٧١٤) .

متى أكلتَ لحُـومَكمْ كِلابى * أكلتَ يديك من جَرَبٍ تَهامِ (١)

أخبرنا أبو خليفة الفضل بن الحُبَاب مما أجاز لنـا روايتَه عنـه من حديثه وأخباره مما ذكره منها عن محمد بن سلّام الجُمَحىّ عن أبى الغَرَّاف، وأخبرنا به أحمد ابن عبد العزيز وحَبيب بن نَصر، قالا حدّثنا عمر بن شَبّة [عن محمد بن سلّام] (٢) عن أبى الغَرّاف (٣) :

أن النابغة هاجى أوسَ بن مَغْراء، قال : ولم يكن أوس مثـلَه ولا قريباً منه فى الشـعر، فقال النابغة : إنى وإياه لَنبتَدِر بيتاً، أيُّنا سبَق إليه غَلَب صاحبَه، فلما بلَغه قولُ أوس :

لَعَمْرُكَ ما تَبْلَى سَرابيـلُ عَامِرٍ * من اللؤم ما دامتْ عليها جلودُهَا

قال النابغة : هذا البيت الذى كنا نَبتدِر إليه . فغُلِّبَ أوسٌ عليه .

قال أبو زيد : فحدّثنى المدائنىّ (٤) أنهما اجتمعا فى المِرْبَد (٥) فتنافرا وتهاجيا، وحضَرهما العَجّاجُ والأخطل وكعب بن جُعَيل، فقال أوس :

---

(١) تهام : منسوب إلى تهامة . ويجوز فى النسبة الى تهامة تِهامىّ (بكسر التاء وتشديد الياء) وتَهام (بفتح التاء وحذف الياء) كيَمان وشآم ، أى اذا فتحت التاء حذفت الياء . وقال سيبويه : ومنهم من يقول : تَهامىّ ويمانىّ وشآمىّ بالفتح والتشديد . والألف فى تهام (بفتح التاء وحذف الياء) أصلية وفى يمان وشآم عارضة . وقيـل : إن تهاميا (بتخفيف الياء) منسوب إلى تِهـم بمعنى تهامة ، فلما حذفت إحدى الياءين عوّضت منها الألف . وعلى هذا تكون الألف عارضة فى الكل . (٢) التكملة عن م . إذ لم نجد فى المراجع التى بين أيدينا أنّ عمر بن شبة يروى عن أبى الغراف وانما الذى يروى عنه هو محمد بن سلام . (٣) كذا فى م ، ج (بالغين المعجمة) ، وهو الموافق لما فى طبقات الشعراء لجمحىّ ص ٨١ والنقائض ص ٢٤٠) ، وهو أبو الغرّاف الضبىّ . وفى باقى الأصول : «العرّاف» بالعين المهملة ، وهو تصحيف . (٤) فى م : «قال ابن دريد فحدّثنى أبو زيد أنهما ...» . (٥) المربد (كمنبر) : موضع بالبصرة كان مجتمعا للقوم .

لمّا رأتْ جَعدةُ منا وِرْدَا(١) * ولَّوْا نَعَامًا(٢) فى البلاد رُبْدَا(٣)

إنّ لنا عليكُمُ مَعَدّا(٤) * كاهلَها وركنَها الأشَدّا

فقال العجاج : * كل آمرئ يَعْدو بما آستعدّا *

وقال الأخطل يُعين أوسَ بن مغراء ويحكّم له :

وإنى لقاضٍ بين جَعدةِ عامرٍ * وسَعدٍ قضاءً بيّنَ الحقّ فيْصلَا

أبو جعدةَ الذئبُ الخبيثُ طَعامُه * وعَوفُ بن كعبٍ أكرمُ الناس أوّلَا

وقال كعبُ بن جُعَيل :

إنّى لقاضٍ قضاءً سوف يتبعه * مَنْ أَمَّ قَصْدًا ولم يَعدِل إلى أَوَدِ(٥)

فَصْلًا من القول تأتمُّ القضاةُ به * ولا أجُور ولا أبغى على أحدِ

نا كت بنو عامرٍ سعدًا وشاعرَها * كما تَنيك بنو عَبْس(٦) بنى أسدِ

مهاجاته ليلى الأخيلية

وقال أبو عمرو الشيبانىّ : كان سبب المهاجاة بين ليلى الأخيليّة وبين الجعدىّ

١٣٣/٤ أنّ رجلا من قُشَير ـ يقال له آبن الحَيَا (وهى أمه) وآسمه سَوّار بن أَوْفَى بن سَبْرة ـ هجاه وسبّ أخوالَه من أَزْد فى أمرٍ كان بين قُشير وبين بنى جَعْدة وهم بأصبهان

(١) الورد (بالكسر) : الجيش ، وهو أيضا الإشراف على الماء، وغيره دخله أو لم يدخله .

(٢) فى م : « فى الفلاة » . (٣) ربدا : جمع ربداء وهى من النعام ما كان لونها سوادا مختلطا ، وقيل : ما كان كله سوادا ، وقيل : ما كان بين السواد والغبرة . (٤) معدّ : أبو حىّ من العرب . وإلى معد ينتسب أوس بن مغراء ، وبهذا النسب يفخر على النابغة . وكاهل القوم : معتمدهم فى الملمات وسندهم فى المهمات ، وهو مأخوذ من كاهل الظهر لأن عنق الفرس يتساند اليه إذا أحضر . قال الشاعر :

حصنين كانا لمعدّ كاهلا * ومنكبين اعتليا التلاتلا

ويعنى بالحصنين ربيعة ومضر وهما عمدة أولاد معدّ كلهم . (٥) الأود : العوج . (٦) فى م : « بنو عمرو » .

متجاورون، فأجابه النابغة بقصيدته التى يُقال لها الفاضحة — سُمِّيت بذلك لأنه ذكر فيها مساوئ قُشير وعُقيل وكلّ ما كانوا يُسبّون به، وفخر بمآثر قومه وبما كان لسائر بطون بنى عامر سوى هذين الحيّين من قُشير وعُقيل — :

جَهِلتَ علىّ آبنَ الحيا وظلمتَنى * وجمّعت قولًا جاء بيتًا مُضلّلا

وقال فى هذه القصّة أيضا قصيدتَه التى أوّلها :

إمّا ترىْ(١) ظُلَلَ الأيّامِ قد حَسَرَتْ * عنّى وشمّرتُ ذيّالًا كان ذَيّالا(٢)

وهى طويلة، يقول فيها :

ويومَ مكّةَ إذ ماجَدْتُمُ(٣) نَفَرًا * حامَوْا(٤) على عُقَد الأحسابِ أَزْوالا(٥)

عند النّجاشىّ إذ تُعطون أيديَكم(٦) * مُقرَّنين ولا ترجُون إرسالا

إذ تَستحِبُّونَ(٧) عند الحَذْل أنّ لكم * مِنْ آلِ جَعْدة أعمامًا وأخوالا

لو تستطيعون أنْ تُلقوا جُلودَكمُ * وتجعلوا جِلْدَ عبد الله سِرْبالا

— يعنى عبدَ الله(٨) بن جَعدة بن كعب —

(١) هذا شرط جوابه فى البيت الذى يلى هذا البيت وهو :

وعمّمتنى بقايا الدهر من قطن * فقد أنفج ذا فرقين ميالا

وهذا البيت مذكور ضمن قصيدة طويلة فى نسخة خطية محفوظة بدار الكتب المصرية بعنوان «شعر النابغة الجعدى» ضمن مجموعة تحت رقم ١٨٤٥ أدب .

(٢) ذيل ذيال : طويل . (٣) ماجدتم : فاخرتم وسابقتم فى المجد . (٤) يقال : حامى عن الشىء اذا دافع عنه، وحامى عليه اذا احتفل له . قال الشاعر :

حاموا على أضيافهم فشووا لهم * من لحم منقية ومن أكباد

فيحتمل هنا أن يكون المراد المعنى الأوّل وتكون "على" بمعنى "عن"، أو المعنى الثانى ويكون معنى الاحتفال بعقد الأحساب (وهى الأواصر التى تربط ذوى الأرحام بعضهم ببعض) هو القيام بما تقتضيه من نصر من يتصل بهم والدفاع عنه . (٥) أزوال : جمع زَوْل، وهو الفتى الخفيف الظريف والجواد . (٦) إعطاء اليد : كناية عن الانقياد والمذلة . ومقرنين : مشدودين فى القرن وهو الحبل . (٧) كذا فى النسخة المخطوطة المذكورة . وفى جميع الأصول : «تستحقون» . (٨) هو عبد الله ابن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة خال النابغة الجعدىّ (راجع النسخة المذكورة) .

إذًا تسربلتمُ فيه ليُنجيكم * ممّا يقولُ ٱبنُ ذى الجَدّين إذ قالا
حتّى وهبتم لعبد الله صاحبَه * والقولُ فيكم بإذن الله ما فالَا (١)
تلك المكارمُ لاقَعْبانِ من لَبنٍ * شِيبَا (٢) بماءٍ (٣) فعادَا بعدُ أبْوالا

يعنى بهذا البيت أن ٱبن الحَيَا فخَر عليه بأنهم سَقَوْا رجلًا من جَعدة أدركوه فى سفر وقد جهِد عطشًا لبنًا وماءً فعاش .

وقال فى هذه القصّة أيضا قصيدتَه التى أوّلها :

أبلغ قُشَيرًا والحَرِيشَ (٤) فما * ذا ردّ فى أيديكم شَتْمى

وفخر عليهم بقتل عَلْقمة الجُعْفىّ يوم وادى نِسَاح (٥) وقتل شَرَاحِيل (٦) بن الأَصْهب الجُعْفىّ ، وبيوم رَحْرَحان (٧) أيضا ، فقال فيه :

هلّا (٨) سألتَ بيومَىْ رَحْرحان وقد * ظنّتْ هَوازنُ أنّ العِزّ قد زَالَا

---

(١) فال : أخطأ . وفى الأصول : «قال» . ولعل ما رجحناه هو الصواب . (٢) روى صاحب العقد الفريد هذا البيت ضمن أبيات لأبى الصلت والد أمية بن أبى الصلت يمدح بها سيف بن ذى يزن مطلعها :

لم يدرك الثأر أمثال ابن ذى يزن * لجج فى البحر للأعداء أحوالا

(صوابه : ليطلب الثأر) . ومثله فى معجم البلدان لياقوت فى كلامه على غمدان والشعر والشعراء فى ترجمة أمية بن أبى الصلت (ص ٢٧٩ ــ ٢٨٢ طبع أوربا) وابن جرير الطبرى (طبع أوربا قسم ٣ ص ٩٥٦) .
(٣) شيبا : خلطا . (٤) كذا فى س "الحريش" (بالحاء المهملة) وكذلك صححه المرحوم الشيخ الشنقيطى فى نسخته ، وهو الحريش بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، وفى باقى الأصول : «الجريش» بالجيم المعجمة ، وهو تصحيف . (راجع القاموس وشرحه مادة حرش وكتاب الاشتقاق لابن دريد) .
(٥) وادى نساح (بكسر النون) : باليمامة . (٦) أو هو شرحبيل (عن القاموس مادتى شراحيل وشرحبيل) . (٧) رحرحان : جبل قريب من عكاظ خلف عرفات ، قيل : هو لغطفان ، وكان للعرب فيه يومان سيأتى كلام عليهما فى هذا الجزء . (٨) فى النسخة المخطوطة : « نحن الفوارس يومى ... الخ » .

فلما ذكر ذلك النابغة قال :

تلك المكارم لا قَعبانِ من لبنٍ * شِيبَا بماءٍ فعادا بعدُ أبوالَا

ففخر بما لَه وغَضَّ مما لهم . ودخلت ليلى الأخيلية بينهما فقالت :

وما كنتُ لو قاذفتُ[1] جِلَّ عَشيرتى * لأذكرَ قَعْبَىْ حازِرٍ[2] قد تَثَمَّلَا

وهى كلمة[3] . فلما بلغ النابغةَ قولُها قال :

أَلَا حَيِّيَا ليلَى وقُولَا لها هَلَا[4] * فقد رَكِبتْ أَيْرًا[5] أغرَّ مُحَجَّلَا

وقد أكلتْ بقلًا[6] وخِيمًا نباتُه * وقد شَرِبتْ من آخر الصيف أُيَّلا[7]

— يعنى ألبان الأُيَّل —

---

(١) كذا فى كتاب أشعار النساء (تأليف أبى عبيدالله محمد بن عمران المرزبانى ج ٣ ص ٢ المخطوط المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ٨ أدب ش) ، وفى الأصول : «فارقت» . (٢) كذا فى حـ . والحازر : اللبن الحامض . وفى ب و س : «خازر» (بالخاء المعجمة) . وتثمل : صار كثلا من الرغوة ، والثمالة : الرغوة . (عن كتاب أشعار النساء) (٣) المراد بالكلمة هنا القصيدة ، يقال : قال الشاعر كلمة أى قصيدة . (٤) هلا : كلمة زجر، تزجر بها الإناث من الخيل اذا أنزى عليها الفحل لتقر وتسكن . (٥) كذا فى كتاب أشعار النساء . وفى جميع الأصول : «أمرا» بالميم ، وظاهر أنه تحريف . (٦) فى م : « الليل » . (٧) كذا فى حـ ، م . والأيل (وزان سيد وميت) : الذكر من الأوعال ، أو هو ذو القرن الأشعث الضخم مثل الثور الأهلىّ . والمراد : إذا شربت ألبانه ، كما قال المؤلف . وكانوا يزعمون أن ألبان الأيل تغلم شاربها . قال أبو الهيثم : هذا محال ، ومن أين توجد ألبان الأيايل ! وذهب الى أن الأيل (بضم الهمزة) : الألبان الخاثرة ، يقال : آل اللبن يؤول أولا وإيالا اذا خثر فاجتمع بعضه الى بعض ، فالوصف للواحد آئل والجمع أيل ، وقيل : ان اللبن الآئل مما يسمن ويغلم . واعترض على هذا التفسير بأن فعلا يكون جمعا لفاعل اذا كان وصفا لحيوان ، فأجيب بأن ذلك هو الغالب الكثير . واعترض أيضا بأنه كان ينبغى أن يكون أوّلا ، لأنه واوى العين؛ فأجيب بأن سيبويه أجاز الإعلال فى مثله ، نحو صيم وقيم فى صوّم وقوّم . وقال أبو منصور فى تفسير الأيل : « هو البول الخاثر بالنصب (يريد بفتح الهمزة) من أبوال الأروية اذا شربته المرأة اغتلمت » . وفى سائر الأصول : « أبلا » بالباء الموحدة ، وهو تصحيف .

دَعِى عنكِ تَهجاءَ الرجال وأَقْبِلى * على أَذْلَغِىٍّ(١) يملأ آسْتَكِ فَيْشَلَا

١٣٤/٤ وكيف أُهاجِى شاعرًا رُمحه آسْتُه * خَضِيبَ البَنانِ لا يزال مُكَحَّلَا

فردّت عليه ليلى الأخيليّة فقالت :

أنابغَ لم تَنْبَغْ(٢) ولم تكُ أوّلَا * وكنتَ صُنَيًّا بين صُدَّيْن مَجْهَلَا(٣)

— الصُّنَىّ : شِعْب صغير يسيل منه الماء . وصُدّان : جبلان —

أنابغُ إن تَنْبغ بلؤمك لا تجد * للؤمك إلّا وَسْطَ جَعْدةَ مَجْعَلَا

تُعَيِّرنى داءً بأمّك مثلُه * وأىّ حَصانٍ(٤) لا يُقال لها هَلَا

فغلبته . فلما أتى بنى جعدة قولُها هذا ، اجتمع ناس منهم فقالوا : والله لنأتينّ صاحبَ المدينة ، أو أمير المؤمنين ، فليأخذنّ لنا بحقّنا من هذه الخبيثة ، فإنها قد شتمَتْ أعراضنا وآفترَتْ علينا ، فتهيّئوا لذلك ؛ وبلغها أنهم يريدون أن يستعدُوا عليها ، فقالت :

---

(١) الأذلغىّ (بالذال والغين المعجمتين) : الضخم الطويل من الأيور ، قيل : هو منسوب الى أذلغ بن شدّاد من بنى عبادة بن عقيل وكان نكاحا . وفى الأصول : «أدلفىّ» بالدال المهملة والفاء ، وهو تحريف ، والتصويب عن اللسان وشرح القاموس فى مادّة ذلغ وقد وضعه القاموس فى مادة دلع (بالدال والعين المهملتين) وخطأه شارحه .

(٢) نبغ فى الشعر : أجاده ، وهو بفتح عينه فى الماضى وتثليثها فى المضارع .

(٣) المجهل كمقعد : أرض لا يهتدى فيها ، لا يثنى ولا يجمع .

(٤) كذا فى م . وفى كتاب أشعار النساء للمرزبانى : «وأىّ جواد لا يقال لها هلا» ، والجواد يطلق على الأنثى أيضا . وفى سائر الأصول : «وأى نجيب لا يقال له ...» . وقد آثرنا ما فى م لقول اللسان (مادة هلا) : « ... هلا زجر للخيل وقد يستعمل للإنسان ... » واستشهد بالبيت كما ورد فى م . وعلى هذا تكون الحصان (بفتح الحاء) المرأة العفيفة .

أَتانِى من الأنبــاء أنّ عشــيرةً * بِشَوْرانَ[1] يُزْجون المطىّ المُذَلَّلا[2]

يروح ويغدو وفدُهم بصحيفةٍ * لِيَستجلِدوا لى، ساء ذلك مَعْمَلا

وقد أخبرنى ببعض هذه القصّة أحمــد بن عبد العزيز عن عمر بن شبّة فجاء بها مُختلِطة، وهذا أوضح وأصحّ .

يوم وادى نساح

قال أبو عمرو : فأما ما فَخَر به النابغةُ من الأيام، فمنها يوم عَلْقمةَ الجُعْفىّ، فإنه غَدَا فى مَذْحِج ومعه زُهَير الجعفىّ، فأتى بنى عُقَيل بنِ كعب[3] فأغار عليهم، وفى بنى عقيل بطون من سُلَيم يقال لهم بنو بَجْلة، فأصاب سَبْياً وإبلا كثيرة، ثم انصرف راجعاً بما أصاب، فاتّبعه بنو كعب، ولم يلحَق به من بنى عُقَيل إلا عِقَالُ بن خُوَيلد بن عامر ابن عُقَيل، فجعل يأخُذ أبعار إبِل الجُعفيّين فيبُول عليهــا حتى يُنَدِّيَها، ثم يلحَق ببنى كعب فيقول : إيهٍ فِدًى لكم أَبَواى، قــد لَحِقتم القومَ؛ حتى وَرَدوا عليهم النخيلَ فى يوم قائظ، ورأسُ زهير فى حِجْر جارية من سُلَيم من بنى بَجْلة سباها يومئــذ وهى تَفْليــه، وهو متوسّد قطيفةً حمراءَ وهى تَضفِر سَعَفَاتِه — أى أعلى رأسه — بهُدْب القطيفة، فلم يشعُروا إلا بالخيل، فكان أوّلُ من لَحِق زُهيرًا ابنَ النهّاضــة[4]، فضرب وجهَ زهير بقوسه حتى كَسَر أنفَه، ثم لحِقه عِقالُ بنُ خُوَيلد، فبعَج بطنَه، فسال من بطنه بَرِيرٌ وحَلَب — والبرير : ثمر الأَراك . والحلب : لبن كان قد اصطبحه —

---

(١) شوران (بفتح أوله وإسكان ثانيه بعده راء مهملة) : جبل فى ديار بنى جعدة وهو مطل على السُّدّ، وفيه مياه سماء يقال لها البَحَرات، فيها سمك أسود مقدار الذراع أطيب ما يكون وأمرؤه . (راجع معجم ما استعجم ص ٦٢ ٤، ٨٢٢) . (٢) فى أشعار النساء للمرزبانى ومعجم ما استعجم : «المنعلا»، ونعّل البعير : وضع فى خفه جلدا لئلا يحفى . (٣) كذا فى م، وكذلك صححه المرحوم الشيخ الشنقيطى بنسخته . وفى سائر الأصول : «فأتى به عقيل»، وهو تحريف . (٤) فى م : «ابن النفاضة» .

فذلك يوم يقول أبو حَرْب أخو عقال بن خُوَيلد : والله لا أصطبح لبنا حتى آمن من الصَّباح(١) . قال : وهذا اليوم هو يوم وادى نِساح وهو باليمامة .

يوم شراحيل

قال : وأمّا يوم شَراحيل بن الأَصْهب الجُعْفىّ(٢) فإنه يوم مذكور تفتخر به مُضَر كلُّها . وكان شَراحيلُ خرج مُغيرًا فى جمع عظيم من اليمن ، وكان قد طال عمرُه وكثُر تَبَعُه وبَعُد صِيتُه واتصل ظَفَرُه ، وكان قد صالح بنى عامر على أن يَغزُوَ العرب مارًّا بهم فى بدأته وعودته لا يَعرِض أحدٌ منهم لصاحبه(٣) ؛ فخرج غازيا فى بعض غَزَواته فأبعد ، ثم رجع إليهم فنزل على بنى جَعْدة فَقَرَتْه ونحرتْ له ؛ فعمَد ناس من أصحابه سُفهاءُ فتناولوا إبلًا لبنى جعدة فنحروها ؛ فشكَتْ ذلك بنو جعدة إلى شَراحيل ، فقالوا : قَرَيْناك وأحسنّا ضِيافتك ثم لم تمنَع أصحابك مما يصنعون ! فقال : إنهم قوم مُغيرون ، وقد أساءوا لعَمْرى ! وإنما يُقيمون عندكم يوما أو يومين ثم يرتحلون عنكم .

١٣٥ / ٤ فقال الرُّقاد بن عمرو بن ربيعة بن جَعْدة لأخيه ورد بن عمرو — وقيل : بل قال ذلك لابن أخيه الجعد بن وَرْد — : دَعْنى أذهب إلى بنى قُشَير — قال : وجَعْدة وقُشَير أخوان لأمّ وأب ، أمّهما رَيْطة بنت قُنْفُذ بن مالك بن عوف بن آمرئ القيس ابن بُهْثة بن سُلَيم بن منصور — فأدعوهم ، وآصنَع أنت ياهذا لشَراحيل طعاما حسَنًا كثيرا ، وآدعُه وأدخِله إليك فاقتُله ، فإن احتجت إلينا فدَخِّنْ ، فإنى إذا رأيتُ الدّخَان أتيتك بهم فوضعنا سيوفَنا(٤) على القوم . فعمَد وردٌ هذا إلى طعام فأصلحه ،

---

(١) الصباح : الغارة صبحا . (٢) انظر الحاشية رقم ٦ ص ١٥ من هذا الجزء .

(٣) كذا فى ط . وفى باقى الأصول : « ... فى بدأته وعودته ولا يعرض واحد منهم صاحبه ... » .

(٤) وضعنا سيوفنا على القوم : ألقينا بها وأسقطناها عليهم أى ضربناهم بها ؛ يقال : وضع السيف اذا ضرب به ؛ قال سديف :

فضع السيف وارفع السوط حتى * لا ترى فوق ظهرها أمويا

ودعا شَراحيلَ وناسًا من أصحابه وأهله وبنى عمه، فجعلوا كلّما دخل البيتَ رجلٌ قتله وردٌ، حتى انتصف النهار، فجاء أصحاب شَراحيل يَتْبَعُونه، فقال لهم وردٌ: تَروَّحوا[(١)] فإنّ صاحبكم قد شَرِب وثَمِل وسيرُوح [فرجعوا][(٢)]؛ ودخَّن وردٌ، وجاءت قُشير، فقتلوا من أدركوا من أصحابه، وسار سائرُهم؛ وبلَغهم قتـلُ شَراحيل، فنزلوا على بنى عُقَيل، وهم إخوتهم، فقالوا: لنقتلَنّ مالكَ بن المُنتفِق؛ فقال لهم مالك: أنا آتيكم بورد؛ فركِب ببنى عُقيل إلى بنى جَعْدة وقُشَير ليُعطوهم وردا؛ فآمتنعوا من ذلك وساروا بأجمعهم فذَبّوا عن عُقَيل، حتى تفرّق من كان مع شَراحيل. فقال فى ذلك بَحِيرُ[(٣)] [بن][(٤)] عبد الله بن سَلَمة:

أَحَىٌّ يتبعون العــير نَحْرًا[(٥)] * أحبُّ اليك أم حَيًّا هِـلالِ
لعلك قاتلٌ وَرْدًا ولَمّـا * تَسَاقَ[(٦)] الخيلُ بالأَسَل النِّهالِ
أَلَا يامالِ وَيْحَ سِواكَ أَقصِرْ * أَمَا ينهاك حلمُك عن ضلالِ

(١) تروّح فلان: سار فى الرواح، أى العشىّ، مثل راح. (٢) زيادة عن ط، ء. (٣) كذا ورد هذا الاسم فى عدة مواضع من كتاب النقائض وكتاب أشعار النساء للرزبانى، وهو بالباء الموحدة من تحت والحاء المهملة على وزان أمير. وفى الأصول «بجير» بالجيم، وهو تصحيف. (٤) التكملة عن ط، م، ء وكتاب النقائض وأشعار النساء للرزبانىّ. (٥) كذا ورد هذا البيت فى أكثر الأصول، وورد فى م: "يبتغون ... تجرا" بالجيم. وأورد المرزبانى هذا البيت، ببعض اختلاف فى كلماته عما هنا، ضمن أبيات قالها بحير هذا فى قصة له خلاصتها أن ضباعة بنت عامر بن قرط بن سلمة بن قشير تزوجت من هوذة ابن على الحنفى الذى كان يمدحه الأعشى فمات عنها وأصابت منه مالا كثيرا، فخطبها ابن عمها بحير بن عبد الله ابن سلمة فلم تزوّجه، فخطبها عبد الله بن جدعان التيمىّ الى أبيها فزوّجه اياها، فلما أهديت اليه قال ابن عمها بحير:

لنعم الحىّ لم تربع عليهــم * ضباعة يوم منق اللحم غال
ونعم الحىّ حىّ بنى أبيها * اذا قرع المقانب بالعوالى
أقوم يقتنون الإبل تجرا * أحب اليك أم قوم حلال

حلال: مقيمون. وفى هذا الشعر على هذه الرواية إقواء، وهو اختلاف حركة الروىّ. "وتجر" إما أن يكون مصدرا نصب على التعليل أو جمعا لتاجر كصحب جمعا لصاحب. (٦) تساق: أصله تتساق وفى الأصول: «تساقى» ببقاء حرف العلة فى آخره وهو مجزوم. والأسل: الرماح. والنهال: الريانة، واحدها: ناهل، ويطلق الناهل أيضا على العطشان، فهو من الأضداد.

يوما رحرحان

وأمّا يوما رَحْرحان ، فأحدُهما مشهور قد ذُكر فى موضع آخر من هذا الكتاب بعقب أخبار الحارث بن ظالم، وهذا اليوم الثانى ، فكان الطمّاح الحنفىّ [1] أغار فى بنى حَنيفة وبنى قَيس بن ثَعْلبة على بنى الحَريش بن كعب وبنى عُبادة بن عُقيل وطوائفَ من بنى عَبْس يقال لهم بنو حُذَيفة [2] ؛ فركبت بنو جَعْدة وبنو أبى بكر ابن كلاب، ولم يشهَد ذلك من بنى كلاب غيرُ بنى أبى بكر ، فأدركوا الطمّاحَ من يومهم ، فاستنقذوا ما أخذه وأصابوا ما كان معه ، وقتلوا عددا من أصحابه وهزموهم .

كعب الفوارس ومقتله

قال : وأما ما ذكره من إدراكهم بثأر كعب الفوارس [3] ، فإن كعب الفوارس — وهو ابن معاوية بن عُبادة بن البكّاء — مرّ على بنى نَهْد وعليه سلاحه، فحمَل عليه

---

(١) ذكر فى كتاب النقائض (المطبوع فى مدينة ليدن ص ١٠٦٠) تفصيل ليومى رحرحان ، فأما الأوّل منهما فهو أن يثربىّ بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم غزا بنى عامر بن صعصعة وعلى بنى عامر يومئذ الأحوص بن جعفر فالتقوا فاقتتلوا ، فقتل من بنى عامر قريط بن عبد الله بن أبى بكر بن كلاب وقتل يثربىّ يومئذ . وأما يوم رحرحان الثانى فذكور أيضا فى كتاب النقائض كما هو وارد فى الأغانى (فى الجزء العاشر من طبعة بولاق ص ٣١) وهو الموضع الذى نبه المؤلف هنا أنه ذكر فيه . ويلاحظ بعد هذا أن ما ذكره المؤلف من قوله : « فكان الطماح الحنفىّ ... الخ » غير واضح الاتصال بأحد هذين اليومين ولا الأسماء التى ذكرت فى هذا الخبر مذكورة فى الأسماء التى ذكرت فى أحد هذين اليومين .

(٢) فى م : « بنو خزيمة ، فركبت بنو خزيمة » . وفى ط : « جذيمة » .

(٣) يلاحظ أيضا أنه لم يتقدّم لهذا الخبر ذكر . وقد ذكر مقتل كعب الفوارس هذا والأخذ بثأره ، كما هو وارد هنا ، فى كتاب النقائض متصلا بأخبار " يوم فيف الريح " وهو يوم كان بين بنى عامر وبين بنى الحارث ومن تبعهم من قبائل جعفىّ وزبيد وقبائل سعد العشيرة ومراد وصداء ونهد واستعانوا أيضا بخثعم ، (راجع كتاب النقائض ص ٤٦٩) . ولعل مقتل كعب الفوارس ورد فى شعر للنابغة الجعدىّ لم يقع إلينا فى أصول الأغانى التى بين أيدينا .

رجل من نَهْد[1] يقال له خُلَيف فقتله وأخذ فرسَه وسلاحه، ثم إن خُليفا بعد ذلك بدَهْرٍ مرّ على بنى جَعْدة، فرآه مالك بن عبد الله بن جعدة وعليه جُبّة كعب وفيها أثر الطعنة، وكان مُحْرِما فلم يقدِر على قتله، فقال: ياهذا! أَلَا رقَعتَ هذا الخَرْق الذى فى جُبّتك! وجعل يترصّده بعد ذلك، حتى بلَغه بعد دهرٍ أنه مرّ ببنى جَعْدة، فركب مالكُ بن عبد الله بن جعدة فرسًا له وقد أُخبر أن خُليفًا مرّ بجَنَباتهم[2]، فأدركه فقتله، ثم قال: بُؤْ بكعب. ثم غزا نواحيَهم عبدُ الله بن ثور بن معاوية بن عُبادة ابن البَكّاء: جَرْما ونَهْدا، وهم يومئذ فى بنى الحارث، فناداهم بنو البكّاء: ليس معنا أحدٌ من قومنا غيرنا وإنّ النهدىّ قتل صاحبنَا مُحْرِما؛ فقاتلهم نَهْد وجَرْم جميعًا يومئذ، وكان عبد الله بن ثَوْر يومئذ على فرسٍ وَرْدٍ، فأصابوا من نَهْدٍ يومئذ غنيمة عظيمة، وقتلوا قتلى كثيرة. فقال عبد الله فى ذلك:

١٣٦ / ٤

فسائِل بنى جَرْمٍ اذا مالقيتَهم * ونَهْدًا إذا ضجّتْ عليك بنو نهد
فإن يُخبروك الحقّ عنا تَجِدْهمُ * يقولون أبلى صاحبُ الفرس الوَرْدِ

يوم الفلج

قال: وأما يوم الفَلَج، فإن بكر بن وائل بعثتْ عينًا على بنى كعب بن رَبيعة حتى جاء الفَلَجَ — وهو ماء — فوجد النَّعَم بعضَه قريبًا من بعض، ووجد الناس قد احتملوا، فليس فى النَّعَم إلا من لا طَبَاخ[3] به من راعٍ أو ضعيف؛ فجاءهم عينُهم بذلك، فركبت بكر بن وائل يريدونهم، حتى إذا كانوا منهم بحيثُ يسمعون أصواتهم، سمِعوا الصّهيل وأصواتَ الرجال؛ فقالوا لعينهم: ما هذا ويلك؟! قال: والله ما أدرى، وإن هذا لمـا لم أعهد، فأرسلوا من يعلَم عِلمَهم؛ فرجَع فأخبرهم أن الرجال قد رجَعوا، ورأى

(١) فى النقائض (ص ٤٧١): «قتله خليف بن عبد العزى بن عائذ النهدى»، وأول كلام المؤلف هنا وآخره يؤيد ما أثبتناه وهو أنه من «نهد». وفى الأصول: «من جهم» وهو تحريف.

(٢) جنباتهم: نواحيهم، واحده جنبة بالفتح. وفى م: «حيفاتهم» والحيفة (بالكسر): الناحية أيضا.

(٣) الطباخ (رواه الإيادى بفتح الطاء والأزهرىّ بضمها): القوّة والسمن.

جمّا عظيما وخيولا كثيرة[(١)]؛ فكرّوا راجعين من ليلتهم؛ وأصبحت بنو كعب فرأوا الأثر فاتّبعوهم، فأصابوا من أُخرياتهم رجالًا وخيلا، فرجعوا بها .

خداش بن زهير وهبيرة بن عامر

قال : وأما قوله :

لو تستطيعون أن تُلقوا جُلودكم * وتجعلوا جِلد عبـد الله سِرْبالَا

فإن السبب فى ذلك أن هُبيرة[(٢)] بن عامر بن سَلَمَة بن قُشير، لقى خِداش[(٣)] بن زهير البَكّائى، فتنافرا على مائة من الإبل، وقال كل منهما لصاحبه : أنا أكرم وأعزّ منك؛ فحكّما فى ذلك رجلا من بنى ذى الجَدّين، فقضى بينهما أنّ أعزّهما وأكرمهما أقربُهما من عبد الله بن جعدةَ نسبًا؛ فقال خِداش[(٣)] بن زُهَير : أنا أقرب إليه، أمّ عبـد الله بن جَعدة عمّتى — وهى أُميمة بنت عمرو بن عامر — وإنما أنت أدنى إليه منّى منزلةً بأب؛ فلم يزالا يختصمان فى القرابة لعبد الله دون المُكاثرة بآبائهما إقرارًا له بذلك، حتى فَلَج[(٤)] هبيرةُ القُشَيرىّ وظفِر .

عبد الله بن جعدة

قال أبو عمرو : وكان عبد الله بن جَعْدة سيّدًا مُطاعا، وكانت له إتاوةٌ بعكاظ يُؤتى بها، يأتيه[(٥)] بها هذا الحىّ من الأَزْد وغيرُهم؛ فجاء سُمَيرُ[(٦)] بن سَلَمة القُشَيرىّ وعبـدُ الله جالسٌ على ثياب قد جُمعت له من إتاوته، فأنزله عنها وجلس مكانَه؛ فجاء رِياح[(٧)] بن عمرو بن رَبيعة بن عُقَيل — وهو الخليع، سُمّى بذلك لتخلّعه عن

(١) كذا فى ط، ى، م . وفى سائر الأصول : «وخلقا كثيرا» .

(٢) كذا فى ط، ى، م وكتاب النقائض وفيما سيأتى فى كل الأصول . وفى باقى الأصول هنا : «زهير» وهو تحريف . (٣) كذا فى ط، ى، م وكتاب النقائض وكذلك صححه الأستاذ الشنقيطى فى نسخته . وفى باقى الأصول : «خراش» بالراء، وهو تحريف . (٤) فلج : فاز وغلب . (٥) كذا فى ط، ى، م . وفى باقى الأصول : « .. ويأتيه بها ... » بزيادة الواو، وهو تحريف . (٦) فى ط، م، ى : «فجاء سليمان بن سلمة ...» . (٧) كذا فى ط، ى وكذلك صححه المرحوم الأستاذ الشنقيطى فى نسخته . وفى م : «رماح» بالميم . وفى باقى الأصول : «رباح» بالباء الموحدة، وكلاهما تحريف .

الملوك لا يُعطيهم الطاعة — فقال للقشيرىّ : مالَكَ ولشيخنا تُنزله عن إتاوته ونحن ها هنا حولَه ! فقال القشيرىّ : كذبتَ، ما هى له ! ثم مدّ القشيرىّ رجلَه فقال : هذه رجلى فآضربها إن كنتَ عزيزا؛ قال : لا ! لعمرى لا أضرب رجلَك ؛ فقال له القُشَيرىّ : فامدُدْ لى رجلَك حتى تعلم أأضربها أم لا؛ فقال : ولا أمدّ لك رجلى، ولكن أفعلُ ما لا تُنكره العشيرة وما هو أعزّ لى وأذَلّ لك؛ ثم أهْوَى الى رجل القشيرىّ فسحَبه على قفاه ونحّاه، وأقعد عبدَ الله بنَ جَعْدةَ مكانَه .

قال : وعبد الله بن جعدة أوّل من صنع الدّبّابة[1]؛ وكان السبب فى ذلك أنهم انتجعُوا[2] ناحيةَ البحرين ، فهجموا على عبد لرجل يقال له كَوْذَن[3] فى قصر حَصين ، فدخل العبدُ ودعا النساءَ والصبيانَ، فظنوا أنه يُطعمهم ثريدا، حتى اذا امتلأ القصر منهم أغلقه عليهم، فصاح النساء والصبيان، وقام العبد ومن معه على شُرَف القصر، فجعل لا يدنو منه أحدٌ إلا رماه ؛ فلما رأى ذلك عبد الله بن جعدة صنع دبّابة على جذوع النخل وألبسها جلودَ الإبل، ثم جاء بها والقومُ يحملونها حتى أسندوها إلى القصر ، ثم حفروا حتى خرقوه[4] ؛ فقتل العبدَ ومن كان معه وآستنقذ صبيانَهم ونساءهم . فذلك قول النابغة : ١٣٧/٤

ويومَ دعا وِلْدانَكم عبدُ كَوْذَنٍ * فخالُوا لدى الدّاعى ثريدًا مُفلفلَا

وفى ابنَ زِياد وهو عُقبة خيرِكم * هبيرةُ ينزو فى الحديد مُكبَّلا

يعنى هبيرةَ بن عامر بن سَلَمة بن قُشَير ، وكان عبد الله بن مالك بن عُدَس بن ربيعة بن جَعْدة[5] خرج ومعه مالك بن عبد الله بن جعدة، حتى مرّوا على بنى زياد

---

(١) الدبابة : آلة تتخذ من جلود وخشب للحرب يدخل فيها الرجال و يقربونها من الحصن المحاصر لينقبوه وهم فى جوفها فتقيهم ما يرمون به من فوقهم . (٢) الانتجاع : طلب الكلأ ومساقط الغيث .

(٣) فى م : « كوذن » بالذال المعجمة . (٤) كذا فى ط، ء، م . وفى سائر الأصول : « حفروه » .

(٥) فى ط، ء : « بنى زيد العبسين » . وفى م : « بنى زيد والعبسيين » ، وكلاهما تحريف .

العبسيّين والرجال غُيَّبٌ، فأخذوا آبنًا لأَنَس[1] بن زياد وآنطلقوا به يرجون الفِداء؛ وآنطلق عمُّه عُمارة بن زِياد حتى أتى بنى كعب، فلقى هُبَيْرَةَ بن عامر بن سَلَمَة بن قشير، فقال له : يا هبيرة إن الناس يقولون: إنك بخيل؛ قال: مَعَاذَ الله! قال: فهبْ لى جُبّتك هذه؛ فأهْوَى ليخلَعها، فلما وقعتْ[2] فى رأسه وثب عليه فأسره، ثم بعث إلى بنى قُشير : علىّ وعلىّ إن قبلتُ من هُبَيْرة أقلّ من فِدية حاجبٍ[3] إلا أن يأتونى بآبن أخى الذى فى أيدى بنى جَعْدة؛ فمشتْ بنو قُشير إلى بنى جعدة، فآستوهبوه منهم فوهبوه لهم، فآفتدَوْا به هُبَيْرَةَ .

وحوح أخو النابغة

وأما خبرُ وحوح أخى النابغة الذى تقدّم ذكره مع نسب أخيه النابغة، فإن أبا عمرو ذكر أن بنى كعب أغارت على بنى أسد فأصابوا سَبْيًا وأَسْرى، فركبتْ بنو أسد فى آثارهم حتى لِحقوهم بالشُّرَيْف[4]، فعطفت بنو عُدَس بن ربيعة بن جعدة، فذادوا بنى أسد حتى قتلوا منهم ثلاثين رجلًا وردّوهم؛ ولم يظفَروا منهم بشىء . وتعلّقت آمرأة من بنى أسد بالحَكَم بن عمرو بن عبد الله بن جعدة وقد أردفها خلفَه، فأخذت بضفيرته ومالت به فصرعته، فعطَف عليه عبدُ الله بن مالك بن عُدَس وهو أبو صَفْوان، فضرب يدها بالسيف فقطعها وتخلّصه . وطُعِن يومئذ وحوح بن

---

(١) كذا فى ط، ى، م، وهو أنس بن زياد العبسىّ ويسمى أنس الفوارس، وله حديث فى يوم أقرن . (راجع النقائض ص ١٩٤، ٦٧٩) . وفى سائر الأصول : «أوس»، وهو تحريف .

(٢) فى ط، ى، م : «وقفت» بالفاء . (٣) هو حاجب بن زرارة، وهو من الذين يضرب المثل بفدائهم فى الوفرة، ومثله فى ذلك بسطام بن قيس والأشعث بن قيس بن معديكرب الكندى . (راجع كتاب ما يعوّل عليه فى المضاف والمضاف اليه — حرف الفاء) . وسيأتى خبر أسر حاجب بن زرارة هذا وفدائه فى الأغانى (ج ١٠ ص ٤٢ طبع بولاق) . (٤) كذا فى ط، ى، والشريف (بصيغة التصغير) : ماء لبنى نمير، وقيل : إنه واد بنجد . وفى سائر الأصول : «السديف» (بالسين والدال المهملتين) وهو تحريف .

قيس أخو النابغة الجعدىّ، فارْتُثَّ(١) فى معركة القوم، فأخذه خالد بن نَضْلة الأسدىّ؛ وعطَف عليه يومئذ أخوه النابغة، فقال له خالد بن نَضْلة : هَلُمَّ إلىّ وأنت آمن؛ فقال له النابغة : لا حاجةَ لى فى أمانك ، أنا على فرسى ومعى سلاحى(٢) وأصحابى قريب، ولكنّى أُوصيك بما فى العَوْسجة(٣) (يعنى أخاه وحوح بن قيس)؛ فعدَل اليه خالد فأخذه وضمّه اليه ومنَع مِنْ قتله ودَاواه حتّى فُدِىَ بعد ذلك . قال: ففى ذلك يقول مُدرِك العَبْسىّ(٤) :

أقمتُ على الحِفاظِ وعاب فَرْجٌ * وفى فَرْجٍ عن الحسب انفراجُ
كذلك فِعْلُنا(٥) وجبالُ عمّى * وردْنَ بوحوح فَلَجَ الفِلاجِ(٦)

شعر النابغة الجعدى

ومما قاله النابغة فى هذه المفاخرة وغُنّى فيه قولُه وقد جُمِع معه كلّ ما يغنّى فيه من القصيدة — :

صــــوت

هل بالدّيارِ الغــداةَ من صَمَمِ * أم هَلْ بِرَبْعِ الأنِيس من قِدَمِ
أم ما تُنادِى من ماثِلٍ دَرَجَ السَّيلُ * عليــه كالحوض مُنهدِمِ
غرّاءُ كالليلة المبارَكة القمــراءِ * تَهــدِى أوائلَ الظُّلَمِ
أكْنى بغيرِ اسمها وقــد علِمَ اللّه * خَفيّاتِ كلّ مُكتَتِمِ

---

(١) ارتثّ : ضرب فى الحرب فأثخن وحمل و به رمق . (٢) فى ط، ء، م : «وعلىّ سلاحى» . (٣) العوسجة : واحدة العوسج وهو شجر شائك له ثمر أحمر مدوّر، ولعله يريد بالعوسجة حظيرة أو مظلة متخذة من شجر العوسج . (٤) فى حـ : «الفقعسىّ» . (٥) فلج (بالتحريك): مدينة بأرض اليمامة لبنى جعدة وقشير وكعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، وفلج أيضا : مدينة قيس بن عيلان بن مضر، ويقال لها : فلج الأفلاج . وأصل الفلج النهر أو الماء الجارى ، ولعله يقال أيضا : فلج الفلاج ، كما ورد فى الشعر هنا ، لأن فعلا (بالتحريك) يجمع على أفعال وفعال . (٦) فى هذا الشعر إقواء وهو اختلاف حركة الروىّ .

١٣٨/٤

كأنّ فاهـا إذا تبسّم من * طِيبِ مَشَمٍّ وطِيبِ مُبتَسَمِ(١)

يُسَنّ(٢) بالضِّرْوِ من بَراقِشَ أو * هَيْلانَ(٣) أو ضامرٍ من العُتُمِ

عروضه من المنسرح . وفى الأوّل والثانى والثالث من الأبيات خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالخنصر فى مجرى البنصر(٤)، ذكره إسحاق ولم ينسُبه إلى أحد ، وذكر ابن المكىّ والهشامىّ أنه لمعبد، وأظنه من منحول يحيى، وذكر حبش أنه لإبراهيم . وفى الثالث وما بعده لابن سريج رمل بالبنصر، وذكر حبش أنّ فيها لإسحاق رملًا آخر؛ ولابن مِسْجَح فيها ثقيل أوّل بالبنصر .

أوّل من سبق الى الكناية عمن يعنى بغيره

أخبرنى علىّ بن سليمان الأخفش قال : أوّلُ من سبَق إلى الكناية عن اسم من يَعْنِي بغيره فى الشعر الجعدىُّ، فإنه قال :

أَكْنِي بغير ٱسمها وقد علم اللهُ * خَفِيّاتِ كلّ مكتتَمِ

فسبَق(٥) النـاسَ جميعا إليه واتّبعوه فيه . وأحسنُ من أخذه وألطفُه فيه أبو نُوَاس حيث يقـول :

أسألُ القادمين من حَكَمانِ(٦) * كيف خلّفتُمُ أبا عثمانِ

فيقولون لى جِنانٌ كما سرّك * فى حالها فسَلْ عن جِنانِ

مالهمْ لا يُبارك اللهُ فيهمْ * كيف لم يُغْنِ عندهم كِتمانى

(١) فى ط ، ء : «وحسن مبتسم» . (٢) يسنّ (يستاك) . والضرو : شجر يستاك به . وبراقش وهيلان : مدينتان عاديتان باليمن خربتا . (٣) فى اللسان (مادة برقش) ومعجم ما استعجم للبكرى ومعجم البلدان لياقوت (فى الكلام على براقش) : «أو ناضر» . والعتم (بضمتين) : شجر الزيتون . (٤) فى ط ، ء : «فى مجرى الخنصر» . (٥) كذا فى ط ، ء ، حـ . وفى سائر الأصول : «يسبق» وهو تحريف . (٦) حكمان (بالتحريك) : اسم لضياع بالبصرة سميت بالحكم بن أبى العاص الثقفىّ . وهـذا اصطلاح لأهل البصرة اذا سموا ضيعة باسم زادوا عليه ألفا ونونا، حتى سموا عبـد اللان فى قرية سميت بعبد الله . وكانت هـذه الضيعة لبنى عبد الوهاب الثقفيين موالى جنان صاحبة أبى نواس (انظر معجم ياقوت فى ٱسم حَكَمان) .

ذكره الفرزدق وتحدث عن شعره

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبّة قال حدّثنى أبو بكر الباهلىّ قال حدّثنى الأصمعىّ قال :

ذكر الفرزدقُ نابغةَ بنى جعدة فقال : كان صاحبَ خُلْقان عنده مُطْرَفٌ بألف، وخمارٌ(1) بواف(2)، (يعنى درهما) .

وفد على ابن الزبير ومدحه فوصله

وحدّثنى خبرَه مع ابن الزبير جماعةٌ ، منهم حبيبُ بن نصر المهلّبىّ وعمر بن عبد العزيز بن أحمد والحرمىّ بن أبى العلاء ووَكيع ومحمد بن جرير الطبرىّ حدّثنيه مَنْ حفظه، قالوا حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثنا أخى هارون بن أبى بكر(3) عن يحيى ابن إبراهيم عن سليمان بن(4) محمد بن يحيى بن عُروة عن أبيه عن عمّه عبد الله بن عُروة قال :

أَقْحمت(5) السنةُ نابغةَ بنى جعدة، فدخل على ابن الزبير المسجدَ الحرام، فأنشده :

حَكَيتَ لنا الصِّدِّيقَ لمّا وَلِيتَنا * وعثمانَ والفاروقَ فارتاح مُعدِمُ
أتاك أبو ليلى يجوب به الدُّجى * دُجَى الليلِ جوّابُ الفلاة عَثَمْثَمُ(6)
لتجبُرَ منه جانبًا زَعْزَعت(7) به * صُروفُ الليالى والزمانُ المُصمِّمُ

(1) الخمار (بالكسر) : النصيف وهو ما تغطى به المرأة رأسها، وقد يطلق على العمامة، لأن الرجل يغطى بها رأسه كما تغطيه المرأة بخمارها؛ وفى حديث أم سلمة «أنه كان يمسح على الخف والخمار» أى العمامة .
(2) الذى فى معاجم اللغة أن الوافى درهم وأربعة دوانق أو درهم ودانقان، يعنى الفرزدق أن فى شعره الجيد المتين والردىء الضعيف . وقال المرزبانى فى كتابه الموشح فى كلامه على النابغة الجعدىّ بعد أن ذكر قول الفرزدق هذا : «قال الأصمعىّ : وصدق الفرزدق، بينا تجد النابغة فى كلام أسهل من الزلال وأشدّ من الصخر اذ لان ... » ثم ذكر قصيدته التى منها :

سما لك هم ولم تطرب وبت ببث ولم تنصب

وبيّن ما فيها من شعر جيد وآخر ردىء . (3) هذه كنية أبيه بكار . (4) فى ب و س : «سليمان محمد» . ولعل لفظة «ابن» سقطت سهوا أثناء الطبع (5) أقحمته : ألقته ورمت به . والسنة : الجدب، أى أخرجه الجدب من البادية وأدخله الريف حيث الخضرة والماء . (6) العثمثم : الجمل الشديد الطويل . (7) فى ط ، ء : «ذعذعت» بالذال المعجمة وهى بمعنى «زعزعت» .

فقال له ابن الزبير : هوّن عليك أبا ليلى ، فإنّ الشعر أهونُ وسائلك عندنا ، أمّا صفوةُ مالنا فلآل الزبير، وأما عَفوته[1] فإنّ بنى أسد[2] بن عبد العزّى تشغلها عنك وتيما معها ، ولكن لك فى مال الله حقّان : حقّ برؤيتك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، وحقّ بشركتك أهلَ الإسلام فى فيئهم ؛ ثم أخذ بيده فدخل به دارَ النَّعَم ، فأعطاه قلائص[3] سبعًا وجملًا رَجيلا[4] ، وأوقر له الإبلَ بُرّا وتمرا وثيابا ، فجعل النابغة يستعجل فيأكل الحبَّ صِرْفا ؛ فقال ابن الزبير : ويح أبى ليلى ! لقد بلغ به الجَهْدُ ؛ فقال النابغة : أشهد أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "ما وَلِيتْ قريش فعدَلت واسترُحمت فرَحِمتْ وحدَّثت فصَدَقتْ ووعدت خيرًا فأنجزت فأنا والنبيّون فُرّاطُ[5] القاصفين" وقال الحرمىّ : "فُرّاطٌ لها ضُمُنٌ" . قال الزُّبَيرىّ : كتب يحيي ابن مَعين هذا الحديث عن أخى .

(١) عبارة ابن الأثير فى النهاية (مادة عفا) ونقلها عنه صاحب اللسان : « ... أنه قال للنابغة : أما صفو أموالنا فلآل الزبير، وأما عفوه فإن تيما وأسدا تشغله عنك . قال الحربىّ : العفو : أحل المال وأطيبه . وقال الجوهرىّ : عفو المال ما يفضل عن النفقة . وكلاهما جائز فى اللغة والثانى أشبه بهذا الحديث » ، وهذا التوجيه الأخير لابن الأثير . وأما عفوة المال والطعام والشراب (بالفتح) وعفوته (بالكسر عن كراع) : فهى خياره وما صفا منه وكثر . وظاهر أنها لا تلائم سياق الحديث ، لذلك نرى أن رواية النهاية فى هذا الأثر أصح مما ورد فى الأصول هنا . (٢) بنو أسد : قبيلة منها الزبير بن العوّام والد عبد الله هذا . وتيم : قبيلة منها أبو بكر الصدّيق رضوان الله عليه وهو جدّ ابن الزبير لأمه . (٣) القلائص : جمع قلوص وهى الشابة من الإبل بمنزلة الجارية من النساء . (٤) فى حـ : « رخيلا » بالخاء المهملة ، والرجيل والرحيل من الإبل : القوى على السير . (٥) كذا فى النهاية فى غريب الحديث والدر النثير للسيوطى (مادتى فرط وقصف) ، وفيه رواية أخرى أشار إليها السيوطى فى الدر النثير (مادة قصف) وهى "فراط القاصفين" ، وبهذه الرواية ورد الحديث فى م واللسان (مادتى فرط وقصف) . وقد وردت كلمة "القاصفين" فى أكثر الأصول ها هنا مضطربة ، ففى ط ، ء ، "فرّاط لها ضفن وقال الحرمىّ ... الخ" . وفى باقى الأصول : "فراط لها ضمين وقال الحرمىّ ... الخ" . الفرّاط : المتقدّمون إلى الشفاعة أو إلى الحوض . والقاصفون : المزدحمون . وضمن : كافلون .

ضربه أبو موسى الأشعرى أسواطا لهجاء

أخبرنى أبو الحسن الأَسَدىّ أحمد بن محمد بن عبد الله بن صالح وهاشم ابن محمد الخُزَاعىّ أبو دُلَف قالا حدّثنا الرِّيَاشىّ قال قال أبو سليمان عن الهَيْثم بن عدىّ [قال](١) : ١٣٩/٤

رَعَتْ بنو عامر بالبَصرة فى الزرع ، فبعث أبو موسى الأشعرىّ فى طلبهم ، فتصارخوا : يا آلَ عامر ، يا آل عامر ! فخرج النابغة الجعدىّ ومعه عُصبة له ، فأُتِىَ به الى أبى موسى الأشعرىّ ، فقال له : ما أخرجك ؟ قال : سمعتُ داعيةَ قومى ؛ قال : فضربه أسواطا ؛ فقال النابغة :

رأيتُ البَكْرَ بَكْرَ بنى ثمودٍ * وأنت أَراك بكرَ الأشعرينا

فإن يكُنِ ابنُ عفّانٍ أمينا * فلم يَبْعَثْ بك البَرَّ الأمينَا

فيا قبرَ النبىّ وصاحِبَيْهِ * أَلَا يا غَوْثَنا لو تسمَعُونا

أَلَا صلَّى إلهكمُ عليكم * ولا صلَّى على الأُمراء فِينَا

خبره مع علىّ ومعاوية

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ ويحيى بن علىّ بن يحيى قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا بعض أصحابنا عن ابن دَأْب(٢) قال :

لمّا خرج علىٌّ رضى الله تعالى عنه إلى صِفِّين خرج معه نابغةُ بنى جَعْدة ، فساق به يومًا فقال :

---

(١) هذه الكلمة ساقطة فى ب ، س .

(٢) هو عيسى بن يزيد بن بكر بن دأب ويكنى أبا الوليد كان هو وأبوه وأخوه من العلماء بأشعار العرب وأخبارهم وأيامهم وكان أثيرا عند الهادى وله معه أخبار طويلة . (أنظر مروج الذهب للمسعودى ج ٦ ص ٢٦٤ — ٢٦٥ طبع أوربا والمحاسن والمساوى ص ٦١٣ — ٦١٤ طبع أوربا) .

قد علِم المِصْرانِ والعِـــراقُ (١) * أنّ عليًّا فَحْلُها العَتَاقُ (٢)

أبيـــضُ جَحْجَاحٌ له رُواقُ * وأُمّــه غالَى بها الصَّـــداقُ

أكرمُ من شُـــدَّ به نِطاقُ (٣) * إنّ الأُلى جارَوْكَ لا أَفاقوا

لهـــم سِياقٌ (٤) ولكم سِـــياقُ * قـــد علمتْ ذلـــكمُ الرِّفاقُ

سُقتم إلى نَهْجِ الهُدَى وساقُوا * إلى الـــتى ليس لهـــا عِراقُ (٥)

* فى مِلّةٍ عادتُها النِّفاقُ *

فلما قَدِم معاويةُ بن أبى سفيان الكوفةَ، قام النابغةُ بين يديه فقال :

ألم تأتِ أهلَ المَشْرِقَينِ رسالتى * وأىُّ (٦) نَصيحٍ لا يَبِيتُ على عَتْبِ

مَلَكتمْ فكان الشرُّ آخرَ عَهـــدِكمْ * لئن لم تَدارَكْكُمْ حُلُومُ بنى حَرْبِ

وقد كان معاوية كتب إلى مروان فأخذ أهلَ النابغة ومالَه؛ فدخل النّابغةُ على معاوية، وعنده عبدُ الله بن عامر ومروان، فأنشده :

مَنْ راكبٌ يأتى ٱبنَ هنـــدٍ بحاجتى * عـــلى النَّأى (٧) والأنباءُ تُنْمَى وتُجلَبُ

ويُخـــبر عنّى ما أقول ٱبنَ عامرٍ * ونعم الفـــتى يأوِى إليـــه المُعصَّبُ (٨)

(١) المصران : الكوفة والبصرة . (٢) كذا فى أكثر الأصول . والذى فى معاجم اللغــة أن العتاق (وزان غراب) : الخمر الحسنة القـــديمة . ولعله يريد بفحلها العتاق فحلها الكريم . وفى م : «الفناق» بالفاء والنون . (٣) فى ط ، ء ، م : «بها» . (٤) كذا فى حـ ، م وكذلك صححه المرحوم الشنقيطى بنسخته . وفى سائر الأصول : «سباق» بالباء الموحدة وهو تصحيف . (٥) يريد الى مضلة لا نهاية لها ولا غاية . (٦) فى ط ، ء : «وإنى» . (٧) فى ط ، ء : « ... ... لحاجتى * بكوفان ... » وكوفان هى الكوفة ، وهى أيضا قرية بهراة . (٨) المعصب هو الذى عصبته السنون أى أكلت ماله ، والمعصب أيضا : الذى يعصب بطنه بالخرق من الجوع .

فإنْ تأخذوا أهــلى ومالى بِظنّــةٍ * فإنّى لَحَــرّابُ الرجالِ مُحَــرِّبُ (١)
صَــبورٌ على ما يكرهِ المــرءُ كلِّه * سِوى الظلمِ إنى إنْ ظُلمت سأغضَبُ

فٱلتفت معاويةُ إلى مروان فقــال : ما ترى ؟ قال : أرى ألّا تردّ عليــه شيئاً ؛ فقال : ما أهونَ والله عليك أن ينجحر هــذا فى غار ثم يقطع عرضى علىّ ثم تأخذه العربُ فتَروِيه، أَمَا (٢) والله إن كنتَ لِمن يرويه! أُرْدُدْ عليه كلّ شىء أخذتَه منه .

شعره فى عقال بن خويلد وسببه

وهذا الشعر يقوله النّابغةُ (٣) الجعدىُّ لعِقَال بن خُوَيلد العُقَيلىّ يُحذّره غِبَّ الظلم لمّـا أجار بنى وائل بن مَعْن، وكانوا قتلوا رجلاً من جَعْدَة، فحذّرهم مثلَ حرب البَسوس إن أقاموا على ذلك فيهم .

١٤٠ / ٤

قال أبو عمرو الشَّيْبانىّ: كان السببُ فى قول الجعدىّ هذه القصيدةَ أنّ المُنتشِر الباهلىّ خرج فأغار على اليمن ثم رجع مُظفّرا ، فوجد بنى جعدة قد قتلوا ٱبنًا له يقال له سِيدان (٤)، وكانت باهلة فى بنى كعب بن ربيعة بن عامر بن صَعْصعة ثم فى بنى جعدة، فلمّـا أن علم ذلك المُنتشر وأتاه الخبرُ أغار على بنى جعدة ثم على بنى سُبيع فى وَجْهــه ذلك، فقتــل منهم ثلاثةَ نفَر، فلما فعل ذلك تصدّعت باهلةُ، فلحِقتْ فرقة منهم يقال لهم بنو وائل بعِقال بن خويلد العقيلىّ، ولحِقتْ فرقة أخرى يقال لهم بنو قُتَيبة وعليهم مُجَــلٌّ الباهلىّ بيزيد بن عمرو بن الصَّعِق الكلابىّ، فأجارهم يزيد، وأجار عِقالٌ وائلًا . فلما رأت ذلك بنو جَعدة أرادوا قِتالهم، فقال لهم عقال : لا تقاتلوهم

(١) كذا فى أكثر الأصول . وحربه : أغضبه، يريد أن يصف نفسه بأنه شديد الكيد والنكاية وفى ب ، س : « مجرب » بالجيم .

(٢) فى ط ، ء : «أم والله» ويكون معناها الاضراب مثل "بل" . (٣) فى ب ، س ، ح : «نابغة الجعدىّ» بدون أل . (٤) فى ط ، ء : «سذان» وفى م : «سيدار» .

فقد أجرتُهم(١)، فأمّا أحدُ الثلاثة القتلى منكم فهو بالمقتول، وأمّا الآخران فعلىّ عَقْلُهما؛ فقالوا: لا نقبل إلا القتالَ ولا نُريد من وائل غِيراً(٢) (يعنى الدية)؛ فقال: لا تفعلوا فقد أجرتُ القومَ؛ فلم يزل بهم حتى قبِلوا الدية. وٱنتقلت وائل إلى قومهم. فقال النابغة فى ذلك قصيدتَه التى ذكر فيها عقالا(٣):

فأبلِغْ عِقالًا أنّ غايةَ داحسٍ(٤) * بكفّيكَ فٱستأخرْ لها أو تقدّمِ
تُجِيرُ علينا وائــلًا فى دمائنا(٥) * كأنك عمّا نابَ(٦) أشياعَنا(٧) عَمِ
كُلَيبٌ لَعَمْرِى كان أكثرَ ناصرًا * وأيسرَ جُرمًا منــك ضُرِّجَ بالدّمِ
رمى ضَرْعَ نابٍ(٨) فٱستمرّ بطَعنةٍ * كحاشــيةِ البُردِ اليمــانى المسهَّمِ(٩)
وما يَشْعُرُ الرمحُ الأصمُّ كعوبُه * بثَرْوةِ(١٠) رَهْطِ الأبلخِ المتظلِّمِ(١١)

(١) العقل: الدية. (٢) الغير (وزان عنب): قيل: إنه مفرد جمعه أغيار، وقيل: هو جمع غيرة (بالكسر) وهى الدية. (٣) عبارة ط، ى: «...قصيدته وهذه الأبيات التى ذكر فيها عقالا منها». (٤) داحس: اسم فرس أضيفت اليه حرب كانت بين عبس وذبيان، وهى حرب داحس، وذلك أن قيس بن زهير صاحب داحس تراهن هو وحذيفة بن بدر على عشرين بعيرا وجعلا الغاية مائة غلوة والمضمار أربعين ليلة، فأجرى قيس داحسا والغبراء، وحذيفة الخطار والحنفاء، فوضعت بنو فزارة رهط حذيفة كمينا فى الطريق فردوا الغبراء ولطموها وكانت سابقة، فهاجت الحرب بين عبس وذبيان أربعين سنة. (عن القاموس مادّة دحس). والنابغة يهدّد عقالا فى هذه القصيدة بحرب كحرب داحس. (٥) فى ط: «بدمائنا». (٦) فى حـ وهامش ط والموشح للمرزبانى: «نال» باللام. (٧) فى كتاب الموشح للمرزبانى: «أشياعها»، ويكون المعنى على هذه الرواية أن النابغة يهدّد عقالا ويحذره ما أصاب وائلا منهم من بأس. (٨) الناب: الناقة المسنة. (٩) المسهم: المخطط بصور على شكل السهام، وفى حديث جابر: أنه كان يصلى فى برد مسهم أخضر، أى فيه وشى كالسهام. (١٠) فى رواية: «بنزوة ...» كما فى كتاب الموشح. (١١) كذا فى ط، ى والموشح للمرزبانى. والأبلخ (بالخاء المعجمة فى آخره): العظيم فى نفسه الجرىء على ما أتى من الفجور والمتظلم: الذى يظلم الناس حقوقهم، وهذا الوصف هو الذى يناسب كليبا لعتوّه. وفى باقى الأصول: «الأبلج المتوسم» بالجيم. والمتوسم: المتحلى بسمة الشيوخ.

وقال لجسّاسٍ أَغِثْني بشَرْبةٍ * تَفضَّلْ بها طَوْلًا علىّ وأَنعِمِ
فقال تجاوزتَ الأَحَصَّ[1] وماءَه * وبطنَ شُبَيثٍ وهو ذو مُتَرسَّمِ[2]

* * *

كليب وائل ومقتله وحرب البسوس وما قيل فيها من الشعر

وكان السببُ[3] فى قتل كُلَيب بن ربيعة — فيما ذكره أبو عُبيدةَ عن مُقاتل الأحول بن سِنَان بن مَرْثَد بن عبد بن عمرو بن بشر بن عمرو بن مَرْثَد أخى بنى قيس ابن ثَعْلبةَ، ونسختُ بعضَه من رواية الكَلْبى، وأخبرنا به محمدُ بن العباس اليَزيدى عن عمّه عبيد الله عن ٱبن حَبِيبَ عن ٱبن الأعرابى عن المفضَّل، فجمعتُ من روايتهم ما ٱحْتِيجَ الى ذكره مختصرَ اللفظ كاملَ المعنى — أنّ كُلَيبا كان قد عَزَّ وسادَ فى رَبيعة فبغَى بَغيًا شديداً، وكانَ هو الذى يُنزِلهُم منازلَهم ويُرحِّلُهم، ولا يَنزِلُون ولا يرحَلُون إلا بأمره. فبلغ من عِزّه وبغيه أنه ٱتخذ جِرْوَكلبٍ[4]، فكان إذا نزل منزلًا به كَلأٌ قذف ذلك الجِرْوَ فيه فيَعْوِى، فلا يَرعَى أحدٌ ذلك الكلأَ إلا بإذنه، وكان يَفعل هذا بحِياض المـاء، فلا يَرِدُها أحدٌ إلا بإذنه أو مَنْ آذَنَ بحَرْبٍ،

(١) سيذكر أبو الفرج فى سياق هذا الخبر أن الأحص وشبيثا نهيان (النهى : الغدير)، وفى القاموس أنهما موضعان بنجد. وفى كتاب معجم ما استعجم أن الأحص واد، وأن شبيثا ماء معروف لبنى تغلب. وهـذا النظم للنابغة مأخوذ من قول جساس حين طعن كليبا فقصم صلبه فوقع كليب وهو يفحص برجله ثم قال لجساس : «أغثنى بشربة»، فقال له جساس : «تجاوزت شبيثا والأحص»، يعنى : ليس هذا وقت طلب المـاء. وقد صار فيما بعد مثلا يضرب لمن يطلب شيئا فى غير وقته. ولفظ المثل فى الميدانى «تخطى إلىّ شبيثا والأحص». (٢) المترسم : موضع المـاء لمن طلبه (عن معجم ما ٱستعجم).
(٣) الى هنا ينتهى حديث المؤلف عن النابغة الجعدى ثم استطرد الى الكلام عن حرب بكر وتغلب وما كان بين كليب وجساس بمناسبة ذكرهما فى شعر النابغة من غير أن يعقد لذلك عنوانا خاصا، ولذلك وضعنا هذه النجوم للدلالة على الفصل بين الخبرين ووضعنا فى أعلى الصفحة عنوان [حرب بكر وتغلب] بين قوسين مربعين للاشارة الى أنه زيادة من عندنا ولم يضعه المؤلف. (٤) كان اسم "كليب" "وائلا". وسبب تسميته "بكليب" أنه كان عنده كليب — تصغير كلب، وهو ما عبر عنه هنا «بجرو كلب» — يرمى به فحيث بلغ عواء هذا الكليب كان حمى لا يرعى؛ ومن ذلك قيل المثل : "أعز من كليب وائل". ثم غلب هذا الاسم عليه حتى ظنوه ٱسمه. (انظر كتاب مجمع الأمثال للميدانىّ).

فضرب به المثلُ فى العزّ، فقيل : « أعزُّ من كُلَيبِ وائلٍ » . وكان يَحمى الصيدَ، ويقولُ : صيدُ ناحية كذا وكذا فى جِوَارى، فلا يَصيدُ أحدٌ منه شيئا، وكان لا يمُرّ بين يديه أحدٌ إذا جلس، ولا يحتبِى أحدٌ فى مجلسه غيرُه، فقتله جَسَّاسُ بنُ مُرّةَ .

وقال أبو عُبيدةَ : قال أبو بَرْزَةَ القَيْسىّ[1] وهو من ولد عمرو بن مَرْثَد :

وكان كليبُ بنُ ربيعة ليس على الأرض بكْرِىّ ولا تَغْلَبِىّ أجار رجلا ولا بعيرا إلا بإذنه، ولا يَحمى حِمًى إلا بأمره، وكان إذا حَمَى حِمًى لا يُقْـرَبُ، وكان لمُرّةَ بنِ ذُهْلِ بنِ شَيْبان بن ثَعْلبةَ عشرةُ بنينَ جَسّاسٌ أصغرُهم، وكانت أختُهم عند كليب. ‏١٤١/٤

وقال مُقاتِلٌ وفِرَاسٌ : وأمُّ جسّاسٍ هَيْلَةُ[2] بنتُ مُنقِذِ بن سليمانَ بن كعب بن عمرو بن سعد بن زيد مَنَاةَ، ثم خلَف عليها سعدُ بن ضُبيعةَ بنِ قيس بن ثَعْلبةَ بعد مرّة بنِ ذُهْل، فولدتْ له مالكا وعَوْفًا وثعلبةَ . قال فِراسُ بن خَنْدَقٍ[3] البَسُوسىّ[4] : فهى أُمّنا . وخالة جسّاس البَسُوس — وقال أبو بَرْزَةَ : البَسُوسِيّةُ — وهى التى يُقال لها : «أشأمُ من البَسُوسِ[5]» . فجاءت فنزلتْ على آبن أختها جَسّاس فكانت جارةً لبنى مُرّة، ومعها آبنٌ لها، ولهم ناقةٌ خَوّارةٌ[6] من نَعَم بنى سعد ومعها فَصيل .

أخبرنى علىّ بنُ سليمان قال قال أبو بَرْزَةَ : وقد كان كُليب قبـل ذلك قال لصاحبته أُختِ جَسّاس : هل تَعْلَمِينَ على الأرض عربيّا أمنعَ منّى ذِمّةً؟ فسكتت ثم أعاد عليها الثانية فسكتتْ ثم أعاد عليها الثالثة، فقالت : نعم أخى جساسٌ ونَدْمانُهُ[7]

(١) فى ط، ء : «أبو بردة» بالدال المهملة، وكذلك ورد هذا الاسم فيهما فى كل المواضع التى سيذكر فيها فيما بعد. (٢) فى ط، ء، م : «سلمان». (٣) كذا فى ط، م، ء وكتاب النقائض فى أكثر من موضع والطبرى (قسم أول ص ١٠٦١) . وفى باقى الأصول : «فراس بن خندف» بالفاء بدل القاف، وهو تحريف. (٤) فى النقائض : «القيسى» . وهذه الكلمة ساقطة من ط، ء . (٥) كذا فى مجمع الأمثال (ج ١ ص ٣٢٠ طبع بولاق) وهى بنت منقذ التميمية وهى خالة جساس. وفى الأصول : "بسوسة" بزيادة التاء فى الآخر. (٦) ناقة خوّارة : رقيقة حسنة . (٧) الندمان : الذى يرافقك وينادمك على الشراب، وقد يكون جمعا .

ٱبن عمّه عمرو المُزْدَلِفُ[(١)] بنُ أبى رَبيعة بن ذُهْل بن شَيْبان . وزعم مقاتل : أن امرأتَه كانت أختَ جَسّاسٍ ، فبينا هى تَغسِلُ رأسَ كليب وتُسَرِّحُه ذاتَ يوم إذ قال : مَنْ أعزُّ وائل؟ فصمتتْ[(٢)]، فأعاد عليها؛ فلما أكثر عليها قالت : أَخَوَاىَ جَسّاسٌ وهَمّامٌ ؛ فنزَع رأسَه من يدها وأخذ القوسَ فرمى فصيلَ ناقةِ البَسُوس خالةِ جَسّاس وجارةِ بنى مُرّة فقتله ؛ فأغمضُوا على ما فيه وسكتوا على ذلك. ثم لَقِىَ كُليبٌ ٱبنَ البَسُوس[(٣)] فقال : ما فعل فصيلُ ناقتِكم؟ قال : قتلتَه وأخليتَ لنا لبنَ أُمّه ؛ فأغمضوا على هذه أيضا . ثم إنّ كليبا أعاد على ٱمرأته فقال: مَنْ أعزّ وائل؟ فقالت : أخواى ؛ فأضمرَها وأسرّها فى نفسه وسكت ، حتى مَرّتْ به إبلُ جسّاسٍ ، فرأى الناقةَ فأنكرها ، فقال : ما هــذه الناقةُ ؟ قالوا : لخالة جَسّاسٍ ؛ قال : أوَ قد بلغ من أمر ٱبن السَّعْديّة أن يُجيرَ علىّ بغير إذنى ! ٱرْمِ ضَرْعَها يا غلامُ . قال فِراسٌ: فأخذ القوسَ فرمى ضرعَ الناقة فٱختلط دمُها بلبنها ؛ وراحت الرُّعاةُ على جسّاس فأخبروه بالأمر ؛ فقال : احلُبوا لها مِكيالَىْ لبنٍ بِمَحْلَبها ولا تَذْكُروا لها من هذا شيئا ؛ ثم أغمضوا عليها أيضا . قال مُقاتِلٌ : حتى أصابتهم سَماءٌ ، فغدا فى غِبِّها يَتمطّر[(٤)]، وركب جَسّاسُ بن مُرّةَ وٱبنُ عمه عمرُو بن الحارث بن ذُهْل — وقال أبو بَرْزَةَ : بل عمرو ابن أبى رَبيعة — وطعن عمرٌو كليبًا فحطَم صُلْبَه ؛ وقال أبو بَرْزَةَ : فسكت جَسّاسٌ ،

(١) كذا فى أكثر الأصــول ، والمزدلف لقب عمرو بن أبى ربيعة بن ذهــل وهو ابن عم جساس ابن مرة ، لقب به لأنه ألقى برمحه فى حرب فقال : ازدلفوا اليه ، كما قال ابن دريد ، أو لاقترابه من الأقران فى الحروب وازدلافه إليهم ، كما نقله ابن حبيب . (عن القاموس وشرحه مادة زلف) . وفى ب ، سـ : « ... وندمانه ابن عمــه عمرو والمــزدلف ... ... » بزيادة واو العطف سهوا من الطابع .

(٢) فى ط ، ء : « فضمزت » ، وضمزت : سكتت . (٣) فى م : « جساسا » .

(٤) يتمطر : يتــنزه . وقوله : « فى غبها » كذا فى الأصول ، ولم نجد فى معاجم اللغــة التى بين أيدينـا أن كلمة "غب" وهى بمعنى "بعد" تجر بفى . وهذا الاستعمال نفسه ورد فى اللسان والقاموس وشرحه بدون حرف الجر .

حتى ظعَن(١) آبنا وائل؛ فمرّت بَكْرُ بن وائل على نِهْيٍ(٢) يقال له شُبَيثٌ فنفاهم كُليبٌ عنه وقال : لا يذوقون منــه قطرةً، ثم مرُّوا على نِهْيٍ آخر يقال له الأحَصُّ فنفاهم عنه وقال: لا يذوقون منه قطرةً؛ ثم مرّوا على بطن الجَرِيب(٣) فمنعهم إياه؛ فمضَوْا حتى نزلوا الذّنائب(٤)، وآتّبعهم كليبٌ وحَيُّه حتى نزلوا عليه؛ ثم مرّ عليه جَسّاس وهو واقفٌ على غدير الذنائب فقال: طردتَ أهلَنا عن المياه حتى كِدتَ تقتلُهم عطشًا! فقال كليبٌ: ما منعناهم من ماءٍ إلا ونحن له شاغلون؛ فمضى جَسّاسٌ ومعــه آبنُ عمه المزدلِفُ. وقال بعضُهم : بل جَسّاسٌ ناداه فقال : هــذا كفعلكَ بناقة خالتى؛ فقــال له : أوَ قد ذكرتَها ! أَمَا إنى لو وجدتُها فى غير إبل مُرّة لآستحللتُ تلك الإبلَ بهــا . فعطف عليــه جَسّاسٌ فرسَه فطعنه برمح فأنفذ حِضْنَيه(٥)؛ فلمــا تَداءمَه(٦) الموتُ قال : يا جسّاس آسقِنى من المــاء؛ قال : ما عَقَلْتُ آستسقاءكَ المــاءَ منذُ ولَدتْكَ أُمُّكَ إلا ساعتَك هــذه ! . قال أبو بَرْزة : فعطَف عليه المُزدلف(٧) عمــرو بن أبى ربيعةَ ١٤٢/٤
فآحتزّ رأسَه . وأمّا مقاتلٌ فزعم أن عمرو بن الحارث بن ذُهل الذى طعنه فقصَم صُلبَه .
[قال](٨): وفيه يقول مُهلهِلٌ :

قتيــلٌ ما قتيلُ المــرءِ عمرٍو * وجَسّاسِ بنِ مُرّةَ ذو ضَرِيرِ(٩)

---

(١) كذا فى ب . وفى سائر الأصول : « طعن » بالطاء المهملة . (٢) النهى (بالكسر فى لغة أهل نجد، وغيرهم يقوله بالفتح) : الغدير، وهو أيضا الموضع الذى له حاجز ينهى المــاء أن يفيض منه . (٣) الجريب : واد عظيم بين أجلى وبين الذنائب وحبر، تجىء أعاليه من قبــل اليمن حتى يصب فى الرمة . والرمة : فضاء به أودية كثيرة بأرض نجد . قال الهمدانى : هذا الجريب جريب نجــد، وفى تهامة جريب آخر . (عن معجم ما استعجم ومعجم البلدان لياقوت) . (٤) الذنائب : موضع بنجد . (٥) الحضن : ما دون الإبط الى الكشح . (٦) تداءمه : تراكم عليه وتزاحم . (٧) فى الأصول : «... المزدلف بن عمرو بن أبى ربيعة» بزيادة كلمة "ابن" وهو تحريف . (راجع الحاشية رقم ٨ ص ٣٥ من هذا الجزء) . (٨) زيادة عن ط، ء، م . (٩) الضرير : الشدة، ويقال : فلان ذو ضرير إذا كان ذا صبر على الشرّ ومقاساة له . وذو ضرير هنا صفة لقتيل .

وقال العباسُ بن مِرْدَاس السُّلَمىّ يُحَذِّر كُلَيبَ(١) بن عَهْمةَ السُّلَمىّ ثم الظَّفَرىّ لمـا مات حربُ بنُ أُمية وخَنَقتِ الجنُّ مِرداسًا وكانوا شركاءَ فى القرية(٢) فجحدهم كُليبٌ حظَّهم منها — وسنذكر خبرَ ذلك فى آخر هذه الأخبار إن شاء الله تعالى — فحذَّره غِبَّ الظلم فقال :

أكليبُ مالكَ كلَّ يوم ظالمًا * والظلمُ أنكدُ وجهُه ملعونُ
فافعَلْ بقومك ما أرادَ بوائلٍ * يومَ الغَديرِ سَمِيُّكَ المطعونُ

وقال رجل من بنى بكر بن وائل فى الإسلام وهى تُنحَلُ للأعشى :

ونحن قهرنا تَغلِبَ بنةَ وائلٍ * بقتلِ كُلَيبٍ إذ طغَى وتَخَيَّلا(٣)
أبأناه(٤) بالناب التى شقَّ ضَرْعَها * فأصبح مَوْطُوءَ الحِمَى مُتذلِّلَا

قال : ومَقتَلُ كُلَيب بالذنائب عن يسار فَلْجةَ(٥) مُصعِدًا الى مكة ، وقبرُه بالذنائب. وفيه يقول المهلهلُ :

ولو نُبِشَ المقابرُ عن كُلَيبٍ * فيُخْبَرَ(٦) بالذنائب أىَّ زِيرِ

---

(١) كذا ورد هذا الاسم فى جميع الأصول هنا وكتاب النقائض (ص ٩٠٧) . وورد فى الأصول التى بين أيدينا من الأغانى فى أول أخبار أبى سفيان التى تقع فى ج ٦ ص ٩٢ طبع بولاق : « كليب بن أبى عهمة السلمىّ » . (٢) ذكر أبو الفرج فى ج ٦ ص ٩٢ و ج ٢٠ ص ١٣٥ طبع بولاق : أنّ حرب بن أمية لمـا انصرف من حرب عكاظ هو واخوته مرّ بالقرية وهى إذ ذاك غيضة شجر ملتف لا يرام ، فقال له مرداس بن أبى عامر : أما ترى هذا الموضع ؟ قال بلى ؛ قال : نعم المزدرع هو ، فهل لك أن نكونا شريكين فيه ونحرق هذه الغيضة ثم نزدرعه بعد ذلك ؟ قال نعم ؛ فأضرما النار فى الغيضة ، فلما آستطارت وعلا لهبها سمع من الغيضة أنين وضجيج كثير ثم ظهرت منها حيات بيض تطير حتى قطعتها وخرجت منها ، فلم يلبث حرب بن أمية ومرداس بن أبى عامر أن ماتا ، فأما مرداس فدفن بالقرية ، ثم آدّعاها بعد ذلك كليب بن أبى عهمة السلمى ثم الظفرى . وقال أبو الفرج عند إيراده هذا الخبر فى ذلك الموضع : «وهذا شىء قد ذكرته العرب فى أشعارها وتواترت الرواية بذكره ، فذكرته ، والله أعلم» . (٣) تخيل : تكبر . (٤) أباء القاتل بالقتيل : قتله به . (٥) فلجة : منزل على طريق مكة من البصرة بعد إبرق حجر . (٦) نصب «فيخبر» لمـا فى «لو» من معنى التمنى . «وأى زير» مبتدأ محذوف الخبر ، كأنه قال : أى زير أنا .

قال أبو بَرْزَةَ : فلما قتله أمال يَدَه بالفرس حتى آنتهى الى أهله . قال: وتقول أخته حين رأته لأبيها : إنّ ذا لجسّاسٌ أتى خارجا ركبتاه ؛ قال : والله ما خرجتْ ركبتاه إلا لأمرٍ عظيم ! . قال : فلما جاء قال : ما وراءكَ يا بُنَيَّ ؟ قال : ورائى أنى قد طعنتُ طعنةً لتُشغلَنّ بها شيوخُ وائل زمنا ؛ قال : أقتلتَ كليبا ؟ قال نعم ؛ قال : وَدِدتُ أنكَ وإخوتَكَ كنتم مِتّم قبل هذا ، ما بى إلا أن تَتشاءمَ بى أبناءُ وائل . وزعم مُقاتِلٌ أنّ جسّاسا قال لأخيه نَضْلةَ بن مرّة — وكان يُقال له عَضُدُ الحمار — :

وإنى قد جَنيتُ عليكَ حرباً * تُغِصُّ الشيخَ بالماء القَراحِ
مُذَكَّرَةً(1) متى ما يَصْحُ عنها * فَتًى نَشِبَتْ(2) بآخرَ غيرِ صَاحِ
تُنَكِّلُ عن ذُبَابِ(3) الغيّ قومًا * وتدعُو آخرينَ الى الصّلاحِ

فأجابه نَضْلَةُ :

فإنْ تَكُ(4) قد جَنَيتَ علىّ حرباً * فلا وَانٍ ولا رَثُّ السّلاحِ

قال أبو بَرْزَةَ :

وكان همّامُ بن مُرة آخَى مُهَلْهِلًا وعاقدَه ألّا يَكْتُمَه شيئا ؛ فجاءت [اليه](5) أَمَةٌ له فأسرّت إليه قتلَ جسّاس كليبا ؛ فقال [له](5) مُهلهلٌ : ما قالت ؟ فلم يُخبره ؛ فذكّره

---

(1) مذكرة : شديدة . (2) فى ط ، ى : «تشبب لآخر...» . (3) كذا فى ط ، ى ، م . والمعنى الذى يمكن أن يراد من معانى الذباب هنا وهو مضاف إلى الغىّ : الجنون أو الشرّ ؛ أى إنها تصرف قوما عن جنون غيهم وطيشهم وتردّهم إلى صوابهم . وفى باقى الأصول : «عن ذئاب الغىّ» . وورد هذا الشطر فى كتاب بكر وتغلب ابنى وائل (طبع مطبعة نخبة الأخبار سنة ١٣٠٥ هـ ، ومنه نسخة خطية محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٠ أدب ش) :

* تنكل دانيات البغى قوما *

(٤) فى ط ، ى ، م : «إن تك ...» بدون فاء . وهذا على أنه أوّل القصيدة ، وحينئذ يكون فيه الخرم ، وبحر الوافر مما يجوز فيه الخرم . (٥) زيادة عن ط ، ى .

العهدَ بينهما؛ فقال: أخبرتْ أنّ جسّاسا قتلَ كليبا؛ فقال: آستُ(١) أخيكَ أضيق من ذلك . وزعم مُقاتلٌ: أنّ همّاما كان آخى مُهَلْهِلًا وكان عاقده ألّا يكتمَه شيئا؛ فكانا جالسَيْنِ، فمرّ جسّاسٌ يَرْكُضُ به فرسُه مُخرِجًا فَخِذَيه؛ فقال همّام: إنّ له لأمرًا، والله ما رأيتُه كاشفًا فَخِذَيه قطُّ فى رَكْضٍ؛ فلم يلبَثْ إلا قليلا حتى جاءته الخادم فسارّته أنّ جسّاسًا قتلَ كليبا؛ فقال له مُهلهلٌ: ما أخبرَتْكَ؟ قال: أخبرتْنِى أن أخى قتلَ أخاك؛ قال: هو أضيقُ آستًا من ذلك . وتحمّل القومُ، وغدا مُهلهِلٌ بالخيل .

وقال المفضّل فى خبره: فلما قُتِلَ كليبٌ قالت بنو تَغلِبَ بعضُهم لبعض: لا تَعجَلُوا على إخوتكم حتى تُعْذِرُوا بينكم وبينهم؛ فآنطلق رهطٌ من أشرافهم وذوى ١٤٣ / ٤ أسنانهم حتى أتَوْا مُرّةَ بنَ ذُهْل، فعظّمُوا ما بينهم وبينه، وقالوا له: اخترْ منّا خِصالا: إمّا أن تَدفعَ إلينا جسّاسًا فنقتلَه بصاحبنا فلم يَظلِمْ مَنْ قَتل قاتلَه، وإمّا أن تدفعَ إلينا همّاما، وإمّا أن تُقِيدَنا من نفسك؛ فسكتَ، وقد حضرتْه وجوه بنى بكر بن وائل فقالوا: تكلّمْ غيرَ مخذول؛ فقال: أمّا جسّاسٌ فغلامٌ حديثُ السنّ ركب رأسَه فهرَب حين خاف فلا عِلمَ لى به، وأمّا همّامٌ فأبُو عشَرةٍ وأخو عشرة(٢)، ولو دفعتُه إليكم لَصَيَّحَ(٣) بنوه فى وجهى وقالوا: دفعتَ أبانا للقتل بجَرِيرة غيره؛ وأمّا أنا فلا أتعجّلُ الموتَ، وهل تَزِيدُ الخيلُ على أن تجولَ جولَةً فأكونَ أوّلَ قتيل! ولكن هل لكم فى غير ذلك؟ هؤلاء بَنِىّ، فدُونكم أحدَهم فآقتلُوه به، وإن شئتُم فلكم ألفُ ناقةٍ تَضمَنُها

(١) تضرب العرب ضيق الاست مثلا فى الذلة والضعف . قال فى اللسان: «ويقال للرجل الذى يستذل ويستضعف: آست أمك أضيق وآستك أضيق من أن تفعل كذا وكذا» . (٢) فى أمثال العرب للمفضل الضبى (المطبوع بمطبعة الجوائب بالقسطنطينية سنة ١٣٠٠ هـ ص ٥٦) زيادة: «وعم عشرة» بعد قوله: «... وأخو عشرة» . (٣) صيح الرجل: بالغ فى الصياح .

لكم بكرُ بنُ وائل ؛ فغَضِبوا وقالوا : إنّا لم نأتك لتُرذِلَ(١) لنا بنيكَ ولا لتَسُومَنا اللبن ؛ فتفرّقوا، ووقعت الحربُ. وتُكُلِّمَ فى ذلك عند الحارث بن عُبَادٍ، فقال : «لا ناقة لى فى هذا ولا جمل»، وهو أوّل من قالها وأرسلها مثلا . قالوا جميعا : كانت حربهم أربعين سنة، فيهنّ خمسُ وقَعات مُزَاحَفات، وكانت تكون بينهم مُغَاوِرات(٢)، وكان الرجل يلقى الرجلَ والرجلانِ الرجلين ونحو هـذا . وكان أوّلُ تلك الأيام يوم عُنَيزَةَ، وهى عند فَلْجةَ، فتكافـئوا فيه لا لبكر ولا لِتَغْلِبَ، وتصديق ذلك قولُ مُهَلْهِل :

يوم عنيزة

كأنّا غُـــدوةً وبَنِى أبِينـا * بجَنْب عُنَيْزةٍ رَحَيَـا مُدِيرِ
ولولا الريحُ أُسمِـع مَنْ بحَجْرٍ(٣) * صليلَ البيضِ تُقرَعُ بالذُّكورِ

يوم واردات

فتفرّقوا، ثم غبروا زمانا . ثم التقَوْا يوم وارِدَات(٤)، وكان لتغلِبَ على بكر، وقتلوا بكرا أشدَّ القتل، وقتلوا بُجَيرًا، وذلك قولُ مُهلهِلٍ :

فإنى قـد تركتُ بِوارِداتٍ * بُجَـيرًا فى دَمٍ مثـلِ العَبيرِ
هتكتُ به بيوتَ بنى عُبَادٍ * وبعضُ الغَشْمِ(٥) أشفَى للصدورِ

قال مُقاتلٌ : [إنه](٦) إنما التُقِطَ تَوًّا . وسيجىء حديثُه(٧) أسفلَ من هذا . التوّ : الفرد، يقال : وجدته تَوًّا، أى وحده .

---

(١) كذا فى ط ، ى وأمثال العرب للفضل الضبى، وفسرها بقوله : «أى تعطينا رذال بنيك» . ورذال الشىء (بالضم) : أردؤه . وفى باقى الأصول : «لتؤدّى لنا بنيك»، وهو تحريف .

(٢) يقال : غاور القوم اذا أغار بعضهم على بعض .

(٣) فسر أبو على القالى فى أماليه (ج ٢ ص ١٣٤ طبعة دار الكتب المصرية) "حجرا" بأنها قصبة اليمامة، وضبطها القاموس بالفتح، وو ردت مضبوطة فى ط بالضم، وحجر (بالضم) : موضع باليمن . والصليل : الصوت . والذكور : السيوف .

(٤) واردات : موضع عن يسار طريق مكة .

(٥) الغشم : الظلم .

(٦) زيادة عن ط ، ى .

(٧) فى ب ، س ، حـ : «... أسفل من هذا حديثه» . بزيادة كلمة «حديثه»، وظاهر أنه زيد سهوا من الناسخ .

قال أبو بَرْزَةَ : ثم انصرفوا بعد يوم واردات غيرَ بنى ثَعْلبة بن عُكَابةَ ورَأَّسُوا على أنفسهم الحارثَ بن عُبَادٍ ، فاتّبعتهم بنو ثعلبة بن عكابة ، حتى التقَوْا بالحِنْوِ(١) ، فظهرت بنو ثعلبة على تَغْلِب .

يوم القصيبيات

قال مقاتل : ثم التقَوْا يومَ بطن السِّرّ ، وهو يوم القُصَيبيات(٢) ، وربما قيل يوم القُصَيبة(٣) ، وكان لبنى تَغْلِب على بَكْر ، حتى ظنّت بكرٌ أن سيقتلونها(٤) — قال مقاتل : وقتلوا يومئذ همّامَ بن مرّة — . ثم التقَوْا يومَ قِضَةَ وهو يومُ التحالُقِ ويومُ الثَّنِيّة(٥) ، ويومُ قِضَة ويومُ الفَصيلِ لبَكْر على تَغْلِب . قال أبو برزة : اتّبعتْ تغلب بكرا فقطعوا رَمَلاتِ خَزَازَى(٦) والرَّغَامَ ثم مالوا لبطن الحِمَارة(٧) ، فوردت بكرٌ قِضَةَ فسقتْ وأسقتْ

يوم قضة

---

(١) الحنو : موضع فى ديار بكر وتغلب .   (٢) القصيبيات : موضع فى ديار بكر وتغلب .

(٣) كذا فى م وبه يستقيم الكلام . وفى باقى الأصول : « ... وربما قيل القصيبة وهى القصبات لبنى تغلب ... » .   (٤) فى ط ، ء ، م : «أن سيقتلوها» و «أن» يجوز فيها أن تكون مخففة من الثقيلة وأن تكون ناصبة للفعل بعد الظن ، ولكن وجود السين فى الفعل بعدها يعين أنها مخففة ، فيجب رفع الفعل . وفى ب ، س ، حـ : « ... أن سيقتلوا معا » . وفى كتاب الكامل لابن الأثير (ج ١ ص ٣٩٥ طبع أوربا) — ولعله هو الصحيح — : « ... حتى ظنوا أنهم لن يستقيلوا » .

(٥) الثنية هنا : الطريقة فى الجبل كالنقب . ويوم الثنية معطوف على «يوم التحالق» على أنه تفسير آخر لـ«يوم قضة» كما يعينه إيراد الخبر فى كتاب معجم ما استعجم فى كلامه على «واردات» ، ونصه بعد أن ذكر الأيام التى قبله : « ... والخامس يوم قضة وهو يوم التحالق ويوم الثنية ، وقال أبو عبيدة : وهو أول يوم شهده الحارث بن عباد ... » . وظاهر أن الثنية التى أضيف إليها هذا اليوم هى الثنية التى وقع فيها الجمل فسدّها حين طعنه عوف بن مالك ليسدّ الطريق دون قومه ثم تحالقوا لتعرفهم النساء ، كما سيجىء ذلك بعد أسطر .

(٦) خزازى (ويقال فيه أيضا خزاز كسحاب وخزاز بالبناء على الكسر كقطام) : جبل فى ناحية منعج دون إمرة وفوق عاقل ، على يسار طريق البصرة إلى المدينة ، بإزاء حمى ضرية . والرغام : اسم رملة بعينها (كما فى القاموس) ، وذكر ياقوت فى معجم البلدان أنها من نواحى اليمامة . وفى كتاب صفة جزيرة العرب للهمدانى (طبع ليدن ص ١٥٣) بعد أن عرض لذكر القصبتين اللتين ذكرتا فى أخبار بنى وائل وإحداهما قصبة الرغام ، قال : « ... والرغام جماع منها سفوح وأرطاة والبردان والطويل ، وكل ذا فيه نخل كثير ، ورميلة هى رملة الرغام مشرفة على ثرمداء ... » .   (٧) كذا فى الأصول . والحمارة (بلفظ تأنيث الحمار) : اسم حرة . غير أن سياق عبارة الهمدانى (فى كتابه صفة جزيرة العرب ص ١٥٢ — ١٥٣) يدل على أن التى تصاقب الرغام هى «الحمادة» بالدال لا الحمارة بالراء . والحمادة (بالفتح) كما فى معجم ياقوت : ناحية باليمامة أيضا .

ثم صدرتْ وحَلَّئوا(١) تغلبَ، ونهضوا فى نُجْعةٍ(٢) يقال لها مُوَيبة لا يجوز فيها إلا بعير بعير؛ فلحِق رجل من الأَوْس بن تغلب بغُلَيِّم من بنى تَيْم اللّات بن ثَعْلبة يطرُد ذَوْدًا(٣) له، فطعَن فى بطنه بالرمح ثم رفَعه(٤) فقال: تحَدَّبى أُمَّ البَوِّ على بَوِّك. فرآه عَوْف بن مالك بن ضُبَيعة بن قيس بن ثعلبة، فقال: أَنفِذوا(٥) جملَ أسماءَ (ابنته) فإنه أمضى جِمالِكم وأجودُها منفذًا، فإذا نَفِذ تبِعتْه النَّعَمُ؛ فوثب الجمل فى المُوَيبة، حتى اذا نهض على يديه وآرتفعت رجلاه ضرب عُرْقوبيه وقطع بِطانَ الظَّعينة فوقع فسَدّ الثنيةَ — ثم قال عوف: أنا البُرَكُ أَبْرُك حيث أُدرِك، فسُمِّى البُرَكَ — ووقع الناس الى الأرض لا يرون مجازًا، وتحالقوا لتعرفهم النساء؛ فقال جَحْدر بن ضُبَيعة بن قيس أبو المَسَامعة — وآسمه رَبيعة؛ قال: وإنما سُمِّى جحدرًا لقِصَره(٦) —: لا تحلقوا رأسى فإنى رجلٌ قصير، لا تَشِينونى، ولكنّى أشتريه منكم بأوّلِ فارس(٧) يطلُع عليكم من القوم؛ فطلع آبن عَنَاق فشَدّ عليه فقتله. فقال رجل من بكر بن وائل يمدح مِسْمَع ابن مالك بذلك: ١٤٤/٤

يا آبنَ الذى لمّا حلقنا اللِّمَمَا * ابتاع منا رأسَه تكَرُّمَا

* بفارسٍ أوّلِ مَنْ تقدّما *

وقال البكرىّ:

ومنّا الذى فادَى من القوم رأسَه * بمستلئِمٍ(٨) من جَمْعهم غيرِ أعزلا

فأدّى إلينا بَزَّه(٩) وسِلاحَه * ومُنْفصِلًا من عُنْقه قد تَزَيَّلا

---

(١) حلئوا تغلب: منعوها الماء. (٢) فى ط، ى: «نجفة» بالفاء. (٣) الذود: ثلاثة أبعرة إلى التسعة وقيل إلى العشرة وقيل غير ذلك، ولا يكون إلا من الإناث، وهو يستعمل بمعنى الواحد وبمعنى الجمع. (٤) فى حـ: «دفعه». (٥) فى ط، ى: «قدموا».
(٦) عبارة ط، ى: «قال: وانما جحدره قصره». (٧) فى ط، ى: «بأكرم فارس».
(٨) المستلئم: لابس اللأمة: وهى السلاح كلها. يقال: استلأم الرجل اذا لبس ما عنده من عدّة: رمح وبيضة ومغفر وسيف ونبل ودرع. (٩) البز (بالفتح): نوع من الثياب. وفى ط، ى: «ثوبه».

قال : وكان جَحْدَرٌ يرتجز يومئذ ويقول :

رُدّوا علىّ الخيلَ إن ألَمّتِ * إن لم أُقاتلْهم فجُزّوا لِمّتى

وزعم عامر بن عبد الملك المِسْمَعىّ أنه لم يقلها ، وأن صخر بن عمرو السُّلَمىّ قالها ؛ فقال مِسْمَع : كَرْدِين (كذب)[1] عامر . وقال البَكْرىّ :

ومِنّا الذى سَدّ الثنية غُدْوةً * على حَلْفةٍ لم يُبقِ فيها تَحَلُّلا

يجَهْد يمين الله لا يطلُعونها * ولمّا تُقاتِلْ جَمْعَهم حين أَسْهَلا

وأمّا مقاتل فزعم أنهم قالوا : اتّخِذوا عَلَمًا يعرِف به بعضُكم بعضا ، فتحالقوا[2] . وفيه يقول طَرَفة[3] :

صــــوت

سائـــلوا عنّا الذى يَعـــرِفنا * بِقُـــوَانا[4] يومَ تَحْـــلاقِ اللِّمَمْ

يومَ تُبْدِى البِيضُ عن أَسْؤُقِها[5] * وَتَلُفُّ الخيـــلُ أَعْراجَ النَّعَمْ

---

(١) كذا فى ط ، م ، ى . وكردين : كلمة فارسية معناها : حائد عن الصواب . وقد رجح لدينا أن كلمة « كذب » أثبتت تفسيرا من المؤلف لكلمة « كردين » فوضعناها بين علامتى التفسير اشارة الى ذلك . وفى حـ : « كذب ابن كاذب عامر » . وفى ب ، س : « كاذب بن كاذب عامر» . (٢) كذا فى ط ، ى . وفى باقى الأصول : « فتحالفوا » بالفاء ، وهو تصحيف .

(٣) ذكر هذان البيتان فى ديوان طرفة ضمن قصيدة أثبتها له أبو عبيدة والمفضل وأبو عمرو الشيبانى ، وزعم الأصمعى أنها مصنوعة وأنه أدرك قائلها (عن شرح ديوانه ص ١٠٤ طبع مدينة شالون سنة ١٩٠٠ م) .

(٤) كذا فى حـ ، مـ وعدة أصول من ديوان طرفة . وفى باقى الأصول : « بوفانا » بالفاء وهو تحريف . (٥) أسؤق : جمع لساق ، همزت الواو فيه لتحمل الضمة ، أى يوم تكشف النساء البيض عن سيقانها من الفزع . وتلف : تجمع . وأعراج : جمع عرج (بالفتح ويكسر) وهو القطيع من الإبل نحو الثمانين أو منها إلى تسعين أو هو مائة وخمسون وفويقها أو من خمسمائة إلى ألف . والنعم (بالتحريك وقد تسكن عينه) : الإبل .

غنّى فى هذين البيتين ابن مُحْرِز خفيفَ ثقيلٍ أوّل بالوسطى عن الهشامىّ، وذكر أحمد بن المكىّ أنه لمعبد .

همام بن مرة ومقتله

وزعم مقاتل أنّ همّام بن مُرّة بنِ ذُهْل بن شَيْبان، لم يزلْ قائدَ بكر حتى قُتل يوم القُصَيبات، وهو قبل يوم قِضَة، [ويوم قِضَة] على أثَرِه[1] . وكان من حديث مقتل همّام أنه وجَد غلاما مطروحا، فالتقطه وربّاه وسمّاه ناشِرةَ فكان عنده لَقيطا؛ فلما شَبّ تَبَيّنَ أنه من بنى تَغْلِب؛ فلما التقَوْا يومَ القُصَيبات جعل همّام يقاتل، فإذا عطِش رجع إلى قِرْبة فشرِب منها ثم وضع سلاحَه؛ فوجد ناشرةُ من همّام غفلةً، فشَدّ عليه بالعَنَزة[2] فأقصده فقتله، ولحِق بقومه تغلبَ. فقال باكى همّام :

لقد عَيّل الأقوامَ[3] طعنةُ ناشِرَهْ * أناشِرَ لا زالتْ يمينُك آشِرَهْ[4]

الحارث بن عباد وأخذه بثأر ابنه بجير

ثم قتل ناشِرةَ رجلٌ من بنى يَشْكُر . فلمّا كان يومُ قِضَة وتجمعتْ إليهم بكر، جاء إليهم الفِنْد الزِّمّانِىّ أحد بنى زِمّان بن مالك بن صَعْب بن علىّ بن بَكر بن وائل من اليمامة، قال عامر بن عبد الملك المِسْمَعىّ : فرأسوه عليهم؛ فقلت أنا لفراس

١٤٥
―
٤

(١) كذا فى ط، ء : وهو الموافق لما أجمعت عليه المصادر التى بين أيدينا ومنها كتاب الأغانى نفسه فيما تقدّم فى أول هذا الخبر: من أن يوم القصيبات كان قبل يوم قضة ثم كان بعده يوم قضة . وقد وضعنا هذه الزيادة التى نعتقد أنها سقطت سهوا من الناسخ ليستقيم بها الكلام . وفى باقى الأصول : « ... يوم القصيبات وهو بعد يوم قضة القصيبات على أثره ... » وهو على ما فيه من اضطراب يخالف ما أثبته الأغانى نفسه قبلا . (٢) العنزة (محركة) : شبيه العكازة أطول من العصا وأقصر من الرمح ولها زج من أسفلها . (٣) فى م، حـ واللسان (مادة أشر) : «الأيتام» بدل الأقوام . وعيلتهم الطعنة : أفقرتهم وأحوجتهم، اذ كان المطعون معتمدهم وسندهم . (٤) آشرة : قال فى اللسان (مادة أشر) بعد أن ذكر البيت : « أى لا زالت يمينك مأشورة (مشقوقة) أو ذات أشر، كما قال عز وجل (خلق من ماء دافق) أى مدفوق، ومثل قوله عز وجل (عيشة راضية) أى مرضية، وذلك أن الشاعر انما دعا على ناشرة لا له، بذلك أتى الخبر وإياه حكت الرواة . وذو الشىء قد يكون مفعولا كما يكون فاعلا ... الخ » .

ابن خَنْدَق[1] : إن عامرًا يزعم أن الفِنْد كان رئيس بكر يوم قِضَة ؛ فقال : رحم الله أبا عبد الله ! كان أقلّ الناس حظًّا فى علم قومه. وقال فِراس : كان رئيسَ بكر بعد همّام الحارثُ بن عُبَاد . قال مقاتل : وكان الحارث بن عُبَاد قد آعتزل يوم قتل كُلَيب، وقال :لا أنا من هذا ولا ناقتى ولا جملى ولا عِدْلى، وربما قال : لست من هذا ولا جملى ولا رَحْلى، وخذل بكرًا عن تَغلِبَ، واستعظم قتلَ كُلَيب لسؤدده فى ناقة . فقال سعد بن مالك يحضض الحارثَ بن عُبَاد :

يا بؤسَ للحرب التى * وضعتْ أراهطَ[2] فآستراحوا
والحربُ لا يبقى لجا * حِمِها[3] التَّخَيُّلُ والمِراحُ[4]
إلّا الفتى الصبّارُ فى النـ * ـجَدات والفرسُ الوَقَاحُ[5]

فلمّا أُخذ بُجَيْر[6] بن الحارث بن عُبَاد تَوًّا بواردات — وإنما سُلّ ولم يؤخذ فى مُزَاحَفة — قال له مُهَلْهِل : مَن خالُك يا غلام؟ ! . قال[7] آمرؤ القيس بن أَبَان التَّغْلِبِىّ لمهلهل : إنى أرى غلامًا لَيُقْتَلَنّ به رجل لا يُسأل عن خاله ، وربما قال عن حاله —

---

(١) أنظر الحاشية رقم ٣ ص ٣٥ من هذا الجزء . (٢) أراهط : جمع أرهط الذى هو جمع رهط . وقال سيبويه : إن أراهط جمع لرهط على غير قياس . (٣) بين سطور ط : «بجاحمها» وكتبت أمامها كلمة «صح» . وجاحم الحرب : موقدها ومثيرها . وفى ء : «لحاجمها» بتقديم الحاء على الجيم وهو مصحف عما ثبت فى رواية ط . (٤) التخيل : التكبر . والمراح : الأشر والبطر . (٥) الوقاح (بالفتح) : الصلب القوىّ . (٦) كذا فى ب، س . وسيرد فى سياق كلام المؤلف بعد قليل أن بجيرا ابن أخى الحارث وأن أبا برزة قال : إنه ابن الحارث نفسه . ونسبه على أنه ابن أخى الحارث هو، كما ورد فى حـ ، : «فلما أخذ بجير بن عمرو ابن مرة بن عباد الحارث عم أبيه» . و«الحارث عم أبيه» جملة حالية سيقت لبيان ما بين بجير والحارث من آصرة قربى . وفى ط، ء، م : «ولما أخذ بجير بن عمرو بن مرة بن الحارث بن عباد توا بواردات ...» وغير خاف ما فيها من تحريف . (٧) كذا فى ب، س . وفى سائر الأصول : «قال يقول امرؤ القيس...» . ولو كان فى ب، س : «فقال» بالفاء، كما ورد فى جميع الأصول فيما يأتى، لكان أوجه .

قال : فكان والله آمرؤ القيس هو المقتول به، قتله الحارث بن عُبَاد يوم قِضَة بيده — فقتله مهلهل . قال : فلمّا قتَل مهلهل بُجَيْرًا قال : بُؤْ بِشِسْع[1] نعل كُلَيب؛ فقال له الغلام : إن رَضِيتْ بذلك بنو ضُبَيعة بن قيس رضيتُ . فلما بلغ الحارثَ قتلُ بُجَير ابنِ أخيه — وقال أبو بَرْزة : بل بجير ابن الحارث بن عُبَاد نفسه — قال : نِعْمَ الغلامُ غلامٌ أصلح بين ابنَىْ وائلٍ وباء بكُلَيب . فلما سمعوا قول الحارث : قالوا له : إنّ مهلهِلًا لمّا قتله قال له : بُؤْ بشِسْع نعل كليب — وقال مهلهل :

كُلُّ قتيلٍ فى كُلَيبٍ حُلّامْ[2] * حتى ينالَ القتلُ آلَ هَمّامْ

وقال أيضا :

كُلُّ قتيلٍ فى كُلَيبٍ غُرَّهْ[3] * حتى ينالَ القتلُ آلَ مُرَّهْ

— فغضِب الحارث عند ذلك فنادى بالرَّحيل[4] . قال مقاتل : وقال الحارث ابن عُبَاد :

قَرِّبَا مَرْبِطَ النَّعَامةِ[5] مِنِّى * لَقِحَتْ[6] حربُ وائلٍ عن حِيالِ

لا بُجَيرٌ أغنَى قتيلًا ولا رهـ * ـطُ كُلَيبٍ تَزَاجروا عن ضَلالِ

لم أكن من جُنَاتِها علم اللّـ * ـهُ وإنّى بحَرِّها اليومَ صالِ

(١) باء دمه بدمه : عدله وكافأه، وباء فلان بفلان : قتل به .

(٢) قتيل حلام : ذهب باطلا . وأصل الحلام (بضم الحاء وتشديد اللام وتخفيفها) : الصغير من ولد الغنم، ويقال فيه حلان أيضا ، وقد روى بهما بيت مهلهل ، والشطر الثانى فى رواية «حلان» : «حتى ينال القتل آل شيبان» . يقول : كل من قتل فى كليب ناقص عن الوفاء به إلا آل همام أو شيبان . (عن اللسان مادة حلم ببعض تصرف) . (٣) الغرة : العبد والأمة . ومعنى هـذا البيت كمعنى الذى قبله . (٤) فى م : «فدعا بالرجل» بالجيم . ومن معانى الرجل (بالكسر) : الجيش، شبه لكثرته برجل الجراد وهو الكثير منه . (٥) النعامة : اسم فرس كانت للحارث بن عباد . (٦) أصل اللقاح الحمل . وعن بمعنى بعد . وحيال : مصدر حالت الأنثى اذا لم تحمل . والمراد أن حرب وائل هاجت بعد سكون .

قال : ولم يصحِّح عامر ولا مِسْمَع غيرهذه الثلاثة الأبيات . وزعم أبو بَرْزة قال : كان أوّل فارس لقى مهلهلا يوم وارِدات بُجَير بن الحارث بن عُبَاد، فقال : مَنْ خالُك يا غلام ، وبوّأ نحوه الرمحَ[1] ؛ فقال له آمرؤ القيس بن أَبَان التَّغْلِبيّ — وكان على مقدّمتهم فى حروبهم[2] — : مهلًا يا مهلهل ! فإنّ عمّ هـذا وأهلَ بيته قد آعتزلوا حربَنا ولم يدخلوا فى شىء ممـا نكرَه، ووالله لئن قتلتَه ليُقتلَنّ به رجلٌ لا يُسأل عن نسبه ؛ فلم يَلتفتْ مهلهل إلى قوله وشدّ عليه فقتله ، وقال : بُؤْ بشِسْع نعل كليب ؛ فقال الغلام : إنْ رَضِيتْ بهذا بنو ثَعْلبة[3] فقد رضيتُه . قال : ثم غَبَروا زمانا ، ثم لِقِى هَمّامَ بن مرّة فقتـله أيضا . فأتى الحارثَ بن عُبَاد فقيل له : قتـل مهلهل هماما ؛ فغضِب وقال : رُدُّوا الجِمـالَ على عَكَرها[4] « الأمرُ مخلوجةٌ ليس بسُلْكَى[5] » ؛

١٤٦/٤ وجَدّ فى قتالهم . قال مقاتل : فكان حَكَمَ بكر بن وائل يومَ قِضَةَ الحارثُ بن عُبَاد ؛ وكان الرئيسَ الفِنْدُ ، وكان فارسَهم جَحْدَرٌ ، وكان شاعرَهم سعدُ بن مالك بن ضُبَيعة ، وكان الذى سَدّ الثنيّةَ عوفُ بن مالك بن ضُبَيعة ؛ وكان عوفٌ أنْبه من أخيه سعد .

أسر مهلهل ونجاته ثم لحاقه باليمن وشعره فى ذلك

وقال فِرَاس بن خَنْدَق[6] : بل كان رئيسَهم يوم قِضَـةَ الحارثُ بن عُبَاد . قال مقاتل : فأَسَر الحارثُ بن عباد عَدِيًّا — وهو مهلهل — بعد آنهزام الناس وهو لا يعرفه ؛

(١) بوّأ نحوه الرمح : قابله به وسـدّده نحوه . (٢) عبارة ط ، ء : « وكان على مقدّمتهم ... » . (٣) كذا فى أكثر الأصـول . وثعلبة جدّ أعلى من جدود آل عباد الذين منهم بجير هـذا ، إذ آل عباد من ضبيعة بن قيس بن ثعلبـة ، وينتهى نسب ثعلبة الى بكر بن وائل . وفى ب ، سـ : « بنو تغلب » ، وهو تحريف . (٤) العكر : (محركة وقد تسكن) جمع عكرة : وهى القطيع الضخم من الإبل ، أى ردوا ما تفرق من الإبل الى معظمها . (٥) فى لسان العرب (مادة خلج) : « الرأى مخلوجة ليس بسـلكى » . وفى فرائد اللآل (ص ٣٢) ومجمع الأمثال (ج ١ ص ٢٩) : «الأمر سلكى وليس بمخلوجة» . والسلكى : الطعنة المستقيمة وهى التى تقابل المطعون فتكون أسلك فيه . والمخلوجة : المعوجة . يضرب هذا المثل فى آستقامة الأمر ونفى ضـدّها .

(٦) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٣٥ من هذا الجزء .

فقال له : دُلَّني على المهلهل ؛ قال : ولى دمى؟ قال : ولك دمُك ؛ قال : ولى ذِمّتك وذمّةُ أبيك؟ قال : نعم ، ذلك لك ؛ قال : فأنا مُهَلْهِل . قال : دُلَّني على كُفءٍ لبُجَيْر ؛ قال : لا أعلمه إلا آمرأَ القيس بن أَبَان ، هذاك عَلَمُه ؛ بجَزّ ناصيته(1) وقصَد قَصْدَ آمرئ القيس فشدّ عليه فقتله . فقال الحارث فى ذلك :

لَهْفَ نفسى على عَدِىٍّ ولم أعـ * ـرِفْ عَدِيًّا إذ أمكنتْنى اليدانِ
طُلَّ(2) مَنْ طُلَّ فى الحروب ولم أو * تِرْ بُجَيرًا أَبَأْتُه(3) آبنَ أبانِ
فارسٌ يَضرِب الكتيبةَ بالسيـ * ـف وتسمو أمامَـه العينانِ

وزعم مُجْر أنّ مُهَلْهِلا قال : لا والله أو يَعْهَدَ لى غيرُك ؛ قال الحارث : آختَرْ مَنْ شئت ؛ قال : أختار الشيخَ القاعد عَوْفَ بن مُحَلِّم ؛ قال الحارث : يا عوفُ أَجِرْه ؛ قال : لا! حتى يقعدَ خَلْفى ؛ فأمره فقعد خلفه ؛ فقال : أنا مُهَلْهِل . وأمّا مقاتل فقال : إنما أخذه فى دَوْرِ الرَّحَى(4) وحَوْمة القتال ولم يقعد أحد بعدُ ، فكيف يقول الشيخَ القاعدَ! . قال مقاتل : وشدّ عليهم جَحْدَرٌ فآعتوره عمرو وعامر ، فطعن

---

(1) الناصية : الشعر فى مقدم الرأس فوق الجبهة ، وكان من عادة العرب أنهم اذا أنعموا على الرجل الشريف بعد أسره جزوا ناصيته وأطلقوه فتكون الناصية عند من جزها يفخر بها . وربما جزت ناصية الأسير شريفا كان أو غير شريف وأخذت للافتخار ، والعرب متفاوتون فى ذلك . قال زهير من قصيدة مدح بها هرم بن سنان المرى أحد الأجواد فى الجاهلية :

عظمت دسيعته وفضله * جز النواصى من بنى بدر

وقالت الخنساء مفتخرة :

جــزنا نواصى فرسانها * وكانوا يظنون ألا تجـزا
ومن ظن ممن يلاقى الحروب * بألا يصاب فقد ظن عجـزا

(2) طل دم القتيل : ذهب هدرا . (3) أباء القاتل بالقتيل : قتله به .

(4) فى ط ، ء ، م : «أخذه فى المرحى» . والمرحى : حومة الحرب .

عمرًا بعالية[١] الرمح وطعن عامرًا بسافلته فقتلهما عِداءً[٢] وجاء بزّهما . قال عامر بن عبد الملك المِسْمَعِى : فحدّثنى رجلٌ عالم قال : سألنى الوليدُ بن يزيد: مَنْ قتلَ عمرًا وأخاه عامرا؟ قلت : بَجْدَر؛ قال : صدقتَ، فهل تدرى كيف قتلهما؟ قلت: نعم، قتل عمرًا بسِنَان[٣] الرمح، وقتل عامرًا بزُجّه . قال : وقتل جحدرٌ أيضا أبا مِكْنَف . قال مقاتل : فلمّا رجع مُهلهِل بعد الوَقْعَة والأسْرِ الى أهله ، جعل النساء والولدانُ يستخبرونه: تسأل المرأة عن زوجها وآبنها وأخيها[٤]، والغلامُ عن أبيه وأخيه؛ فقال:

ليس مثـلى يُخبّر الناسَ عن آ * بائهم قُتّـلوا ويَنْسَى القِتالَا
لم أَرِمْ[٥] عَرْصةَ الكتيبة حتّى آنـ * ـتعل الوَرْدُ[٦] من دماءٍ نِعالا
عَرَفَتْـه رِمَاحُ بكرٍ فما يأ * خُذن إلا لَبَانَه[٧] والقَـذَالا
غلَبـونا، ولا محالةَ يـومًا * يَقلِبُ الدهرُ ذاك حالًا فحالًا

ثم خرج حتّى لِحق بأرض اليمن ، فكان فى جَنْبٍ[٨] ، فخطب إليه أحدُهم آبنتـه فأبى أن يفعل، فأكرهوه فأنكحها إياه؛ فقال فى ذلك مهلهِل :

---

(١) عاليةُ الرمح : سنانه . وسافلته : زجه . وزج الرمح : حديدة فى أسفله . (٢) يقال: عادى الفارس بين صيدين و بين رجلين اذا طعنهما طعنتين متواليتين ، والعِداء بالكسر ، والمعاداة : الموالاة والمتابعة بين الاثنين يصرع أحدهما على إثر الآخر فى طلق واحد ، وأنشد لآمرئ القيس :

فعادى عداء بين ثور ونعجة * دراكا ولم ينضح بماء فيغسل

(٣) فى ب ، س ، حـ : «بعالية الرمح» . (٤) فى ب ، س ، حـ : «وأبيها» .
(٥) لم أرم : لم أبرح . (٦) الورد من الخيل : بين الكميت والأشقر ؛ أو هو الأحمر الضارب الى الصفرة . (٧) كذا فى أكثر الأصول ، واللبان : الصدر . وفى ب ، س : «لباته» بالتاء بدل النون ، واللبة : المنحر . (٨) جنب : حى باليمن من مذحج ، وهم ستة رجال : منبه والحارث والعلى وسيحان وشمران وهفان يقال لهم جنب لأنهم جانبوا أخاهم صداء . (راجع معجم البلدان لياقوت ج ١ ص ٧٧ طبع أوربا) .

أنكحها فقدُها الأراقمَ (١) في * جَنْبٍ وكان الحِباءُ (٢) من أَدَمِ

لو بأبانَين (٣) جاء يخطبها * ضُرِّج ما أنفُ خاطبٍ بدمِ

أصبحتُ لا مُنْفِسًا (٤) أصبتُ ولا * أُبْتُ كريمًا حُرًّا من النَّدَمِ

هانَ على تغلبٍ بما لَقِيتْ * أختُ بني المالكين من جُشَمِ

ليسوا بأكفائنا الكرام ولا * يُغنُون من عَيْلةٍ ولا عَدَمِ

ثم إنّ مهلهلا انحدر، فأخذه عمرو بن مالك بن ضُبَيعة، فطلب اليه أخوالُه بنو يَشْكُر — وأُمّ مهلهلٍ المرادة (٥) بنت ثعلبة بن جُشَم بن غُبر (٦) اليَشْكُرِيّة، وأُختها مَنّة (٧) بنت ثعلبة أمّ حَيّ (٨) بن وائل، وكان المُحَلِّل (٩) بن ثعلبة خالَها — فطلب إلى عمرو أن يدفعه إليه فيكونَ عنده ففعل؛ فسقاه خمرا، (١٠) فلما طابت نفسُه تغنّى : ١٤٧/٤

طَفْلةٌ (١١) ما ابنةُ المُحلِّل بيضا * ءُ لَعُوبٌ لذيذةٌ في العِناقِ

---

(١) الأراقم : حيّ من تغلب . (٢) كذا في ط ، ى وعيون الأخبار (ج ٣ ص ٩١) طبع دار الكتب المصرية، وكذلك صححها المرحوم الشنقيطي بنسخته . وفي باقي الأصول : « الخباء » بالخاء المعجمة، وهو تصحيف وقد وقع في هذا التصحيف ابن دريد كما في المزهر للسيوطي (ج ٢ ص ١٨٦) (٣) أبانان : جبلان، قيل : يقال لأحدهما أبان الأبيض وللآخر أبان الأسود، وقيل : هو تثنية أبان ومتالع غلب أحدهما ، كما قالوا العمران والقمران في أبي بكر وعمر وفي الشمس والقمر . (انظر معجم البلدان لياقوت) . (٤) المنفس : المال الكثير الذي له قدر وخطر .

(٥) في ط ، ى : « المرداة » . وفي حـ : « المرتادة » . (٦) كذا في ط ، ى ، وهو الموافق لما في شرح القاموس « مادة غبر » وفي الأصول « عبد » وهو تحريف .

(٧) كذا في ط ، ى . وفي سائر الأصول : « أمية » . (٨) كذا في ط ، ى ، م . وفي باقي الأصول : « بنت ثعلبة حي من وائل » . (٩) كذا في ط ، ى ، م والطبري (قسم ٢ ج ٣ ص ٨٨٤ طبع أوربا) . وفي باقي الأصول وهامش الطبري : « المجلل » بالجيم .

(١٠) في ط ، ى ، م : « ففعل المحلل ثم شرب مهلهل يوما وهو عند المحلل خمرا ... » .

(١١) الطفلة : الرخصة الناعمة .

حتى فرغ من القصيدة، فأدّى ذلك مَنْ سَمِعه من المُهلهِل إلى عمرو، فحوّله اليه وأقسم ألّا يذوق عنده خمرا ولا ماء ولا لبنا حتى يَرِدَ رَبِيبُ الهِضَابَ (جمل له كان أقلّ وروده فى الصيف الخِمْس)[1]؛ فقالوا له : يا خير الفتيان، أرسلْ إلى ربيب فلْتُؤتَ به قبل وروده، ففعل فأَوْجره[2] ذَنُوباً من ماء؛ فلما تحلّل من يمينه سقاه من ماء الحاضرة، وهو أوبأُ ماءٍ رأيته، فمات . فتلك الهِضَاب التى كان يرعاها ربيبٌ يقال لها هِضاب ربيب، طالما رعيتُهنّ ورأيتهنّ . قال مقاتل : ولم يُقاتل معنا من بنى يَشْكُرَ ولا من بنى جُشَمٍ ولا ذُهْل بن ثعلبة غيرُ ناس من بنى يشكر وذُهْلٍ قاتلتْ بأُخَرَةٍ[3]، ثم جاء ناس من بنى جُشَم يوم قِضَةَ مع الفِنْدِ . وفى ذلك يقول سَعْد ابن مالك :

القبائل التى انضمت الى بكر فى حربهم مع تغلب

إنّ جُشَمًا قد أبتْ كلُّها * أن يُرفِدونا رجلًا واحدًا
ويَشْكُرُ أضحتْ على نأيها * لم تَسمعِ الآنَ لها حامدًا
ولا بنو ذُهْلٍ وقد أصبحوا * بها حُلولا خَلَقًا[4] ماجدًا
القائدِى الخيلِ لأرض العِدَا * والضاربين الكوكبَ الوافِدَا[5]

وقال البكرىّ :

وصَدّتْ جُشَمٌ للبراءة إذ رأتْ * أهاضيبَ[6] موتٍ تُمطِرُ الموتَ مُعْضِلَا
ويَشْكُرُ قد مالتْ قديمًا وأرتعتْ * ومَنّتْ بقُرْباها اليهم لِتُوصَلَا

وقالوا جميعا : مات جَسّاسٌ حَتْفَ أنفه ولم يُقْتَل .

(١) الخِمس بالكسر: من أظماء الإبل وهو أن ترد الإبل الماء فى اليوم الخامس . (٢) أوجره ذنوبا من ماء : أى جعله فى فيه . والذنوب : الدلو التى لها ذنب ، ولا تكون ذنوبا إلا وهى ملأى ، ولا تسمى خالية ذنوبا .
(٣) بأخرة : أخيرا ، يقال جاء أخرة و بأخرة (بفتح الهمزة والخاء و بضم الهمزة) . (٤) كذا فى حـ . وفى ب ، سـ : «حلولا خلقا ماجدا» . وفى ط ، ء : «حلوما حلقا ماجدا» . وفى م : «حلوما خلقا ماجدا» .
(٥) كذا فى ب . والكوكب : سيد القوم وفارسهم ، والرجل بسلاحه . والوافد : القادم . وفى باقى الأصول : «الواقدا» بالقاف ، ولعله تصحيف . (٦) الأهاضيب : جمع أهضوبة وهى الدفعة من المطر .

عدد القتلى من بكر وتغلب والاستشهاد على ذلك بشعر مهلهل

قال عامر بن عبد الملك : لم يكن بينهم من قتلى تعدّ ولا تذكر إلا ثمانيةَ نفرٍ من تَغْلِب وأربعةٌ من بَكْر عدّدهم مُهلهِلٌ فى شِعرِهِ(١)، يعنى قصيدتَيه :

أليلتَنا بذى حُسُمٍ(٢) أَنيرِى * إذا أنتِ ٱنقضَيتِ فلا تَحُورِى
فإن يكُ بالذَّنائب طال ليلى * فقد أبكِى من الليلِ القصيرِ
فلو نُبِش المقابرُ عن كُلَيب * فيَعْــلَمَ بالذنائب أىُّ زِيرِ
بيوم الشَّعْثَمينِ أُقِــرّ عينًــا(٣) * وكيف لِقاءُ من تحت القُبورِ
وإنّى قــد تركتُ بِوارِداتٍ(٤) * بُجَيــرًا فى دمٍ مثــلِ العَبيرِ(٥)
هتكتُ به بيوتَ بنى عُبَادٍ * وبعضُ الغَشْمِ أَشفَى للصّدورِ
على أنْ ليس يُوفِى من كُلَيبٍ * إذَا برزتْ مُخبّأةُ الخُــدورِ ١٤٨/٤

(١) كذا فى ط، ى. وفى سائر الأصول : «فى شعره يعنى من قصيدته». (٢) ذو حسم : موضع بالبادية. وتحورى : ترجعى. (٣) يوم الشعثمين : هو يوم واردات، كما فى العقد الفريد، بيد أن شعر الأخطل الآتى يدل على أنه يوم الذنائب. والشعثمان هما شعثم وعبد شمس ابنا معاوية بن عامر ابن ذهل بن ثعلبة، كما فى العقد الفريد، وقيل : هما شعثم وشعيث، وقيل فى اسميهما غير ذلك. وأضيف هذا اليوم إليهما لأنهما قتلا فيه. وقد جمعهما الأخطل فى قصيدة يفتخر فيها بقومه بنى تغلب على "شعاثم"، يريد ابنى معاوية ومن قتل معهما فى ذلك اليوم، فقال :

بقــوم هُمُ يوم الذنائب أهلكوا «شعاثم» رهط الحارث بن عباد

وقال أبو على القالى فى أماليه : "الشعثمان : موضــع معروف". وردّ قوله هذا بأنه لم يذكره أحد ممن شرح حرب البسوس وذكر أيامها. (راجع شرح شواهد المغنى للبغــدادى ج ٢ ص ٢٣٤ من النسخة المخطوطة المحفــوظة بدار الكتب المصرية برقم ٢ نحو ش والعقــد الفريد ج ٣ ص ٩٥). وأقرّعينا : جواب «لو» الشرطية فى البيت الذى قبل هذا البيت. ورواية الأمالى : « لقرّعينا » باللام. وقد تقدّم فى ص ٣٨ أن هذا الفعل نصب لمــا فى « لو » من معنى التمنى. (٤) واردات : موضع عن يسار طريق مكة، وبه سمى "يوم واردات". (٥) العبير : الزعفران.

وهمّامَ بن مُرّةَ قد تركنا * عليه القَشْعمانِ(١) من النسورِ
يَنُوء بصدره والرمحُ فيه * ويَخْلِجُه(٢) خِدَبٌّ كالبعيرِ
فلولا الريحُ أُسْمِعَ مَنْ بِحَجْرٍ * صليلَ البِيضِ تُقْرَعُ بالذكورِ(٣)
فِدًى لبنى شَقِيقةَ يوم جاءوا * كأُسْدِ الغَابِ لجّتْ فى الزَّئيرِ
كأنّ رماحَهم أشطانُ(٤) بئرٍ * بعيدٍ بين جالَيْها(٥) جَرُورِ
غداةَ كأنّنا وبنى أبينا * بجَنْبِ عُنَيزةٍ رَحيا(٦) مُديرِ
تَظَلّ الخيلُ عاكفةً عليهم * كأنّ الخيلَ تُرْحَضُ(٧) فى غديرِ

فهؤلاء أربعة من بنى بكر بن وائل . وقال أيضا :

طَفْلَةٌ ما ابنةُ المحلّلِ بيْضا * ءُ لَعُوبٌ لذيذةٌ فى العِناقِ
فاذْهَبِى ما إليكِ غيرَ بعيدٍ * لا يُؤَاتِى العِناقُ مَنْ فى الوَثاقِ
ضربتْ نحرَها الىّ وقالتْ * ياعَدِيًّا لقد وقَتْكَ الأواقى(٨)
ما أُرَجِّى فى العيش بعد نَدَا مَا * ىَ أراهم سُقُوا بكأسِ حَلَاقِ(٩)

(١) القشعم : النسر الذكر العظيم . ويروى كما فى الأمالى لأبى على القالى ج ٢ ص ١٣٢ طبع دار الكتب المصرية : « عليه القشعمين » على أنه معمول لتركنا ، وبالرفع على أنه جملة حالية استغنت فى الربط بالهاء عن الواو . على أنه يجوز أن يكون القشعمان مفردا وتلحق حركة الاعراب فيه النون لا الألف ، وقد تضم القاف والعين كما فى ثعلبان وقد تفتحان كما فى عقربان . (٢) يخلجه : يجذبه . والخدب : الضخم . (٣) تقدّم تفسير هذا البيت فى ص ٤١ فى الحاشية رقم ٣ من هذا الجزء . (٤) الأشطان : جمع شطن وهو الحبل الشديد الفتل يستق به . (٥) جال البئر : ناحيتها . والجرور من الآبار : البعيدة القعر . (٦) فى شرح شواهد المغنى للبغدادى : « قال أبو عبيد البكرى فى شرح نوادر القالى المسمى (قرة النواظر فى شرح النوادر) : الرحيان اذا أدارهما مدير أثرت إحداهما فى الأخرى وهما من معدن واحد ، وكذلك هؤلاء هم من أصل واحد يتماحقون ويقتتلون » . (٧) ترحض : تغسل . (٨) الأواقى : جمع واقية . (٩) الحلاق : المنية معدولة عن الحالقة لأنها تحلق أى تقشر ، وبنيت على الكسر لأنه حصل فيها العدل والتأنيث والصفة الغالبة

بعـــد عمرٍو وعامرٍ وحُــــيَيٍّ * ورَبيعِ الصَّدُوفِ[(١)] وٱبْنَى عَنَاقِ
وامرئِ القيس ميّتٍ يوم أَوْدَى * ثم خَـــلّى علىّ ذاتَ العَـــرَاقِى[(٢)]
وكليبٍ سَمِّ[(٣)] الفــوارسِ إذ حُــمَّ * رماه الــكماةُ بالإيفاقِ[(٤)]
إنّ تحت الأحجار حَدًّا[(٥)] ولِينًــا * وخَصِــيماً ألدَّ ذا مِعْــلاقِ[(٦)]
حيّـــةٌ فى الوِجَار[(٧)] أربدُ لا تَنْـ * ـفَعُ منــه السـليمَ نَفْثَـــةُ راقِ

فهؤلاء ثمانية من تغلب . قال عامر : والدليل على أنّ القَتْلى كانوا قليلًا أنّ آباء القبائل هم الذين شهدوا تلك الحروبَ، فعُدُّوهم وعُدُّوا بنيهم وبنى بنيهم ، فإن كانوا خمسمائة فقد صدَقوا ، فكم عسى أن يبلغ عددُ القتلى والقبائل . قال مِسْمَع : إنّ أخى مجنون ، وكيف يحتجّ بشعر المُهَلهِل ، وقد قتل جَحْدرٌ أبا مِكْنَف يوم قِضَةَ فلم يذكره فى شعره ، وقَتل اليشكرىُّ ناشرةَ فلم يذكره فى الشعر ، وقُتِل حَبيبٌ يومَ وارِدات ، وقَتل سعدُ بن مالك يوم قِضَةَ ٱبنَ القَبيحة فلم يُذكر ، فهؤلاء أربعة . وقال البَكرىّ :

تركا حَبيبًا يومَ أَرْجَفَ جمعُــه * صريعًــا بأعلى وارداتٍ مُجَــدَّلا

---

(١) كذا فى أكثر الأصول وفى شرح شواهد العينى المطبوع بهامش خزانة الأدب للبغـــدادى (ج ٤ ص ٢١٣ طبع بولاق) ، وقد فسره العينى بقوله : «الصدوف بفتح الصاد المهملة وفى آخره فاء : اسم فرس الربيع الذى أضيف اليها وقيل : اسم آمرأة» . وفى س : «الصدوق» بالقاف ، وهو تصحيف .
(٢) ذات العراق : الداهية . (٣) فى ب ، ص : « شمّ » بالشين ، وهو تصحيف .
(٤) كذا فى شرح شواهد العينى ، والايفاق (بكسر الهمزة وسكون الياء بعدها فاء وبعد الألف قاف) : إيتار السهم ليرمى به ، من أوفقت السهم اذا وضعته على فوقه . وفى الأصول : « بالاتفاق » وهو تصحيف . (٥) كذا فى م ، ح . والحدّ : الحدة . وفى سائر الأصول : « جدا » بالجيم . (٦) المعلاق : اللسان البليغ كأنه يعلق بخصمه ، ويروى : «مغلاق» بالغين المعجمة ، كأنه يغلق الحجة على خصمه . (٧) الحية يطلق على الذكر والأنثى . والوجار : جحر الضبع ويستعار لغيرها . والأربد : الذى يضرب لونه الى السواد .

وقال مُهَلهِل أيضا :

لستُ أرجــو لَذَّةَ العيش ما * أزَمَتْ[١] أجــلادُ قِدٍّ بِســاقِى
جَلَّلونى جِــلْدَ حَوْبٍ[٢] فقــد * جعــلوا نَفْسِىَ عنـد الـتَّرَاقِى

وقال آخر[٣] يفخَر بيوم واردات :

ومُهْــراقُ الدماء بواردات * تَبِيـد المُخْـزِياتُ وما تَبِيــدُ

فقلتُ لعــامر : ما بالُ مِسْمَع وما احتجّ به من هؤلاء الأربعــة ؟ فقال عامر : وما أربعــةٌ إن كنتُ أغفلتُهم[٤] فيما يقــولون ! إنّهم قتلوا يوم كذا[٥] ثلاثةَ آلاف، ويوم كذا[٥] أربعةَ آلاف، والله ما أظنّ جميع القوم كانوا يومئــذ ألفا ! فهاتوا فعُدُّوا أسمــاءَ القبائل وأبناءهم وأَنْزِلوا معهم [إلى][٦] أبناء أبنائهم، فكم عسى أن يكونوا !

نسبة ما فى هذه الأخبار من الأغانى

صــــوت ١٤٩/٤

أَزْجُرِ العــين أنْ تُبَكّى الطُّلولَا * إنّ فى الصدر من كُلَيبٍ غليلَا
إنّ فى الصدرِ حاجةً لن تَقَضَّى * مادعا فى الغصون داعٍ هَــدِيلَا
كيف أنســاكَ يا كُلَيبُ ولمّــا * أَقضِ حزنًا يَنُــوبُنى وغَلِيــلَا

(١) أزمت : تقبضت وانضمت . (٢) كذا صحح هذه الكلمة المرحوم الشيخ الشنقيطى فى نسخته . والحوب (بالحاء المهملة المفتوحة والواو) : الضخم من الجمال . والبعير إذا زجر قيل له حوب ولذلك سمى حوبا بزجره كما سمى البغل عدسا بزجره وسمى الغراب غاقا بصوته . وفى ط ، ى ، م : «جوب» بالجيم والجوب الترس ، وهو بعيد عن السياق . وفى باقى الأصول «حرف» بالحاء المهملة والراء . والحرف الناقة الضامرة الصلبة . (٣) هو جرير العجلى وقيل : هو الأخطل . «انظر اللسان مادة هرق» . (٤) كذا فى ط ، ى ، م . وفى سائر الأصول : «لأعقلهم» . (٥) كذا فى ط ، ى ، م . وفى باقى الأصول : «ويوم كذا وكذا ... ...» . (٦) الزيادة عن ط .

أيّها القلبُ أنجِز اليومَ نَحْبا[1] * من بنى الحِصْن[2] إذ غَدَوْا وذُحولا[3]
كيف يبكى الطلولَ مَنْ هو رهنٌ * بطِعَانِ الأنام جِيلاً بجيلا
أَنْبَضُوا[4] مَعْجِسَ القِسِىِّ وأبرقْـ * ـنا كما تُوعِدُ الفحولُ الفحولا
وصبَرْنا تحت البَوَارِقِ حتّى * رَكَدتْ فيهمُ السيوفُ طويلا
لم يُطيقوا أن ينزِلوا ونزلْنا * وأخو الحربِ مَنْ أطاق النّزولا

الشعر لمُهلهِل — قال أبو عُبَيدة : اسمه عَدِىّ ، وقال يعقوب بن السِّكِّيت : اسمه آمرؤ القيس — وهو ابن رَبيعة بن الحارث بن زُهَير بن جُشَم بن بَكْر بن حَبيب ابن عمرو بن غَنْم بن تَغْلِب ، وإنما لُقِّب مُهَلهِلاً لِطيب شعره ورِقّته ، وكان أحدَ من غُنِّىَ من العرب فى شعره . وقيل : إنه أوّلُ من قَصَّد القصائدَ وقال الغَزلَ ؛ فقيل : قد هَلْهَلَ الشعرَ ، أى أرقّه . وهو أوّل مَنْ كَذَب فى شعره[5] . وهو خال آمرئ القيس بن حُجْر الكِنْدىّ . وكان فيه خُنْثٌ ولِين ، وكان كثيرَ المحادثة للنّساء ، فكان كُلَيب يسمّيه « زِيرَ النِّساء » ؛ فذلك قوله :

ولو نُبِش المقابرُ عن كُلَيبٍ * فيَعلَمَ بالذنائب أىُّ زِيرِ

الغناء لابن مُحْرِز فى الأوّل والثانى من الأبيات ثقيلٌ أوّلُ بالسبّابة فى مجرى الوسطى . وللغَرِيض فيهما لحنٌ فى هذه الطريقة والإصبع والمجرى[6] ، والذى فيه سَجْحةٌ منها[7] لابن مُحرز . ولمَعْبَد لحنان أحدهما فى الأوّل والسادس ثقيل أوّل مطلق

(١) النحب : النذر . (٢) الحصن : هو ثعلبة بن عكابة . (٣) الذحول : جمع ذحل وهو الثأر . (٤) أنبض الرامى القوس وعن القوس : جذب وترها لتصوّت . ومعجس كمجلس : مقبض القوس . (٥) حكم عليه بهذا لقوله : « فلولا الريح ... » البيت ، لأن قتالهم كان بالجزيرة وحجر قصبة اليمامة ، وبين الموضعين مسافة عظيمة . (راجع أمالى أبى على القالى ج ٢ ص ١٣٤ طبع دار الكتب المصرية وكتاب الشعر والشعراء ص ١٦٤) . (٦) فى ط : « والإصبع فى المجرى » . (٧) لعل الصواب : « منهما » على أن يكون مرجع الضمير اللحنين .

فى مجرى البنصر، والآخر خفيفُ ثقيلٍ أول بالبنصر . ولإبراهيم فى الأول والرابع ثقيلٌ أول بالخنصر فى مجرى الوسطى . ولإسحاق فى الأول والثالث ماخُورِىّ . ولعَلُّويَه فى الأول والثانى خفيفُ ثقيلٍ أول بالبنصر، ولمالك فيهما خفيف رمل بالسبّابة فى مجرى الوسطى . ولابن سُرَيج فى السادس والسابع خفيفُ رملٍ بالسبّابة فى مجرى البنصر . ولابن سُرَيج أيضا فى الأول والثامن خفيفُ ثقيل أول بالبنصر. وللغَريض فى الأول والثانى خفيفُ ثقيلٍ أول بالبنصر . وللهُذَلِىّ فى الأول والثانى والسابع خفيفُ ثقيلٍ أول بالوسطى من رواية حماد عن أبيه . ولمالك فى الأول والثانى والخامس خفيفُ ثقيلٍ أول بالخنصر فى مجرى البنصر عن إسحاق وعمرو ابن بانة .

ومنها :

صـــوت

ثَكِلتْنِى عنـد الثَّنِيَّـة أُمِّى(١) * وأتاها نَـعِىُّ عَمِّى وخالى
إنْ لَمْ أَشْفِ النفوسَ من حَىِّ بكرٍ(٢) * وعَـدِىّ تَطَـاهُ بُزْلُ الجِمالِ

غنّاه ابن سُرَيج ثقيلًا أول بإطلاق الوتر فى مجرى الوسطى من رواية إسحاق، وغنّاه الغريض ثقيلًا أول بالبنصر على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانة .

---

(١) فى ط ، ء ، م : « على » . (٢) رواية هذا البيت فى كتاب بكر وتغلب ابنى وائل :

إن لم أشف النفوس من تغلب الغد * ربيـوم تـذل بزل الجمال

ولعله : « يُزَلُّ بزل الجمال » وبهذا يكون البيت واضح العبارة والمعنى . وقد ورد فى ب ، سـ عقب هذين البيتين جملة : « الشعر مجهول » ، وهى حشو لأن هذا الشعر للحارث بن عباد كما سيذكر المؤلف بعد قليل .

١٥٠ / ٤

ومنها :

صوت

قَـرِّبَا مَرْبِطَ النَّعَامة مِنِّى * لَقِحتْ حربُ وائلٍ عن حِيَالِ[1]

قَـرِّباها فى مُقْـرَبَاتٍ عِجَالٍ[2] * عابساتٍ يَثِبْنَ وَثْبَ السَّعَالِى

لم أكن من جُنَاتها عَـلِم اللهُ وإنّى بحَـرِّها اليـوم صالِ

الشعر للحارث بن عُبَاد . والغناء للغَرِيض ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر . وفيه لحن آخر يقال إنه لابن سُرَيج .

ومنها :

صوت

يالَبَكْرٍ أَنْشِروا لى كُلَيباً * يالَبَكْرٍ أينَ أينَ الفِرارُ

يالَبَكْرٍ فاظعَنوا[3] أو حُلُّوا * صَرَّح الشرُّ وبان السِّرارُ

الشعر لمُهَلهِل . والغناء لابن سُرَيج، ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل بالسبابة فى مجرى البنصر من رواية إسحاق . وغنّاه الأبْجر خفيف رملٍ بالوسطى من رواية عمرو

ومنها :

صوت

أليلتَنا بذى حُسُمٍ أَنِيرى * اذا أنتِ انقضيتِ فلا تَحُورِى

فإن يكُ بالذَّنائب طال ليلِى * فقد أبكى من الليل القصيرِ

(١) تقدّم شرح هذا البيت فى الحاشيتين رقم ٥، ٦ ص ٤٧ من هذا الجزء. (٢) المقربات: جمع مقربة وهى الفرس التى يقرب مربطها ومعلفها لكرامتها. والسعالى: جمع سعلاة وهى الغول أو ساحرة الجن. ورواية هذا البيت فى كتاب بكر وتغلب:

قربا مربط النعامة منى * ساريات يقفزن قفز السعالى

وهى رواية غير جيدة. (٣) فى ط، ء: «يالبكر اظعنوا...» بدون فاء.

كأنّ الجَدْىَ جَدْىَ[1] بناتِ نَعْشٍ * يُكَبُّ[2] على اليدين بمستديرِ[3]

وتَحْبُو[4] الشِّعْرَيانِ[5] الى سُهَيْلٍ * يَلُوح كقِمَّةِ[6] الجملِ الكبيرِ

فلولا الريحُ أُسمِعَ أهلُ حُجْرٍ * صَليلَ البِيضِ تُقْرَعُ بالذُّكورِ

الشعر لمُهَلْهِل . والغناء لابن مُحْرِز فى الأوّل والثانى ثقيلٌ أوّل بالبنصر، وله فى الأبيات كلها خفيفُ ثقيلٍ أوّل مطلقٌ فى مجرى الوسطى، عن إسحاق جميعا . وفى الأبيات كلِّها على الوِلَاء للأَبْجَر ثانى ثقيلٍ بالوسطى على مذهب إسحاق من رواية عمرو . ويقال : إن فيها لحنًا للغَرِيض أيضا

المجرس بن كليب وثاره لأبيه من خاله جساس

أخبرنى علىّ بن سليمان الأخفش قال أخبرنا الحسن بن الحسين السُّكَّرىّ قال حدّثنا محمد بن حَبِيبَ عن ابن الأعرابىّ عن المُفَضَّل عن أبى عُبَيْدة :

---

(١) قال ابن سيده : الجدى من النجوم جديان : أحدهما الذى يدور مع بنات نعش، والآخر الذى بلزق الدلو وهو من البروج ولا تعرفه العرب . وكلاهما على التشبيه بالجدى فى مرآة العين .

(٢) يكب : ينكس . يقال : كب فلان فلانا اذا صرعه فأكب هو ؛ وهذا من النادر، وهو أن يكون الفعل المجرد من الهمزة متعديا وذو الهمزة لازما .

(٣) كذا فى ب، سـ، حـ . وفى ط، ء، م : «كمستدير» .

(٤) تحبو : تدنو، يقال : حبا الشىء الى كذا اذا دنا اليه أو اتصل به . وفى الأصول الموجود بها هذا البيت : «تخبو» بالخاء المعجمة، وظاهر أنه تصحيف، ورواية كتاب بكر وتغلب (ص ٧٠) : «تحنو» بالحاء المهملة والنون . والبيت ساقط من ط، ء .

(٥) الشعريان : كوكبان، أحدهما فى الجوزاء وطلوعه بعدها فى شدّة الحر، ويقال له الشعرى اليمانية وتلقب بالعبور، والآخر فى الذراع ويقال له الشعرى الغميصاء، وتزعم العرب أنهما أختا سهيل . وسهيل : كوكب يمان .

(٦) رواية كتاب بكر وتغلب : «كهيئة» .

أن آخر مَنْ قُتِل فى حرب بكر وتغلب جَسّاسُ بن مُرّة بن ذُهْل بن شَيْبان ، وهو قاتلُ كُلَيب بن رَبيعة ، وكانت أخته تحت كُلَيب ، فقتله جَسّاس وهى حامل ، فرجعتْ الى أهلها ووقعت الحربُ ، فكان من الفريقين ما كان ؛ ثم صاروا إلى الموادعة بعد ما كادت القبيلتان تتفانيان ؛ فولدت أختُ جَسّاس غلاماً فسمّته الهِجْرِسَ (١) وربّاه جساس ، فكان لا يعرف أباً غيره ، وزوّجه ابنته . فوقع بين الهِجْرِس و بين رجل من بنى بكر بن وائل كلامٌ ؛ فقال له البكرىّ : ما أنت بمنتهٍ حتى نُلْحقك بأبيك ؛ فأمسك عنه ودخل الى أمه كئيبا ، فسألته عما به فأخبرها الخبر ؛ فلما أَوَى إلى فراشه ونام الى جنب آمرأته وضع أنفَه بين ثدييها ، فتنفّس تَنَفُّسةً تَنفَّط (٢) مابين ثدييها من حرارتها ؛ فقامت الجارية فَزِعةً قد أقلّتها رِعدةٌ حتى دخلتْ على أبيها ، فقصّت عليه قصّةَ الهِجْرِس ؛ فقال جسّاس : ثائرٌ وربِّ الكَعْبة ! وباتَ جسّاس على مثل الرَّضْف (٣) حتى أصبح ؛ فأرسل الى الهِجْرِس فأتاه ، فقال له : إنما أنت ولدى ومنّى بالمكان الذى قد علمتَ ، وقد زوّجتك ابنتى وأنت معى ، وقد كانت الحرب فى أبيك زماناً طويلا حتى كِدْنا نتفانى ، وقد اصطلحْنا وتحاجزْنا ، وقد رأيتُ أن تدخل فيما دخل فيه النـاسُ من الصلح ، وأن تنطلق حتى نأخذ عليك مثل ما أُخذ علينا وعلى قومنا ؛ فقال الهِجْرِس : أنا فاعل ، ولكنّ مثـلى لا يأتى قومَه إلا بلأْمته (٤) وفرســه ؛ فحمله جَسّاس على فرس وأعطاه لأْمةً ودِرْعا ؛ فخرجا حتى أتيَا جمـاعةً من قومهما ، فقَصّ عليهـم جسّاس

151/4

(١) كذا فى ط ، ى وابن الأثير (ج ١ ص ٣٩٣) طبع ليدن . وفى باقى الأصول اختـلاف فى عطف بعض هذه الأفعال على بعض بالواو أو بالفاء . (٢) تنفط : احترق . (٣) الرضف (بالفتح ، واحده رضفة) : الحجارة المحماة يوغر (يسخن) بها اللبن ، ويقال : هو على الرضف اذا كان قلقا مشخوصا به أو مغتاظا . (٤) لأمته : سلاحه . وتطلق اللامة على كل عدّة للحرب من درع ورمح و بيضة ومغفر وسيف ونبل .

ما كانوا فيه من البلاء وما صاروا اليه من العافية، ثم قال : وهـذا الفتى ابن أختى قد جاء ليـدخلَ فيما دخلتم فيه ويَعقِد ما عَقَدتم؛ فلما قرّبوا[(١)] الدمَ وقاموا الى العَقْـد أخذ الهِجْرِس بوَسَـط رُمحه، ثم قال : وفَرَسى وأُذُنَيْـه، ورُمْحى ونَصْلَيْه، وسيفى وغِرَارَيْه، لا يترك الرجل قاتلَ أبيه وهو ينظر اليه؛ ثم طعن جسّاسا فقتله، ثم لَحِق بقومه؛ فكان آخرَ قتيلٍ فى بكر بن وائل .

ترحيل أخت كليب جليلة عن مأتم زوجها وشعر جليلة فى ذلك

قال أبو الفرج : أخبرنى محمد بن الحسن بن دُرَيد قال حدّثنى عمّى عن العبّاس ابن هشام عن أبيه عن الشَّرْقِىّ[(٢)] بن القُطَامِىّ قال :

لمّـا قتل جسّاس بن مُرّة كُلَيبَ بنَ ربيعة ، وكانت جليـلةُ بنت مُرّة أختُ جساس تحت كليب ، اجتمع نساء الحىّ للمأتم، فقلن لأخت كُليب : رَحّلى جَليلةَ عن مأتمك، فإنّ قيامها فيـه شماتةٌ وعارٌ علينا عنـد العرب؛ فقالت لهـا : يا هذه اخرُجى عن مأتمنا، فأنتِ أختُ واتِرِنا وشقيقةُ قاتلنا؛ فخرجت وهى تجرّ أعطافَها ؛ فلقيها أبوها مُرّة ، فقال لهـا : ما وراءكِ يا جليلة؟ فقالت : ثُكْلُ العَدَد، وحزنُ الأبد، وفَقْـدُ حليل، وقتلُ أخٍ عن قليـل ؛ وبين ذينِ غرسُ الأحقاد، وتفتّتُ الأكباد ؛ فقال لها : أوَ يَكُفُّ ذلك كرمُ الصَّفْح وإغلاءُ الدِّيات؟ فقالت جليلة : أُمْنِيَّةٌ مخدوعٍ وربِّ الكعبة! أبِالبُدْنِ تَدَعُ لك تَغلِبُ دمَ ربِّها! . قال : ولمّـا رَحَلت جليلةُ قالت أُخت كُلَيب : رِحلةُ المعتدِى وفِراقُ الشامت، ويلٌ غدًا لآل مُرّة ، من الكَرّة بعد الكرة! . فبلغ قولُها جليلةَ، فقالت : وكيف تَشْمَتُ الحُرّةُ بهَتْك سِتْرِها

(١) كان من عادة العرب أن يحضروا فى حفنة طيبا أو دما أو رمادا فيدخلوا فيـه أيديهم عنـد التحالف ليتمّ عقدهم عليه باشترا كهم فى شىء واحد . (٢) فى بعض الأصـول : «الشرقى» بالقاف، وهو تصحيف ، وقد ضبطه السمعانى بفتح الشين وسكون الراء والقطامى بضم القاف وفتح الطاء وكسر الميم . وضبط كذلك بالعبارة فى تهذيب التهذيب والخلاصة بفتح الشين والراء وقطامى بضم القاف وفتح الميم .

وتَرَقُّبِ وِتْرِها ! أسعد الله جَدّ أُختى، أفلَا قالت : نَفْرة الحياء، وخوف الاعتداء ! .
ثم أنشأتْ تقول :(١)

يابنــةَ الأقوامِ إنْ شئتِ فلا * تَعْجَـلِي باللَّــوْم حتى تسألِي
فإذا أنتِ تَبيَّنْتِ الــذى * يُوجِـبُ اللّــومَ فلُومِى وٱعذُلِى
إن تكن أُختُ امرئٍ لِيمَتْ على * شَــفَقٍ منهـا عليـه فٱفعــلى
جَلَّ عنـدى فعلُ جَسّاسٍ فيا * حَسْرتِى عمـا ٱنجلتْ أو تنجـلى
فعـلُ جَسّاسٍ على وَجْدى به * قاطعٌ ظَهْرِى ومُدْنٍ أجَلِى
لَوْ بِعَيْنٍ فُقِئتْ عينى سوى * أُختِهـا فٱنفقأتْ لم أَحْفِـلِ
تَحمِـلُ العـينُ قَذَى العـينِ كما * تَحمِــلُ الأُمّ أذَى ما تَفْتَلِى(٢)
يا قتيــلًا قَــوّض الدهرُ به * سَــقفَ بيتَىَّ جميعًا من علِ
هـدمَ البيتَ الذى ٱستحدثتُه * وٱنثنَى فى هــدمِ بيـتى الأوّلِ
ورمانى قتــلُه من كَثَبٍ(٣) * رميـةَ المُصْمِى به المُستأصِلِ
يانسائى دونكنّ اليـومَ قد * خَصَّــنى الدهرُ برُزْءٍ مُعْضِلِ
خَصَّنى قتــلُ كُلَيب بلَظًى * مِن ورائى ولَظًى مُسْتقبِلِ(٤) ١٥٢/٤

---

(١) قال أبو عبيد الله محمــد بن عمران المرزبانى فى الجزء الثالث من أشعار النساء بعد أن ذكر هــذه الأبيات ونسبها لجليلة كما ذكر المؤلف هنا : « ووجدت بخط حرمىّ بن أبى العلاء قال محمــد بن خلف بن المرزبان : هذه الأبيات لفاطمة بنت ربيعة بن الحارث بن مرّة أخت كليب ومهلهل ابنى ربيعة التغلبيين ترثى أخاها كليبا وقتــله زوجها جساس » اهـ . (٢) تفتلى : تربىّ ، وفى الأصول : « تعتلى » بالعين المهملة ، وهو تحريف . (٣) من كثب : من قرب . وأصماه : قتله فى مكانه .
(٤) كذا فى ط ، ى ، م ، وهو الموافق لمـا فى الجزء الثالث من أشعار النساء للمرزبانى (ص ٥٠) ونهـاية الأرب (ج ٥ ص ٢١٥) طبع دار الكتب المصرية . وفى سائر النسخ : « من أسفلى » .

ليس من يبكى ليومين كمن (١) * إنما يبكى ليوم ينجلى (٢)
يشتفى المدرك بالثأر وفى * دَرَكى ثأرى ثُكْلُ المُثْكِلِ (٣)
ليتــه كان دمى فاحتلبوا * بدلاً منــه دماً من أكحلى (٤)
إننى قاتـــلة مقتـــولة * ولعـــل الله أن يرتاح لى

(١) هذه رواية نهاية الأرب . وفى الأصول : «ليوميه» . (٢) كذا فى نهاية الأرب وفى أكثر الأصول : «بجل» . وفى ب، سـ : «يجل» وهما تحريف . (٣) المثكل : التى لازمها الحزن . ورواية ط ، م ، ء : «نكل مشكل» . ورواية أشعار النساء :

درك الثائر شافيه وفى * درك الثائر قتل مثكلى

(٤) كذا فى الجزء الثالث من أشعار النساء للرزبانى . والأكحل : عرق فى الذراع يفصد ، وقيل : هو عرق الحياة ويدعى نهر البدن ، ولا يقال فيه عرق الأكحل . وفى الأصول :

ليتــه كان دما فاحتلبوا * دررا منه دمى من أكحلى

ولو كانت الرواية فيه .

ليتــه كان دما فاحتلبوا * بدلا منه دمى من أكحلى

لكان أجود .

ذكر الهـــذلى وأخبـاره

نسب الهـــذلى وصناعته

أخبرنى محمد بن خَلَف وَكيع قال حدّثنى هارون بن محمد بن عبـد الملك قال حدّثنى حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

الهُذَليان أخَوَانِ يقال لهما سعيد وعبد آل ابنـا مسعود ؛ فالأكبر منهما يقال له سَعيد، ويُكنى أبا مسعود، وأمه امرأة يقال لهـا أمّ فَيْعل، وكان كثيرا ما يُنسب اليها ، وكان ينقش الحجارةَ بأبى قُبَيس، وكان فتيانٌ من قريش يَرُوحون إليـه كلَّ عشـيّة فيأتون بَطْحاءَ يقال لهـا بطحاء قريش فيجلسون عليها ، ويأتيهم فيُغَنّى لهم ويكون معهم. وقد قيل : إن الأكبر هو عبد آل، والأصغر سعيد .

كان يغنى فتيـان قريش وهو يزاول صـناعته فى نقش الحجـارة

قال هارون وحدّثنى الزبير بن بكّار قال حدّثنى حمزة بن عُتْبة اللهبىّ :

أنّ الهذلىّ كان نقّاشا يعمل البُرَمَ من حجارة الجبل، وكان يُكنى أبا عبدالرحمن، وكان إذا أمسى راح فأشرف على المسجد ثم غنّى، فلا يلبث أن يُرى الجبل كقُرْص الخَبيص [1] صُفْرةً وحمرةً من أَرْدية قريش، فيقولون : يا أبا عبد الرحمن، أعِد، فيقول: أمَا والله وهاهنا حجر أحتاج إليـه لم يَرِدِ الأبطحَ فلا ؛ فيضعون أيديَهم فى الحجارة حتى يقطعوها له ويَحْدُروها الى الأبطح ، وينزل معهـم حتى يجلس على أعظمها حجرًا ويغنّى لهم .

---

(١) الخبيص : نوع من الحلواء يعمل من التمر والسمن .

قال هارون وحدّثنى حمّاد بن إسحاق عن أبى مسعود بن أبى جَنَاح[(١)] قال أخبرنى أبو لَطيف وعُمارة قالا :

تغنّى الهذلىُّ الأكبرُ، وكان من أنفسهم ، وكان فِتيانُ قريش يَرُوحون كلّ عشيّةٍ حتى يأتوا بَطْحاءَ يُقال لها بطحاءُ قريش قريبا من داره ، فيجلِسون عليها ويأتيهم فيُغنّيهم .

أجازه الحارث بن خالد لما سمع غناءه

قال : وأخبرنى ابن أبى طَرَفَة عن الحسن بن عَبّاد الكاتِب مولى آل الزُّبَير قال :

هجم الحارثُ بن خالد، وهو يومئذ أمير مكة، على الهذلىّ وهو مع فتيان قريش بالمَفْجَر[(٢)] يُغنّيهم وعليه جُبّةُ صوف، فطرح عليه مُقطَّعاتِ خَزّ، فكانت هذه أوّلَ ما تحرّك لها .

تزوّج بنت ابن سريج وأخذ عنها غناء أبيها وانتحل أكثره

قال هارون : وحدّثنى حماد عن أبيه قال :

ذكر ابن جامع عن ابن عَبّاد أن آبن سُرَيج لما حضَرته الوفاةُ نظر إلى آبنته فبكى، فقالت له : ما يُبكيك ؟ قال : أخشى عليكِ الضيعةَ بعدى ! فقالت له : لا تخف فما من غنائك شىء إلا وقد أخذتُه؛ قال : فغنّينى فغنّته، فقال : قد طابت نفسى، ثم دعا بالهذلىّ فزوّجها منه ؛ فأخذ الهذلىّ غناء أبيها كلَّه عنها فانتحل أكثره؛ فعامّة غناء الهذلىّ لابن سُرَيج مما أخذه عن ابنته وهى زوجتُه .

(١) فى ط، ى، م : « عن أبى مسعود عن أبى جناح » .
(٢) المفجر بالفتح ثم السكون وفتح الجيم : موضع بمكة ما بين الثنية التى يقال لها الخضراء الى خلف دار يزيد بن منصور (انظر معجم البلدان لياقوت) .

حدره الحارث بن خالد من منى ثم أذن له فرجع اليها

أخبرنى إسماعيل بن يونس قال حدّثنى عمر بن شبّة قال حدّثنى محمد بن يحيي أبو غسّان قال :

كان الهذلىّ منزلُه بمِنًى، وكان فِتيان قريش يأتونه فيُغنّيهم هناك، ثم أقبل مرّة حتى جلس على جمرة العقبة فغنّى هناك، فحدَره الحارثُ من مِنًى، وكان عاملا على مكة، ثم أذِن له فرجع إلى منى .

قصته مع فتية من قريش غناهم فطربوا له واستعادوه

١٥٣/٤ قال هارون : وحدّثنى علىّ بن محمد النَّوْفلىّ قال حدّثنى أبى قال :

كان الهذلىّ النقّاشُ يغدو إليه فتيان قريش وقد عمِل عملَه بالليل، ومعهم الطعامُ والشراب والدراهم، فيقولون له : غنّنا ؛ فيقول لهم : الوظيفةَ[1]، فيقولون : قد جئنا بها ؛ فيقول : الوظيفةَ الأخرى، أنزِلوا أحجارى، فيُلقون ثيابهم ويأتزِرون بأُزُرهم وينقُلون الحجارة ويُنزِلونها، ثم يجلِس على شُنْخُوبٍ[2] من شَنَاخيب الجبل فيجلسون تحته فى السَّهْل فيشربون وهو يُغنّيهم حتى المساءِ، وكانوا كذلك مدّة ؛ فقال له يوما ثلاثةُ فتيةٍ من قريش : قد جاءك كلّ واحد منا بمثل وظيفتك على الجماعة من غير أن تُنقَص وظيفتُك عليهم، وقد آختار كل واحد منا صوتا من غنائك ليجعلَه حظَّه اليومَ، فإن وافقتِ الجماعةُ هوانَا كان ذلك مشتركا بيننا، وإن أَبَوْا غنّيتَ لهم ما أرادوا وجعلتَ هذه الثلاثةَ الأصواتِ لنا بقيةَ يومنا ؛ قال : هاتوا، فآختار أحدُهم :

* عَفَتْ عَرَفَاتٌ فالمصايفُ من هندِ *

وآختار الآخرُ :

* ألمَّ بنا طيفُ الخيال المهجِّدُ[3] *

(١) الوظيفة : ما يقدّر من عمل وطعام و رزق وغير ذلك . (٢) الشنخوب : رأس الجبل وأعلاه . (٣) هجدت الرجل (بالتضعيف) : أيقظته .

وآختار الآخر :

* هجَــرَتْ سُــعدَى فزادنى كَلَفَــا *

فغنّاهم إياها، فما سمِع السامعون شيئا كان أحسنَ من ذلك ؛ فلما أرادوا الانصراف قال لهم : إنى قد صنعت صوتا البارحة ما سمعه أحد، فهل لكم فيه ؟ قالوا : هاتِه مُنْعِمًا بذلك ؛ فآندفع فغنّاهم :

أأن هتَفَتْ وَرْقاءُ ظَلْتَ سفاهةً * تُبَكِّى على جُمْلٍ لِوَرْقاءَ تَهتِفُ

فقالوا : أحسنتَ والله، لا جرمَ لا يكونَ صَبُوحُنا فى غدٍ إلا عليه، فعادوا وغنّاهم إياه وأعطَوْه وظيفتَه، ولم يزالوا يستعيدونه إياه باقىَ يومهم .

نسبة ما فى هذا الخبر من الأصوات

من ذلك :

صــــوت

عَفَتْ عَرَفاتٌ فالمَصايف من هندِ * فأَوْحشَ ما بين الجَرِيبَيْنِ(١) فالنَّهْــدِ(٢)

وغَيَّرها طــولُ التقــادُمِ والبِــلَى * فليستْ كما كانتْ تكونُ على العَهْدِ

الشعر للأَحْوص، وقيل : إنه لعمر . والغناء للهذلىّ، ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل بالخنصر فى مجرى البنصر .

---

(١) كذا فى ديوان عمر بن أبى ربيعة (ج ٢ ص ٢٣١ طبع مدينة ليبسك) . والجريب : يطلق على مواضع كثيرة . وما أثبتناه قريب مما ورد فى نسختى ب، س فقد وردت فيهما هذه الكلمة هكذا : «الحريبين» . وفى ط، م، ء : «الحربين» وكلاهما تحريف . وفى جـ : «الحريمين» بالميم . والحريم اسم لمواضع كثيرة فى بغداد وغيرها . (٢) النهد (ويقال له عين النهد) : اسم موضع بالفرع على الطريق من مكة الى المدينة . روى الزبير عن رجاله أن أسماء بنت أبى بكر قالت لابنها عبد الله : يا بنىّ أعمر الفرع، فعمل عبد الله بن الزبير بالفرع عين القارعة والسنام، وعمل عروة أخوه عين النهد وعين عسكر . (انظر بقية الكلام على ذلك فى معجم ما استعجم ج ٢ ص ٧٠٧) .

ومنهـا :

صـــوت

من المـائة المختـارة

ألمَّ بنـا طَيْفُ الخيـال المهجِّدُ * وقد كادت الجوزاءُ فى الجوّ تَصْعَدُ
ألمَّ يُحَيِّينـا ومن دون أهلهـا * فَيَافٍ تَغُـورُ الريحُ فيهـا وتُنْجِد

عروضه من الطويل . لم يقع لنا اسم شاعره ونسبه . والغناء للهُذَلىّ ثقيـل أوّل بإطلاق الوتر فى مجرى البنصر، وهو اللحن المختار، وفيه ليحيى المكّىّ هَزَجٌ. ولحنُ الهذلىّ هذا ممـا آختير للرشيد والواثق بعده من المـائة الصوت المذكورة .

ومنهـا :

صـــوت

هجرتُ سُـعْدَى فزادنى كَلَفَا * هِجرانُ سُـعْدَى وأَزمعتْ خُلُفَا
وقـدْ على حُبّهـا حلفتُ لهـا * لو أنّ سُعْدَى تُصـدِّق الحَلِفَا ١٥٤ / ٤
ما عَلِقَ القلبُ غـيرَها بَشَراً * ولا سـواها مِن مَعْلَقٍ عَرَفا
فـلم تُجبـنى وأعرضتْ صَلَفًا * وغادرتْـنى بحبّهـا كَلِفَا

الغناء للهذلىّ ثانى ثقيلٍ بالسبابة فى مجرى الوسطى .

رقص أشعب ابنه وقال هـذا ابن مزامير داود

أخبرنى إسماعيل بن يونس الشِّيعىّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة عن إسحاق قال : زوّج آبنُ سريج لمـا حضرته الوفاةُ الهذلِىَّ الأكبر بابنتـه ، فأخذ عنهـا أكثر غناء أبيها، وادّعاه فغلَب عليه . قال : وولدتْ منه آبنا؛ فلما أُيْفع جاز يوما بأشعبَ وهو جالس فى فِتْيـةٍ من قريش ، فوثَب فحمله على كتفه وجعل يرقِّصه ويقول : هـذا آبن دقّىِ المصحف وهـذا آبنُ مزامير داود ؛ فقيل له : ويلك ! ما تقول

ومن هذا الصبيّ؟ فقال : أوَما تعرفونه! هذا ٱبن الهذليّ من ٱبنة ٱبن سُرَيج، وُلِد على عُود، وٱستهلّ(١) بغناء، وحُنِّك(٢) بملوى(٣)، وقُطعت سرّته بوتر(٤)، وخُتِن بمِضراب .

اسحاق الموصلى وحديثه عن مطرف أخذه من ابراهيم ابن المهدى

وذكر يحيى بن علىّ بن يحيى عن أبيه عن عبد الله بن عيسى المَـاهَانىّ قال : دخلت يوما على إسحاق بن إبراهيم الموصلىّ فى حاجة ، فرأيت عليه مُطْرَف خزّ أسود ما رأيت قطّ أحسن منه ؛ فتحدّثنا الى أن أخَذْنا فى أمر المطرف، فقال : لقد كان لكم أيّامٌ حسنة ودولة عجيبة ؛ فكيف ترى هذا ؟ فقلت له : ما رأيتُ مثله ؛ فقال : إنّ قيمته مائة ألف درهم ، وله حديث عجيب ؛ فقلت : ما أقومه إلا بنحو مائة دينار ؛ فقال إسحاق : شَرِبنا يوما من الأيام فبِتُّ وأنا مُثْخَن(٥) ، فٱنتبهت لرسول محمد الأمين ، فدخل علىّ فقال : يقول لك أمير المؤمنين : عجِّل ؛ وكان بخيلا على الطعام ، فكنتُ آكل قبل أن أذهب اليه ؛ فقمت فتسوّكت وأصلحت شأنى ، وأعجلنى الرسولُ عن الغَداء فقمت معه فدخلت عليه ، وإبراهيم بن المهدىّ قاعد عن يمينه وعليه هذا المطرف وجُبّة خزٍّ دَكْناء(٦) ، فقال لى محمد : يا إسحاق ، أتغدّيت ؟ قلت : نعم يا سيّدى ؛ قال : إنك لنَهِم ، أهذا وقتُ غداء ! فقلت : أصبحتُ يا أمير المؤمنين وبى خُمَار فكان ذلك مما حدانى على الأكل ؛ فقال لهم : كم شربنا ؟ فقالوا : ثلاثةَ أرطال ، فقال : اسقُوه إياها ؛ فقلت : إن رأيتَ أن تُفَرِّق علىّ ! ؛ فقال : يُسقَى رِطلين ورِطلا ؛ فدُفِع إلىّ رطلان فجعلت أشربهما

(١) استهل الصبىّ : رفع صوته بالبكاء عند الولادة . (٢) التحنيك : أن تمضغ التمر ثم تدلكه بحنك الصبىّ ، وفى حديث النبىّ صلى الله عليه وسلم : أنه كان يحنك أولاد الأنصار .
(٣) الملوى : من أجزاء العود (انظر الكلام على العود وأجزائه فى مقدمة الجزء الأوّل من هذا الكتاب طبع دار الكتب المصرية) . (٤) فى ط ، ء ، م : «بزير» والزير : أحد أوتار العود .
(٥) يقال : أثخنته الجراحة : أوهنته وأضعفته ، والمراد هنا غلبة السكر عليه . (٦) الدكناء : المائلة إلى السواد .

وأنا أتوهم أن نفسى تسيل معهما، ثم دُفع إلىّ رِطل آخر فشربته، فكأنّ شيئا انجلى عنى؛ فقال غنِّنى :

* كُليبٌ لعمْرِى كان أكثرَ ناصراً *

فغنّيته، فقال : أحسنتَ وطِرب؛ ثم قام فدخل — وكان كثيرا [ما] يدخل إلى النساء ويَدَعُنا — فقمت فى إثْر قيامه، فدعوت غلاما لى، فقلت : اذهب إلى بيتى وجئنى بِبزْماوَرْدَتين[1] ولُفّهما فى مِنديل واذهب رَكْضًا وعجِّل، فمضى الغلام وجاءنى بهما، فلما وافى البابَ ونزل عن دابّته انقطع فنفَق[2] من شدّة ما ركض عليه، وأدخل إلىّ البزْماوَرْدَتيْن، فأكلتُهما ورجَعتْ نفسى إلىّ وعدتُ إلى مجلسى؛ فقال لى إبراهيم : لى إليك حاجة أُحِبّ أن تقضيَها لى؛ فقلت : إنما أنا عبدك وآبن عبدك، فقل ما شئت؛ قال : تُردّد علىّ : "كليب لعمرى" وهذا المِطْرَف لك؛ فقلت : أنا لا آخذ منك مطرفا على هذا، ولكننى أصير إلى منزلك فأُلقيه على الجوارى وأردّده عليك مِرارا؛ فقال : أُحبّ أن تردّده علىّ الساعةَ وأن تأخذ ١٥٥/٤

هذا فإنه من لُبْسك وهو من حاله كذا وكذا؛ فردّدت عليه الصوت مرارا حتى أخذه، ثم سمعنا حركة محمد فقمنا حتى جاء وجلس، ثم قعدنا فشرب وتحدّثنا؛ فغنّاه إبراهيم : "كليب لعمرى"، فكأنى والله لم أسمعه قبلَ ذلك حُسْنا؛ وطرِب محمد طربا شديدا وقال : أحسنت والله! يا غلام، عَشْرَ بِدَر لعمّى الساعةَ! فجاءوا بها؛ فقال : يا أمير المؤمنين، إن لى فيها شريكا؛ قال : من هو؟ قال : إسحاق؛ قال : وكيف؟ فقال : إنما أخذتُه منه لمّا قمتَ؛ فقلت أنا : ولِمَ! أضاقت الأموالُ على أمير

---

(١) البزماورد : طعام يسمى لقمة القاضى، ونخذ الست، ولقمة الخليفة، وهو مصنوع من اللحم المقلى بالزبد والبيض. (انظر الحاشية رقم ٢ ج ٤ ص ٣٥٣ من هذه الطبعة).

(٢) نفق : مات. وذكر الضمير لأن الدابة تطلق على الحيوان مذكرا كان أو مؤنثا، والدابة هنا مذكر.

المؤمنين حتى تُريد أن تُشْرِك فيما يُعطِى! قال : أمّا أنا فأُشْرِكك وأمير المؤمنين أعلم؛ فلما آنصرفنا من المجلس أعطانى ثمانين ألفا ، وأعطانى هذا المِطْرَف، فهذا أُخِذ به مائةُ ألف درهم، وهى قيمتُه .

صــــوت

من المـائة المختـارة

من رواية جَحْظة عن أصحابه :

عَلِّلِ القـــومَ يشربُوا * كى يَلَذُّوا ويَطْرَبُوا
إنمـا ضلَّل الفـــؤا * دَ غـــزالٌ مُرَبَّبُ(١)
فرشـــتْه على النَّمـا * رِقِ سُـعْدَى وزينبُ
حالَ دون الهوى ودو * نَ سُرى الليلِ مُصعبُ(٢)
وسِـــياطٌ على أكُـفِّ رجـالٍ تقـــلَّبُ

الشعر لعُبَيد الله بن قيس الرُّقَيّات. والغناء فى اللحن المختار لمالك بن أبى السَّمْح، ولحنه من الثقيل الأوّل بالسبابة فى مجرى الوسطى . وفيه لإسحاقَ ثقيلٌ أوّل مطلق فى مجرى البنصر . ولآبن سُرَيج فى الرابع والخامس والأوّل ثانى ثقيـل فى مجرى الوسطى . ولمعبد فى الثانى وما بعده خفيفُ ثقيل أوّل بالسبابة فى مجرى الوسطى .

(١) كذا فى أكثر الأصول وكذلك صححها الأستاذ الشنقيطى فى نسخته ؛ يقال : ربّ الصبي وربّبه أى رباه . وفى ب ، سـ وديوانه طبع أوربا : «مربوب» .

(٢) هو مصعب بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى كما فى كتاب المعارف لابن قتيبة (ص ١٢٣ طبع جوتنجن) وكما سيذكره المؤلف بعد قليل فى ترجمة عبيد الله بن قيس الرقيات .

ذكر عبيد الله بن قيس الرقيّات ونسبه وأخباره

نسب عبيد الله بن قيس الرقيات من قبل أبويه

هو عُبَيْد الله بن قيس بن شُرَيح[(١)] بن مالك بن رَبيعة بن أُهَيب بن ضِبَاب بن حُجَير بن عبد بن مَعِيص[(٢)] بن عامر بن لؤىّ بن غالب . وأمّه قتيلة بنت وَهْب بن عبد الله بن رَبيعة بن طَرِيف بن عَدِىّ بن سَعْد بن لَيْث بن بَكْر بن عبد مَنَاة ابن كِنَانة .

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثنى محمد بن محمد بن أبى قُلَامةَ العُمَرىّ قال حدّثنى محمد بن طَلْحة ، قال الزبير وحدّثنيه أيضا محمد بن الحسن المخزومىّ ، قالا جميعا :

كان يقال لبنى مَعِيص بن عامر بن لؤىّ وبنى مُحارِب بن فِهْر: الأَجْرَبان من أهل تِهَامة ، وكانا متحالفين ، وإنما قيل لهما الأجربان من شدّة بأسهما وعَرِّهما[(٣)] من ناوأهما كما يُعَرّ الجرب .

سبب لقبه بالرقيات

وإنما لُقّب عبيدُ الله بنُ قيس الرُّقَيّاتِ لأنه شَبّب بثلاث نسوة سُمِّين جميعا رُقَيّة ، منهنّ رقيّة بنت عبد الواحد بن أبى سعد بن قيس بن وهب بن أُهْبان[(٤)] بن ضِبَاب بن حُجَير بن عبد بن مَعِيص بن عامر بن لُؤَىّ ، وآبنة عمّ لها يقال لها رُقَيّة ،

---

(١) كذا فى ط ، ء وديوانه المخطوط بقلم الشيخ الشنقيطى المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ٨٨ أدب ش وديوانه المطبوع بفينا سنة ١٩٠٢ وخزانة الأدب للبغدادى (ج ٣ ص ٢٦٧ طبع بولاق) . وفى باقى الأصول : « سريج » بالسين والجيم ، وهو تصحيف . (٢) كذا فى ديوانه المخطوط والمطبوع والخزانة وشرح القاموس مادّة معص . وفى ط ، ء : « معيض » بالضاد المعجمة ، وفى باقى الأصول : « بغيض » ، وكلاهما تحريف .

(٣) يقال : عرّه بمكروه يعرّه عرّا : أصابه به . والمراد هنا إلحاقهما الشر بأعدائهما كما يلحق الجرب الشرّ بمن يصيبه . (٤) فى خزانة الأدب : «وهبان» بالواو .

وآمرأة من بنى أميّة يقال لها رقيّة . وكان هواه فى رقيّة بنت عبد الواحد، وكان ١٥٦/٤ عبد الواحد — فيما أخبرنى الحرمىّ بن أبى العلاء عن الزبير — ينزل الرَّقّة . وإياه عَنَى آبنُ قيس بقوله :

ما خيرُ عيش بالجزيرة بعد ما * عثَر الزمانُ ومات عبدُ الواحدِ

وله فى الرقيّات عدّة أشعار يُغنَّى فيها تُذكر بعقب هذا الخبر . والأبيات الثانية التى فيها اللحن المختار يقولها فى مُصْعَب بن عبد الرحمن بن عَوْف الزُّهْرىّ ، وكان صاحبَ شُرْطة مروانَ بنِ الحَكَم بالمَدينة .

مصعب بن عبد الرحمن والى المدينة

أخبرنى الحرمىّ بن أبى العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثنى عمّى قال:

لما وَلِى مروانُ بن الحكم المدينةَ وَلَّى مصعبَ بنَ عبد الرحمن بن عوف شُرْطتَه ، فقال: إنى لا أَضبط المدينةَ بحَرَس المدينة، فآبْغِنى رجالًا من غيرها، فأعانه بمائتى رجل من أهل أَيْلَةَ(١)، فضبطها ضبطا شديدا . فدخل المِسْوَرُ(٢) بنُ مَخْرَمةَ على مروانَ فقال : أَمَا ترى ما يشكوه الناسُ من مصعَب ! فقال :

ليس بهذا من سِيَاقِ عَتْبُ * يمشى القَطُوفُ وينامُ الركبُ(٣)

وقال غيرُ مصعَب فى هذا الخبر وليس من رواية الحرمىّ : إنه بقى إلى أن وَلِى عمرُو(٤) بن سعيد المدينةَ وخرج الحسينُ رضى الله تعالى عنه وعبد الله بن الزبير؛

(١) أيلة : مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلى الشأم ، وقيل : هى فى آخر الحجاز وأوّل الشأم .
(٢) هو المسور بن مخرمة بن نوفل الزهرى قتل فى حصار مكة مع ابن الزبير . (انظر الطبرى فى حوادث سنة ٦٤ هـ) . (٣) السياق : السوق . والقطوف من الدواب : البطىء ، والمراد وصف الرجل بحسن السياسة وأنه يبلغ الغاية من غير أن يعنف فى السوق أى إنه يسوس الناس من غير أن يجهدهم .
(٤) هو عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق ، ولاه يزيد بن معاوية إمرة المدينة سنة ٦٠ هـ . (انظر الطبرى فى حوادث السنة المذكورة) .

فقال له عمرو : اِهدِمْ دورَ بنى هاشم وآلِ الزبير؛ فقال : لا أفعل؛ فقال : انتفَخَ سَحْرُك[1] يابْنَ أُمّ حُرَيْثٍ ! أَلْقِ سيفَنا ! فألقاه ولحِق بآبن الزبير . وولّى عمرو بن سعيد شُرْطتَه عمرَو بن الزبير بن العوّام وأمره بهدم دُور بنى هاشم وآل الزبير، ففعل وبلغ منهم كلَّ مبلغ، وهدَم دار آبن مُطيع[2] التى يقال لها العَنْقاءُ ، وضرَب محمدَ بن المنذر بن الزبير مائةَ سوط؛ ثم دعا بعُروة بنِ الزبير ليضربَه؛ فقال له محمد: أتضرِب عُروة! فقال : نعم يا سَبَلانُ[3] إلا أن تحتمِل ذلك عنه؛ فقال: أنا أحتمِله، فضربه مائةَ سوط أخرى؛ ولحِق عُرْوةُ بأخيه . وضرب عمرٌو الناسَ ضرباً شديدا، فهرَبوا منه الى آبن الزبير، وكان المِسْور بنُ مَخْرَمة أحد من هرَب منه؛ ولما أفْضَى الأمرُ إلى ابن الزُّبَير أقاد منه وضرَبه بالسوط ضرباً مُبرِّحا فمات، فدفنه فى غير مقابر المسلمين ، وقال للناس ، فيما ذُكر عنه ، : إن عمراً مات مرتدًّا عن الإسلام .

هو شاعر قريش

أخبرنى الحرمىّ قال حدّثنى الزُّبَيْرُ قال :

سألتُ عمّى مُصعَبًا ومحمدَ بن الضحّاك ومحمدَ بن حسن عن شاعر قريش فى الإسلام، فكلّهم قالوا : آبنُ قيس الرقيّات؛ وحُكِى ذلك عن عدىّ وعن الضحاك ابن عثمان؛ وحكاه محمد بن الحسن عن عثمان بن عبد الرحمن اليَرْبُوعىّ . قال الزبير: وحدّثنى بمثله ثُمَامةُ بن عمرو السَّهْمىّ عن مِسْوَر بن عبد الملك اليَرْبوعىّ .

(١) انتفخ سحرك : كلمة تقال للجبان . والسحر : الرئة . (انظر الحاشية رقم ١ ج ٤ ص ١٨٧ من هذه الطبعة) . (٢) هو عبد الله بن مطيع أخو بنى عدىّ بن كعب، ولى الكوفة لعبد الله ابن الزبير . (انظر الطبرى فى حوادث سنة ٦٠ ﻫ) . (٣) كذا فى جميع الأصول، ولعلها لقب له أو محرفة عن سبلانى (بزيادة ياء مشدّدة) . والسبلانىّ : الطويل السبلة (بالتحريك) وهى شعرات تكون فى المنحر، وهى أيضا مقدم اللحية، وما على الشفة العليا من الشعر بجمع الشاربين، أو لعلها كلمة تهكمية لها مغزى خاص .

عرض شعره على طلحة الزهرى فمدحه

أخبرنا محمد بن العبّاس اليَزيدىّ والحرمىّ بن أبى العلاء وغيرهما قالوا حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثنا عبد الرحمن بن عبد الله الزُّهْرىّ عن عمه محمد بن عبد العزيز :

أنّ ٱبن قيس الرقيّات أتى إلى طلحة بن عبد الله بن عوف الزهرىّ فقال له : ياعمّى، إنى قد قلتُ شعرا فٱسمعه فإنك ناصحٌ لقومك، فإن كان جيّدا قلتُ، و إن كان رديئا كففتُ؛ فقال له : أنشِد، فأنشده قصيدته التى يقول فيها :

مَنَع اللهوَ والهــوى * وسُرَى الليلِ مُصْعَبُ
وسِياطٌ على أَكُــفّ رجالٍ تقــلَّبُ

فقال : قل يٱبنَ أخى فإنك شاعر .

١٥٧/٤

كان زبيرىّ الهوى وخرج على عبد الملك ثم استجار بٱبن جعفر فعفا عنه

وكان عُبيد الله بن قيس الرقيّات زُبيرِىَّ الهوى، وخرج مع مُصعَبِ بن الزبير على عبد الملك؛ فلما قُتِل مصعب وقُتل عبدُالله هرَب فلجأ إلى عبد الله بن جعفر ابن أبى طالب، فسأل عبدَ الملك فى أمره فأمّنه .

وأخبرنا محمد بن العبّاس اليَزيدىّ والحرمىّ بن أبى العلاء وغيرهما قالوا حدّثنا الزُّبَيرى(١) قال حدّثنى عبد الله بن البَصير(٢) البرْبَرىّ مولى قيس بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال :

قال عبيدُالله بن قيس الرقيّات: خرجتُ مع مصعب بن الزبير حين بلغه شُخُوصُ عبد الملك بن مروان إليه، فلما نزل مصعب بن الزبير بمَسْكِنٍ(٣)، ورأى معالمَ الغَدْر

(١) فى م، حـ : «الزبير» بدون ياء . (٢) فى حـ : «عبد الله بن النضير اليزيدىّ» وسيرد فى ص ٩٠ من هذا الجزء : «عبد الله بن النضير» فى كل الأصول . (٣) مسكن : موضع قريب من أوانا على نهر دجيل عنـد دير الجاثليق، به كانت الوقعة بين عبد الملك بن مروان ومصعب بن الزبير فى سنة ٧٢ هـ وبه قتل مصعب، وقبره هناك معروف (عن معجم البلدان لياقوت ج ٤ ص ٥٢٩) .

ممن معه، دعانى ودعا بمالٍ ومناطقَ، فملأ المناطقَ من ذلك المال وألبسنى منها، وقال لى : انطلِق حيثُ شئت فإنى مقتول؛ فقلت له : لا والله لا أرِيمُ(١) حتى أرى(٢) سبيلَك؛ فأقمتُ معه حتى قُتل؛ ثم مضيتُ إلى الكوفة، فأوّلُ بيتٍ صرتُ اليه دخلته، فإذا فيه امرأةٌ لها ابنتان كأنهما ظَبيتانِ، فرقِيتُ فى درجةٍ لها إلى مَشرُبة(٣) فقعدتُ فيها، فأمرتْ لى المرأةُ بما أحتاجُ اليه من الطعام والشراب والفَرْش والماءِ للوُضوء، فأقمتُ كذلك عندها أكثرَ من حولٍ، تقيم لى ما يُصلِحنى وتغدو علىّ فى كل صباح فتسألنى بالصَّباح والحاجة(٤)، ولا تسألنى مَنْ أنا ولا أسألها من هى، وأنا فى ذلك أسمع الصِّيَاحَ فىّ والجُعْلَ؛ فلما طال بى المُقام وفقدتُ الصياح فىّ وغَرِضتُ(٥) بمكانى غدتْ علىّ تسألنى بالصباح والحاجةِ، فعرّفتها أنى قد غَرِضتُ وأحببت الشُّخوصَ إلى أهلى؛ فقالت لى: نأتيك بما تحتاج إليه إن شاء الله تعالى؛ فلمّا أمسيتُ وضرَب الليل بأرواقِه رَقِيتْ إلىّ وقالتْ : إذا شئتَ! فنزلتُ وقد أعدّتْ راحلتين عليهما(٦) ما أحتاج إليه ومعهما عبد، وأعطتِ العبدَ نفقةَ الطريق، وقالت : العبدُ والراحلتان لك؛ فركبتُ وركب العبدُ معى حتى طَرَقتُ أهلَ مكّة، فدقَقتُ منزلى؛ فقالوا لى : من هذا ؟ فقلت : عُبيد الله بن قيس الرقيّات؛ فوَلْوَلوا وبَكوا، وقالوا : ما فارقَنا طلبُك إلا فى هذا الوقت؛ فأقمتُ عندهم حتى أسْحَرتُ(٧)، ثم نهضتُ ومعى العبدُ حتى قَدِمتُ المدينةَ، فجئتُ عبدَالله بن جعفر بن أبى طالب عند المساء وهو يُعَشِّى أصحابَه ، فجلستُ معهم وجعلتُ أتعاجَمُ وأقول : يار يار(٨)

---

(١) لا أريم : لا أبرح . (٢) فى ط ، ء : «حتى آتى سبيلك» .

(٣) المشربة : الغرفة والعلية . (٤) يريد : كيف أصبحت وما حاجتك ؟ (٥) غرض : ضجر . (٦) فى ب ، سـ : « عليهما » . (٧) أسحر : دخل فى السحر .

(٨) يار : كلمة فارسية، ومعناها : الصاحب والشفيق والمعين .

آبن طيّار[(١)]؛ فلما خرج أصحابُه كشفتُ له عن وجهى، فقال : آبنُ قيس؟ فقلت : آبنُ قيس، جئتــك عائذا بك؛ قال : وَيْحَكَ! ما أجدَّهم فى طلبك وأحرصهم على الظَّفَر بك! ولكنى سأكتب الى أمّ البنين بنتِ عبد العزيز بن مروان فهى زوجةُ الوليد بنِ عبد الملك، وعبدُ الملك أرقُّ شىءٍ عليها. فكتب إليها يَسألُها أن تشفع له إلى عمّها، وكتب إلى أبيها يسأله أن يكتب إليها كتاباً يسألها الشفاعةَ؛ فدخل عليها عبد الملك كما كان يفعل وسألها : هل من حاجة؟ فقالت : نعم لى حاجةٌ؛ فقال : قد قضيتُ كلّ حاجةٍ لكِ إلا آبنَ قيس الرقيّات؛ فقالت : لا تَسْتَثْنِ علىّ شيئا! فنفح[(٢)] بيده فأصاب خدّها، فوضعتْ يدَها على خدّها؛ فقال لها : يابُنيّة ارفعى يدَك، فقــد قضيتُ كلّ حاجة لكِ وإن كانت آبنَ قيس الرقيّات؛ فقالت : إنّ حاجتى آبنُ قيس الرقيات تُؤمّنه، فقد كتب إلىّ أبى يسألنى أن أسألك ذلك؛ قال : فهو آمِن، فمُرِيهِ يحضُر مجلسى العَشِــيّة؛ فحضر آبنُ قيس وحضر النــاسُ حين بلغهم مجلسُ عبد الملك، فأخّر الإذنَ، ثم أذِن للناس، وأخّر إذنَ آبن قيس الرقيّات حتى أخذوا مجالسهم، ثم أذِن له؛ فلما دخل عليه قال عبد الملك : ياأهلَ الشأم، أتعرفون هذا؟ قالوا : لا؛ فقال : هذا عُبَيدُ الله بنُ قيس الرقيّات الذى يقول : ١٥٨/٤

كيف نومى على الفِراش ولمّــا[(٣)] * تَشْــمَلِ الشأمَ غارةٌ شَــعْواءُ

تُذهِل الشيخَ عن بَنِيه وتُبدِى * عن خِدامِ[(٤)] العقيلةُ العذراءُ

---

(١) الطيار : لقب جعفر بن أبى طالب والد عبد الله هذا، وكان قد قطعت يداه فى غزوة مؤتة فأثابه الله بذلك جناحين فى الجنة يطير بهما حيث شاء. (انظر سيرة آبن هشام ج ٢ ص ٧٩٥ طبع أوربا).

(٢) نفح بيده : ضرب بها ضربة خفيفة.

(٣) كذا فى ط، ى، م وكذلك صححها المرحوم الأستاذ الشنقيطى فى نسخته وهى الرواية المشهورة. وفى ب، س، حـ : «الى».

(٤) الخدام : جمع خدمة (بالتحريك) وهى الخلخال. وقد أورد صاحب اللسان هذين البيتين فى مادّة خدم ثم قال : «أراد وتبدى عن خدام العقيلة. وخدام ها هنا فى نية عن خدامها، وعدّى تبدى بعن لأن فيه معنى تكشف كقوله : * تصدّ وتبدى عن أسيل وتتقى * أى تكشف عن أسيل أو تسفر عن أسيل».

مدح عبد الملك بما لم يرضه فأمنه وقطع عطاءه فتعهد له به ابن جعفر طول حياته

فقالوا : يا أمير المؤمنين اسقِنا دَمَ هذا المنافق ! قال : الآن وقد أمّنتُه وصار في منزلي وعلى بساطي ! قد أخّرتُ الإذن له لتقتلوه فلم تفعلوا . فاستأذنه ابنُ قيس الرقيّات أن يُنشده مديحَه فأذن له ، فأنشده قصيدتَه التي يقول فيها :

عاد له من كَثِيرةَ الطربُ * فعينُه بالدمــوع تنسكِبُ (١)
كُوفيّــةٌ نازحٌ محلّتُهــا * لا أَمَمٌ دارُها ولا صَــقَبُ
والله ما إن صَبَتْ إليّ ولا * إن كان بيني وبينهــا سببُ (٢)
إلا الذي أورثتْ كثيرةُ في الـ * ـقلب وللحبّ سَــوْرَةٌ عجبُ

حتى قال فيها :

إنّ الأغرَّ الذي أبوه أبو الـ * ـعاصي عليه الوقارُ والحُجُبُ
يعتــدِل التاجُ فوق مَفْــرِقِهِ * على جَبينٍ كأنه الذهبُ

فقال له عبــد الملك : يا بن قيس تمدحني بالتــاج كأني من العجم وتقــول في مُصعَب :

إنمــا مُصعَبٌ شِهابٌ من الله * تجلّت عن وجهه الظلمــاءُ
ملكُه ملك عِزّةٍ ليس فيه * جبروتٌ منــه ولا كِبرياءُ

أمّا الأمان فقــد سبَق لك ، ولكن والله لا تأخذُ مع المســلمين عطاء أبدا ! . قال : وقال ابن قيس الرقيّات لعبــد الله بن جعفر : ما نفعني أماني ، تُرِكت حيًّا كميتٍ لا آخذُ مع النــاس عطاءً أبدا ، فقال له عبــد الله بن جعفر : كم بلغت من السنّ ؟ قال : ستين سنة ، قال : فعمِّر نفسَك ، قال : عشرين سنة من ذي قِبَلٍ (٣) ،

(١) سيشرح أبو الفرج بعض هذا الشعر فيما يأتي . (٢) في ديوانه المخطوط :

والله ما إن صبت إليّ ولا * يعلم بيني وبينهــا سبب

(٣) يقال : أفعل ذلك من ذي قبل (وزان سبب وعنب) : أي أفعله في المستقبل .

فذلك ثمانون سنة؛ قال : كم عطاؤك ؟ قال : ألفا درهم؛ فأمر له بأربعين ألف درهم، وقال : ذلك لك علىّ إلى أن تموت على تعميرك نفسك؛ فعند ذلك قال عبيد الله بن قيس الرقيّات يمدح عبد الله بن جعفر :

تَقَدّتْ بِىَ الشّهباءُ نحوَ آبنِ جعفرٍ * سواءٌ عليها ليلُها ونهارُها[1]
تزور آمرأً قد يعلمُ اللهُ أنه * تجودُ له كفٌّ قليلٌ غِرارُها
أتيناك نُثْنِى بالذى أنت أهلُه * عليك كما يُثْنِى على الروضِ جارُها
فوالله لولا أن تزورَ آبنَ جعفر * لكان قليلًا فى دِمَشْقَ قَرارُها
إذا مِتَّ لم يُوصَلْ صديقٌ ولم تُقَمْ * طريقٌ من المعروف أنت مَنارُها
ذكرتُكَ أن فاض الفراتُ بأرضنا * وفاض بأعلى الرَّقّتَيْنِ[2] بِحارُها
وعندىَ مما خوّل اللهُ هَجْمَةٌ[3] * عَطاؤكَ منها شَوْلُها وعِشارُها
مباركةٌ كانت عطاءَ مُبارَكٍ * تُمانِحُ[4] كُبراها وتَنْمِى صِغارُها

اعترض عليه عبدالملك فى شعر له فأجابه

أخبرنا الحرمىّ بن أبى العلاء قال حدّثنا الزبير قال حدّثنا مُصْعَب بن عبدالملك قال : ١٥٩/٤

(١) سيشرح أبو الفرج بعض هذا الشعر فيما يأتى . (٢) كذا فى ديوانه ص ١٦٤ طبع أوروبا ومعجم البلدان (ج ٢ ص ٧٩٩ ، ٨٠١) وكذلك صححه الأستاذ الشنقيطى بنسخته . والرقتان يراد بهما الرقة والرافقة ، كما يقال العراقان للبصرة والكوفة . والرقة : مدينة مشهورة على الفرات بينها و بين حرّان ثلاثة أيام . والرافقة : بلد متصل البناء بالرقة يقع على الفرات أيضا بينه و بين الرقة ثلثمائة ذراع . وفى الأصول : « الرقتين » بزيادة ميم ، وهو تحريف . (٣) الهجمة من الإبل : أولها أربعون الى ما زادت أو ما بين السبعين الى المائة . والشول : جمع شائلة وهى من الإبل ما أتى عليها من يوم نتاجها سبعة أشهر أو ثمانية فارتفع ضرعها وخف لبنها ، والعشار : جمع عشراء — بضم العين وفتح الشين كنفساء ونفاس ولا ثالث لهما فى اللغة — وهى التى مضى لحملها عشرة أشهر . (٤) ما نحت الناقة : درّت فى الشتاء بعد ما ذهبت ألبان الإبل .

قال عبد الملك بن مروان لعُبيد الله بن قيس الرقيّات : وَيْحَك يا آبنَ قيس ! أما آتقيتَ اللهَ حين تقول لآبن جعفر :

تزورُ آمرأً قد يعلم اللهُ أنه * تجودُ له كفٌّ قليلٌ غِرارُها

ألّا قلتَ : قد يعلم الناسُ ولم تقل : قد يعلم الله ! فقال آبن قيس : قد والله علمه اللهُ [وعلمته أنت](1) وعلمتُه أنا وعلمه الناسُ .

رواية أخرى في شفاعة ابن جعفر له عند عبد الملك

أخبرنا الحسين بن يحيى قال قال حمّاد بن إسحاق :

قرأتُ على أبى أن عُبيدَالله بن قيس الرقيّات منعه عبدُ الملك بن مروانَ عطاءَه من بيت المال وطلبه ليقتلَه ، فآستجار بعبد الله بن جعفر ، وقصده فألفاه نائما ، وكان صديقا لسائب خاثر ، فطلب الإذنَ على آبن جعفر فتعذّر ، فجاء سائب خاثر ليستأذنَ له عليه ؛ قال سائبٌ : فجئت من قِبَلِ رِجْلِ عبد الله بن جعفر فنَبحتُ نُبَاحَ الجِرْوِ الصغير ، فآنتبه ولم يَفْتح عينيه ، وركَلني برِجْله ، فدُرتُ إلى عند رأسه ، فنَبحتُ نُبَاح الكلب الهَرِم ، فآنتبه وفتح عينيه فرآنى ؛ فقال : مالكَ ؟ ويحكَ ! فقلت : آبنُ قيس الرقيّات بالباب ؛ قال : آئذن له ، فأذنتُ له ، فدخل إليه فرحّب ابنُ جعفر به وقرّبه ؛ فعرّفه آبن قيس خبرَه ، فدعا بظَبْيَةٍ(2) فيها دنانيرُ ، وقال : عُدَّ له منها ؛ فجعلتُ أعُدُّ وأترنّم(3) وأُحَسِّنُ صوتى بجُهدى حتى عددتُ ثلثمائةِ دينار ، فسكتُّ ؛ فقال لى عبد الله : مالكَ ويلكَ سكتّ ! ما هذا وقتُ قطع الصوت الحسنِ ، فجعلتُ أعُدُّ حتى نَفِدَ ما كان فى الظّبية ، وفيها ثمانُمائةِ دينار ، فدفعتُها اليه ؛ فلما قبضها قال لآبن جعفر : اسأل أميرَ المؤمنين فى أمرى ؛ قال : نعم ، فإذا

---

(1) هذه الجملة ساقطة من ط ، ء ، م . (2) الظبية : الجراب ، وقيل : الجراب الصغير خاصة . (3) فى ط ، ء ، م : « وأطرّب » .

دخلتَ اليه معي ودعا بالطعام، فكُلْ أكلًا فاحشا . فركب آبنُ جعفر، فدخل معه إلى عبد الملك؛ فلما قُدِّم الطعامُ جعل يُسيء الأكلَ؛ فقال عبدُ الملك لآبن جعفر: مَنْ هذا ؟ فقال : هذا إنسان لا يجوز إلا أن يكون صادقًا إن آستُبقى ، وإن قُتل كان أكذبَ الناس؛ قال : وكيف ذلك! قال : لأنه يقول :

ما نقموا من بنى أُميّةَ إلّا أنهم يَحلُمُون إن غَضِبُوا

فإن قتلته لغضبك عليه أكذبتَه فيما مدحكم به ؛ قال : فهو آمنٌ ، ولكن لا أعطيه عطاءً من بيت المال؛ قال : ولِمَ وقد وهبتَه لى ؟ فأُحبّ أن تَهَب لى عطاءه أيضا كما وهبتَ لى دَمه وعفوتَ لى عن ذنبه؛ قال : قد فعلتُ، قال : وتعطيه ما فاته من العطاء؛ قال : قد فعلتُ، وأمرتُ له بذلك .

أخبرنى الحرمىّ بن أبى العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثنى عمّى قال :

كان آبن قيس الرقيّات منقطعاً الى آبن جعفر، وكان يَصِلُه ويَقضى عنه دَينَه، ثم آستأمن له عبدَ الملك فأمّنه، وحرَمه عطاءه؛ فأمره عبدُ الله أن يُقدِّر لنفسه ما يكفيه أيامَ حياته ففعل ذلك، فأعطاه عبدُ الله ما سأل وعوّضه من عطائه أكثرَ منه؛ ثم جاءت عبدَ الله صلةٌ من عبد الملك وآبنُ قيس غائبٌ، فأمر عبدُ الله خازنَه نخبأ له صِلتَه، فلما قدِم دفعها إليه؛ وأعطاه جاريةً حسناءَ؛ فقال آبنُ قيس :

إذا زرتُ عبدَ الله نفسى فداؤه * رجعتُ بفضلٍ من نَداهُ ونائلِ
وإن غِبتُ عنه كان للوُدّ حافظًا * ولم يكُ عنّى فى المَغيب بغافلِ
تداركَني عبدُ الإله وقد بدَتْ * لذى الحِقد والشَّنْآن منّى مَقاتلى ١٦٠/٤
فأنقذنى من غَمرة الموت بعد ما * رأيتُ حِياضَ الموت جَمّ المَناهل
حَبانِيَ لمّا جئتُه بعطيّةٍ * وجاريةٍ حسناءَ ذاتِ خَلاخِل

نسبة ما فى هذه الأخبار من الأغانى

منهـا :

صـــوت

عادَ له من كَثِـيرةَ الطَّربُ * فعينُه بالدمــوع تنسكبُ
كُوفيّةٌ نازحٌ مَحَلّتُهـا * لا أَمَمٌ دارُها ولا صَقَبُ
والله ما إن صَبَتْ إلىّ ولا * يُعرَفُ بينى و بينها سَبَبُ
إلا الذى أورثتْ كثيرةُ فى الـ * ـقلب وللحبّ سَوْرةٌ عَجَبُ

عروضه من المنسرح، غنّاه معبدٌ ثقيلا أوّلَ بإطلاق الوتر فى مجرى الوسطى.

قوله : «لا أَمَمٌ دارُها» يعنى أنها ليست بقريبة . ويقال : ما كلَّفْتَنِى أَمَمًا من الأمر فأفعـلَه : أى قريبا من الإمكان ؛ ويقـال : إن فلانا لَأَمَمٌ من أن يكون فعل كذا وكذا . قال الشاعر :

أطَرقَتْـه أسمـاءُ أم حَلَمَـا * بل لم تكن من رِحَالنا أَمَمـا(١)

أى قريبةً . وقال الراجز :

كلَّفها عمرٌو نِقَال الضِّبْعانْ(٢) * ما كُلِّفَتْ من أَمَمٍ ولا دَانْ

---

(١) هذا البيت من المنسرح، وقد دخل على التفعيلة الأولى منه الخبـل، وهو حذف الثانى والرابع الساكنين، وروايته فى ط، ى :

أطرقتـه أسماء أم حلما * بل لم تكن من رحلنا أمما

وعلى هذه الرواية يكون من الكامل . ولم نعثر عليه فى مصـدر آخر حتى نستطيع ترجيح إحدى الروايتين .

(٢) كذا فى ط، ى . وفى ب، س : «ثقال الضبعان» وفى حـ، م : «ثقال الصنعان» .
ونحن لم نوفق الى صاحب هـذا الرجز ولا ماقيل فيه حتى تتبين وجه الصواب فيه أو المراد منه . على أنه لا يبعد أن يكون هذا البيت فى ناقة أو فرس، وتكليفها نقال الضبعان مسايرتها له ومناقلتها إياه . والضبعان (بالكسر) : ذكر الضبع .

وقال آخر :

إنك إن سألت شيئا أمّما * جاء به الكَرِىّ[1] أو تجشّما

والصَّقَبُ : الملاصقة . تقول : والله ما صاقبتُ فلانا ولا صاقبنى ، ودارُ فلانٍ مصاقِبةٌ لدار فلان؛ وفى الحديث : "الجارُ أحقُّ بصَقَبِه" أى بما لاصقه، أى إنه أحقُّ بشفعته . والسَّورَةُ : شِدّة الأمر، ومنه يقال : ساور فلان فلانا، وتَساوَرَ الرجلان اذا تَغالبا وتَشادّا؛ وقيل إن السُّؤرَةَ : البقيّةُ أيضا .

ومنها :

صوت

ما نَقَمُوا من بنى أُميّة إلّا أنهم يَحلُمُون إن غَضِبوا

وأنّهمُ سادةُ الملوك فما * تَصلُح إلّا عليهمُ العَرَبُ

غنّت فى هذين البيتين حَبَابةُ، وهما من القصيدة[2] التى أوّلها :

* عاد له من كَثِيرةَ الطَّرَبُ *

قال الأصمعىّ : كَثِيرةُ هذه امرأة نزل بها بالكوفة فآوتْه . قال ابنُ قيس : فأقمتُ عندها سنةً تَرُوحُ وتَغدُو علىّ بما أحتاج اليه، ولا تسألُنى عن حالى ولا نسبى؛ فبينا أنا بعد سنةٍ مُشْرِفٌ من جَنَاحٍ[3] الى الطريق ، إذا أنا بمُنادِى عبدِ الملك يُنادِى ببراءة الذمّة ممن أُصبتُ عنده ؛ فأعلمتُ المرأةَ أنى راحلٌ؛ فقالت : لا يَرُوعَنّك ما سَمِعتَ، فإن هذا نداءٌ شائعٌ منذُ نزلتَ بنا، فإن أردتَ المُقَام ففى الرُّحْب والسَّعَة، وإن أردتَ الانصرافَ أعلمتَنى؛ فقلتُ لها : لا بدّ لى من الانصراف؛ فلما كان الليلُ، قدّمتْ الىّ راحلةً عليها جميعُ ما احتاجُ إليه فى سفرى؛ فقلتُ لها : مَن

(١) الكرىّ : الذى يكرى الدواب . (٢) كذا فى م . وفى سائر الأصول : «وهى» بالإفراد .
(٣) الجناح : الروشن (الروشن : الكوة) يقال : أشرع فلان جناحا الى الطريق أى روشنا .

أنتِ — جُعِلْتُ فِدَاءَكِ — لأُكافِئَكِ؟ قالت : ما فعلتُ هذا لتُكافِئَنى ؛ فٱنصرفتُ ولا والله ما عرفتُها إلا أنى سمعتُها تُدعى بٱسْمِها "كَثِيرة"، فذكرتُها فى شعرى .

فتك عبدالله بن على ببنى أمية لشعر له

١٦١/٤ وذكر الزبيرُ بن بكّار عن عمّه مصعب أن عبد الله بن علىّ بن عبد الله بن عبّاس صاحِبَ بنى أمية بنهر أبى فُطْرُس، إنما بعثه على قتلهم أنه أنشده بعضُ الشعراء ذاتَ يوم مديحًا مدَح به بنى هاشم ؛ فقال لبعضهم : أين هذا مما كنتم تُمَدَّحُون به ! فقال : هيهات أن يُمدَحَ أحدٌ بمثل قول ٱبن قيس فينا :

ما نقَمُوا من بنى أميّـة إلّا * أنهم يَحلُمُون إن غَضِبُوا

البيتين ؛ فقال له عبدُ الله بن علىّ : ألَا أرى المطمعَ فى المُلْك فى نفسك بعدُ ياماصَّ كذا من أُمّه ! ثم أوْقع بهم .

سمع الرشيد قينة تغنى بشعره فى مدح بنى أمية فغضب فحرّفته

أخبرنا محمد بن العبّاس اليَزيدىّ قال حدّثنا أحمد بن زُهَير قال حدّثنا الزبير ابن بكّار قال حدّثنى عمّى عن جدّى عبد الله بن مُصعب[1] قال :

اعترض هارونُ الرشيد قَيْنةً فغنّتْ :

ما نقَموا من بنى أميّـة إلّا * أنهم يحلُمون إن غضبوا

فلما ٱبتدأتْ به تغيّر وجهُ الرشيد، وعلِمتْ أنها قد غَلِطتْ وأنها إن مرّت فيه قُتِلتْ، فغنّت :

ما نَقَمُوا من بنى أميّـة إلّا * أنهم يجهَلُون إن غَضِبوا
وأنهم مَعدِنُ النِّفاق فما * تَفسُدُ إلا عليهم العربُ

(١) فى ط، ى، م : « حدّثنى عمى مصعب » بحذف جدّه من السند . والزبير بن بكار عمه مصعب بن عبد الله بن مصعب وجدّه عبد الله بن مصعب .

فقال الرشيد ليحيى بن خالد : أسمعتَ يا أبا علىّ؟ فقال : يا أمير المؤمنين تُبتَاعُ وتُسْنَى[1] لها الجائزةُ ويُعجَّلُ لها الإذنُ لِيَسكُن قلبُها ؛ قال : ذلك جزاؤها ، قُومِى فأنتِ منّى بحيث تُحِبّين . قال : فأُغْمِىَ على الجارية . فقال يحيى بن خالد :

جُزِيتَ أميرَ المؤمنين بأَمْنها * من الله جناتٍ تفوز بِعَدْنها

ومنها :

صـــوت

تَقَدّتْ بِىَ الشّهْباءُ نحوَ ٱبن جعفرٍ * سـواءٌ عليها ليلُها ونهارُها
تَزُورُ ٱمرأً قد يَعلمُ اللهُ أنه * تجودُ له كفٌّ بطىءٌ غِرارُها
ووالله لولا أن تزورَ ٱبنَ جعفرٍ * لكان قليلًا فى دِمَشقَ قرارُها

عَروضُه من الطويل . غنّاه مَعْبدٌ ثانىَ ثقيلٍ بالبنصر . قوله : "تَقدّتْ" أى سارت سيرا ليس بعَجِلٍ ولا مُبطِئ ؛ فيقال : تَقدّى فلانٌ إذا سار سيرَ مَنْ لا يخاف فوتَ مَقْصِده فلم يَعْجَل . وقوله : «بطىء غِرَارُها» يعنى أن منعَها المعروفَ بطىءٌ . وأصل الغِرَار : أن تمنعَ الناقةُ دِرّتَها ، ثم يُستعار فى كل ما أشبه ذلك ؛ ومنه قول الراجز :

إنّ لكلّ نَهَلاتٍ شِرّهْ * ثم غِرَارًا كغِرار الدِّرّهْ

وقال جَميلٌ فى مثل ذلك :

لاحتْ لعينك من بُثينةَ نارُ * فدموعُ عينكَ دِرّةٌ وغِرارُ

(١) تسنى : تجزل حتى تكون سنية . وفى ب ، سـ : «تثنى» بالثاء المثلثة ، وهو تحريف .

شيء مما عيب عليه في شعره

قال الزُّبيرُ : وهذا البيتُ مما عِيبَ على ابن قيس ، لأنه نَقَضَ صدرَه بعجُزِه، فقال في أوّله : [إنه][1] سار سيرا بغير تَعَجّل ، ثم قال :

* سَواءٌ عليها ليلُها ونهارُها *

وهذا غايةُ الدَّأَبِ[2] في السَّير، فناقض معناه في بيت واحد . ومما عِيبَ على ابن قيس الرُّقَيّات قولُه — وفي هذين البيتين غناء — :

صـــــوت

تُرضِعُ شِبْلَيْنِ وَسْطَ غِيلِهما[3] * قـــد ناهزا للفِطَام أو فُطِما

ما مرَّ يومٌ إلّا وعنـــدهما * لَحمُ رجال أو يُولَغانِ[4] دَمَا

١٦٢
٤

— غنّاه الغريضُ خفيفَ ثقيلٍ أوّلَ بالوسطى على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانةَ — وهي قصيدة مدح بها عبدَ العزيز بن مروانَ، وفيها يقول :

أَعْنِي ابنَ ليلَى عبدَ العـــزيز بِبا * بِلْيُونَ[5] تَغـــدُو جِفَانُه رُذُما[6]

(١) الزيادة عن ط ، ء . (٢) كذا في ط ، ء ، م . وفي سائر الأصول : «وهذه» . (٣) الغيل (بالكسر) : موضع الأسد . وفي اللسان (مادة نهز) : «في مغارهما» .

(٤) ولغ السبع والكلب وكل ذي خطم يلغ وولغ يولغ مثل وجل يوجل : شرب ماء أو دما .

(٥) كذا في ديوانه (ص ٢٥٥ طبع فينا) واللسان (مادة رذم) . وبابليون : حصن بناه الفرس أيام تملكهم لمصر، وكان يسميه العرب قصر الشمع وكان على الضفة الشرقية من النيل قرب الكنيسة المعلقة في مصر القديمة فتحه عمرو بن العاص وبفتحه تم الصلح مع المقوقس . (راجع الحاشية رقم ٢ ص ٤ ورقم ١ ص ١٨ من الجزء الأوّل من النجوم الزاهرة طبع دار الكتب المصرية) وعبد العزيز بن مروان هـذا كان واليا على مصر من قبل أبيـه مروان وأقره عليها أخوه عبد الملك بعـد مبايعته بالخلافة (راجع ولاة مصر وقضاتها للكندي ص ٤٦ ، ٤٨ ، ٤٩ طبع بيروت والمقريزي ج ١ ص ٣٠٢ والنجوم الزاهرة ج ١ ص ١٧٢ طبع دار الكتب المصرية) . (٦) الرذم (بضمتين أو فتحتين وبكلتيهما روى البيت) : جمع رذوم، قال الجوهري «وجفان رذم ورذم مثل عمود وعمد وعمد ولا تقل رذم (بالكسر) » . والرذوم من الجفان : التي كأنها تسيل دسما لامتلائها . وذهب ابن سيده الى أن روايته بالتحريك، كما رواه الأصمعي، إنما هي تسمية بالمصدر . (ملخص عن اللسان مادة رذم) .

الواهبَ النُّجْبَ(١) والولائدَ كالـ * ـغِزلانِ والخيلَ تَعْلُك اللُّجُمَا

وكان قال فى قصيدته هذه : « أو يالغان دما » بالألف، وكذلك رُوِى عنه، ثم غيّرته الرواة .

قال يونس عنه : إنه ليس بفصيح ولا ثقة

أخبرنى أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز قال : سمعتُ ٱبن الأعرابىّ يقول : سئل يونس عن قول ٱبن قيس الرقيّات :

ما مرّ يوم إلا وعنـدهما * لحم رجال أو يَوْلَغان دمَا

فقال يونس : يجوز يولغانِ ولا يجوز يالغان ؛ فقيـل له : فقد قال ذلك ٱبن قيس الرقيّات وهو حِجازىّ فصيح؛ فقال : ليس بفصـيح ولا ثقة، شَغَل نفسَـه بالشرب بتَكْرِيتَ(٢) .

انتقد ابن أبى عتيق شعرا له

أخبرنى الحسين بن يحيى قال قال حمّاد : قرأت على أبى : أوَ بلغك أن ٱبن أبى عتيق أُنشد قولَ ٱبن قيس :

* سواءٌ عليها ليلُها ونهارُها *

فقال : كانت هذه يٱبنَ أمّ فيا أرى عَمْيَاءَ .

أخبرنى الحرمىّ بن أبى العَلاء قال حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثنى عمى مصعب عن جدّى [عن](٣) هشام بن سليمان المخزومىّ قال :

---

(١) كذا فى أكثر الأصول، والنجب (بضمتين وقد يسكن كما هنا) : جمع نجيب وهو الكريم الحسيب من الإنسان والحيوان . والولائد : جمع وليدة وهى الصبية والأمة . وتملك اللجم : تلوكها وتحركها فى فيها . وفى ط ، ى : «البخت» بالباء والخاء وهى الإبل الخراسانية، معرب وقيل عربى .

(٢) تكريت : بلدة مشهورة بين بغداد والموصل، وهى الى بغداد أقرب، بينها وبين بغداد ثلاثون فرسخا .

(٣) التكملة عن ط ، ى ، م .

قال ابن أبي عتيق لعُبَيد الله بن قيس وقد مرّ به فسلّم عليه فقال: وعليك السلام يا فارسَ العمياء، فقال له: ما هذا الاسم الحادث يا أبا محمد! بأبي أنت! قال: أنت سمّيتَ نفسَك حيث تقول:

* سواءٌ عليها ليلُها ونهارُها *

فما يستوي الليلُ والنهارُ إلا على عَمْياء(١)، قال: إنما عنيتُ التعبَ، قال: فبيتك هذا يحتاج إلى تَرْجُمان يترجم عنه.

ومنها:

صوت

ذكرتُكَ أنْ فاض الفراتُ بأرضنا * وفاضت بأعلى الرَّقَّتينِ(٢) بحارُها
وحَوْلِيَ مما خوّل اللهُ هَجْمَةٌ * عطاؤكَ منها شَوْلُها وعِشارُها
فجئناك نُثْني بالذي أنتَ أهلُهُ * عليك كما أَثْنَى على الروض جارُها
إذا متَّ لم يُوصَل صديقٌ ولم تُقَمْ * طَرِيقٌ من المعروف أنت منارُها

ــ الشولُ: النُّوق التي شالت بأذنابها وكرِهت الفحل، وذلك حين تلقح، واحدتها شائل ــ غنّاه حَكَم الوادي ثقيلًا أوّل بالوسطى.

حكم الوادي ودنانير

أخبرني إسماعيل بن يونس الشِّيعيّ قال حدّثنا عمرُ بن شبَّة قال حدّثنا إسحاق بن إبراهيم قال قال لي أبي:

قال حكم الوادي: دخلت يوما على يحيى بن خالد فقال لي: يا أبا يحيى، ما رأيُك في خمسمائة دينار قد حضرتْ؟ قلت: ومَنْ لي بها؟ قال: تلقِي لحنك في:

* ذكرتكَ أن فاض الفراتُ بأرضنا *

(١) في ط، ء، م: «إلا على أعمى».
(٢) انظر الحاشية رقم ٣ ص ٨٠ من هذا الجزء.

على دنانيرَ فها هى ذِه، وهذا سَلامٌ واقف معك ومُخرِجها إليك، وأنا راكب إلى أمير المؤمنين، ولست أنصرف من مجلس المظالم إلى وقت الظهر، فكُدَّها فيه، فإذا أحكمتْه فلك خمسُمائة، فقالت دنانير: يا سيِّدى، أبو يحيى يأخذ خمسَمائة دينار وينصرف وأنا أبقى معك أُقاسِيكَ عُمرى كلَّه! فقال لهـا: إن حفِظتِيه فلكِ ألف دينار، ١٦٣/٤ وقام فمضى؛ فقلْت لها: يا سيِّدتى ٱشغَلِى نفسكِ بذا، فإنك أنتِ تهبين لى الخمسَمائة الدينار بحفظكِ إيّاه وتفوزين بالألف الدينار، وإلا بطَل هـذا، فلم أزَلْ معهـا أُكُدُّها ونفسى وتُغنّينِي حتى ٱنصرف يحيى، فدعا بماء وطَسْتٍ، ثم قال: يا أبا يحيى، غَنِّ الصوتَ كما كنتَ تُغنّيه ـ فقلتُ: هلكتُ! يسمعُه منّى، وليس هو بمن يَخفَى عليه، ثم يَسمعُه منها فلا يرضاه ـ فلم أجدْ بُدًّا من الغناء، ثم قال: غَنّيه أنتِ الآن؛ فغنّتْ، فقال: والله ما أَرى إلا خيرًا؛ فقلتُ: جُعِلتُ فداءَك! أنا أَمضُغ هـذا منذ أكثرَ من خمسين سنةً كما أَمضُغ الخبز، وهذه أخذتْه الساعةَ وهو يَذِلُّ لها بعـدى وتَجترئ عليه ويزدادُ[1] حسـنا فى صوتها؛ فقال: صدقتَ، هاتِ يا سَـلامُ خمسَمائة دينـار ولهـا ألفَ دينار، ففعل؛ فقالت له: وحياتِكَ يا سيِّدى لأُشاطِرَنّ أستاذى الألفَ الدينار؛ قال: ذلك إليكِ، ففعلَتْ؛ فٱنصرفتُ وقد أخذتُ بهذا الصوتِ ألفَ دينـار.

رجع الحديث إلى عُبيد الله بن قيس الرقيات

شعر ابن قيس الرقيات فى كثيرة التى نزل بها بالكوفة

قال الزبير بن بكار حدّثنى عبد الله بن النَّضِير عن أبيه:

أن ٱبن قيس الرقيّات قال فى الكوفيّة التى نزل عليها:

بانت لِتَحزُنَنَا كَثيرهْ[2] * ولقد تكون لنا أميرهْ

(١) كذا فى ط، ء، م. وفى باقى الأصول: «وتزداد» بالتاء. (٢) هذان البيتان من قصيدة عدد أبياتها خمسة وعشرون بيتا، وهى مذكورة فى ديوانه المخطوط بقلم المرحوم الشيخ الشنقيطى المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ٨٨ أدب ش وديوانه المطبوع بفينا (ص ١١٥).

حَلَّتْ فَلَالِيجَ السَّوَا[1] * دِ وحَلَّ أهلى بالجزيرهْ

قال : ولقد رحَل من عندها وما يتعارفان .

قال : وقال فيها أيضا — وفيه لحنٌ من خفيف الثقيل لأبن المكىّ — :

صـــوت

لَجَجْتَ بحبّكَ أهلَ العِراق * ولولا كَثيرةُ لم تَلْجَجِ

فليتَ كثــيرةَ لم تَلْقَنى * كثيرةَ أُختَ بنى الخَزْرجِ

سعيد بن المسيب وابن قيس الرقيات

أخبرنا الحرمىّ قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثنى عبدالله بن عاصم القَحْطَانىّ قال حدّثنى أبى عن عبد الرحيم بن حَرْمَلةَ قال :

كنتُ عند سعيد بن المسيّب، فجاء ٱبنُ قيس الرقيّات، فهَشّ وقال : مَرْحبًا بظُفُر من أظفار العَشِيرة ، ما أحدَثْتَ بعـدى ؟ قال : قد قلتُ أبياتا وأستفتيك فى بيت منها فٱسمعها ، قال : هات ، فأنشده :

هل للديار بأهلهـا عِلْمُ * أم هل تُبِينُ فينطقَ الرسمُ

قالت رُقيّــةُ فيمَ تَصرِمُنا * أَرُقَىَّ ليس لوجهكِ الصَّرمُ

تَخطُو بخَلْخَالينْ حَشْوُهما * ساقَانِ مارَ[2] عليهما اللحمُ

ياصاحِ هل أبكاكَ موقفُنا * أم هل علينا فى البُكا إثمُ

فقال سعيد : لا والله ما أبكانى ، قال ٱبنُ قيس الرقيّات :

بل ما بكاؤكَ منزلًا خَلَقًا * قَفْــرًا يَلُوح كأنه الوَشْمُ[3]

---

(١) فلاليج السواد : قراه ، واحدها فلوجة . والمراد بالسـواد العراق ، سمى بذلك لسواده بالزروع والنخيل والأشجار . (٢) مار : تردّد وتحرّك وٱضطرب . (٣) كذا فى ط ، ى ، م ، وهو الموافق لما فى ديوانه المخطوط والمطبوع (ص ١٣٠) . وفى باقى الأصـول : « الرسم » بالراء والسين وهو تحريف ، والعرب كثيرا ما تشبه هذا التشبيه قال طرفة :

لخـــولة أطلال ببرقة ثهمد * تلوح كباقى الوشم فى ظاهر اليد

فقال سعيد : اِعتذر الرجل ، ثم أنشد :

أتلبَثُ فى تَكْرِيتَ لا فى عَشِـيرةٍ * شهودٍ ولا السلطانُ منكَ قريبُ
وأنتَ آمرؤٌ للحزم عنــدك منزلٌ * وللدِّين والإسلام منك نصيب

١٦٤/٤ فقال سـعيدٌ : لا مُقامَ على ذلك ، فَٱخْرُجْ منهـا ؛ قال : قد فعلتُ ؛ قال : قد أصبتَ أصاب الله بكَ .

نسبة ما فى هذا الخبر من الغناء

صـــــوت

قامَتْ بِخَلْخَالينِ حَشْوُهما * ساقان مارَ عليهمـا اللحمُ
يا صاحِ هل أبكاك موقفُنا * أم هل علينا فى البكا إثمُ

غنّى فيهما ٱبنُ سُرَيج رملًا بالبنصر .

ابن قيس الرقيات وعمر بن أبى ربيعة

أخبرنى الحرمىّ بن أبى العلاء قال حدّثنـا الزُّبير بن بكّار قال حدّثنا محمـد ابن عبد الله البكْرىّ وهارونُ بن أبى بكر عن عبد الجبّار بن سعيد المُساحِقىّ عن أبيه عن سعيد بن مُسْلِم بن وَهْب مولى بنى عامر بن لؤىّ عن أبيه قال :

دخلتُ مسجدَ رسول الله صلى الله عليه وسلم مع نَوْفَل بن مُسَاحِقٍ وإنه لَمُعتَمِدٌ[(1)] [على يدى] إذ مررنا بسعيد بن المسيّب فى مجلسه فسلّمنا عليـه فردّ سلامَنـا ؛ ثم قال لنوفل[(2)]: يا أبا سعيد مَنْ أشعرُ، أَصَاحِبُنا أم صاحِبُكم؟ يعنى: عبيدُ الله بن قيس

(1) الزيادة والتصحيح عن الأغانى (ج ١ ص ١١٣ طبع دار الكتب المصرية) . وفى م : « وإنه لمعتمد علىّ » وفى ط ، ء : « وإنه لمعتمد إذ مررنا بسعيد الخ » . وفى باقى الأصول : « لمعتمر بالراء » وهو تحريف . وقد سبق ذكر هذا الخبر هناك مع بعض مغايرة فى الأبيات الآتية بعد ، فانظره والحواشى التى كتبت على الشعر هناك. (٢) فى ب ، س : « ثم قال نوفل » وهو تحريف .

الرقيّات أو عمرُ بن أبى ربيعة؛ فقال نوفل: حين يقولان ماذا؟ فقال: حين يقول صاحبنا:

خليــلىَّ ما بالُ المَطِىّ كأنّما * نَراها على الأدبار بالقوم تَنْكُصُ
وقد أبْعَدَ الحادى سُرَاهنّ وٱنتَحَى * بهنّ فما يَألُو عَجُولٌ مُقَلِّصُ
[وقد قُطِّعتْ أعناقُهنّ صَبابةً * فأنفُسنا ممّا تُكَلَّفُ تُشْخَصُ] (١)
يَزِدْنَ بنا قُرْباً فيزدادُ شَوقُنا * إذا زاد طولُ العهدِ والبعدُ يَنقُصُ

ويقول صاحبُكم ما شئتَ؛ قال: فقال له نوفلٌ: صاحبكم أشهر بالقول فى الغزل أمتع اللهُ بك، وصاحبُنا أكثرُ أفانينَ شعرٍ؛ قال: صدقتَ؛ فلما ٱنقضى ما بينهما من ذكر الشعر، جعل سعيدٌ يستغفرُ اللهَ ويَعْقِد بيده ويَعُدُّه بالخمس كلِّها حتى وفّى مائةً.

قال البكرىّ فى حديثه عن عبد الجبّار: فقال مُسْلِمُ بن وَهْب: فلما فارقناه قلتُ لنوفل: أتُراه ٱستغفرَ اللهَ من إنشادِه الشعرَ فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلّم؟ قال: كلّا! هو كثيرُ الإنشاد والٱستنشاد للشعر، ولكنّى أحسَبُه للفخر بصاحبه.

وفد على حمزة بن الزبير فوصله

أخبرنى الحرمىّ بن أبى العلاء قال حدّثنا الزبير قال حدّثنا محمد بن الضحاك عن أبيه قال:

استأذن عُبيدُ الله بن قيس الرقيات على حمزةَ بن عبد الله بن الزبير؛ فقالت له الجاريةُ: ليس عليه إذنٌ الآنَ؛ فقال: أَمَا إنه لو علم بمكانى ما ٱحتجب عنّى! قال: فدخلتِ الجاريةُ على حمزةَ فأخبرتْه، فقال: ينبغى أن يكونَ هذا ٱبنَ قيس الرقيّات، ائذَنِى له، فأذِنتْ له؛ فقال: مَرْحبًا بك يا ٱبنَ قيس، هل من حاجة

(١) الزيادة عن ط، ء، م والأغانى فى الموضع الذى أشير اليه فى الصفحة السابقة.

نزعتْ بك؟ قال : نعم، زوّجتُ بنينَ لى ثلاثةً ببناتِ أخ لى ثلاثٍ، وزوّجتُ ثلاثة من بنى أخ لى بثلاثِ بناتٍ لى؛ قال : فلبنيكَ الثلاثةِ أربعمائةِ دينارٍ أربعمائةِ دينارٍ، ولبنى أخيك الثلاثةِ أربعمائةِ دينارٍ أربعمائةِ دينارٍ، ولبناتك الثلاثِ ثلثمائةِ دينارٍ ثلثمائةِ دينارٍ، ولبنات أخيك الثلاثِ ثلثمائةِ دينارٍ ثلثمائةِ دينارٍ، هل بقيتْ لك من حاجة يابنَ قيس؟ قال : لا والله إلا مؤونةَ السفر؛ فأمر له بما يُصلِحُه لسفره حتى رِقاعِ أخْفافِ(١) الإبل .

١٦٥/٤

ذكر ما قاله ابن قيس الرقيات وغُنِّى فيه

صــــوت

أمسَتْ رُقيّة دونها البِشْرُ(٢) * فالرَّقّة السَّوْداء(٣) فالغَمْـــرُ

غناه يونس ثقيلًا أوّلَ بالوسطى، وفيه لعَزّةَ الْمَيلاءِ ثانى ثقيلٍ .

ومنهــا :

صــــوت

رُقَىّ بعَيْشكم لا تَهجُرينَـا * ومَنّينَا المُــنَى ثم آمطُلينَا

عِدِينـا فى غَدٍ ما شِئتِ إنّا * نُحِبُّ وإن مَطَلْتِ الواعِدينا

(١) فى الأصول «خفاف» بدون ألف ، وقد صحح المرحوم الشيخ الشنقيطى هــذه الكلمة بإثبات الألف فى نسخته ، وهو الموافق لما فى كتب اللغــة. من أن الخف للبعير يجمع على أخفاف والخف الذى يلبس يجمع على خفاف . (٢) البشر : اسم جبل يمتد من عرض الى الفرات من أرض الشام من جهــة البادية، وهو من منازل بنى تغلب بن وائل . (عن معجم البلدان لياقوت) . والغمر : علم على مواضع كثيرة . (٣) كذا فى ط، ء، م وديوانه (ص ٢٧٥ طبع أوربا) وهو الموافق لما فى معجم ياقوت عند الكلام على البشر. والرقة السوداء : قرية كبيرة ذات بساتين كثيرة . وفى باقى الأصول : «الرقة البيضاء» ، وهى مدينة مشهورة على الفرات بينها وبين حرّان ثلاثة أيام ؛ معدودة فى بلاد الجزيرة . (انظر ياقوت فى اسم الرقة) .

أَغَرَّكِ أنني لا صبرَ عندى * على هَجْرٍ وأنّكِ تَصْبِرينا
ويومَ تَبِعتُكم وتركتُ أهلى * حَنِينَ العَوْدِ[(1)] يَتَّبِعُ القَرِينا

عَرُوضُه من الوافر . غنّاه ابنُ مُحْرِز ثانىَ ثقيلٍ بالسبّابة فى مجرى الوسطى .

ومنها :

صوت

رُقيّةُ تيّمتْ قلبى * فوا كَبِدى من الحبِّ
نهانى إخوتى عنها * وما بالقلب من عَتْبِ

غنّاه مالكٌ ثانىَ ثقيلٍ أوّلَ بالبنصر على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانة. وقد ذكرتْ بَذْلُ أنّ فيه لابن المكىّ لحنا .

فضل ابن أبى عتيق شعره على شعر كثير

أخبرنى الحرمىّ بن أبى العلاء قال حدّثنا الزبير قال حدّثنى سعيد بن عمرو ابن الزُّبير[(2)] قال حدّثنى إبراهيم بن عبدالله قال :

أنشد كُثَيِّرٌ ابنَ أبى عَتيق كلمتَه التى يقول فيها :

ولستُ بِراضٍ من خليلٍ بنائلٍ * قليلٍ ولا أرضَى له بقليلِ

فقال له : هذا كلامُ مكافِئٍ ليس بعاشقٍ، القُرَشيان أقنعُ وأصدقُ منك : ابنُ أبى ربيعة حيث يقول :

ليتَ حَظِّى كلَحْظَةِ العينِ منها * وكثيرٌ منها القليلُ المُهَنّا

وقولُه أيضا :

فعِدِى نائلًا وإن لم تُنيلى * إنه يُقْنِعُ المحبَّ الرجاءُ

(1) العود (بالفتح) : الجمل المسن وفيه بقية . وقال الجوهرى : هو الذى جاوز فى السن البازل والمخلف، جمعه : عودة كديكة .
(2) فى ط، ء، م : «إبراهيم بن أبى عبد الله» .

وآبنُ قيس الرقيّات حيث يقول :

رُقَىَّ بعيشكم لا تهجُرِينا * ومَنّينا المُنَى ثم آمطُلِينا
عِدِينا فى غدٍ ما شئتِ إنّا * نُحِبُّ وإن مَطلتِ الواعِدينا
فإمّا تُنجِزى عِدَتِى وإمّا * نَعِيشُ بما نُؤمّل منك حِينا

قال : فذكرتُ ذلك لأبى السائب المخزومىّ ومعه آبنُ المولَى، فقال : صدق ابن أبى عتيق وفّقه الله، ألا قال المديون كثيّر كما قال هذا حيث يقول :

وأبكى فلا ليلَى بكَتْ من صبابةٍ * لِباكٍ ولا ليلَى لذى الودّ تَبذُلُ
وأخنعُ بالعُتْبَى إذا كنتُ مذنبًا * وإن أذنبَتْ كنتُ الذى أتنصّلُ

صادف رقية بنت عبد الواحد فى الطواف فشبب بها

أخبرنى الحرمىّ قال حدّثنا الزُّبَير قال سمعت عُبيدةَ بنَ أشْعب بن جُبَير قال، حدّثنى أبى قال حدّثنى فِنْدٌ مولى عائشةَ بنت سعد بن أبى وقّاص قال :

حجّتْ رُقيّةُ بنتُ عبد الواحد بن أبى سعد العامريّةُ، فكنتُ آتيها وأُحدّثُها فتَسْتَظرِف[1] حديثى وتَضحكُ منّى ؛ فطافتْ ليلةً بالبيت ثم أهوتْ لِتستلمَ الركنَ الأسودَ وقبّلته، وقد طفتُ مع عُبَيدالله بن قيس الرقيّات، فصادف فراغُنا فراغَها ولم أشعُر بها ، فأهوى آبنُ قيس يستلمُ الركنَ الأسودَ ويُقبّله ، فصادفها قد سبقتْ إليه، فنفحتْه[2] بُرْدُنها فآرتدَعَ ؛ وقال لى : مَن هذه؟ فقلتُ : أوَ لا تعرفُها! هذه رقيّةُ بنتُ عبد الواحد بن أبى سعد؛ فعند ذلك قال :

١٦٦
٤

مَنْ عَذِيرى ممن يَضَنُّ بمبذو * لٍ لغيرى علىّ عند الطّوافِ

---

(١) فى ط ، ء ، م : «فتستطرف» بالطاء المهملة . (٢) نفحته : أصابته . والردن : الكمّ ، وقيل : مقدمه ، وقيل : أصله . والردع : أثر الطيب ، وارتدع : تطيب بالطيب .

يريد أنها تُقَبِّل الحجرَ الأسودَ وتَفَضّ عنه بقبلتها . وقال فى ذلك :

حدِّثونى هل على رجلٍ * عاشــقٍ فى قُبْلةٍ حَرَجُ

وفيــه غِناءٌ يُنسب بعد هــذا الخبر . قال : ولمـا نَفَحتْه بِرُدْنهـا فاحت منه رائحةُ المسك حتى عَجِب مَنْ فى المسجد، وكأنمـا فُتِحتْ بين أهل المسجد لَطِيمةُ(١) عطّارٍ، فسبَّح مَنْ حولَ البيت . قال : وقال فِنْدٌ : فقلتُ بعد انصرافها لابن قيس : هل وجدْتَ رائحةَ رُدْنها لشيءٍ طيبًا ؟ فعند ذلك قال أبياتَه التى يقول فيها :

صـــــوت

سائلَا فِنْــدًا خليلِى * كيف أَرْدانُ رُقَيَّهْ
إنّنى عُلِّقت خَوْدًا * ذاتَ دَلٍّ بَخْــتَرِيَّهْ(٢)

غنّاه فِنْدٌ، ولحنه ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر عن حَبَش .

نسبة هذا الصوت الذى فى الخبر المتقدّم وخبره

وهو أيضا مما قاله ابن قيس فى رقيّة

صـــــوت

حَبَّ ذاكَ الدَّلُّ(٣) والغُنُجُ * والتى فى عينهـا دَعَجُ
والتى إن حَدَّثتْ كذبتْ * والتى فى وعــدها خَلِجُ(٤)

---

(١) اللطيمة : وعاء المسك . (٢) الخود : الفتاة الشابة الحسنة الخلق . والبخترية : المتبخترة فى مشيها ، وهى مشية المتكبر المعجب بنفسه ، أو هى حسنة المشى والجسم . (٣) الدل والدلال من المرأة : تدللها على زوجها وذلك أن تريه جراءة عليــه فى تغنج وتشكل كأنها تخالفه وليس بها خلاف ، أو هو حسن الحديث وحسن المزح والهيئة . والغنج (بالضم وبضمتين) : حسن الدل . والدعج : شدة سواد العين مع سعتها . (٤) الخلج : الاضطراب وعدم الثبات على حال ، والمراد أنها لاضطرابها لا تثبت على حال فى الوفاء بوعدها .

وتَرى فى البيت صورتَها * مِثْلَما فى البِيعَـةِ[1] السُّرُجُ
خبِّرونى هل على رجلٍ * عاشقٍ فى قُبـلةٍ حَرَجُ

الشعر لابن قيس الرقيّات يقوله فى رقيّة بنت عبد الواحد . والغناء لمـالكٍ خفيفُ ثقيلٍ أوّل مطلقٌ فى مجرى البنصر . وفيـه خفيفُ ثقيلٍ آخر لابن مُحْرِز من رواية عمرو بن بانة، وقيل : بل هو هذا .

عود الى تفضيل ابن أبى عتيق له على كثير

أخبرنى الحرمىّ بن أبى العلاء قال حدّثنـا الزبير بن بكار قال حدّثنى سليمان ابن عَيّاش السَّعْدىّ قال حدّثنى سائبٌ راويةُ كثيِّر قال :

كان كثيِّر مديونا، فقال لى يوما ونحن بالمدينة : اذهب بنا الى ابن أبى عَتِيق نتحدّث عنده؛ قال : فذهبت اليه معه، فآستنشده ابنُ أبى عَتيق، فأنشده قولَه :

* أبائنةٌ سُعْدَى نعم ستَبِينُ *

حتى بلغ إلى قوله :

وأخلفْنَ ميعادى وخُنَّ أمانتى * وليس لمن خان الأمانةَ دِينُ

فقال له ابن أبى عَتيـق : أَعَلى الأمانة تَبِعتَها! فآنكفّ وآستغضب نفسَـه وصاح وقال :

كذَبْنَ صـفاءَ الودّ يوم مَحِلِّه * وأنكَدْنَنى من وعدهن ديونُ

فقال له ابن أبى عَتيق : وَيْلَك ! هـذا أملح لهنّ وأدعى للقلوب إليهنّ ، سيِّدُك ابن قيس الرقيّات كان أعلمَ منك وأوضعَ للصواب موضعَه فيهنّ؛ أمَا سمعتَ قوله : ١٦٧ / ٤

حَبّ ذاكَ الدلُّ والغُنُجُ * والتى فى عينهـا دَعَجُ
والتى إن حدّثتْ كذبتْ * والتى فى وعـدها خَلَجُ

(١) البيعة : متعبد النصارى أو اليهود .

وتَرى فى البيت صورتَها * مثلما فى البِيعَـة السُّرُجُ
خبِّرونى هل على رجلٍ * عاشقٍ فى قُبـلةٍ حَرَجُ

قال : فسكن كُثَيِّر وآستحلى ذلك، وقال : لا! إن شاء الله؛ فضحك آبن أبى عتيق حتى ذُهِبَ به .

أنشد أبو السائب المخزومى شعره فمدحه

أخبرنا الحرمىّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثنا عبد الرحمن بن عُمَرِ الزُّهْرِىّ قال : أنشدتُ أبا السائب المخزومىّ قولَ آبن قيس الرقيّات :

صـــوت

قد أتانا من آل سُعْدَى رسولُ * حَبَّـذا ما يقـول لى وأقـولُ
مِنْ فتاةٍ كأنها قَرْنُ شمسٍ * ضـاق عنهـا دَمَالِجٌ(١) وحُجُولُ
حَبَّـــذا ليلتى بِمِـــزَّةِ(٢) كلبٍ * غال عنّى بها الكَوَانِينَ غُـــولُ

فقال لى : يآبنَ الأمير ما تُرَاه كان يقول وتقول ؟ فقلت :

حديثًا كما يسرى النَّدَى لو سمعتَه * شفاكَ مِنَ آدواءٍ كثيرٍ وأَسْقَمَا

فطرِب وقال : بأبى أنت وأمى ! ما زلتُ أُحبّك، ولقـد أُضعِف حبّى إياك حين تفهم عنى هذا الفهم .

---

(١) دمالج : جمع دملج وهو المعضد من الحلى (حلية تلبس فى العضد) . والحجول : جمع حجل وهو الخلخال . يريد أنها بضة سمينة ضاقت عنها دمالجها وحجولها .

(٢) فى الاصول «بمرّة كلب» بالراء المهملة وهو تصحيف، والصواب ما أثبتناه عن معجم ياقوت فى آسم المزة بكسر الميم وتشديد الزاى المعجمة، وعن تصحيح الاستاذ الشنقيطى أيضا فى نسخته . قال ياقوت : وهى قرية كبيرة غناء فى وسط بساتين دمشق، بينها وبين دمشق نصف فرسخ وبها فيما يقال قبر دحية الكلبى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم . والكوانين : الثقلاء من الناس . والغول (بالضم) : الداهية .

غنّى فى هذه الأبيات ٱبن سُرَيج ثقيلًا أوّل بالوسطى. ولمالكٍ فيها ثانى ثقيل، كلاهما عن الهِشامىّ.

أنشد أشعب من شعره محمد بن عبد الله فمدحه

أخبرنى محمد بن جعفر الصَّيدَلانىّ النحوىّ صهرُ المبرّد قال حدّثنى طلحة ابن عبد الله أبو إسحاق الطَّلحىّ قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثنى عبد الله بن محمد ابن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفّان قال: أنشد أشعبُ بن جُبَير أبى أبياتَ عُبيد الله بن قيس الرقيّات التى يقول فيها:

قد أتانا من آل سُعْدى رسولُ * حبّذا ما يقول لى وأقولُ

فقال أبى: وَيْحك يا أشعب! ما تُرَاه قال وقالت له؟ فقال:

حديثاً لَوَ ٱنّ اللحمَ يَصْلَى بحَرّه * غريضًا(١) أتى أصحابَه وهو مُنْضَجُ

ذَكَر شوقًا ووصف تَوْقا، ووعَد ووفَى، وٱلتقيا(٢) بمِزّة كَلْب فشفَى وٱشتفى، فذلك قوله:

حبّذا ليلتى بمِزّة كلبٍ * غال عنّى بها الكَوَانينَ غُولُ

فقال له: إنك لعلّامة بهذه الأحوال؛ قال أجلْ! بأبى أنت! فاسأل عالما عن علمه.

ومما فى المائة الصوت المختارة من شعر عبيد الله بن قيس الرقيّات

صوت

من المائة المختارة

ياقلبُ وَيْحك لا تذهبْ بك الحُرَقُ * إنّ الأُلَى كنتَ تهواهم قد انطلقُوا

وذُكر أنه لوضّاح(٣)، وقد أُخرج فى موضع آخر.

---

(١) غريضا: طريا. (٢) كذا فى ط، ء، م. وفى سائر الأصول: «فالتقيا».

(٣) هو وضاح اليمن عبد الرحمن بن إسماعيل الشاعر؛ وله ترجمة فى الأغانى (ج ٦ ص ٣٢ طبع بولاق).

١٦٨/٤

ذكر مالك بن أبى السَّمْح وأخباره ونسبه

نسبه وكنيته وبعض صفاته

هو مالك بن أبى السَّمْح . واسم أبى السمح جابر بن ثعلبة الطائى أحد بنى ثُعَل[١] ثم أحدُ بنى عمرو بن دَرْماء[٢] . ويكنى أباالوليد. وأمه قرشيّة من بنى مخزوم، وقيل: بل أمّ أبيه منهم، وهو الصحيح .

وقال ابن الكلبي : هو مالك بن أبى السمح بن سليمان بن أوْس بن سِمَاك[٣] ابن سعد بن أوس بن عمرو بن دَرْماء أحد بنى ثُعَل . وأمّ أبيه بنت مُدْرِك بن عوف بن عُبَيد بن عمرو بن مخزوم . وكان أبوه منقطعًا إلى عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ويتيمًا فى حِجْره أوصى به أبوه إليه ، فكان ابن جعفر يكفُله ويَمُونه، وأدخله وسائرَ إخوته فى دِعوة بنى هاشم ، فهم معهم إلى اليوم . وكان أحولَ طويلًا أَحْنَى[٤] . قال الوليد بن يزيد فيه يعارض الحسينَ بن عبد الله بن عُبيد الله بن العبّاس بن عبد المطلب فى قوله فيه :

أبيضُ كالبدر أو كما يَلْمَع الـ * ـسّارقُ فى حالكٍ من الظُّلَمِ

فقال له الوليد : بل أنت .

أحولُ كالقردِ أو كما يَرْقُب الـ * ـسّارقُ فى حالكٍ من الظُّلَمِ

أساتذته فى الغناء وموته فى خلافة المنصور

وأخذ الغناءَ عن جَميلة ومَعْبد وعُمَر[٥] حتى أدرك الدولة العباسيّة ، وكان منقطعًا الى بنى سليمان بن علىّ ، ومات فى خلافة أبى جعفر المنصور .

---

(١) بنو ثعل (كصرد) : حى من طيئ، وليس بمعدول إذ لو كان معدولا لم يصرف .
(٢) بنو درماء : أولاد عمرو بن عوف بن ثعلبة بن سلامان بن ثعل الطائى ، ودرماء أمهم، وكانوا بالشأم بقلعة الداروم ومايجاورها . (انظر القاموس وشرحه فى مستدرك مادة درم) . (٣) هذا الاسم ساقط فى ط ، ء ، م . (٤) أحنى : فى ظهره احديداب . (٥) هو عمر الوادى المغنى، وقد كان معاصرا له وكان أستاذا مبرزا فى الغناء (انظر ترجمته فى الأغانى ج ٦ ص ١٤١ طبع بولاق) .

كان أبوه منقطعا الى ابن جعفر والسبب فى ذلك

أخبرنى الحسين بن يحيى قال نسخت من كتاب حمّاد : قرأت على أبى : أنّ السبب فى انقطاع أبى السَّمْح الى ابن جعفر أنّ السَّنةَ أَقْحَمَتْ طيِّئاً، فكان ثَعْلبةُ جدُّ مالك أحدَهم، فوُلد أبو السَّمْح بالمدينة، وكان صديقاً للحسين بن عبد الله الهاشمىّ، وكان سببُ ذلك مودّةٌ كانت بينه و بين آل شُعَيب(١) السَّهميين، فلما تزوّج حسين عابِدة(٢) بنت شُعَيب السَّهْميّة خاصمهم بسببها، وكان جدّ مالك معه وعونًا له مع من عاونه، فنَشِبتْ بذلك حالٌ بينه و بين بنى هاشم، حتى وُلد مالك فى دُورهم، فصارت دِعْوَتُه فيهم .

أدرك الدولة العباسية وقدم على سليمان بن على فأجازه

أخبرنى الحسين بن يحيى قال قال حمّاد : قرأت على أبى : وعُمِّر مالك حتى أدرك دولةَ بنى العباس ، وقَدِم على سليمان بن علىّ بالبصرة، فمَتّ إليه بخُؤولته فى قريش، ودِعْوته لبنى هاشم، وانقطاعِه الى ابن جعفر، فعجّل له سليمانُ صلتَه وكساه وكتب له بأَوْساقٍ(٣) من تمر .

ملازمته فى أول أمره باب حمزة ابن الزبير وأخذه الغناء عن معبد

أخبرنى جعفر بن قُدَامة قال حدّثنى مَيْمون بن هارون قال حدّثنى القاسم بن يوسف قال أخبرنى الوَرْدانىّ قال :

كان مالك بن أبى السَّمْح المغنّى من طيئ، فأصابتهم حَطْمةٌ(٤) فى بلادهم بالجبلين، فقَدِمتْ به أمه و بإخوةٍ له وأخواتٍ أيتامٍ لا شىء لهم، فكان يسأل الناسَ على باب

(١) هو شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص كما سيذكره المؤلف فى ص ١٠٧ من هذا الجزء. وقد اضطربت الأصول هنا فى ذكره فى هذا السطر والذى يليه بين «سعيد» و «شعيب» . (راجع كتاب المعارف لابن قتيبة ص ١٤٦) . (٢) كذا فى ط ، ء وفيما سيأتى فى أكثر الأصول . وفى سائر الأصول هنا : « عائذة » . (٣) الأوساق : جمع وسق (بالفتح) وهو ثلاثمائة وعشرون رطلا عند أهل الحجاز وأربعمائة وثمانون رطلا عند أهل العراق على اختلافهم فى مقدار الصاع والمدّ .

(٤) الحطمة : السنة والجدب . والمراد بالجبلين أجأ وسلمى لأنهما جبلا طيئ (انظر معجم ياقوت فى الكلام عليهما) .

حمزة بن عبد الله بن الزُّبَير ، وكان معبدٌ منقطعًا إلى حمزة يكون عنده فى كل يوم يغنّيه ، فسمع مالك غناءه فأعجبه واشتهاه ، فكان لا يفارق باب حمزة يسمع غناء معبد إلى الليل ، فلا يطوف بالمدينة ولا يطلب من أحد شيئا ولا يَرِيمُ موضعَه ، فينصرف إلى أمه ولم يكتسب شيئا ، فتضربه ، وهو مع ذلك يترنّم بألحان معبد ويؤدّيها دَوْرًا دورا فى مواضع صَيْحاته وإسجاحاته ونَبَرَاته[1] نَغَمًا بغير لفظ ولا روايةِ شىء من الشعر ، وجعل حمزةُ كلّما غدا وراح رآه ملازمًا لبابه ، فقال لغلامه يوما : أدخِل هذا الغلامَ الأعرابىّ إلىّ ، فأدخله ، فقال له : من أنت؟ فقال : أنا غلام من طيئ أصابتْنا حَطْمةٌ بالجبلين فحطّتْنا إليكم ومعى أمّ لى وإخوةٌ ، وإنى لزِمت بابَك فسمعت من دارك صوتا أعجبنى ، فلزمتُ بابَك من أجله ، قال : فهل تعرف منه شيئا؟ قال : أعرف لحنَه كلَّه ولا أعرف الشعرَ ، فقال : إن كنتَ صادقًا إنك[2] لَفَهِمٌ . ودعا بمَعْبَد فأمره أن يغنّى صوتا فغنّاه ، ثم قال لمالك : هل تستطيع أن تقوله؟ قال نعم ، قال : هاته ، فاندفع فغنّاه فأدّى نَغَمَه بغير شعر ، يؤدّى مَدّاته ولَيّاته وعَطَفاته ونَبَراته وتعليقاته لا يَخْرِم حرفا ، فقال لمعبد : خذ هذا الغلام إليك وخَرِّجه ، فَلَيكونَنّ له شأن ، قال معبد : ولِمَ أفعل ذلك؟ قال : لتكون محاسنُه منسوبة إليك ، وإلّا عدَل إلى غيرك فكانت محاسنُه منسوبة إليه ، فقال : صدق الأمير ، وأنا أفعل ما أمرتَنى به . ثم قال حمزة لمالك : كيف وجدتَ ملازمتَك لبابنا؟ قال : أرأيتَ لو قلتُ فيك غيرَ الذى أنت له مستحقٌّ من الباطل أكنتَ ترضى بذلك؟ قال لا ، قال : وكذلك لا يسرُّك أن تُحمدَ بما لم تفعل ، قال نعم ، قال : فوالله ما شَبِعتُ على

١٦٩ / ٤

(١) قال فى اللسان (مادّة نبر) : «ونبرة المغنى : رفع صوته عن خفض» . (٢) لعله جواب لما قبله على تقدير القسم ، أى على تقدير : لئن كنت ... الخ ، ولو كان جوابا للشرط من غير تقدير القسم لوجب اقترانه بفاء الجزاء .

بابك شَبْعةً قطّ ولا انقلبتُ منه إلى أهلى بخير؛ فأمر له ولأمّه ولإخوته بمنزل، وأجرى لهم رزقًا وكسوة، وأمر لهم بخادم يخدُمهم وعبدٍ يسقيهم الماء، وأجلس مالكا معه فى مجالسه، وأمر معبدًا أن يطارحه، فلم يَنْشَب(١) أن مهر وحذَق؛ وكان ذلك بعقب مقتل هُدْبةَ بن خَشْرَم؛ فخرج مالك يومًا فسمع امرأة تنوح على زِيَادةَ الذى قتله هُدْبةُ بن خَشْرَم بشعر أخى زِيَادة(٢) :

أبعد الذى بالنَّعْفِ(٣) نَعْفِ كُوَيْكِبٍ * رهينةَ رَمْسٍ ذى تراب وجَنْدلِ
أُذَكَّرُ بالبُقْيَا على من أصابنى * وبُقْيَاى أنّى جاهدٌ غيرُ مؤتلِى
فلا يَدْعُنى قومى لزيد بن مالكٍ * لئن لم أُعَجِّلْ ضربةً أو أُعَجَّلِ
وإلّا أنَلْ ثأرِى من اليوم أو غدٍ * بنى عمِّنا فالدهرُ ذو مُتَطَوَّلِ
أنحتُمْ علينا كَلْكَلَ الحرب مرّةً * فنحن مُنِيخُوها عليكم بكَلْكَلِ

فغنّى فى هذا الشعر لحنين، أحدهما نحا فيه نحو المرأة فى نوحها ورقّقه وأصلحه وزاد فيه، والآخر نحا فيه نحو معبد فى غنائه؛ ثم دخل على حمزة فقال له: أيها الأمير، إنى قد صنعت غناءً فى شعر سمعت بعض أهل المدينة يُنشده وقد أعجبنى، فإن أذِن الأميرُ غنّيتُه فيه؛ قال: هاته، فغنّاه اللحنَ الذى نحا فيه نحو معبد؛ فطرِب حمزة وقال له: أحسنتَ يا غلام، هذا الغناء غناء معبد وطريقتُه؛ فقال: لا تَعْجَل أيها الأمير واسمع منّى شيئا ليس من غناء معبد ولا طريقتِه؛ قال: هاتِ، فغنّاه اللحنَ الذى تشبّه فيه بنوح المرأة، فطرِب حمزة حتى ألقى عليه حُلّةً كانت عليه

(١) يقال: لم ينشب أن فعل كذا أى لم يلبث. وحقيقته: لم يتعلق بشىء غيره ولا اشتغل بسواه.
(٢) هو عبد الرحمن بن زيد أخو زيادة بن زيد المقتول، كما فى الشعر والشعراء فى ترجمة هدبة بن خشرم (ص ٤٣٦ طبع أوربا) والأغانى (ج ٢١ ص ٢٧١ طبع أوربا) فى ترجمة هدبة المذكور.
(٣) النعف: ما انحدر عن غلظ الجبل وارتفع عن مجرى السيل كالخيف.

قيمتها مائتا دينار ؛ ودخل معبد فرأى حُلّة حَمْزة عليه فأنكرها ؛ وعلم حمزةُ بذلك فأخبر معبدا بالسبب ، وأمر مالكا فغنّاه الصوتين ؛ فغضب معبد لما سمع الصوت الأوّل وقال : قد كرهتُ أن آخذ هذا الغلام فيتعلّمَ غنائى فيدّعيَه لنفسه ؛ فقال له حمزة : لا تَعْجَل واسمع غناءً صَنَعه ليس من شأنك ولا غنائك ، وأمره أن يغنّى الصوت الآخر فغنّاه ؛ فأطرق معبد ؛ فقال له حمزة : والله لو انفرد بهذا لضاهاك ثم يتزايد على الأيام ، وكلما كبِر وزاد شختَ أنت ونقصتَ ، فلأَن يكون منسوبا إليك أجملُ ؛ فقال له معبد وهو منكسر : صدق الأميرُ . فأمر حمزةُ لمعبدٍ بخِلْعةٍ ١٧٠/٤ من ثيابه وجائزةٍ حتى سكَن وطابت نفسُه ؛ فقام مالك على رجله فقبّل رأس معبد ، وقال له : يا أبا عبّاد أساءك ما سمعتَ منّى؟ والله لا أُغَنّى لنفسى شيئا أبدًا ما دمتَ حيًّا ، وإن غلبتْنى نفسى فغنّيتُ فى شعر استحسنتُه لا نسبتُه إلا اليك ، فطِبْ نفسًا وارضَ عنّى ؛ فقال له معبد : أوَ تفعل هذا وتَفِى به ؟ قال : إى والله وأزيد ؛ فكان مالك بعد ذلك إذا غنّى صوتًا وسئل عنه قال : هذا لمعبد ، ما غنّيت لنفسى شيئا قطّ ، وإنما آخُذ غناء معبد فأنقله إلى الأشعار وأحسّنه وأزيد فيه وأنقُص منه .

كان يغنى ليلة الجمعة

أخبرنى محمد بن مَزْيَد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدّثنا الحسن ابن عُتْبة اللهبىّ عن عبد الرحمن بن محمد بن عُبيد الله أحدِ بنى الحارث بن عبد المطّلب قال :

خرجتُ من مكة أُريد العراق ، فحملتُ معى مالكَ بن أبى السَّمْح من المدينة ، وذلك فى أيام أبى العبّاس السّفاح ، فكان إذا كانت عَشيّةُ الخميس قال لنا : يامعشر الرُّفقة إن الليلة ليلةُ الجمعة وأنا أعلم أنكم تسألونى الغناءَ ، وعلىّ وعلىّ إن غنّيتُ ليلة

الجمعة ، فإن أردتم شيئا فالساعةَ اقترحوا ما أحببتم ؛ فنسأله فيغنّينا ، حتى إذا كادت الشمس أن تغيب طَرِب ثم صاح : الحريق فى دار شَلْمَغَان ، ثم يمرّ فى الغناء فما يكون فى ليلة أكثرَ غناءً منه فى تلك الليلة بعد الأيمان المغلّظة .

مالك بن أبى السمح وسليمان بن على

أخبرنى محمد بن مَزْيَد قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

كان سليمان بن علىّ يسمع من مالك بن أبى السَّمْح بالسَّراة[1]، لأنه كان إذا قدم الشأمَ على الوليد بن يزيد، عدَل إليهم فى بَدْأته وعَوْدته لانقطاعه إليهم ، فيَبَرُّونه ويَصِلُونه ؛ فلما أفضَى إليهم الأمرُ رأى سليمانُ مالكا على باب آبنه جعفر، فقال له : يابنىّ ، لقد رأيتُ ببابك أشبهَ الناس بمالكٍ ؛ فقال له جعفر: ومَنْ مالكٌ ؟ — يُوهمه أنه لا يعرفه — فتغافل عنه سليمانُ لئلا ينبهه عليه فيطلبه ، وتوهّم أنه لم يعرفه ولا سمع غناءه .

قال حمّاد : وحدّثنى أبى عن جدّى إبراهيم أنه أخبره أنه رأى مالكا بالبصرة على باب جعفر بن سليمان ، أو أخيه محمد ، ولم يعرفه ، فسأل عنه بعد ذلك فعرفه وقد كان خرج عن البصرة ؛ قال : فمالى حسرةٌ مثلِ حسرتى بأنى ما سمعتُ غناءه .

أخبرنى إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا أبو غسّان محمد ابن يحيى قال :

كان مالك بن أبى السَّمْح يتيماً فى حِجْر عبد الله بن جعفر، وكان أبوه أبو السمح صار إلى عبد الله بن جعفر وآنقطع إليه ، فلما احتُضر أَوْصَى بمالكٍ إليه ، فكفَلَه وعاله وربّاه ، وادخله فى دِعْوة بنى هاشم[2] ، فهو فيهم إلى اليوم . ثم خطب حسينُ

(١) يريد بالسراة هنا مكانا بعينه لم نستطع تعيينه من معاجم البلدان . (٢) فى ط ، ء ، م : « وأدخلهم فى دعوة بنى هاشم فهم فيها الى اليوم » .

ابن عبدالله بن عُبَيدالله بن العبّاس العابدةَ بنتَ(١) شُعَيب [بن محمد](٢) بن عبد الله بن عمرو ابن العاص، فمنعه بعضُ أهلها منها وخطَبها لنفسه، فعاون مالكٌ حُسَينًا، وكانت العابدةُ تستنصحه، وكانت بين أبيها شعيبٍ وبينه مودّةٌ، فأجابت حُسَينًا وتزوّجته، فانقطع مالكٌ إلى حسين؛ فلما أفضى الأمرُ إلى بنى هاشم قدِم البصرةَ على سليمان ابن علىّ، فلما دخل إليه مَتَّ بصحبته عبدَ الله بنَ جعفر ودِعْوته فى بنى هاشم وانقطاعه إلى حسين؛ فقال له سليمان: أنا عارفٌ بكلّ ما قلته يامالك، ولكنّك كما تعلم، وأخاف أن تُفسد علىّ أولادى، وأنا واصلُك ومُعطيك ما تريد وجاعلٌ لك شيئا أبعث به إليك ما دمتَ حيًّا فى كل عام، على أن تخرج عن البصرة وترجع الى بلدك؛ قال: أفعلُ جعلنى الله فِداك؛ فأمر له بجائزة وكُسْوة وحمله وزوّده الى المدينة. ١٧١/٤

مالك بن أبى السمح فى كبره

أخبرنى عمّى الحسن بن محمد قال حدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدّثنى محمد بن هارون بن جَنَاح قال أخبرنى يعقوب بن إبراهيم الكُوفىّ عمن أخبره قال:

دخلتُ المدينةَ حاجًّا فدخلت الحمّام، فبينا أنا فيه إذ دخل صاحب الحمام فغسله ونظّفه، ثم دخل شيخ أعمى له هيئةٌ، مؤتزرٌ بمنديل أبيض؛ فلما جلس خرجتُ الى صاحب الحمّام فقلت له: من هذا الشيخ؟ قال: هذا مالك بن أبى السمح المغنّى، فدخلتُ عليه فقلت له: ياعمّاه، مَنْ أحسنُ الناسِ غِناءً؟ فقال: يابن أخى، «على الخَبير سَقطْتَ»(٣)، أحسنُ الناسِ غناءً أحسنُهم صوتا.

---

(١) فى حـ هنا: «العائذة» بالذال المعجمة. وانظر الحاشية رقم ٢ ص ١٠٢ من هذا الجزء.

(٢) التكلة عن كتاب المعارف لابن قتيبة (ص ١٤٦) وانظر الحاشية رقم ١ ص ١٠٢ من هذا الجزء).

(٣) هذا مثل يضرب حين يقع السائل على العلم بالأمر الذى يسأل عنه.

أخبرنى عمّى قال حدّثنى أبو أيوبَ المَدينىّ قال حدّثنى أبو يحيى العِبَادِىّ عن إسحاق قال :

كان فتيةٌ من قريش جلوسًا فى مجلس ، فمرّ بهم مالك بن أبى السَّمْح ، فقال بعضهم لبعض : لو سألْنا مالـكا فغنّانا صوتا ! فقام اليه بعضهم فسأله النزولَ عندهم ، فعدَل اليهم ، فسألوه أن يغنّيهم ، فقال : نعمْ واللهِ بالحُبِّ والكرامةِ ، ثم آندفع يغنى ، وأوقع بالمِقْرَعة على قَرَبُوس(١) سَرْجه ، فرفع صوتَه فلم يقدِر ، ثم خفَضه فلم يقدر ، فجعل يبكى و يقول : وا شَبَاباه .

أخبرنى عمّى قال حدّثنى هارون بن محمد عن الزُّبير بن بكّار عن عمّه عن جدّه أنه كان فى هؤلاء الفِتْية الذين كانوا سألوه الغناءَ ، وذكر باقىَ الخبر مثل ما ذكره إسحاق .

مالك بن أبى السمح وعجاجة المخنث

أخبرنى عمّى قال حدّثنى أبو أيوبَ المَدينىّ قال حدّثنى عبد الرحمن ابن أخى الأصمعىّ عن عمّه قال حدّثنى صالح بن أبى الصَّقْر قال :

قدِم مالك بن أبى السَّمْح المغنّى البصرةَ ، فلقيه عَجَاجَةُ المخنّثُ ، وكان أشهرَ مَنْ بها من المخنّثين ، وقال له : فَدَيْتُكَ يا أبا الوليد ، إنى كنتُ أُحبّ أن ألقاك وأن أَعرِض عليك صوتًا من غنائك أخذتُه عن بعض المخنّثين ، فإن رأيتَ أن تنزلَ عندى فعلتَ ؛ فنزل مالك عنده فبسط له المخنّثُ جَرْدَ(٢) قطيفةٍ كانت عنده بجلس ، ثم أخذ عَجَاجةُ الدفَّ فغنّى :

(١) القربوس (بفتح القاف والراء) : حنو السرج أى جانبه وهو الخشبة التى بها اعوجاج ، ولكل سرج أربعة قرابيس : اثنان مقدّمان واثنان مؤخران . (٢) الجرد (بالفتح) : الخلق من الثياب ؛ وفى حديث أبى بكر رضى الله عنه « ليس عندنا من مال المسلمين إلا جرد هذه القطيفة » أى الذى انجرد وخلق .

حَبَّ إنّ الخمارَ كان عليها * شاهدًا يوم زارتِ الجَوْشَنِيَّه (١)

قد سَبَتْه بِدَلِّها حين جاءت * تَتَهادَى فى مِشْيةٍ بَخْتَرِيَّه

فجعل مالك يقول له : وَيْلَك! مَنْ قال هـذا ! لعنه اللهُ ! وَيْحَك مَن غنّى هذا ! قبّحه الله ! وَيْحَك مَنْ روى عنّى هـذا ! أخزاه اللهُ ! ثم قام فركب وهـو يضحك عجبًا من عَجَاجةَ .

مالك ومعبد وابن عائشة عنـد يزيد ابن عبد الملك

أخبرنى محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال أخبرنى حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن آبن جَنَاح قال حدّثنى مصعب بن عثمان قال حدّثنى عبـد الله بن محمـد بن يحيى بن عُرْوة بن الزُّبَير قال حدّثنى مالك بن أبى السَّمْح قال :

قَدِمنا على يزيدَ بن عبد الملك أوّلَ قُدومنا عليـه مع معبد وآبنِ عائشةَ، فغنّيناه ليلةً فأطربْناه، فأمر لكل واحد منّا بألف دينار وكتب لنا بها إلى كاتبـه ، فغدوْنا عليه بالكتاب؛ فلما رآه أنكره وقال : أيُؤمر لمثلكم بألف دينار ألف دينار ! لا والله ولا حُبًّا ولا كرامةَ ! . فرجعنا إلى يزيدَ فأخبرناه بمقالته وكررنا عليـه ؛ فقال : كأنه آستنكر ذلك ؟ فقلنا : نعم؛ فقال : مثله والله يستنكره ودعاه ؛ فلما حضر ورآنا عنده آستأمره فيها ، فأطرق مُسْتَحيِيًا ؛ وقال له : إنى قد قلتها لهم ولا يَجْمُلُ أن أرجع عما قلت ، ولكن قطِّعها عليهم . قال مالك : فمات والله يزيد ، وقد بقى لكل واحد منا أربعمائة دينار .

١٧٢/٤

فنى جعفرا ومحمدا ابنى سليمان بن على فلامهما أبوهما

أخبرنى الحسين بن يحيى قال نسخت من كتاب حمّاد قال قرأت على أبى ، وحدّثنا الحسن بن محمد قال :

---

(١) الجوشنية : لعلها نسبة الى جوشن الذى هو بطن من غطفان .

لمّا آنهزم عبد الله بن علىّ من أبى مسلم قَدِم البصرةَ، وكان عند سليمان بن علىّ، وكان مالك بن أبى السمح يومئذ بها، فآستزاره جعفر ومحمد فزارهما، وغنّاهما مالك فى جَوْف الليل فى دار سليمانَ بن علىّ، وبلغ الخبرُ سليمانَ، فدخل عليهم فعذّل جعفرا ومحمدا، وقال: نحن نتوقّعُ الطامّةَ الكبرى وأنتم تسمعون الغناء! فقالا: ألَا تجلس وتسمع! ففعل، فغنّاهم مالك:

صـــوت

ماكنتُ أوّلَ مَنْ خاسَ الزمانُ به[1] * قدكنتُ ذا نَجْدةٍ أُخْشَى وذا باسِ
أَبلِغْ أبا معبدٍ عنّى وإخوتَه * شوقى إليهم وأحزانِى ووَسْواسِى

فخرج وتركهم ولم يُنكِر عليهم شيئا.

مدحه الحسين بن عبد الله بشعر

وفى مالك بن أبى السمح يقول الحسين [بن عبد الله][2] بن عُبَيد الله بن العبّاس:

صـــوت

لا عيشَ إلا بمالكِ بن أبى الـ * ـسّمحِ فلا تَلْحَني ولا تَلُمِ
أبيضُ كالبدرِ أوكما يَلْمَعُ الـ * ـبارقُ فى حالكٍ من الظُّلَمِ
مَنْ ليس يَعصيكَ إن رَشَدتَ ولا * يَهتِكُ حقَّ الإسلامِ والحُرَمِ
يُصيبُ من لَذّة الكريم ولا * يَجهَلُ آىَ الترخيصِ فى اللَّممِ[3]
يارُبَّ ليلٍ لنا كحاشيةِ الـ * ـبُردِ ويومٍ كذاكَ لم يَدُمِ
نَعِمتُ فيه ومالكَ بنَ أبى الـ * ـسّمحِ الكريمَ الأخلاقِ والشِّيَمِ

(١) يقال: خاس الزمان به إذا غدر به. (٢) التكلة عن الأغانى ص ١٠١ من هذا الجزء وأمالى القالى (ج ٣ ص ١٢٨ طبع دار الكتب المصرية). (٣) اللم: مقاربة الذنب من غير مواقعة وقيل: هو ما دون الكبائر من الذنوب وفى التنزيل العزيز: (الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم) أى صغائر الذنوب.

— غنّاه مالكٌ فى الأوّل والثانى والثالث رملًا بالبنصر فى مجراها — فيقال : إنّ مالكا قال له : لا والله ولا إن غَوَيتَ أيضا أُعصيك؛ ذكر ذلك الزبير عن عمّه مصعب . ويقال : إنه قال هذه المقالةَ للوليد بن يزيدَ، فسُرّ بذلك وأجزل صلته .

غنى الوليد فلم يطربه ثم غناه ثانيا فأطربه

أخبرنى الحسين بن يحيى قال نسخت من كتاب حمّاد قال حدّثنى أبى قال قال ابن الكلبىّ :

قال الوليد بن يزيد لمَعْبد قد آذتْنِى وَلْوَلَتُكَ[(١)] هذه، وقال لآبن عائشة : قد آذانى آستهلالُك هذا، فآنظُرا لى رجلا يكون مذهبه متوسّطا بين مذهبَيْكما؛ فقالا له : مالكُ بن أبى السّمح؛ فكتب فى إشخاصه إليه وسائرِ مُغَنِّى الحجاز المذكورين؛ فلمّا قَدِم مالكٌ على الوليد بن يزيد فيمن معه من المغنّين نزل على الغَمْر بن يزيد، فأدخله على الوليد فغنّاه فلم يُعجبه؛ فلما آنصرف الغَمْر قال له : إن أمير المؤمنين لم يُعجبه شىءٌ من غنائك؛ فقال له : جعلنى الله فداك! اطلُب لى الإذنَ عليه مرّةً واحدة، فإن أعجبه شىء مما أُغنّيه وإلا آنصرفتُ إلى بلادى . فلما جلس الوليدُ فى مجلس اللهو ذكره الغَمْر وطلب له الإذنَ، وقال له : إنه هابك فحَصِرَ؛ قال : فأْذَنْ له، فبعث إليه؛ فأمر مالكٌ الغلامَ فسقاه ثلاثَ صُرَاحِيَّاتٍ[(٢)] صِرْفا؛ فخرج حتى دخل عليه يَخْطِرُ فى مِشْيته . وقال غير ابن الكلبىّ : إنه قال لفرّاش للوليد : إسْقِنى عُسًّا[(٣)] من شراب ولك دينار، فسقاه إيّاه وأعطاه الدينار؛ ثم قال له : زِدْنى آخرَ فأزيدك

١٧٣
—
٤

(١) فى حـ : «وأوأتك» . والوأوأة : صياح ابن آوى، وقيل : ليست خاصة به .
(٢) صراحيات : جمع صراحية وهى إناء من آنية الخمر ولا يعرف أصلها . وقيل عربية صحيحة استعملها الفرس والروم، زجاجية معروفة يوضع فيها الشراب . (راجع القاموس وشرحه واللسان مادة صرح، والمخصص ج ١١ ص ٨٥، وشفاء الغليل ص ١٤٤) . (٣) العس : القدح الضخم يروى الثلاثة والأربعة . وجمعه : عسسة .

آخرَ، ففعل حتى شرِب ثلاثةً، ثم دخل على الوليد يخطِر فى مِشيته؛ فلما بلغ بابَ المجلس وقف ولم يسلم، وأخذ بحَلْقةِ الباب فقَعْقَعَها، ثم رفع صوتَه فغنّى :

لا عَيْشَ إلا بمالكِ بنِ أبى الـ * ـسَّمْح فلا تَلْحَنِى ولا تَلُمِ

فطَرِب الوليد، ورفع يديه، حتى بدا إبِطَاه إليه مادًّا لها، وقام فاعتنقه قائما، وقال له : ادنُ يابن أخى، فدنا حتى اعتنقه؛ ثم أخذ فى صوته ذلك، فلم يزالوا فيه أيامًا، وأجزل صلته حين أراد الانصرافَ . قال : ولما أتى مالكٌ على قوله :

أبيضُ كالسيف أو كما يَلْمَعُ الـ * ـبارقُ فى حالكٍ من الظُّلَمِ

قال له الوليد :

أحْولُ كالقِرْد أو كما يَرْقُبُ الـ * ـسّارقُ فى حالكٍ من الظُّلَمِ

كان يأخذ أغانى غيره ويغيرها، ورأى إسحاق فى ذلك

وكان مالك طويلا أَجْنَى فيه حَوَلٌ(1) . وقد قال قوم : إنّ مالكا لم يصنع لحنًا قطّ غيرَ هذا — أعنى : « لا عيشَ إلّا بمالك بن أبى السَّمح » — وإنه كان يأخذ غناءَ الناسِ فيزيدُ فيه وينقُصُ منه وينسُبه الناس إليه، وكان إسحاق يُنكرذلك غايةَ الإنكار، ويقول : غناءُ مالكٍ كلُّه مَذْهبٌ واحد لاتَبايُنَ فيه، ولو كان كما يقول الناس لاختلف غِناؤه، وإنما كان إذا غَنّى ألحانَ مَعْبَدٍ الطِّوَالَ خفَّفها وحَذَف بعض نَغَمها، وقال : أطاله مَعْبَد ومطّطَه، وحذفتُه أنا وحسّنتُه، فأمّا ألّا يكونَ صنع شيئا فلا .

(1) كذا فى أكثر الأصول، والأجنى (بالقصر) لغة فى الأجنأ (بالهمز) وهو الذى أشرف كاهله على صدره . وفى م : «أحنى» (بالحاء المهملة) والأحنى : الأحدب .

أخبرني الحسين بن يحيى قال نسختُ من كتاب حمّاد : قرأتُ[1] على أبي وذكر بكّار بن النبّال[2] :

أن الوليد قال لمالك : هل تصنع الغناء؟ قال : لا، ولكنّي أَزيدُ فيه وأَنقُص منه؛ فقال له : فأنت المُحَلِّي إذًا .

قال إسحاق وذكر الحسن بن عُتبة اللّهبي عن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الهاشميّ الحارثيّ[3] الذي يقال له سَنابِل — وفيه يقول الشاعر :

فإن هي ضَنَّتْ عنكَ أو حِيل دونَها * فدَعْها وقُلْ في آبنِ الكرامِ سَنابِلِ

قال : خرجتُ من مكة أريد أبا العبّاس أميرَ المؤمنين، فمررت على المدينة فحملت معي مالكَ بن أبي السَّمْح، فسألته يومًا عن بعض ما يُنْسَب إليه من الغناء؛ فقال : يا أبا الفضل، عليه وعليه إن كان غنّى صوتًا قطّ، ولكني آخذه وأُحسّنه وأُهيئه وأُطيّبه، فأُصيب ويخطئون فيُنسَبُ إليّ . قال إسحاق : وليس الأمرُ هكذا، لمالكٍ صنعةٌ كثيرة حسنة، وصنعته تجري في أسلوب واحد، ويُشبِه بعضُها بعضًا، ولو كان كما قيل لاختلف غناؤه . وقد قيل : إنّ مالكًا كان يَنتفِي من الصنعة لأن أكثر الأشراف هناك كانوا يُنكِرون عليه، فكان يَتبذّل به عند من يراه، ويُنكِره عند من يذُمّه، لمحلّه في بني هاشم .

---

(١) وردت هذه العبارة في حـ هكذا : «قرأت على أبي بكر وذكر بكار أن ابن الوليد... الخ»، وهو تحريف، إذ لم تعرف لحماد رواية عن أبي بكر ولكنه يروي كثيرا عن أبيه . كما أن المذكور في سياق الخبر هو الوليد لا ابنه .

(٢) في ء : «البنال» . وورد في ط مهملا من غير نقط .

(٣) في ط، ء : «الجاري» .

وأخبرنى بخبر سَنَابِلَ هذا محمدُ بن مَزْيَدَ قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثنى حمزة بن عُتْبــة اللّهبىّ عن سَنَابِلَ، فذكر الخــبر وخالف ما رواه إسحاق أنّ الحسن ابن عتبة حدّثه وحكاه عن حمزةَ بن عُتْبة أخيه .

أخذ صوتا من حمار

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيــه عن هشام بن الكلبىّ عن أبيه
١٧٤/٤ عن محمد بن يَزيد اللّيْثىّ قال :

سُئل مالك بن أبى السَّمْح عن صنعته فى :

* لاحَ بالدَّيْر من أُمامةَ نارُ *

فقال : أخذتُه والله من خَرْبَنْده[1] بالشام يَسُوق أَحْمِرَةً ، فكان يترنّم بهــذا اللحن بلا كلام، فأخذتُه فكسوتُه هذا الشعر .

أخذ صوتا من حائك

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال :

نزل مالكُ بن أبى السَّمْح عند رجل بمكةَ مخزومىّ، وكان له غلامٌ حائك، فأتاه آتٍ فقال : أمَا سمعتَ غناء غلامك الحائك؟ قال : لا ! أوَ يُغنِّى؟ قال : نعم بشعر لأبى دَهْبَــل الجُمَحِىّ، فبعث إليه فأتاه، فقال : تَغَنَّــه ؛ فقال : ما أُحسنُ ذاك إلا على حَفِّى[2] ؛ فخرج مولاه ومعه مالكٌ إلى بيته ، فلما جلس على حَفِّه تغنّى :

* تطاولَ هذا الليلُ ما يَتبلّجُ *

---

(١) كذا فى ب ، س ، م . والخربنده : المكارى ، وهى كلمة فارسيــة مركبة من «خر» وهو الحمار و«بنده» وهو الخادم . وفى سائر الأصول : «خربندج» . والعرب تضع بدل الهاء فى آخر الكلمة الفارسية جيما أو قافا للتعريب ؛ مثل طازج وفالوذج فى تازه و پالوده ، وخندق وفستق فى كنده و پسته .

(٢) كذا فى حـ . والحف (بالفتح) : المنوال والمنسج ، وهو أيضا القصبة التى تجىء وتذهب . وفى سائر الأصول : «حق» بالقاف ، وهو تصحيف .

فأخذه مالكٌ عنه وغنّاه فنسبه النّاس إليه؛ وكان يقول : والله ما غنّيته قطّ ولا غنّاه إلّا الحائك .

نسبة هذين الصوتين

صوت

لاحَ بالدَّيْرِ من أُمامةَ نارُ * لمحبٍّ له بيثربَ دارُ
قد تَراها ولو تشاءُ من القُرْ * ب لأغناكَ عن نَداها[1] السِّرارُ

الشعر للأحوص، ويقال: إنه لعبدالرحمن بن حسّان بن ثابت . والغناء لمالك ابن أبي السَّمْح ثقيل أوّلُ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر . وفيه لحن لمعبد ذكره إسحاق .

صوت

تطاوَلَ هذا الليلُ ما يَتبلَّجُ * وأعيتْ غَوَاشِي سَكْرَتي ما تَفرَّجُ
أَبِيتُ بِهَمٍّ ما أَنامُ كأنّما * خِلالَ ضُلوعي جَمرةٌ تَتَوهَّجُ
فَطَوْرًا أُمَنِّي النفسَ من تُكْتَمَ[2] المُنَى * وطَورًا إذا ماجَ بي الحبُّ أَنْشِجُ[3]

عروضه من الطويل، الشعر لأبي دَهْبَل، والغناء لمالك بن أبي السَّمْح ثقيل أوّلُ بالبنصر على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانة .

---

(١) الندى (بالفتح مقصورا) : بعد الصوت .

(٢) كذا في أكثر الأصول . وتكتم (على وزن الفعل المبني للمجهول) : اسم المرأة المشبب بها . وفي م : « يكتم الهوى » . وفي الشعر والشعراء (ص ٣٩١) : «عمرة المنى» .

(٣) نشج (من باب ضرب) : غص بالبكاء في حلقه من غير انتحاب .

هرب مع ابن عائشة يوم مقتل الوليد

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن جدّه قال :

قال ابن عائشة : حضرتُ الوليدَ بن يزيد يوم قُتل ، وكان معنا مالك بن أبى السَّمْح وكان من أحمق الناس ، فلما قُتل الوليد قال : اهرُب بنا ؛ فقلت : وما يريدون منا؟ قال : وما يؤمّنك أن يأخذوا رأسَيْنا فيجعلوا رأسه بينهما ليُحسِّنوا أمرَهم بذلك! ؛ قال ابن عائشة : فما رأيت منه عقلاً قطّ قبل ذلك اليوم .

لما كبر كان يعلم ابنه الغناء

أخبرنى محمد بن خَلَف وَكيع قال قال الزبير بن بكار حدّثتنى ظَبْيَةُ قالت : رأيتُ مالكَ بن أبى السّمح وهو على مَنَامته يُلْقى على ابنه وقد كَبِر وانقطع :

صـــوت

اِعتـادَ هـذا القلبَ بَلْبـالُهُ(١) * إذ قُرِّبتْ للبيْنِ أَجمـالُهُ

خَـوْدٌ(٢) إذا قامتْ إلى خِدْرها * قامت قَطُوفَ(٣) المَشْيِ مِكْسالُهُ

تَفْـتَرُّ(٤) عن ذى أُشُرٍ باردٍ * عَذْبٍ إذا ما ذِيقَ سَـلْسالُهُ

الشعرُ لعمرَ بن أبى رَبيعة ، ولمالك بن أبى السَّمْح فيه ثلاثة ألحان : خفيفُ ثقيل(٥)

١٧٥/٤ مطلق فى مجرى الوسطى ، وثقيل أوّل بالوسطى فى مجراها جميعا عن إسحاق ، وخفيف(٦) رمل بالوسطى عن عمرو بن بانة ، وقيل : إنه لابن سُرَيج . وفيه رَمَلٌ يُنسب إلى ابن جامع وابن سريج .

---

(١) البلبال (بفتح الباء) : شدة الهم والوسواس . (٢) الخود : الفتاة الشابة الحسنة الخلق .

(٣) قطوف المشى : ضيقة الخطى بطيئة المشى . (٤) تفترّ : تبسم . والأشر (بضمتين وبضم ففتح) : حدّة ورقة فى أطراف الأسنان . (٥) فى حـ : « خفيف أوّل مطلق ... الخ » .

(٦) فى ط ، ء ، م : « خفيف ثقيل بالوسطى ... الخ » .

شعر فى رثائه

أخبرنى وكيع قال حدّثنى حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال قال أبو عُبَيدة : سمعتُ مُنشِداً يُنشد لنفسه يَرثى مالكا بهذه القصيدة :

يا مالُ إنى قَضَتْ نفسى عليكَ وما * بينى وبينَك من قُرْبَى ولا رَحِمِ
إلا الذى لك فى قَلْبى خُصِصتَ به * من المودّة فى سِتْرٍ وفى كَرَمِ

قال إسحاق قال أبو عُبَيدة : هو مالك بن أبى السمح . [انقضت أخباره](١) .

صــــوت
من المـائة المختارة

من رواية هارون بن الحســن بن سَهْل وابن المَكّىّ وأبى العُبَيس ومن روَى جَحْظةُ عنــه :

فإلّا تُجَلّلْها(٢) يُعـالُوكَ فوقــها * وكيف تَوَقِّى ظهرَ ما أنتَ راكِبُهْ
هُمُ قتــلوه كى يكونوا مكانَه * كما غَدرتْ يوماً بكسرى مَرازِبُهْ
بنى هاشمٍ رُدُّوا سِلاحَ ابنِ أُختِكم * ولا تَنْهَبُــوه لا تَحِلُّ مَناهِبُــهْ

عروضه من الطويل. البيت الأوّل من الشــعر لرجلٍ من بنى نَهْــد جاهلىّ، وباقى الأبيات للوليد بن عُقْبة بن أبى مُعَيط . والغناء لابن مُحرِز، ولحنه من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر فى مجرى البنصر عن يونس وإسحاق، وهو اللحن المختار . وفيــه للغَرِيض ثقيــل أوّلُ بالسّبابة فى مجرى البنصر عن إسحاق . وفيــه لمَعْبد ثقيل أوّلُ آخرُ مطلق فى مجرى الوسطى عن عمرو وعن الهشامىّ . وفيــه لسَلْسَل فى الثانى والثالث ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر عن حَبَش . وفيه لمَطَرّد خفيف ثقيل .

(١) زيادة عن م . (٢) تجلل الرجل البعير : علا ظهره . وعالى فلان الشيء : رفعه .

خبر النَّهْدىّ فى هذا الشعر

وخبر الوليد بن عُقبة وقد مضى نسبه فى أوّل الكتاب

الحارث بن مارية وزهير بن جناب

أخبرنى محمد بن الحسن بن دُرَيد قال أخبرنى عمى عن ابن الكلبى عن أبيه عن عبد الرحمن المَدَائنى، وكان عالما بأخبار قومه ، قال وحدّثنيه أبو مِسْكين(١) أيضا ، قالا :

كان الحارث بن مَارِيَةَ الغَسّانى الجَفْنِيّ مُكرِما لزُهير بن جَنَاب الكَلْبيّ يُنادمه ويحادثه ، فقَدِم على الملِك رجلان من بنى نَهْد بن زيد يقال لهما حَزْنٌ وسَهْلٌ ابنا رِزَاح، وكان عندهما حديثٌ من أحاديث العرب ، فآجتباهما الملكُ ونزلا بالمكان الأثير منه ، فحسدهما زُهير بن جَنَاب ، فقال : أيها الملك ، هما والله عَيْنٌ لذى القَرْنين عليك (يعنى المُنذرَ الأكبر جدَّ النعمان بن المنذر)، وهما يكتبان إليه بعَوْرتك وخَلَلِ ما يريان منك؛ قال : كلّا ! فلم يزل به زهير حتى أَوْغَر صدرَه ، وكان إذا ركب يبعث إليهما ببعيرين يركبان معه ، فبعَث إليهما بناقة واحدة ؛ فعرَفا الشرّ فلم يركب أحدهما وتوقّف ؛ فقال له الآخر :

فإلّا تَجَلَّلْها يُعَالُوكَ فَوْقَها * وكيف تَوَقَّى ظهرَ ما أنتَ راكِبُهْ

فركبها مع أخيه ، ومَضى بهما فقُتِلا ، ثم بحَث عن أمرهما بعد ذلك فوجده باطلا فشتَم زُهيرا وطرده ، فآنصرف إلى بلاد قومه ؛ وقدِم رِزَاحٌ أبو الغلامين إلى الملك ، وكان شيخًا عالما مُجَرِّبا ، فأكرمه الملك وأعطاه دِيةَ آبنيه ؛ وبلغ زهيرًا مكانُه ، فدعا آبنًا له يقال له عامر، وكان من فِتيان العرب لسانًا وبيانا ، فقال له : إنّ رِزَاحًا قد قدِم على الملك ، فآلحَق به وآحتَل فى أن تكفِيَنِيه، وقال له : اذْمُمْنِي ١٧٦/٤

(١) فى ط ، م ، ء : «ابن مسكين» .

عند الملك ونَل مِنّى، وأثّر به آثارا ؛ فخرج الغلام حتى قدِم الشأم، فتلطّف للدخول على الملك حتى وصل إليه ؛ فأعجبه ما رأى منـه ؛ فقال له : من أنت ؟ قال : أنا عامرُ بنُ زُهَـير بن جَنَـاب ؛ قال : فلا حيّاك الله ولا حيّـا أباك الغادرَ الكذوبَ السّاعىَ ! فقال الغلام : نعم ، فلا حيّاه الله ! أُنظُر أيهـا الملك ما صنَع بظهرى ! وأراه آثارَ الضرب ؛ فقبِل ذلك منه وأدخله فى نُدمائه ؛ فبَيْنا هو يحدّثه يوماً إذ قال له : أيها الملك، إنّ أبى وإن كان مُسيئا فلستُ أدَعُ أنْ أقول الحقّ، قد والله نصحك أبى، ثم أنشأ يقول :

فيالكِ نَصْـحةً لَمّـا نَذُقْها * أراها نصحةً ذهبتْ ضَلالَا

ثم تركه أيّامًا، وقال له بعـد ذلك : أيها الملك، ما تقول فى حيّة قد قُطِع ذَنَبُهـا وبقِىَ رأسُها ؟ قال : ذاك أبوك وصَنيعُه بالرجُلين ما صَنَع ؛ قال : أبيتَ اللّعنَ ! والله ما قَدِم رِزاحٌ إلا ليثأرَ بهما ؛ فقـال له : وما آيةُ ذلك ؟ قال : اسـقِهِ الخمر ثم ابْعَث إليه عَيْنًا يأتِك بخبره ؛ فلمـا انْتَشَى صرَفه إلى قُبّته ومعه بنتٌ له، وبعث عليه عيونًا ؛ فلما دخل قُبّته قامت إليه ابنته تُسانده فقال :

دَعِينى من سِنادِكِ إنّ حَزْنًا * وسَهْلًا ليس بعدهمـا رُقودُ

ألَا تَسَلِين عن شِـبْلَىّ ماذا * أصابهما إذا اهْتَرش الأُسُودُ (١)

فإنّى لو ثأرتُ المـرءَ حَزْنًا * وسَهْلًا قد بدا لكِ ما أُريد

فرجع القومُ إلى الملك فأخبروه بمـا سمعوا، فأمر بقتـل النَّهْدىّ رِزَاح، وردّ زُهيرًا إلى موضعه .

(١) الاهتراش : التقاتل والتواثب .

شعر للوليد بن عقبة أجابه عنه الفضل ابن العباس

وقد أنشدنى محمد بن العباس اليَزيدىّ قال : أنشدنا محمد بن حَبيبَ أبياتَ الوليد هذه على الوِلاء(١)، وهى :

أَلَا مَن لِلَيْلٍ لا تَغُور كواكبُهْ * إذا لاح نجمٌ لاح نجم يراقبُهْ(٢)
بنى هاشم رُدّوا سلاحَ ابن أختكم(٣) * ولا تَنْهبوه لا تَحِلُّ مناهبُهْ
بنى هاشم لا تَعْجَلوا(٤) بإقادةٍ * سواءٌ علينا قاتِلوه وسالِبُهْ
فقد يُجْبَر العظمُ الكسير ويَنْبرِى * لذى الحقّ يومًا حقَّه فيطالبُهْ
وإنّا وإيّاكم وما كان منكم * كصَدْعِ الصَّفا لا يَرْأَبُ الصَّدعَ شاعبُهْ
بنى هاشم كيف التعاقُد(٥) بيننا * وعند علىّ سيفُه وحَرائبُهْ(٦)
لَعَمْرُكَ لا أنسى ٱبنَ أَرْوَى وقتلَه * وهل ينسينّ الماءَ ما عاش شارِبُهْ
همُ قتلوه كى يكونوا مكانَه * كما غَدَرتْ يومًا بكِسْرَى مَرازِبُهْ
وإنّى لمجتابٌ إليكم بجحفلٍ * يُصِمُّ السَّميعَ جَرْسُه(٧) وجَلائبُهْ

وقد أجاب الفضلُ بن عبّاس بن عُتْبة بن أبى لَهَب الوليدَ عن هذه الأبيات، وقيل : بل ابوه العبّاس بن عُتبة المجيبُ له أيضا . والجواب :

(١) الولاء : المتابعة ، يقال : افعل هذه الأشياء على الولاء أى متابعة . (٢) فى حـ ، م والاستيعاب (ج ٢ ص ٢٦٢) : « إذا لاح نجم غار نجم يراقبه » . (٣) فى ط ، م ، ى : « ابن عمكم » . وعثمان بن عفان يمت الى بنى هاشم بالخؤولة والعمومة وقد روى فى ص ١١٧ من هذا الجزء : «ابن أختكم» فى جميع النسخ . وكذلك فيما سيلى قريبا . (٤) فى حـ : «لا تعجلونا فإنه» . (٥) فى ط ، م ، ى : « التعاذر» وسيرد قريبا بروايتين أخريين هما : « كيف الموادة» و« كيف التواصل» . (٦) كذا فى ط ، ى . والحرائب : جمع حريبة وهى مال الرجل الذى يعيش به ؛ وقيل : ما يسلب من المال . وفى م : « بجانبه » . وفى سائر الأصول : «جرائبه» وهما تحريف ، وسيرد قريبا : « نجائبه » . (٧) الجرس : الصوت .

١٧٧
٤

صـــوت

فلا تسألونا بالسلاح فإنه * أُضيع وألقاه لَدى الرَّوْع صاحبُهْ
وَشُبِّهْتَه كسرى وقد كان مثلُه[1] * شبيهًا بكسرى هَدْيُه وعصائبُهْ

ذكر أحمد بن المكيّ أن لابن مِسْجَح فيه لحنا وأن لحنه من الثقيل الأوّل بالسّبابة في مجرى الوسطى، وقال غيره: إنه من منحول أبيه يحيى إلى ابن مسجح.

(١) في الاستيعاب (ج ٤ ص ٥٣٣): «وما كان مثله».

ذكر باقى خبر الوليد بن عُقْبة ونسبه

نسب الوليد بن عقبة وولايته الكوفة ثم عزله وحدّه بالشراب

الوليدُ ابنُ عقبة بن أبى مُعَيط ، وقد مضى نسبه مع أخبار ابنه[1] أبى قَطِيفة . ويكنى الوليدُ أبا وَهْب ، وهو أخو عثمان بن عفّان لأمّه، أمهما أرْوَى بنت كُرَيْز، وأمها البَيْضاء بنت عبد المطلب . وكان من فِتيان قريش وشعرائهم وشجعانهم وأجوادِهم[2] ، وكان فاسقا ، ووَلِيَ لعثمان رضى الله عنه الكوفةَ بعد سعد بن أبى وَقّاص، فشرب الخمرَ وشُهِد عليه بذلك، فحدّه وعزَله . وهو الذى يقول يَرْثى عثمانَ رضى الله عنه ويُحرِّض معاوية :

رثاؤه عثمان وتحريضه معاوية على الأخذ بثأره

والله ما هندٌ بأُمِّك إن مضى النّهارُ ولم يَثْأر بعثمانَ ثائرُ
أيقتُل عبدُ القوم سيِّدَ أهلِه * ولم تقتلوه ليت أمَّكَ عاقرُ
وإنا متى نقتلْهمُ لا يُقِدْ بهم * مُقِيدٌ[3] فقد دارت عليك الدوائر

كان يجالس عثمان على سريره فقال شعرا ولاه به الكوفة

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا عبد الله بن محمد بن حَكيم عن خالد بن سعيد بن عمرو بن سعيد عن أبيه قال :

لم يكن يجلس مع عثمان رضى الله عنه على سريره إلا العباسُ بن عبد المطلب وأبو سفيان بن حَرْب والحَكَم بن أبى العاصي والوليد بن عُقْبة ، فأقبل الوليدُ يوما فجلس، ثم أقبل الحكم، فلما رآه عثمان زَحَل[4] له عن مجلسه، فلما قام الحكم قال له الوليد: والله يا أمير المؤمنين، لقد تَلَجْلج فى صدرى بيتان قلتُهما حين رأيتك

---

(١) كذا فى م ، حـ . وفى سائر الأصول : «أبيه» وهو تحريف . (٢) فى ط ، ء : «جودائهم» . وجوداء (وزان كرماء) : من جموع جواد . (٣) فى ب ، س ، حـ : «وقد» . (٤) زحل : تنحى وتباعد .

آثرت عمّك على ٱبن أمّك، فقال له عثمان رضى الله تعالى عنه : إنه شيخ قريش، فما البيتان اللذان قلتهما؟ قال قلت :

رأيت لعمّ المرء زُلْفَى قرابةٍ * دُوَيْنَ أخيه حادثاً لم يكن قِدْمَا
فأمّلتُ عَمْرًا أن يَشِبَّ(١) وخالدا * لكى يدعُوانى يوم مَزْحمةٍ عمّا

يعنى عمرا وخالدا ٱبنى عثمان . قال : فرقّ له عثمان، وقال له : قد ولّيتك العراق (يعنى الكوفة) .

خلف سعد بن أبى وقاص على الكوفة وقصته معه حين قدم عليه

أخبرنى أحمد قال حدّثنى عمر بن شبّة قال حدّثنى بعضُ أصحابنا عن ٱبن دأب قال :

لما ولّى عثمان رضى الله عنه الوليدَ بن عقبة الكوفةَ قدمها وعليها سعد بن أبى وَقّاص، فأُخبِر بقدومه؛ فقال : وما صنع ؟ قال : وقف فى السوق فهو يحدّث الناس هناك ولسنا نُنكر شيئا من شأنه ؛ فلم يلبث أن جاءه نصفَ النهار، فاستأذن على سعد فأذِن له، فسلّم عليه بالإمرة وجلس معه ؛ فقال له سعد : ما أقدمك أبا وهب ؟ قال : أحببتُ زيارتك ؛ قال : وعلى ذلك أجئتَ بريدا ؟ قال : أنا أرْزَنُ من ذلك، ولكن القوم ٱحتاجوا إلى عملهم فسرّحونى إليه، وقد ٱستعملنى أمير المؤمنين على الكوفة ؛ فمكث طويلا ثم قال : لا والله ما أدرى أصلحتَ بعدنا أم فسدنا بعدك! ثم قال :

١٧٨/٤

خُذينى بجَرّينى ضِباعُ وأبْشِرى(٢) * بلحم ٱمرئٍ لم يَشهد اليوم ناصره(٣)

---

(١) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « يشيب » . (٢) فى ب : « وإنما » .
(٣) فى ب ، س : « ناشره » .

فقال : أما والله لأنا أقولُ[1] للشعر وأروى له منك ، ولو شئتُ لأجبتُك ، ولكنّى أدَعُ ذلك لما[2] تعلم ؛ نعم والله قد أُمِرتُ بمحاسبتك والنظرِ فى أمر عُمّالك ؛ ثم بعث إلى عمّاله فحبَسهم وضيّق عليهم ، فكتبوا إلى سعد يستغيثون ، فكلّمه فيهم ؛ فقال له : أوَ للمعروف عندك موضع؟ قال : نعم والله ! فخلّى سبيلَهم .

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال حدثنى عمر قال حدثنا جنّاد[3] بن بِشْر قال : حدثنى جرير[4] عن مُغيرة[5] بنحوه .

قال أبو زيد عمر بن شبّة أخبرنا أبو بكر الباهلىّ قال حدّثنا هُشَيم عن العوّام بن حَوْشَب :

أنه لمّا قدِم على سعد قال له سعد : ما أدرى أَكِسْتَ بعدنا أم حَمُقْنا بعدك؟ فقال : لا تجزَعنّ أبا إسحاق، فإنما هو المُلْك يتغدّاه قومٌ ويتعشّاه آخرون؛ فقال له سعد : أراكم والله ستجعلونه مُلْكا .

أخبرنى أحمد قال حدّثنى عمر قال حدّثنا المدائنى عن بشر بن عاصم عن الأعمش عن شَقِيق[6] بن سَلَمة قال :

قدِم الوليد بن عقبة عاملاً لعثمان على الكوفة وعبد الله بن مسعود على بيت المال، وكان سعد قد أخذ مالا ، فقال الوليد لعبد الله : خُذْه بالمال، فكلّمه عبد الله بمحضر من الوليد فى ذلك؛ فقال سعد : آتى أميرَ المؤمنين، فإن أخذنى به

(١) فى ط ، ء : «أم» . (٢) كذا فى س : وفى سائر الأصول : «لما لا تعلم» . (٣) فى حـ : «حيان» . (٤) هو جرير بن عبد الحميد ابن قرط الضبى كما فى تهذيب التهذيب . (٥) هو المغيرة بن مقسم الضبى كما فى تهذيب التهذيب .

(٦) كذا فى حـ ، م . وهو شقيق بن سلمة أبو وائل الأسدى الراوى وهو الذى يروى عنه الأعمش . وفى سائر الأصول : «سفيان» وهو تحريف . (راجع تهذيب التهذيب ، والاستيعاب فى اسم شقيق) .

أدّيتُـه . فغمزَ الوليد عبدَ الله، ونظر إليهما سعد فنهض وقال : فعلتماها ! ودعا الله أن يُغرِيَ بينهما وأدّى المـال .

صلى بالناس الصبح أربع ركعات

أخبرنى أحمـد قال حدّثنى عمر بن شَـبّة قال حدّثنا هارون بن مَعروف قال حدثنا ضَمْرة بن رَبيعة عن ابن شَوْذب قال : صـلّى الوليد بن عُقْبة بأهـل الكوفة الغداةَ أربعَ ركعات، ثم التفت إليهم فقال : أأزيدكم ؟ فقال عبد الله بن مسعود : ما زلنا معك فى زيادة منذُ اليوم .

شعر الحطيئة فيه

أخبرنى أحمد قال حدّثنى عمر بن شَبّة قال حدّثنا محمد بن حُمَيـد قال حدّثنا جَرير[1] عن الأجلح[2] عن الشّعبىّ[3] فى حديث الوَليد بن عُقْبة حين شهدوا عليه [قال][4]: قال[5] الحطيئـة[6] :

شهِد الحطيئةُ يوم يلقى ربَّه * أنّ الوليـدَ أحقّ بالعُـذْرِ[7]
نادى وقد تمّت صـلاتُهم * أأزيدكم ـ سُكرًا ـ ومايدرى
فأبَوْا أبا وَهْب ولو أذِنوا * لَقَـرَنْتَ بين الشفع والوَتْر
كَفُّوا عِنانَك إذ جَريتَ ولو * تركوا عِنـانَك لم تَزل تجرى

وقال الحطيئة أيضا :

تكلّم فى الصـلاة وزاد فيها * عَلانِيَـةً وجاهر بالنِّفـاقِ
ومَجّ الخمرَ فى سَنَن المُصَـلّى * ونادى والجميعُ إلى افتراق
أزيدكمُ على أنْ تحمَدُونى * وما لكمُ ومالى من خَلاق

---

(١) هو جرير بن عبد الحميد المذكور فى الصفحة السابقة . (٢) هو الأجلح بن عبد الله بن حجية الكندى كما فى تهذيب التهذيب . (٣) هو أبو عمرو عامر بن شراحيل الشعبى كما فى تهذيب التهذيب وابن خلكان . (٤) زيادة يقتضيها السياق . (٥) فى ب، حـ، سـ : «فقال» . (٦) هـذه الكلمة ساقطة فى س . (٧) هذا البيت من الكامل الضرب الأحذ المضمر، وباقى الأبيات من الكامل الأحذ الثالث .

شرب الخمر وصلى بالناس فضرب الحد

أخبرنى محمد بن خَلَف وَكيع قال قال حماد بن إسحاق حدّثنى أبى قال ذكر أبو عُبَيدة وهشام بن الكلبىّ والأصمعىّ (١) قالوا :

كان الوليد بن عقبة زانيا شِرِّيب (٢) خمر، فشرب الخمر بالكوفة وقام ليصلّى بهم

١٧٩ / ٤ الصبحَ فى المسجد الجامع، فصلّى بهم أربعَ رَكَعات ، ثم التفت إليهم وقال لهم : أزيدكم؟ وتقيّأ فى المحراب، وقرأ بهم فى الصلاة وهو رافع صوته :

عَلِق القلبُ الرَّبابَا * بعد ما شابَتْ وشابا

فشخَص أهلُ الكوفة إلى عثمان ، فأخبروه خبرَه وشهِدوا عليه بشُربه الخمرَ، فأُتِى به، فأمر رجلا بضربه الحدَّ، فلما دنا منه قال له : نَشَدْتُك اللهَ وقَرابتى من أمير المؤمنين فتركه ؛ فخاف علىٌّ بن أبى طالب رضى الله عنه أن يُعطِّل الحدُّ ، فقام إليه فحَدّه ؛ فقال له الوليد : نَشَدْتُك بالله وبالقرابة ؛ فقال له علىّ : اسكت أبا وَهْب فإنما هلكتْ بنو إسرائيل بتعطيلهم الحدودَ ، فضربه وقال : لَتدعُوَنِّى قريشٌ بعد هذا جلّادَها . قال إسحاق : فأخبرنى مُصْعَب الزُّبيرىّ قال : قال الوليد ابن عُقْبة بعد ما جُلد : اَللهمّ إنهم شهِدوا علىّ بزور، فلا تُرْضِهم عن أميرٍ ولا تُرْضِ عنهم أميرا . فقال الحطيئة يكذّب عنه :

شهِد الحُطَيئةُ يومَ يلقى ربَّه * أنّ الوليد أحقُّ بالعُذْرِ
خَلَعوا عِنانَك إذ جريتَ ولو * تركوا عِنانَك لم تَزَل تجرِى
ورأَوْا شمائلَ ماجدٍ أَنِفٍ (٣) * يُعْطِى على الميسور والعُسْرِ
فنُزِعتَ مكنوبًا عليك ولم * تَنْزِعْ إلى طمعٍ (٤) ولا فقرِ (٥)

(١) فى ب ، حـ ، س : « قال » والمناسب ما أثبتناه . (٢) فى ط ، ى : « دنيا » والدنى (كغنىّ) : الساقط الضعيف . (٣) الأنف (بوزان كتف) : الذى يأبى أن يضام . (٤) فى حـ : « طبع » والطبع : الدنس . (٥) فى ديوان الحطيئة (ص ١٨٦ طبع مدينة ليبزج، ونسخة خطية منه بدار الكتب المصرية رقم ٣ أدب ش) : * تردِ الى عوز ولا فقر *

فقال رجل من بنى عِجْل يردّ على الحطيئة :

نادَى وقد تمّتْ صلاتُهــمُ * أأزيدكم - ثَمِلًا - وما يَدْرِى
لِيزيدَهم خَيْرا ولو قَبِـــلوا * لقَرَنْتَ بين الشَّــفْع والوَتْر
فأبَوْا أبا وَهْب ولو فعــلوا * وصلتْ صَلاتُهمُ إلى العَشْر

وروى العبّاس بن مَيْمون طائع (١) عن آبن عائشةَ قال حدثنى أبى قال :

لمـا أحضر عثمانُ رضى الله عنه الوليدَ لأهـل الكوفة فى شُرْب الخمــر ، حضَر الحُطَيئةُ فآستأذن على عثمان وعنده بنو أُمية متوافِرون ، فطَمِعوا أن يأتىَ الوليدَ بعذر ، فقال :

شَهِد الحُطَيئةُ يوم يلقى ربّه * أنّ الوليــد أحقُّ بالعــذرِ
خلعوا عِنانَك إذ جريتَ ولو * تركوا عِنانك لم تزل تجــرى
ورأَوْا شمائل ماجدٍ أَنِفٍ * يُعطى على الميســور والعُسر
فنُزِعتَ مكذوباً عليــك ولم * تنزِع إلى طمع ولا فقـــر

قال : فسُرُّوا بذلك وظنّوا أن قــد قام بعذره ، فقــال رجل من بنى عِجْــل يردّ على الحُطَيئــة :

نادى وقد تمّتْ صَلاتُهــمُ * أأزيدكم - ثَمِلًا - وما يَدْرِى
فأبَوْا أبا وَهْب ولو فعــلوا * وصلتْ صلاتُهمُ إلى العَشْر

فوجَم القومُ وأطرقوا ، فأمر به عثمانُ رضى الله تعالى عنه فحُدّ .

---

(١) كذا فى أكثر الأصول . وفى ط ، م ، ء : « العباس بن ميمون طابع » ، وورد فيما تقدّم فى حـ ف أخبار الحكم بن عبدل ونسبه (ج ٢ ص ٤٢٢ طبع دار الكتب المصرية) : « العباس بن محمد بن طائع » . ولم نعثر على اسمه فى المراجع التى بين أيدينا .

قصة رجل معيطىّ شهد عليه عند الأمير

أخبرنى محمد بن يحيى الصُّولىّ(١) قال حدّثنى محمد بن الفَضْل مِنْ حِفْظه قال حدّثنا عمر بن شَبّة من حفظه، ونسخت من كتاب لهارون بنِ الزيات بخطه عن عمر بن شبة، وروايتُه أتمّ، فحكيتُ لفظه، قال:

شهِد رجل عند أبى العَجّاج، وكان على البصرة، على رجل من المُعَيطيّين شهادة،

١٨٠/٤ وكان الرجل الشاهد سكرانَ؛ فقال المشهود عليه وهو المُعَيْطىّ: أعزّكَ الله إنه لا يُحسن أن يقرأ من السكر؛ فقال الشاهد: بلى إنى لأُحسن؛ فقال: اقرأ؛ فقال:

عَلِق القلبُ الرَّبابا ٭ بعد ماشابت وشابا

قال: وإنما تماجن بذلك على المُعَيطىّ، ليَحكى به ما صنع الوليدُ بن عُقْبة فى مِحْراب الكوفة وقد تقدّم للصلاة وهو سكرانُ، فأنشد فى صلاته هذا الشِّعر؛ وكان أبو العجّاج مُحَمَّقا فظنّ أن هذا قرآن، فقال: صدق الله ورسوله، وَيْلَكم! فلم تعلمون ولا تعملون! . ولقد رُوى أيضا فى الشهادة على الوليد فى السُّكر غيرُ ماذُكِر من زيادته فى الصلاة .

ثبت لدى عثمان أنه سكر فأمر بجلده الحدّ

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال عرضت على المَدائنىّ عن مبارك بن سَلّام عن فِطْر(٢) بن خَليفة عن أبى الضُّحى(٣) قال:

(١) كذا فى ط، ى، م. وفى سائر الأصول «المكىّ»، وأبو الفرج يروى كثيرا عن الصولىّ كما تقدّم غير مرة فى الأجزاء السالفة. (٢) كذا فى التهذيب والمعارف لابن قتيبة والطبرى (ق ١ ص ٣١٨١) وفى جميع الأصول: «قطن» بالقاف والنون وهو تحريف. (٣) كذا فى ط، م، ى، واسمه: مسلم بن صبيح الهمدانى أحد شيوخ فطر بن خليفة المتقدّم. وفى سائر الأصول: «أبو الضحاك» وهو تحريف. (راجع التهذيب والخلاصة فى اسم مسلم بن صبيح).

كان أبو زَيْنب الأَزْدِىّ وأبو مُوَرِّع[1] يطلبان عَثْرة الوليـد بن عُقْبة، فجاءا يوما فلم يحضُر الصلاة، فسألا عنه وتلطّفا حتى علما أنه يشرب، فاقتحما عليه الدارَ فوجداه يَقِىء، فاحتملاه وهو سكرانُ فوضعاه على سريره وأخذا خاتَمَه من يده، فأفاق فافتقد خاتَمَه فسأل عنه؛ فقالوا: لا ندرى وقد رأينا رجلين دخلا الدار فاحتملاك فوضعاك على سريرك؛ فقـال: صِفُوهما لى؛ فقالوا: أحدهما آدَمُ[2] طويلٌ حسنُ الوجه، والآخَرُ عريضٌ مربوع عليـه خَمِيصة[3]؛ فقال: هذا[4] أبو زَيْنب وأبو مُوَرِّع. ولقى أبو زينب وصاحبُه عبدَ الله بن حُبَيْش[5] الأسـدى وعلقمةَ[6] بن يَزِيد البَكْرِىّ وغيرَهما فأخبَراهم، فقـالوا: اشخَصوا إلى أمير المؤمنين فأَعْلِموه؛ فقـال بعضهم: لا يَقبل قولَنا فى أخيه؛ فشخَصوا إليـه وقالوا: إنا جئناك فى أمرٍ ونحن مُخْرِجوه إليك من أعناقنا، وقد قلنا: إنك لا تقبلُه، قال: وما هو؟ قالوا: رأينـا الولِيدَ وهو سكرانُ من خمر قد شرِبها وهـذا خاتَمُه أخذناه وهو لا يَعقِلُ؛ فأرسـل إلى علىّ رضى الله تعالى عنه فشاوره؛ فقال: أرى أن تُشْخِصه، فإنْ شهدوا عليه بمَحْضَرٍ منه حدَدْتَه؛ فكتب عثمان رضى الله تعالى عنه إلى الوليد بن عُقبة فقدِم عليه، فشهد عليه أبو زينبَ

(١) كذا فى ط، ء، م وهو أبو مورّع الأسدى كما فى الطبرى وابن الأثير. وفى حـ: «ابن مزرع». وفى ب، سـ «أبو مزرع»، وكلاهما تحريف. (٢) الآدم: الأسمر. (٣) الخميصة: كساء أسود مربع له علمان. (٤) فى الأصول: «هذا». (٥) كذا فى ب، حـ، سـ. وفى سائر الأصول: «خنيس». (٦) كذا فى ب، سـ. وفى م: «علقمة بن زيد». وفى حـ: «عقبة بن يزيد». وفى ط، ء: «عقبة بن زيد»، ولم نوفق الى وجه الصواب فيه.

وأبو مُوَرِّع وجُنْدَب الأَسْدِىّ[1] وسعد بن مالك الأَشْعرىّ، ولم يَشْهَد[2] عليه إلّا يَمانٍ؛ فقال عثمان لعلىّ: قم فاضربه؛ فقال علىّ للحسن: قم فاضربه؛ فقال الحسن: مالك ولهذا! يكفيك غيرُك؛ فقال علىّ لعبد الله بن جعفر: قم فاضربه، فضربه بمِخْصَرة[3] فيها سيرٌ له رأسان، فلما بلغ أربعين قال له علىّ: حَسْبُك.

ما وقع بين عثمان وعائشة بسبب الوليد بن عقبة

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا المَدَائنىّ عن الوَقّاصىّ[4] عن الزُّهْرىّ قال: خرج رهطٌ من أهل الكوفة إلى عثمان فى أمر الوليد، فقال: أكلّما غضب رجل منكم على أميره رماه بالباطل! لئن أصبحتُ لكم لأنكّلنّ بكم؛ فاستجاروا بعائشة؛ وأصبح عثمان فسمع من حجرتها صوتا وكلاما فيه بعضُ الغِلْظة، فقال: أما يجد مُرّاق أهلِ العراق وفُسّاقُهم ملجأً إلا بيتَ عائشة! فسمعتْ فرفعتْ نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت: تركتَ سنّةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحبِ هذه[5] النعل؛ فتسامَع الناسُ فجاءوا حتى ملئوا المسجدَ، فمن قائل: أحسنتْ، ومن قائل: ما للنساء
١٨١/٤ ولهذا! حتى تحاصبوا[6] وتَضاربوا بالنّعال؛ ودخل رهطٌ من أصحاب رسول الله صلى

(١) كذا فى ب، حـ، سـ. وفى سائر الأصول: «الأزدى». والأسد «بإسكان السين»: لغة فى الأزد، يقال فى أزد شنوءة: أسد شنوءة. (٢) يريد أن كل شهوده من اليمن، وقد جاء فى نهاية الأرب (حـ ٢ ص ٢٩٧) فى الكلام على يمن: أن الأشعر والأزد قبيلتان منها، وقد جاء فى الطبرى (ق ١ ص ٢٨٤٩) أن أبا مورّع وأبا زينب أزديان. وقد سقطت هذه الجملة من ط، م، ء.
(٣) المخصرة: ما آختصره الإنسان بيده فأمسكه من عصا أو مقرعة أو عنزة أو عكازة وما أشبهها، وقد يتكأ عليها. (٤) كذا فى ط، م، ء. واسمه: عثمان بن عبد الرحمن بن عمر بن سعد ابن أبى وقاص؛ وهو ممن يروون عن الزهرى. وفى سائر الأصول: «الرقاشى». ولم نجد فى المراجع التى بين أيدينا رقاشيا له رواية عن الزهرى. (٥) فى جميع الأصول: «هذا» وهو تحريف لأن النعل مؤنثة. (٦) فى ط، م، ء: «تخاصموا».

آلله عليه وسلم على عثمان، فقالوا له : اتّق الله ولا تُعطّل الحدّ، وآعزِلْ أخاك عنهم ؛ فعزَله عنهم .

ضرب عثمان رجلا شهد عليه

أخبرنى أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا المَدَائنىّ عن أبى محمد النّاجى عن مَطَر الوَرّاق قال :

قدِم رجل المدينةَ فقال لعثمان رضى الله عنه : إنى صلّيتُ الغداةَ خَلْفَ الوليد ابن عُقْبة، فآلتفتَ إلينا فقال : أأزيدكم ؟ إنّى أجِد اليومَ نشاطا ، وأنا أشَمّ منه رائحة الخمر ؛ فضرب عثمانُ الرجلَ؛ فقال الناس : عُطِّلتِ الحدود وضُرِبت الشهود.

الوليد بن عقبة وعدىّ بن حاتم

أخبرنى أحمد قال حدّثنى عُمر قال حدّثنا أبو بكر البَاهِلىّ عن بعض من حدّثه قال :

لما شُهِد على الوليد عند عثمان بشُرب الخمر كتب إليه يأمره بالشخوص ، فخرج وخرج معه قوم يَعْذِرونه، فيهم عدِىّ بن حاتم، فنزل الوليدُ يوما يَسُوق بهم، فقال يرتجز :

لا تحسَبنّا قد نَسِينا الإيجافْ[1] * والنَّشَوَات من عَتيق أو صَافْ
* وعَزْفَ قَيْناتٍ علينا عُزّافْ *

فقال عَدِىّ : إلى أين تذهب بنا ! أقِمْ ! .

أخبار تتعلق بجلد الوليد الحدّ

أخبرنى أحمد قال حدّثنا عمر قال عَرَضْتُ على المَدَائنىّ عن قَيْس بن الرَّبيع عن الأَجْلَح[2] عن الشّعبىّ[3] عن جُنْدَب قال :

(١) الإيجاف : العنق فى السير، وهو سير فسيح واسع للإبل . (٢) انظر الحاشية رقم ٢ ص ١٢٥ من هذا الجزء . (٣) انظر الحاشية رقم ٣ ص ١٢٥ من هذا الجزء .

كنتُ فيمن شهِد على الوليد، فلما استَتْمَمْنا عليه الشهادةَ حبسه عثمان، ثم ذكر باقىَ خبره وضَرْبَ علىّ عليه السلام إيّاه، وقولَ الحسن: «مالَكَ ولهذا!»، فزاد فيه: فقال له علىّ: لست إذًا مسلما، أو من المسلمين.

حدّثنا إبراهيم بن عبد الله المخزومىّ قال حدّثنا سعيد بن محمد المخزومىّ قال حدّثنا ابن عُلَيّة[1] قال حدّثنا سَعيد بن أبى عَرُوبة عن عبد الله الدّاناج[2] قال سمعت الحُضَين بن المُنْذِر[3] أبا ساسانَ يحدّث، وأخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر ابن شَبّة قال حدّثنا محمد بن حاتم قال حدّثنا إسماعيل بن إبراهيم بن عُلَيّة قال حدّثنا سعيد بن أبى عَرُوبة قال حدّثنا عبد الله الدّاناج عن حُضَين أبى ساسانَ قال:

لما جِىء بالوليد بن عُقْبة إلى عثمان بن عَفّان وقد شَهِدوا عليه بشرب الخمر، قال لعلىّ: دونَك ابنَ عمك فأقِمْ عليه الحدّ؛ فأمَر به بجَلْده أربعين. ثم ذكر نحوَ هذا الحديث وقال فيه: فقال علىّ للحسن: بل ضَعُفْتَ ووَهَنْتَ وعَجَزْتَ، قُمْ يا عبدَ الله بنَ جعفر، فقامَ فجَلَده وعلىّ يَعُدّ حتى بلَغ أربعين، فقال علىّ: أَمسِكْ،

(١) كذا فى أكثر الأصول وهو إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم، وعلية: أمه، وهذا هو الصواب. وفى ط، ى: «علبة» بالباء الموحدة. (راجع المؤتلف والمختلف فى أسماء نقلة الحديث ص ٩٨، والطبقات ق ٢ حـ ٧ ص ٧٠، وتهذيب التهذيب فى اسم سعيد بن أبى عروبة).

(٢) كذا فى حـ، وهو عبد الله بن فيروز الداناج البصرى. والداناج (بفتح الدال والنون): العالم، معرّب دانا. وهو ممن يروى عن حضين ويروى عنه سعيد بن أبى عروبة. وفى سائر الأصول: «عبد الله الرياحى» وهو خطأ. (راجع القاموس مادة: دنج، والخلاصة فى أسماء الرجال ص ٢١٠ طبع بولاق، وتهذيب التهذيب فى اسم عبد الله بن فيروز الداناج، وسعيد بن أبى عروبة، وحضين بن المنذر).

(٣) هو حضين بن المنذر الرقاشى أبو ساسان صاحب راية علىّ يوم صفين، ولا يعرف حضين بالضاد المعجمة غيره (راجع المؤتلف والمختلف فى أسماء نقلة الحديث ص ٣٣، والمشتبه ص ١٦٦، وتهذيب التهذيب فى اسم حضين، والقاموس مادة حضن).

جلَد رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم أربعين ، وجلد أبو بكر أربعين ، وأتمّها عمرُ ثمانين ، وكُلٌّ سُنّة .

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمرُ قال حدّثنا عبد الله بن محمد بن حَكيم عن خالد بن سَعيد قال :

لما ضرب عثمانُ الوليدَ الحدّ قال : إنك لتضربنى اليومَ بشهادة قوم لَيَقْتُلُنَّكَ عامًا قابلا .

كان أبو زبيد من ندمائه وقال شعرا فيه لما عزل

أخبرنى محمد بن العبّاس اليَزيدىّ عن عمّه عبيد الله قال أخبرنى محمد بن حَبيبَ عن ابن الأعرابىّ قال ، وأخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال حدّثنا عمر ابن شَبّة قال حدّثنا عبد الله بن محمد بن حَكيم عن خالد بن سَعيد ، وأخبرنى إبراهيم ابن محمد بن أَيوب قال حدّثنا عبد الله بن مُسْلِم ، قالوا جميعا :

كان أبو زُبَيد الطائى نديما للوليد بن عُقْبة أيّامَ ولايته الكوفةَ ، فلما شُهِد عليه بالسكر من الخمر وخرج من الكوفة قال أبو زُبَيد — واللفظ فى القصيدة لليَزيدىّ لأنها فى روايته أتمّ — :

١٨٢/٤

من يرى العِيرَ لابن أَرْوَى(١) على ظهـ * ـر المَرَوْرَى(٢) حُدَاتُهن عِجالُ
مُصْعِداتٍ والبيتُ بيتُ أبى وَهْـ * ـبٍ خَلاءٌ تَحِنُّ فيه الشَّمالُ
يعرف الجاهلُ المُضَلَّل أنّ الدهـ * ـرَ فيه النَّكْراء والزِّلْزالُ
ليت شعرى كذاكم العهدُ أم كا * نوا أُناسًا كمن يزول فزالوا
بعد ما تَعْلمين يا أُمّ زيدٍ * كان فيهم عِزٌّ لنا وجَمالُ
ووجوهٌ بوُدِّنا(٣) مشرقاتٌ * ونَوَالٌ إذا أُريد النَّوالُ

(١) ابن أروى هو الوليد بن عقبة وأروى أمه وأم عثمان بن عفان كما تقدّم فى أوّل الترجمة . (٢) سيشرح أبو الفرج هذه الكلمة فى أول صفحة ١٣٥ . (٣) فى ط ، ء ، م : « تودّنا » بالتاء .

أصبح البيتُ قد تبدّل بالحىّ * وجوهًا كأنها الأَقْتالُ(١)

كلُّ شىء يَحتال فيه الرجالُ * غير أنْ ليس للمنايا آحتيال

ولَعَمْرُ الإلٰهِ لو كان للسيـ * ـف مَصَالٌ(٢) أو للّسان مَقَال

ما تناسيتُك الصفاءَ ولا الوُدَّ * ولا حال دونك الأشغال

ولَحَرَّمتُ لَحمَك المُتَعَضَّى(٣) * ضَلَّةٌ(٤) ضَلّ حِلمُهم ما آغتالوا

قولُهم شُرْبُك الحرامَ وقد كا * ن شرابٌ سوى الحرام حَلال

وأبَى الظّاهرُ العداوةِ إلّا * شَنَآنًا وقولَ مالا يُقال

من رجالٍ تَقارضوا مُنْكَراتٍ * لِيَنالوا الذى أرادوا فنالوا

غيرَ ما طالبِين ذَحْلًا(٥) ولكن * مال دهرٌ على أُناس فمالوا

مَن يَخُنْك الصّفاءَ أو يتبدّلْ * أو يَزُلْ مثلَ ما تَزولُ الظِّلال

فآعلمَنْ أنّنى أخوك أخو الودّ * حياتى حتى تزولَ الجبال

ليس بخلًا عليك عندى بمالٍ * أبدًا ما أَقَلَّ(٦) نعلًا قِبال

ولك النّصر بآللسان وبالكفّ * إذا كان لليدين مَصَال

نسبة ما فى هذا الشعر من الغناء

صوت

من يَرى العِيرَ لآبن أَرْوَى على ظهـ * ـر المَرْوَرَى حُداتُهنّ عِجالُ

مُصْعِداتٍ والبيتُ بيتُ أبى وَهْـ * ـبٍ خلاءٌ تَحِنّ فيه الشَّمال

(١) الأقتال : الأعداء ، جمع قتل (بالكسر) . و يطلق أيضا على الصديق ، فهو من أسماء الأضداد .

(٢) يقال : صال على قرنه يصول إذا وثب عليه واستطال . (٣) كذا فى ط ، ء . والمتعضى : المتقطع والمتفرّق . وفى سائر الأصول : « المتقصى » ، وهو اسم مفعول من تقصى الشىء إذا طلبه وبالغ فى البحث عنه . (٤) فى ط ، ء : « حدّة » . (٥) الذحل : الثأر .

(٦) أقل الشىء : حمله ورفعه . وقبال النعل (بالكسر) : زمامها وهو السير الذى يكون بين الإصبعين . وفى الشعر والشعراء (ص ١٦٨ طبع أوربا) : « ما أقل سيفا حمال » .

عروضه من الخفيف . المَرَوْرَى : جمع مَرَوْراة وهي الصحراء . غنى الدَّلَّال فيه خفيفَ ثقيل بإطلاق الوتر في مَجرى البِنْصر عن إسحاق وغيره[1] .

لام أهل الكوفة الوليد لأنه أنزل أبا زبيد بدار على باب المسجد

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال :

لما قدِم الوليدُ بن عُقْبة الكوفةَ قَدم عليه أبو زُبَيد، فأنزله دارَ عَقيل بن أبي طالب على باب المسجد وهي دارُ القِبْطي[2]، فكان مما آحْتجّ به عليه أهلُ الكوفة أنّ أبا زُبَيد كان يخرج إليه من داره يخترق المسجدَ وهو نصرانيّ[3] فيجعلُه طريقًا .

أخبرني محمد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدّثني عمّي عُبيد الله[4] عن أبي حَبيب[5] ابن جَبَلة عن آبن الأعرابيّ :

أن أبا زُبَيد وفَد على الوليد حين استعمله عثمانُ على الكوفة، فأنزله الوليد دارًا لعَقيل بن أبي طالب على باب المسجد، فآستوْهبها منه فوَهَبها له ، فكان ذلك أوّلَ الطَّعْن عليه من أهل الكوفة ؛ لأن أبا زُبيد كان يخرج من منزله حتى يَشُقّ الجامعَ ١٨٣/٤ إلى الوليد، فيَسْمُرُ عنده ويشرب معه ويخرج فيَشُقّ المسجدَ وهو سكرانُ، فذلك نبّههم عليه .

(١) في ط ، ء ، م : « خفيف ثقيل الأوّل بإطلاق ... الخ » . (٢) كذا في جميع الأصول . (٣) كذا في أكثر الأصول، وقد كان أبو زبيد نصرانيا . وفي م هنا : «وهو سكران» كما سيرد في جميع الأصول في الخبر الآتي . (٤) هو عبيد الله بن محمد اليزيدي . (٥) كذا في م . وفي ط ، ء : « عبيد الله عن ابن جبلة ... الخ » . وفي سائر الأصول : « عبيد الله بن أبي حبيب عن ابن الأعرابي » . ولعل صحة هذا السند هي : « حدّثني عمي عبيد الله عن ابن حبيب عن ابن الأعرابي » لأن الذي عرفت روايته عن ابن الأعرابي وتسمى بابن حبيب هو أبو جعفر محمد بن حبيب ، وقد قرأ على ابن الأعرابي كتاب النوادر وتوفي سنة ٢٤٥ هـ ، وحبيب : أمه نسب إليها لعدم معرفة أبيه . وقد ورد هذا السند بعينه في صفحتي ١٣٣ و ١٣٧ وهو يؤيد صحة ماذهبنا إليه . (راجع إنباه الرواة ق ١ ج ٢ ص ٩٢ ومعجم الأدباء ج ٦ ص ٤٧٣ وبغية الوعاة ص ٢٩ طبع مصر) .

ولاه عمر صدقات بنى تغلب ثم عزله

قال : وقد كان عمرُ بن الخطّاب رضى الله تعالى عنه ولّى الوليدَ بن عُقْبة صَدَقاتِ بنى تَغْلِب، فبلَغه عنه بيتٌ قاله وهو :

إذا ما شَدَدْتُ الرأسَ منّى بِمِشْوَذٍ (١) * فَغَيَّكِ (٢) منّى (٣) تَغْلِبَ ٱبنةَ وائلِ

فعزَله .

مدحه أبو زبيد لأنه استخلص له إبلا أودعها بنى تغلب

وكان أبو زُبَيد قد ٱستودع بَنِي كِنانةَ بن تَيْم بن أُسامة بنِ مالك بن بكْر ابن حَبيب بن غَنْم بن تَغْلب إبلًا فلم يردّوها عليه حين طلبها ، وكانت بنو تغلب أخوالَ أبى زُبَيد ، فوجد الوليدُ بنى تغلبَ ظالمين لأبى زُبَيد ، فأخذ له الوليدُ بحقّه، فقال يمدح الوليد :

يا ليت شِعرى بأنْباءٍ أُنَبَّؤُها * قد كان يَعْيا بها صَدْرى وتَقْديرى

عن ٱمرِىءٍ ما يَزِدْه اللهُ من شَرَفٍ * أفْرَحْ به ومُرَىٌّ غيرُ مسرور

(يعنى مُرَىَّ بن أَوْس بن حارِثة بن لَأْم) . وهى طويلة يقول فيها :

إنّ الوليدَ له عندى وحُقَّ له * وُدُّ الخليلِ ونُصْحٌ غيرُ مَذْخورِ

لقد رعانى وأدنانى وأظهَرنى * على الأعادى بنصرٍ غيرِ تَعْذِيرِ (٤)

فشَذَّبَ (٥) القومَ عنّى غيرَ مكترِثٍ * حتّى تناهَوْا على رغم وتَصْغيرِ

نفسى فداءُ أبى وَهْبٍ وقَلَّ له * يا أُمَّ عمرٍو فَحُلِّى اليومَ أو سِيرِى

وفى رواية ٱبن حَبيب : " يا أمّ زيد " ، يعنى : يا أم أبى زُبَيْد .

(١) المشوذ : العمامة . (٢) يريد غيا لك ما أطوله منى . (راجع اللسان مادة شوذ) .

(٣) كذا فى ب ، حـ ، س واللسان (مادة شوذ) وفى سائر الأصول : « عنى » .

(٤) كذا فى ط ، ء ، م . والتعذير فى الأمر : التقصير فيه . وفى سائر الأصول : «تقدير» .

(٥) شذب : طرد ودفع .

أقطع أبا زبيد أرضا واسعة فدحه بشعر

أخبرنى محمد بن العبّاس عن عمّه عن محمد بن حَبِيبَ عن ٱبن الأعرابىّ قال : كان الوليد بن عُقْبة قد ٱستعمل الرَّبيع بن مُرَىّ بن أَوْس بن حارثة بن لأْم الطائىّ على الحِمَى فيما بين الجزيرة وظَهْر الحِيرة، فأجْدبتِ الجزيرةُ، وكان أبو زبيد فى تَغْلِب، فخرج بهم ليُرعِيَهم ؛ فأبى عليه الأَوْسِىّ وقال : إن شئتَ أن أُرعِيَك وحدَك فعلتُ وإلّا فلا، فأتى أبو زُبَيد الوليدَ بن عُقْبة، فأعطاه ما بين القصور الحُمْر من الشأم إلى القصور الحُمْر من الحيرة وجعله له حِمًى، وأخذها من الآخر. هكذا روى ٱبن حبيب. وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال : كانت الجُنَيْنَة(١) فى يد مُرَىّ بن أَوْس، فلمّا قدِم الوليدُ بن عُقْبة الكوفةَ ٱنتزعها منه ودفعها إلى أبى زُبَيْد. والقول الأوّل أصحّ، وشِعْر أبى زُبَيد يدلّ عليه فى قوله فى الوليد بن عُقْبة يمدحه :

لَعَمْرُ أبيك يٱبنَ أبى مُرَىٍّ * لَغَيْرُكَ من أباح لها(٢) الدِّيارا
أباح لها(٢) أَبارِقَ(٣) ذات نَوْر * تَرَعَّى القَفَّ(٤) منها والعَرارا(٥)
بحمد الله ثم فتى قريش * أبى وهبٍ غدتْ بُطُنًا غِزَارا(٦)
أباح لها ولا يُحْمَى عليها * إذا ما كنتمُ سَنَةً جِزارا

يريد جزرا من الجدب والشدّة.

(١) الجنينة : علم على مواضع كثيرة. (انظر معجم البلدان لياقوت فى الكلام على الجنينة).

(٢) فى ط، ء، م : «لنا». (٣) الأبارق : جمع الأبرق كسر تكسير الأسماء لغلبته. والأبرق : البرقة إذا اتسعت وهى أرض غليظة فيها حجارة ورمل وطين مختلطة، وتنبت أسنادها وظهورها البقل والشجر نباتا كثيرا يكون إلى جنبها الروض أحيانا. (٤) القف (بفتح القاف) : ما يبس من البقول وتناثر حبه وورقه فالإبل ترعاه وتسمن عليه. (٥) كذا فى ح، م. والعرار (بالفتح) : نبت أصفر طيب الريح، وقيل : هو بهار البر، واحدته عرارة. وفى سائر الأصول : «القفارا». ويناسب هذه الرواية : القف (بضم القاف) : وهو ما غلظ من الأرض وارتفع، وقيل : يكون فى القف رياض وقيعان. (٦) غزارا : جمع غزيرة، وهى من الإبل الكثيرة اللبن.

فـتًى طالت يداه إلى المعـالى * وطَحْطَحتا[1] المُقَطّعة[2] القصارا

وهى أبيات .

نزع منه سعيد ابن العاص هذه الأرض فقال شعرا

قال عمر بن شَبّة فى خبره خاصّة[3] : فلما عُزِل الوليدُ ووَلِيها سعيد آنتزعها منه وأخرجها من يده ؛ فقال :

١٨٤
٤

ولقـد مُتّ غـير أنّى حىٌّ * يوم بانت بودّهـا خنساءُ
من بنى عامرٍ لهـا شِقُّ نفسى * قسمةً مثـلَ ما يُشَـقّ الرداء
أُشْرِبَتْ لونَ صُفرةٍ فى بياضٍ * وهى فى ذاك لَدْنَةٌ غَيْـداء[4]
كلُّ عينٍ ممّن يراها من النّا * س إليها مُـديمةٌ حَـوْلاء
فآنتهُوا إنّ للشدائد أهـلًا * وذَرُوا ما تُزَيّن الأهـواء
ليتَ شـعرى وأين مِنّى ليتٌ * إنّ ليتًا وإنّ لوًّا عَنـاء
أىُّ مناعٍ سعى ليقطع شِربى * حين لاحت للصابح الجَـوْزاء[5]
وآستظلّ العُصفور كَرْهًا مع الضبّ * وأوفى فى عُـوده الحِـرْباء[6]
ونفى الجُنْـدُبُ الحصا بكُراعَيـ * ـه وأذْكَت نيرانَهـا المَعْـزاء[7]
من سَمُوم كأنهـا حَرُّ نارٍ * سَـفَعَتْها[8] ظَهـيرةٌ غَرّاء

(١) كذا فى ط ، ء . وطحطح الرجل ماله : فرّقه . وفى ب ، س : « طحطحن » .
(٢) المقطعة : الثياب القصار أو هى برود عليها وشى . (٣) كذا فى حـ ، م . وفى سائر الأصول : « وقال ... الخ » . (٤) اللدنة : الناعمة . والغيداء : المثنية من النعمة وهى أيضا الطويلة العنق . (٥) الشرب (بالكسر) : المورد . والصابح : الذى يصبح إبله الماء أى يسقيها صباحا . والجوزاء : نجم يقال : إنه يعترض فى جوز السماء أى وسطها ، و إذا طلعت الجوزاء اشتدّ الحرّ . والعرب تقول : إذا طلعت الجوزاء ترقدت المعزاء . (٦) ستأتى رواية فيه فى الصفحة التالية : «واستكن» . (٧) الجندب : الجراد الصغير . وكراعا الجندب : رجلاه . والمعزاء : الأرض الحزنة الغليظة ذات الحجارة . وقيل : هى الصحراء فيها إشراف وغلظ . (٨) يريد أنها أثرت فيها بحرارتها .

وإذا أهلُ بلدةٍ أنكرونى * عَرَفتْنى الدَّوِّيَّةُ المَلْساءُ (١) (٢)
عرفتْ ناقتى الشمائلَ منّى * فهى إلّا بُغَامَها خَرْساء (٣)
عرَفَتْ ليلَها الطويلَ وليلى * إنّ ذا الليلَ للعيون غِطاء (٤)

نسبة ما يغنّى فيه من هذا الشعر

صوت

أىُّ ساعٍ سعى ليقطع شِرْبى * حين لاحت للصابح الجَوْزاءُ
وٱستكنّ العصفورُ كَرْهًا مع الضبّ وأوْفَى فى عوده الحِرْباء
وإذا الدارُ أهلُها أنكرونى * عَرَفتْنى الدَّوِّيَّة المَلْساء
عرفتْ ناقتى الشمائلَ منّى * فهى إلا بُغَامَها خَرْساء
عرفتْ ليلَها الطويل وليلى * إنّ ذا الليلَ للعيون غِطاء

عروضه من الخفيف . غنّاه ٱبنُ سُرَيج خفيفَ رمل مطلق فى مجرى البنصر عن إسحاق ، وغنّى داود بن العبّاس الهاشمىّ فى الخامس ثم الثالث خفيفَ ثقيلٍ أوّل بالوسطى عن عمرو .

شعر أبى زبيد فى تشوّقه للكوفة

قال (٥) ٱبن حبيبَ فى خبره : وقال أبو زُبَيْد يتشوّق إلى الوليد لمّا خرج عن الكوفة :

---

(١) سترد فيه رواية أخرى بعد أسطر : « وإذا الدار أهلها أنكرونى » . (٢) الدوّية : الفلاة ، سميت بذلك لما يسمع فيها من دوىّ . (٣) بغام الناقة : صوت لا تفصح به ، وقيل : إذا قطعت الحنين ولم تمده . (٤) فى م والخزانة للبغدادىّ (ج ٣ ص ٢٨٣) : « النوم » .
(٥) كذا فى ط ، ء . وفى سائر الأصول : «وقال» .

لَعَمْرِى لئن أَمْسَى الوليـــدُ ببلدةٍ (١) * سوای لقد امسيتُ للدهرِ مُعْوِرا (٢)

[قال ابن حبيب : "ويروى سوىّ لقد ..." وهى لغة طيّئ (٣)] .

خلا أنّ رزقَ الله غادٍ ورائحٌ * وأنّى له راجٍ وإن سِرتُ أشهرا

وكان هو الحصنَ الذى ليس مُسلِمى * إذا أنا بالنَّكْراء هيّجتُ (٤) معشرا

إذا صادَفوا دونى الوليـــدَ كأنما * يرون بوادى ذى حَماسٍ (٥) مُزَعْفَرا (٦)

خضيبَ بنانٍ ما يزال براكبٍ * يَخُبّ وضاحِى جلدِه قـــد تقشّرا (٧)

وهى طويلة .

افتخر الوليد على علىّ بن أبى طالب فأجابه وأسكته

حدّثنى إسحاق بن بَنَان الأَنْماطِىّ قال حدّثنا حُبَيْش بن مُبَشِّر قال حدّثنا عُبيد الله بن موسى (٨) قال حدّثنا ابن أبى لَيْلى عن الحَكَم (٩) عن سَعيد بن جُبَيْر عن ابن عبّاس قال :

١٨٥ / ٤

قال الوليد بن عُقْبة لعلىّ بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه : أنا أَحَدُّ منك سِنانًا، وأبسطُ منك لسانا، وأملأُ للكتيبة طِعانا؛ فقال له علىّ رضى الله تعالى عنه : أُسكتْ ! فإنما أنت فاسق؛ فنزل القرآنُ : ﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ﴾ .

---

(١) فى حـ : «سوى تا» بإضافة سوى إلى اسم الإشارة وهو تا . أى سوى هذه البلدة . (٢) كذا فى أكثر الأصول . والمعور : الذى لا حافظ له . وفى حـ ، م : «مثأرا» أى محلا لثأره .
(٣) زيادة عن م . يشير إلى جواز قلب ألف المقصور ياء عند إضافته إلى ياء المتكلم . وقد وردت هذه الزيادة فى حـ أيضا باختلاف فى كلمة سوى فكتبت فيها : «سوى تا» . (٤) فى حـ : «هايجت» .
(٥) ذو حماس : موضع تلقاء عرعر، وقيل : هو مأسدة . (راجع معجم ما استعجم حـ ١ ص ٢٨٦) .
(٦) المزعفر : الأسد الورد، لأنه ورد اللون، وقيل : لما عليه من أثر الدم . (٧) فى ط ، ء ، م : «قشيرا» وهو بمعنى تقشر . (٨) كذا فى أكثر الأصول، وهو عبيد الله بن موسى ابن باذام العبسى أحد الذين يروون عن ابن أبى ليلى محمد بن عبد الرحمن . وفى م : «عبد الله»، وهو تحريف . (راجع الطبرى ق ١ ص ٢٨٩، وتهذيب التهذيب فى اسم محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى) .
(٩) هو الحكم بن عتيبة الكندى أبو محمد كما فى تهذيب التهذيب .

أرسله النبي صلى الله عليه وسلم على صدقات بنى المصطلق فأخبره بردتهم فأرسل خالدا فكذبه

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عُمر بن شَبّة قال حدّثنى محمد بن حاتم قال حدّثنا يونس بن محمد قال حدّثنا شَيْبانُ[1] عن قَتَادة[2] فى قوله تعالى : ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ﴾ قال : هذا آبنُ أبى مُعَيط الوليدُ بن عُقْبة، بعثه النبيّ صلى الله عليه وسلم إلى بنى المُصْطَلِق مُصَدِّقا ، فلما رأوه أقبلوا نحوَه فهابَهم ، فرجَع إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم فأخبره أنهم قد آرتدّوا عن الإسلام ، فبعث النبيّ صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد وأمره أن يتثبّت ولا يعجل ، فآنطلق حتى أتاهم ليلا فبعث عيونَه ، فلمّا جاءوه أخبروه بأنهم متمسّكون بالإسلام وسمعوا أذانَهم وصَلاتَهم ، فلما أصبحوا أتاهم خالد فرأى ما يُعجبه ، فرجع إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم فأخبره .

شكته زوجه الى النبي صلى الله عليه وسلم فأجارها منه فأخفر جواره فدعا عليه.

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا عُبيد الله بن موسى قال حدّثنا نُعيم بن حَكيم[3] عن أبى مَرْيَم[4] عن علىّ :

أنّ آمرأة الوليد بن عُقْبة جاءت إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم تَشْتكى الوليدَ وقالت : إنه يضربها ، فقال لها : "ارجعى وقولى إن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قد أجارنى" ، فآنطلقتْ فمكثتْ ساعةً ، ثم رجعتْ فقالت : ما أَقْلَع عنّى ، فقطعَ رسول الله صلى الله عليه وسلم هُدْبَةً من ثوبه ثم قال : "امضِى بهذا ثم قولى إنّ رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أجارنى" ، فآنطلقتْ فمكثتْ ساعة ثم رجعتْ فقالت : يارسول الله ما زادنى إلّا ضَرْبا ، فرفع يديْه وقال : "اللهمّ عليكَ الوليدَ" مرّتين أو ثلاثا .

مسح النبي صلى الله عليه وسلم على رءوس الصبيان يوم الفتح ولم يمسه

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر بن شبّة ، وحدّثنى أبو عُبَيد الصَّيْرفىّ قال حدّثنى الفضلُ بن الحسن البصرىّ[5] قال حدّثنا عمرُ بن شبّة قال حدّثنا أيّوب بن عمر قال

(١) هو شيبان بن عبد الرحمن التميمى كما فى تهذيب التهذيب . (٢) هو قتادة بن دعامة بن قتادة أبو الخطاب السدوسى كما فى تهذيب التهذيب . (٣) هو أبو مريم الثقفى كما فى تهذيب التهذيب . (٤) هو على بن أبى طالب رضى الله عنه . (٥) كذا فى أكثر الأصول . وفى ط ، ء : «المصرى» .

حدّثنا عمرُ بن أيّوب قال حدّثنا جعفر بن بُرْقان عن ثابت بن الحجّاج[١] عن أبى موسى عبد الله الهَمْدانى :

أنّ الوليــد بن عُقْبة قال : لمــا فتح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مكّة ، جعل أهلُ مكّة يأتونه بصبيانهم فيدعو لهم بالبركة و يمسَحُ على رءوسهم ، فجىء بى إليه وأنا مُخَلَّق[٢] فلم يَمْسَسْنى ، وما منعه إلا أن أُمّى خلَّقتنى بخَلُوق فلم يمسسنى منْ أجل الخلوق .

كان عنده كاهن فقتله جندب بن كعب خشية الفتنة

أخبرنا أحمــد قال حدّثنا عُمَر قال حدّثنا خَلَف بن الوليــد قال حدّثنا المُبَارَك آبن فَضَالة عن الحسن[٣] :

أن الوليد بن عُقْبة كان عنده ساحرٌ يُرِيه كَتِيبتينْ تَقْتِتلان ، فتحمِل إحداهما على الأخرى فتهزِمها ؛ فقال له الساحر : أَيَسُرُّك أن أُرِيَك هــذه المنهزمةَ تغلِب الغالبــةَ فتهزمها ؟ قال : نعم ؛ وأُخْبِر جُنْــدَبٌ بذلك ، فآشتمل على الســيف ثم جاء فقــال : أَفرِجوا ، فضربه حتى قتله ، ففزِع الناسُ وخرجوا ؛ فقال : يأيها الناس لا عليكم ، إنمــا قتلت هذا الساحر لئلا يَفْتِنَكم فى دينكم ؛ فحبسه قليلا ثم تركه .

قتل دينار بن دينار لإطلاقه رجلا أمر بحبسه

أخبرنا أحمــد قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا عمر بن سَعيد الدِّمَشْقِىّ ، وحدّثنا سَعيد بن عبد العزيز عن الزُّهْرِىّ[٤] :

أنّ رجلا من الأنصار نظر إلى رجل يَسْتعلِن بالسِّحْر ، فقــال : أوَ إن السِّحْر لَيُعْلَن به فى دين محمد ! فقتله ؛ فأُتِىَ به الوليــدَ بن عُقْبة فحبَسه ؛ فقال له دينــار بن دينار : فيم حُبِستَ ؟ فأخبره فخلَّى سبيلَه ؛ فأرسل الوليد إلى دينار فقتله .

١٨٦ / ٤

(١) فى ط ، ء ، م : « عن أبى عبــد الله الهمدانى عن أبى موسى » وفى سائر الأصول : « عن أبى عبيد الله الهمدانى عن أبى موسى » . والصواب ما أثبتناه عن تهذيب التهذيب فى اسم ثابت بن الحجاج . (٢) المخلق : المطيب بالخلوق ، وهو ضرب من الطيب مائع فيه صفرة لأن أعظم أجزائه من الزعفران . (٣) هو الحسن البصرى . (٤) هو محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى .

جندب بن كعب الأسدي وشيء من سيرته

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا موسى بن إسماعيل قال حدّثنا حمّاد ابن سَلَمة قال حدّثنا أبو عِمْران الجَوْنيّ :

أنّ ساحراً كان عند الوليد بن عقبة، فجعل يدخل في جوف بقرة ويخرج منه؛ فرآه جُنْدَبٌ، فذهب إلى بيتـه فاشتمل على سيـف، فلما دخل الساحرُ في جوف البقرة، قال : أَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ، ثم ضرب وَسَطَ البقرة فقطعها وقطع الساحرَ في البقرة فانذعر[1] الناسُ، فسجنه الوليدُ وكتب بذلك إلى عثمان رضي الله عنه؛ وكان [السجّان][2] يفتح له البابَ بالليل فيذهب إلى أهله فإذا أصبح دخل السجنَ .

أخبرني أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا حجّاج بن نُصَيْر قال حدّثنا قُرّة[3] عن محمد بن سِيرِينَ قال :

انطلق بجُنْدَب بن كعب إلى سجنٍ خارج من الكوفة وعلى السـجن رجلٌ نصرانيّ، فلما رأى جنـدبَ بن كعب يصوم النهارَ ويقوم الليلَ، قال النّصرانيّ : والله إنّ قوماً هـذا شرُّهم لقومُ صِدْقٍ؛ فوكّل بالسجن رجلاً ودخل الكوفةَ فسأل عن أفضل أهل الكوفة، فقالوا : الأشعث بن قيس؛ فاستضافه، فجعل يرى أبا محمد ينام الليل ثم يُصبح فيدعو بغَدَائه؛ فخرج من عنده فسأل : أيّ أهل الكوفة أفضـل؟ فقالوا : جرير بن عبد الله؛ فوجده ينـام الليل ثم يُصبح فيدعو بغدائه، فاستقبل القبلةَ ثم قال : ربّي ربُّ جُنْدَب وديني على دين جندب، وأسلم .

حدّثني عمي الحسن بن محمد قال حدّثنا الخزّاز[4] عن المَدَائنيّ عن عليّ بن مُجَاهد عن محمـد بن إسحاق عن يزيد بن رُومَانَ عن الزُّهْرِيّ وغيره، قالوا :

(١) في حـ، ط، ى : «فانذعر» . وانذعر الناس : تفرقوا . (٢) زيادة عن حـ .
(٣) هو قرة بن خالد السدوسي . (راجع تهذيب التهذيب في اسم قرة وحجاج بن نصير) . (٤) هو أحمد بن الحارث الخزاز الذي تقدّم ذكره كثيرا في رجال السند .

لما آنصرف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من غزوة بنى المُصْطَلِق، نزل رجلٌ فساق بالقوم ورَجَز، ثم نزل آخرُ فساق بالقوم ورَجَز، ثم بدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُواسِىَ أصحابَه، فنزل فجعل يقول (١): "جُنْـدَبٌ وما جُنْدَب والأَقْطَع (٢) الخير زيد"، فدنا منه أصحابُه وقالوا: يارسول الله ما يَنفعنا مَشْيُك مخافةَ أن تَلْسَعك دابّةُ الأرض أو تُصيبك نكبةٌ، فركب ودنَوْا منه فقالوا: لقد قلتَ قولا ما ندرى ما هو؟ قال: «وما ذاك»؟ قالوا: قولك "جُنْدَب وما جُنْدَب والأقطع الخير زيد"، فقال: "رجلان يكونان فى هذه الأمّة يضرب أحدُهما ضربةً يفرِّق بين الحق والباطل وتُقطع يدُ الآخر فى سبيل الله فيُتْبِع اللهُ آخرَ جسده بأوّله"؛ فكان زَيْدَ بن صُوحَان، قُطعت يدُه يوم جَلُولاءَ (٣) وقُتل يومَ الجمَل مع علىّ. وأما جُنْدَب فإنه رجل دخل على الوليد بن عُقْبة وعنده ساحرٌ يكنى أبا شَيْبان يأخذ أَعْيُنَ الناس فيُخرِج مَصارينَ بطنه ثم يُعيدها فيه؛ فجاء من خلفه فقتلَه، وقال:

الْعَنْ وليـدًا وأبا شَـيْبَانِ * وآبنَ حُبَيْش راكبَ الشّيطانِ
* رسولَ فِرْعونَ إلى هامانِ *

ولاية سعيد بن العاص الكوفة بعد الوليد بن عقبة

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَـبّة قال حدّثنا إبراهيم بن المُنْذر الحِزَامىّ (٤) قال حدّثنى آبن وَهْب (٥) عن يونس عن الزُّهْرىّ قال:

---

(١) فى س: «وجعل يقول رجزا وجعل يقول الخ». (٢) الأقطع: المقطوع اليد.

(٣) جلولاء: اسم لبليدة ونهر عليه عدّة قرى من سواد بغداد، فى طريق خراسان من بغداد. وهناك كانت وقعة جلولاء المشهورة التى كانت للسلمين على الفرس، وبين جلولاء وبين مدينة خانقين سبعة فراسخ.

(٤) قد ورد هذا الاسم فى جميع الأصول مضطربا والصواب ما أثبتناه. راجع تهذيب التهذيب فى اسم ابراهيم بن المنذر، وعبد الله بن وهب. (٥) هو عبد الله بن وهب بن مسلم القرشى شيخ ابراهيم بن المنذر وأحد الذين يروون عن يونس بن يزيد. وقد ذكر فى جميع الأصول: «أبو وهب» وهو تحريف. (راجع التهذيب فى ترجمة ابراهيم بن المنذر، وعبد الله بن وهب، ويونس بن يزيد).

نَزَع عثمانُ بن عفّان الوليدَ بن عقبة عن الكوفة وأمّر عليها سَعيد بن العاص .

قال أبو زيد : فحدّثنى عبد الله بن عبد الرحمن قال حدّثنا سَعيد بن جامِع الهُجَيْمىّ قال :

لمـا أقبل سعيد من المدينة عامدًا للكوفة بعد ما خرج واليًا لعثمان جعل يرتجز فى طريقــه : ١٨٧/٤

وَيْلَ نُسَيّاتِ[1] العِراق منّى * كأننى سَمَعمَعٌ[2] من جِنّ

أخبرنى أحمد قال حدّثنى عمر قال حدّثنى المَدائنىّ عن أبى عَلْقَمة عن سعيد ابن أَشْوَع[3] قال قال عدىّ بن حاتم :

قدِم سـعيدُ بن العاص الكوفةَ فقال : اِغسِلوا هـذا المنبر ، فإن الوليد كان رَجِسا نَجِسا ، فلم يَصْعَده حتى غُسِل ، عيبًا على الوليد . وكان الوليدُ أسنَّ منه وأسْخى نفسًا وألينَ جانبا وأرضى عندهم ، فقال بعضُ شعرائهم :

يا وَيْلَنا قد ذهب الوليدُ * وجاءنا من بعده سعيدُ
* ينقُص فى الصّاع ولا يَزيدُ *

وقال آخر :

فَرَرتُ من الوليد إلى سَعيدٍ * كأهلِ الحِجْر[4] إذ جزِعوا فباروا
يَلِينـا من قريش كلَّ عامٍ * أمـيرٌ مُحْـدَثٌ أو مستشار
لنـا نارٌ تُحرِّقنـا[5] فنَخْشى * وليس لهم فلا يَخْشَـوْن نار

(١) فى م : «ويل لشبان» . (٢) السمعمع : السريع الخفيف والخبيث اللبق .
(٣) كذا فى حـ ، وهو سـعيد بن عمرو بن أشوع الهـمدانى الكوفى القاضى . وفى سائر الأصول : « سعيد بن أسرع » وهو تحريف . (راجع القاموس وشرحه مادة شوع وتهذيب التهذيب فى سعيد بن أشوع) . (٤) الحِجر : اسم ديار ثمود بوادى القرى بين المدينة والشام . (راجع معجم ياقوت حـ ٢ ص ٢٠٨) . (٥) فى حـ : «تخوفنا» .

زيارة الوليد الكوفة بعد عزله وما حصل بينه وبين أهلها

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر قال حدّثنا المَدَائنىّ قال :

قدِم الوليدُ بن عُقْبة الكوفةَ زائرًا للمُغيرة بن شُعْبة ، فأتاه أشرافُ أهــل الكوفة يسلّمون عليه ، فقالوا : والله ما رأينا بَعْدَك مثلَك ؛ فقال : أخيرًا أم شرًّا؟ فقالوا: بل خيرًا ؛ قال : ولكنّى والله ما رأيتُ بعدكم شرًّا منكم ؛ فأعادوا الثناء عليه ؛ فقال: بعضَ ما تُثْنون به ، فوالله إن بُغْضَكم لتَلَف ، و إن حبّكم لصَلَف .

ما حصل بينه وبين قبيصة بن جابر بحضرة معاوية

قال أبو زيد : وذكروا أن قَبِيصة بن جابر كان ممن كثَّر على الوليد[1] ؛ فقال معاوية يومًا والوليدُ وقبيصةُ عنده : يا قَبِيصة ، ما كان شأنُك وشأنُ الوليد ؟ فقال : خيرا يا أميرَ المؤمنين ، فى أوّلِ وَصَلَ الرَّحِمَ وأحسن الكلامَ فلا تسألنّ عن الشكر وحُسْن الثناء ، ثم غضِب على النــاس وغضِبوا عليه وكنّا منهم ، فإمّا ظالمون فنستغفر الله ، وإمّا مظلومون فغفر الله له ، وخُذْ فى غير هــذا ياأمير المؤمنين ، فإنّ الحديثَ يُنْسِى القديم ؛ قال : ولِمَ؟ فوالله لقد أحسن السِّيرةَ و بَسَط الخيرَ وكفَّ الشرّ؛ قال : فأنت أقدرُ على ذلك ياأمير المؤمنين منه فأفعل ؛ قال : اسكُت لا سَكَتَّ ، فسكَتَ وسكَتَ القومُ ؛ فقال له : مالك لا تحدّث؟ قال : نهيتَنى عما كنتُ أُحبّ فسكتُّ عما أكره .

دفن هو وأبو زبيد فى موضع واحد وشعر أشجع السلمىّ فى ذلك

أخبرنى أحمد قال حدّثنى عُمَر قال حدّثنى المَدَائنىّ قال :

ماتَ الوليد بن عُقْبــة فُوَيق الرَّقّة ، ومات أبو زُبَيْــد ، فدُفِنَا جميعا فى موضع واحد . فقال فى ذلك أَشْجع السُّلَمِىّ وقد مرّ بقبريْهما :

مررتُ على عظامِ أبى زُبَيْدٍ * وقــد لاحتْ ببَلْقعةٍ صَــلُودِ[2]

وكان له الوليدُ نَديمَ صِــدْقٍ * فنــادَمَ قــبرُه قبرَ الوليـــد

(١) أى أكثر القول فى عيبه والتشنيع عليه .
(٢) البلقع والبلقعة : الأرض القفر . والصلود من الأرض : الغليظة الصلبة التى لا تنبت شيئا .

وما أدرِى بمن تَبْـدا المنايا * بأحمـدَ(1) أو بأشجـعَ أو يزيد

خرج غازيا للروم وقال شعرا

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه عن ابن الكلبىّ عن أبيه قال: خرج الوليد بن عُقْبة غازيًا للرُّوم وعلى مقدِّمته عُتْبة بن فَرْقَد، فلَقِيه الروم فقاتلوه؛ فقال له رجلٌ من العرب نصرانىٌّ: لستُ على دِينكم ولكنِّى أنصحكم للنَّسَب، فالقومُ مقاتلوكم إلى نصف النهار، فإن رَأَوْكم ضعفاءَ أفنَوْكم وإن صَبرتم هَرَبوا وتركوكم؛ فقال سَلْمان(2) بن رَبيعة: يا معشرَ المسلمين، ما عذرُكم عند الله غدًا إن أُصيب عُتْبةُ بن فَرْقَد وأصحابُه ولم يُغْنِهم أحدٌ منكم!؛ فركب معه ثلاثةُ آلاف رجل على البغال يَجْنُبون(3) الخيلَ، فلَحِقوا عُتْبةَ وأصحابَه، فقاتلوا معهم قتالًا شديدا حتى هزم الله الرومَ. فقال الوليد بن عُقْبة:

188/4

أتانى من الفَجِّ(4) الذى كنتُ آمِنًا * بقيَّـةُ شُذّاذٍ(5) من الخيـل ظُلَّعِ(6)

عليها العبيدُ يضربون جُنُوبَهـا * ونازَلَ منّا كُلُّ خِرْقٍ(7) سَمَيْـذَعِ

فإنِّى زعيمٌ أن تَصيحَ نساؤهم * صياحَ دَجاجِ القريةِ المتوزِّعِ(8)

---

(1) كذا ورد فيما سيأتى فى نسب أشجع وأخباره فى الجزء السابع عشر من الأغانى طبع بولاق. وأحمد ويزيدهما أخوا أشجع، وقد ماتوا جميعا كما رتبوا فى هذا الشعر، أولهم أحمد ثم أشجع ثم يزيد. وأحمد هذا كما قال الصولى: «شاعر قليل المدح للناس، يتغزل فى شعره ويذهب مذهب ابن أبى أمية، وكان أسن من أشجع». وفى جميع الأصول هنا: «بحمزة» موضع «بأحمد». (2) كذا فى ط، ء. وهو سلمان ابن ربيعة الباهلى. وفى سائر الأصول: «سليمان»، وهو تحريف. (راجع الطبرى قسم 1 ص 2805، والمعارف لابن قتيبة ص 221). (3) جنب الدابة: قادها الى جنبه. (4) الفج: الطريق الواسع بين جبلين وهو أوسع من الشعب. (5) الشذاذ: القلال والمتفرقون. (6) ظلع: جمع ظالع وهو الذى فى مشيته غمز يشبه العرج. (7) الخرق من الفتيان: الظريف فى سماحة ونجدة. والسميذع: السيد الكريم الموطأ الأكناف. (8) المتوزع: المتفرق.

مدحه الحطيئة وكذبه الحليس النهدىّ

وقال الحطيئة يمدح الوليدَ بذلك، وكان قد وصله وكان الوليد جَوادا، :

أرى لابن أرْوَى خَلّتين اصطفاهما[(1)] * قِتـالٌ إذا يلْقَى العـدوّ ونائـلُه

فتًى يملأ الشِّيزَى[(2)] ويروَى بكفّه * سِنانُ الرُّدَيْنِىّ[(3)] الأصمّ وعامـلُه

يؤمُّ العـدوّ حيث كان بجحْفَلٍ * يُصِمّ السميعَ جَرْسُه وصواهلُه

إذا حان منه منزِلُ الليل أُوقِدتْ * لأُخراه فى أعلى اليَفَاع[(4)] أوائـلُه

نفَيْتَ[(5)] الجِعادَ[(6)] البِيضَ عن حُرِّ دارهم * فـلم يبْقَ إلا حيّـةٌ أنت قاتلُه

فقال الحُلَيس بنُ نُعيم النَّهدىّ يكذّب الحُطَيئة :

وأبلغْ أبا وهبٍ إذا ما لَقيتَـه * فقد حاربتك الرومُ فيمن تُحاربُ

وفى الأرض حيّاتٌ وأُسْدٌ كثيرةٌ * عدوٌّ ولكنّ الحطيئةَ كاذب

---

(١) ورد هذا البيت فى ديوانه المخطوط رواية أبى سعيد السكرى المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣ أدب ش وديوانه المطبوع بأوربا المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ١١٨٩ أدب هكذا : «أبى لابن أروى خلتان ...» . وورد فيهما عقب هذا البيت ما نصه : «أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس وهى أم عثمان بن عفان رحمه الله تعالى وأمها أم حكيم بنت عبد المطلب البيضاء توءمة عبد الله أبى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، وكان يقال لها : الحصان لا تكلم والصناع لا تعلم» .

(٢) الشيزى : خشب أسود تعمل منه القصاع ، ويطلق على ما صنع من ذلك فيقال للجفان : شيزى . وقد ورد فى ديوانه المخطوط والمطبوع ما نصه : «قال الأصمعىّ : كان يرى أنها من شيز لسوادها وإنما هى جوز قد اسودّت من الدسم» . (٣) الردينىّ : الرمح نسبة إلى ردينة ، وهى امرأة رجل اسمه سمهر كان يبيع الرماح بالخط (موضع) فاذا غاب باعت ردينة مكانه ، وكانا يثقفان الرماح ، فالردينية منسوبة الى ردينة ، والسمهرية منسوبة الى سمهر . وعامل الرمح : صدره . (٤) اليفاع كسحاب : التل .

(٥) رواية البيت فى ديوانه المخطوط والمطبوع هكذا : * نفيت الجعاد الغر من عقر دارهم *

(٦) الجعاد : جمع جعد ، يقال : رجل جعد القفا إذا كان لئيم الحسب ، ويقال : الجعد : البخيل والكريم أيضا فهو من أسماء الأضداد ، ويريد بالجعاد البيض : الروم .

بعض شعره في مقتل عثمان لما أخذ علي أموال الخلافة من بيته

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا عليّ بن محمد عن أبي مِخْنَف عن خالد بن قَطَن عن أبيه قال :

لمّا قُتل عثمان أرسل عليّ فأخذ كلّ ما كان في داره من السلاح وإبلًا من إبل الصدقة ، فلذلك قال الوليد بن عُقْبة :

بني هاشم رُدُّوا سلاحَ ٱبنِ أُختكم * ولا تَنْهَبوه لا تَحِلُّ مَنَاهِبُهْ

ويُروى :

* ولا تَهَبُوه لا تَحِلُّ مواهبُهْ *

بني هاشمٍ كيف الهَوادةُ بيننا * وعند عليٍّ سيفُه ونجائبُه

قتلتم أخي كيما تكونوا مكانَه * كما فعلتْ يومًا بكسرى مَرَازِبُهْ

هكذا في الخبر :

* ولا تهبوه لا تحِلّ مواهبه *

أخبره بجاد مولى عثمان بمقتل عثمان فقال شعرا

أخبرني الطُّوسيّ قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثني عبد الله بن إسحاق الجَعْفَريّ :

أن الوليد بن عُقْبة بن أبي مُعَيط لقي بِجَادًا مولى عثمان ، فأخبره أنّ عثمان قد قُتل ؛ فقال :

ليت أنّي هَلَكتُ قبلَ حديثٍ * سَلَّ جسمي ورِيعَ منه فؤادي

يوم لاقيتُ بالبَلَاطِ(١) بِجادًا * ليت أنّي هلكت قبل بِجاد

(١) البلاط : موضع بالمدينة مبلط بالحجارة بين مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين سوق المدينة .

وقد زِيد فى هذا الشعر بيتٌ ونُقِص منه آخرُ مكانَه وغُنِّىَ فيه، وهو :

صـــــوت

طـال ليــلى وملَّنى عُـوّادى * وتجافَى عن الضـلوعِ مِهادى

مِنْ حـديثٍ نُمِى إلىّ فـما يَرْ * قأُ دمعى ولا أُحِسّ رُقادى ١٨٩/٤

يوم لاقيتُ بالبَـلاط بِجادًا * ليت أنّى هلكتُ قبـل بِجادِ

وبنفسى التى أُحِبّ وأهـلى * وبمـالى وطـارفى وتِـلادى

قلتُ لا تَغْضَبى فذلك قـولى * بلسانى وما يُجِنّ فـؤادى

غنّى فيه ٱبن عَبّاد ثانىَ ثقيل مُطْلَق فى مجرى البنصر فى الأوّل والرابع من الأبيات، وذكر عمرو بن بانة أنه لأبن مُحْرِز، ومن الناس من يَنْسُبه إلى ٱبن سُرَيج فى هذه الطريقة فى الأوّل والثانى، وذكر ٱبن المكّىّ أنه للغَرِيض ثانى ثقيل بالخنصر فى مجرى البنصر، ووافقه يونس . وذكر أنّ فى هذا الشعر لأبن سُرَيج والغريض لحنين فى الخمسة الأبيات . وذكر حَبَش أنّ فيها لمَعْبد ثقيلا أوّل بالوُسطى، ولعبد الله ابن العباس الرَّبِيعىّ ثانى ثقيلٍ بالوسطى، وللغَريض خفيف رملٍ بالوسطى، ولسُلَيم ثقيلٌ أوّل بالوسطى . وذكر أحمد بن عُبَيد أن فيه رَمَلا لأبن جامِع فى البيت الأوّل [illegible]، وأنّ فيه هَزَجا لا يُعرَف صانعه .

غنت جارية للأمين من شعره فتطير

أخبرنى أحمد بن جعفر جَحْظة قال حدّثنى هبة الله بن إبراهيم بن المهدىّ قال حدّثنى أبى قال :

أرسل إلىّ محمد بن زُبَيدة فى ليلةٍ من ليالى الصيف مُقْمِرة : ياعمّ إنّ الحرب بينى وبين طاهر بن الحسين قد سكنتْ، فصِرْ إلىّ، فإنى إليك مشتاقٌ؛ فجئتُه

وقد بُسِط له على سطح زُبَيدة، وعنده سليمان بن جعفر عليه كساءٌ رُوذَبارِىّ(١) وقَلَنْسُوة طويلة، وجَوَاريه بين يديه، وضَعْفُ جاريتُه عنده، فقال لها : غَنِّينى فقد سُرِرتُ بعمومتى؛ فآندفعتْ تغنّيه :

هُمُ قَتَــلوه كى يكونوا مكانه * كما فَعَلَتْ يومًا بكسرى مَرازِبُهْ
بنى هاشمٍ كيف التواصُلُ بيننا * وعنــد أخيه ســيفُه ونجائبُــه

هكذا غنّت؛ وإنمــا هو :

* وعنــد علىّ ســيفُه ونجائبُــهْ *

فغضِب وتطيَّر وقال لهــا : ما قِصّتك وَيْحَك! اِتَّقِى وآنتهِى وغنِّينى ما يسُرّنى ! فآندفعتْ وغنّت :

هــذا مَقامُ مُطَــرَّدٍ * هُدِمتْ منازلُه ودورُهْ

فآزداد تَطَيُّرًا، ثم قال لها : وَيْحَكِ! اِنتهِى، غنِّينى غير هذا؛ فغنّت :

كُلَيبٌ لَعَمْرِى كان أكثرَ ناصرًا * وأيسرَ جُرْمًا منكَ ضُرِّج بالدّمِ

فقال لها : قومى إلى لعنــة الله ! فوثبتْ وكان بين يديه قَدَحُ بلُّور وكان لحبِّــه إيّاه سمّاه بآسمه محمدا، فأصابه طَرَفُ ذيلها فسقط على بعض الصوانى فآنكسر وتفتّت؛ فأقبل علىّ وقال : أرى والله ياعمّ أن هذا آخرُ أيامنا؛ فقلت : كلا ! بل يُبقِيك الله يا أمير المؤمنين ويسرّك؛ قال : ودِجْلةُ والله يا بنىّ هادئة ما فيهــا صوتُ مجداف ولا أحدٌ يتحرّك وهى كالطَّسْت هادئة، فسمِعتُ هاتفا يهتف : «قُضِىَ الْأَمْرُ الَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيانِ» . قال: فقال لى: أسمعتَ ما سمعتُ ياعمّ ؟ فقلتُ : وما هو؟ — وقد والله سمعتُه — فقال : الصوتُ الذى جاء الساعةَ من دِجْلة؛ فقلتُ: ما سمعتُ شيئا،

(١) روذبارى : نسبة إلى روذبار وهو آسم يطلق على مواضع كثيرة فى أصبهان و بغداد وغيرهما .

وما هذا إلّا توهّم؛ فإذا الصوت قد عاد يقول: «قُضِىَ الأمرُ الذى فيه تَسْتَفْتِيَانِ». فقال : آنصرفْ يا عمّ بيّتك الله بخير، فمحالٌ ألّا تكون الآن قد سَمِعتَ ما سمعتُ؛

١٩٠/٤ فآنصرفتُ، وكان آخرَ العهدِ به .

وفد على معاوية نخدعه عن مال له ثم استجدى معاوية فو بخه وشعره فى ذلك وصلة معاوية له

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ ومحمد بن يحيى الصُّولىّ واللفظ له، قالا حدّثنا محمد بن زكريا الغَلَابِىّ قال حدّثنا عبد الله بن الضَّحّاك عن هشام بن محمد عن أبيه، قال محمد : وحدّثنا عبد الله[1] بن محمد ومحمد بن عبد الرحمن جميعا عن مُطَرِّف بن عبد الله عن عيسى بن يزيد، قال :

وفَد الوليدُ بن عُقْبة، وكان جَوَادا، على معاوية؛ فقيل له : هذا الوليد بن عُقْبة بالباب؛ فقال : والله لَيَرْجِعَنّ مُعطِيًا[2] غيرَ مُعْطًى، فإنه الآن قد أتانا يقول: علىّ دَيْن وعلىّ كذا وكذا؛ يا غلام ائذَن له، فأذِنَ له؛ فسأله وتحدّث معه، ثم قال : أمَا والله إن كنّا لَنُحبّ إيثارَ[3] مالك بالوادى وقد أعجب أميرَ المؤمنين، فإن رأيت أن تَهَبه ليزيد فعلتَ؛ فقال الوليد: هو لِيَزِيدَ، ثم خرج وجعل يختلف إلى معاوية أياما، فقال له يوما : أُنظُر يا أمير المؤمنين فى شأنى، فإنّ علىّ مؤونةً وقد أرهقنى دَيْن؛ فقال له معاوية : ألَا تستحى لحَسَبك ونَسَبك! تأخذ ما تأخذ فتبذِّره ثم لا تَنْفكّ تشكو دَيْنا!؛ فقال له الوليد : أفعل، ثم انطلق مكانَه[4] فصار إلى الجزيرة، فقال :

فإذا سُئلتَ تقول لا * وإذا سألتَ تقول هاتِ
تأبَى فِعالَ الخير لا * تُرْوِى وأنت على الفُراتِ
أفَلَا تَمِيل إلى نَعَمْ * أو تَرْكِ لا حتى المماتِ

(١) فى حـ : «عبيد الله» . (٢) فى م «مغيظا» . (٣) فى ط، ء، م : «إتيان» .
(٤) يريد أنه انطلق من فوره .

قال : فبلغ معاوية مَقْدَمُه الجزيرةَ، فخافه وكتب إليه : أن أقبِـلْ إلىّ ؛ فكتب إليـــه :

أَعِفُّ وأَستَحْيِي[(١)] كما قد أمرتَنى * فأَعْطِ سوايَ ما بدا لك وَٱبْخَلِ
سأَحْدُو ركابى عنك إنّ عزيمتى * إذا نابَنى أمرٌ كسَلّة مُنْصُـــلِ[(٢)]
وإنى آمرؤ للرأى منّى تَطرّفٌ * وليس شَبَــا قُفْلٍ علىّ بمُقْفَلِ

ورحَل إلى الحجاز ، فبعث إليه معاوية بجائزة .

[انقضت أخبـار الوليد بن عقبة[(٣)]]

٢/٥

صـــــوت
من المـــائة المختـــارة

ربمـا نبّهــنى الإخـ * ـوانُ والليـــلُ بَهيمُ
حين غارتْ وتدلّتْ * فى مَهاويهـا النجومُ
ونُعاسُ الليل فى عيـ * ـنىّ كالثّاوِى مُقِـــيمُ
للّتى تُعصَـــر لمّــا * أَينعتْ منهـا الكُرُومُ
أنا بالرَّىّ مقـــيمٌ * فى قُرَى الرّىّ أَهـيمُ
ما أُرانى عن قُرَى الرّ * ىِّ مَدَى دهرِى أَريمُ

الشعرُ والغناءُ لإبراهيم الموصلىّ . ولحنُه المختار ثقيلٌ أوّل بإطلاق الوتر فى مجرى البنصر عن إسحاق . ولإبراهيم أيضا فيه خفيفُ ثقيل ؛ وقيل : إنه لأَبنة إسحاق . وفيه لأحمد بن يحيى المكىّ ثانى ثقيلٍ بالوسطى عن الهشامىّ وأحمد بن عُبَيد .

---

(١) كذا فى حـ ، م . وفى باقى الأصول : « وأستفنى » . (٢) المنصل (بضمتين وكمكرم) : السيف . (٣) زيادة عن م .

نسب إبراهيم الموصلىّ وأخباره

نسب إبراهيم الموصلى ونشأته

هو — فيما أخبرنا به يحيى بن علىّ بن يحيى المنجّم عن حمّاد عن أبيه، وأخبرنى به عبدُ الله بن الرّبيع عن وَسْوَاسَةَ، وهو أحمد بن محمد[1] بن إسماعيل بن إبراهيم الموصلىّ عن أبيه عن جدّه وعن حمّاد عن أبيه — إبراهيمُ بن ميمون أو آبن ماهان بن بهمن[2] ابن نسك، وكان سبب نسبه إلى ميمون أنه كتب إلى صديق له فعَنْوَن كتابَه : من إبراهيم بن ماهان؛ فقال له بعضُ فتيان الكوفة : أمَا تَستحى من هذا الأسم ! فقال : هو آسم أبى ؛ فقال : غيِّره ؛ فقال : وكيف أُغيِّره ! فأخذ الكتابَ فمحا ماهان وكتب ميمونَ، فبقِى إبراهيمَ بنَ ميمون .

قال إسحاق عن أبيه : وأصلُنا من فارس، ولنا بيت شريفٌ فى العجم، وكان جدُّنا ميمون هَرَب من جَوْر بعض عُمّال بنى أميّة، فنزل بالكوفة فى بنى عبد الله بن دارِم ، فكان بين إبراهيم و بين وَلَدِ نَضْـلَةَ بن نُعَيْم رَضَاع . وأمُّ إبراهيم آمرأةٌ من بنات الدّهاقين[3] الذين هرَبوا من فارسَ لمـا هرب ميمون أبو إبراهيم ، فنزلوا جميعا بالكوفة فى بنى عبـد الله بن دارِم ، فتزوّجها ماهانُ[4] بالكوفة فولَدتْ إبراهيمَ ومات

٣/٥

(١) كذا ورد هـذا الاسم فى جميع النسخ هنا وسيرد فيما سيأتى فى الصفحة التالية مضطربا فقـد ورد فى ب ، س : « أحمد بن أحمد بن اسماعيل » وفى ط : « محمد بن أحمد بن اسماعيل » وفى حـ : « أحمد بن اسماعيل وسوامة » وفى م : « محمد بن اسماعيل وسوامة » . (٢) فى م : « بهتر » . (٣) الدهاقين : جمع دهقان ، وهو زعيم فلاحى العجم ، وقيـل : رئيس الإقليم . (٤) هو الذى يعرف بميمون كما تقدّم .

فى الطاعون الجارف[١]، وخلّف إبراهيمَ طفلا. وكان مولدُ إبراهيمَ سنةَ خمس وعشرين ومائة بالكوفة، وتوفّى ببغداد سنة ثمانٍ وثمانين ومائة، وله ثلاثٌ وستون سنة .

مات أبوه وهو صغير فكفله آل خزيمة بن خازم

قال أحمد بن أحمد بن إسماعيل وَسْوَاسة[٢] فى خبره : ومات ماهان وخلّف إبراهيمَ طفلا، فكفَلَه آلُ خُزَيمة بن خازِم .

وقال يحيى بن علىّ فى خبره: إنه كان لإبراهيم لمـا مات أبوه سنتان أو ثلاث، وخلّف معه أخوين له من غير أُمّه أكبرَ منـه، فأقام إبراهيم مع أُمّه وأخواله حتى ترَعْرع، فكان مع ولد خُزَيمة بن خازم فى الكُتّاب[٣]، فبهذا السبب صار ولاؤُه لبنى تَميم . وسأله الرشيدُ فقال : ما السببُ بينك وبين بنى تَميم؟ فاقتصَّ عليه قِصّتَه،

---

(١) المعروف فى كتب التاريخ أن الطاعون الجارف وقع بالبصرة فى سـنة تسع وستين هجرية، وهو سابع طاعون فى الإسلام، فإن الأوّل كان على عهـد النبى صلى الله عليه وسلم، والثانى طاعون عمواس فى عهد عمر رضى الله عنه، والثالث بالكوفة فى زمن أبى موسى الأشعرى، والرابع بالكوفة أيضا فى زمن المغيرة بن شـعبة، والخامس الطاعون الذى مات فيه زياد، ثم الطاعون بمصر فى سنة ست وستين، ثم الطاعون الجارف فى سنة تسع وستين، والطاعون الثامن بالشأم فى سنة تسع وسبعين، ثم الطاعون التاسع وهو طاعون القينات فى سنة ست وثمانين، وسمى بذلك لأنه بدأ فى النساء وكان بالشأم وبواسط والبصرة، ثم طاعون غراب بالشأم فى سنة سبع وعشرين ومائة (انظر النجوم الزاهرة ج ١ ص ١٤٠، ١٩٩، ٢٠٩، ٢١٢، ٣٠٤ طبـع دار الكتب المصرية) . ولعل المؤلف يريد بالجارف وصف طاعون وقع بالكوفة بعد سنة خمس وعشرين ومائة (التى ولد فيها ابراهيم الموصلى) بسنتين أو ثلاث .

(٢) أنظر الحاشية رقم ١ فى الصفحة السابقة من هذا الجزء .

(٣) قال الجوهرى فى الصحاح : «الكتّاب والمكتب واحد وجمعه كتاتيب» . ونقل صاحب اللسان هذا القول ثم نقل عن المبرد قوله : إن من جعل الموضع الكتّاب فقد أخطأ، وقال : المكتب : موضع التعليم والكتّاب : الصبيان . وذكر شارح القاموس عن شرح الشفاء أن استعمال الكتّاب للكتب وارد فى كلامهم وأنه استفاض بهذا المعنى كقوله :

وأتى بكتّاب لو انبسطت يدى * فيهـم رددتهـم إلى الكتّاب

(انظر الصحاح والأساس واللسان والقاموس وشرحه مادة كتب) .

وقال : ربَّوْنا يا أمير المؤمنين فأحسنوا تربيتنا، ونشأتُ فيهم وكان بيننا رَضَاعٌ، فتولَّوْنا بهذا السبب؛ فقال له الرشيد : وَيْحَك! فما أُرَاكَ إذًا إلّا مولاى؛ فقال: فهذه والله قصّتى يا أمير المؤمنين .

ما قيل فى سبب نسبته إلى الموصل

قال يحيى بن علىّ فى خبره : وكان سببُ قولهم إبراهيمَ الموصلىّ أنه لما نشأ وآشتدّ(١) وأدرك، صَحِب الفتيانَ وآشتهى الغناءَ فطلبه ، وآشتدّ أخوالُه عليه فى ذلك وبلغوا منه(٢)، فهرَب منهم إلى المَوْصِل، فأقام بها نحوًا من سنة، فلما رجع إلى الكوفة قال له إخوانُه من الفتيان : مرحبًا بالفتى المَوْصِلىّ، فلُقِّب(٣) به . وقال أحمدُ فى خبره : إن سبب طلبه الغناءَ أنه خرج إلى الموصل، فصَحِب جماعةً من الصعاليك كانوا يُصيبون الطريق ويُصيبه معهم ، ويجمعون ما يُفيدونه فيَقْصِفون(٤) ويشربون ويغنّون، فتعلّم منهم شيئا من الغناء وشَدَا، فكان أطيبَهم وأحذقَهم، فلمّا أحسّ بذلك من نفسه آشتهى الغناءَ وطلبه وسافر إلى المواضع البعيدة فيه . وذكر آبنُ خُرْدَاذْبه(٥) — وهو قليل التحصيل لما يقوله ويضمّنه كُتُبَه — أن سببَ نسْبَتِه إلى الموصل أنه كان اذا سكِر، كثيراً ما يغنّى على سبيل الوَلَع :

(١) اشتد : قوى وهذه الكلمة مثبتة فى م، ب وساقطة من باقى النسخ . (٢) أى استقصوا فى إيذائه وتعنيفه . (٣) فى ط، م، ء : «فلجت عليه»، يريد : لصقت به وغلبت عليه . (٤) يقصفون : يرقصون ويلعبون . وفى القاموس وشرحه : «وأما القصف من اللهو واللعب فغير عربىّ . ونص الصحاح يقال : إنها مولدة . وقال آبن دريد فى الجمهرة : فأما القصف من اللهو فلا أحسبه عربيا صحيحا، وهكذا نقله الصاغانى . ويقال : هو الجلبة والإعلان باللهو . وفى الأساس : هو الرقص مع الجلبة ... الخ» . (٥) يلاحظ أن المؤلف وصف ابن خرداذبه بهذه العبارة فى غير موضع من كتابه، مع أن آبن النديم ذكر آبن خرداذبه ومؤلفاته فى كتابه الفهرست (ص ١٤٩ طبع أوربا) ولم يتهمه أو يصفه بقلة التحصيل وضعف الرواية وخصوصا كتابه : «المسالك والممالك» المطبوع بمدينة ليدن سنة ١٣٠٦ هـ فإنه معدود من المصادر القيمة التى يعوّل عليها ويوثق بها . وقد آعتمد عليه فى النقل ياقوت الحموى فى كتابه «معجم البلدان» . ووصفه المسعودى المؤرّخ المشهور — وهو من معاصرى ابن خرداذبه =

أنا جت من طرق مَوْصل * أحمــل قلل خَمْـــرِيا[(١)]
من شــارب المــلوك فلا * بدّ مــن ســكْرِيا

وما سمعتُ بهذه الحكاية إلا عنه، وإنما ذكرتُها على غَثَاثتها لشهرتها عند الناس، وأنها عندهم كالصحيح من الرواية فى نِسْبة إبراهيم الى الموصل، فذكرْتُه دالّاً على عَوَاره.

أخبرنى الحســين بن يحيى المِرْداسىّ وابنُ أبى الأزهر قالا حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : أُسْلِمَ أبى إلى الكُتّاب فكان لا يتعلّم شيئا ، ولا يَزال يُضرب ويُحْبَس ولا يَنْجَع ذلك فيه، فهرب إلى المَوْصل وهناك تعلّم الغناءَ، ثم صار إلى الرّى وتعلّم بها أيضا، ومهَر وتزوّج هناك آمرأته دُوشَار[(٢)] — وتفسير هذا الاسم أسَدان —

= وأبى الفرج — فى مقدمة كتابه « التنبيه والإشراف » (ص ٧٥ طبع مدينة ليدن) بقوله : « ... وأبو القاسم عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبه فى كتابه المعروف بالمسالك والممالك، وهو أعم هذه الكتب شهرة فى خواص الناس وعوامهم فى وقتنا هذا » .

ولعل سبب هذه الخصومة التى حملت أبا الفرج على أن يحامل على ابن خرداذبه هو المنافسة والمعاصرة. وقد وصف المسعودى المنافسة والحسد بين المعاصرين فى مقدمة كتابه التنبيه والإشراف (ص ٧٦، ٧٧) بقوله : «على أن من شيم كثير من الناس الإطراء للمتقدّمين وتعظيم كتب السالفين، ومدح الماضى وذم الباقى، وإن كان فى كتب المحدثين ما هو أعظم فائدة وأكثر عائدة . وقد ذكر أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ : أنه كان يؤلف الكتاب الكثير المعانى الحسن النظم، فينسبه الى نفسه فلا يرى الأسماع تصغى اليه، ولا الإرادات تيمم نحوه، ثم يؤلف ما هو أنقص منه مرتبة وأقل فائدة، ثم ينحله عبد الله ابن المقفع أو سهل بن هارون أو غيرهما من المتقدّمين ومن قد طارت أسماؤهم فى المصنفين، فيقبلون على كتبها ويسارعون الى نسخها، لا لشىء إلا لنسبتها الى المتقدّمين، ولما يداخل أهل هــذا العصر من حسد من هو فى عصرهم ومنافسته على المناقب التى يخص بها ويعنى بتشييدها . وهذه طائفة لا يعبأ بها كبار الناس، وإنما العمل على ذوى النظر والتأمل الذين أعطوا كل شىء حقه من العدل، ووفوه قسطه من الحق، فلم يرفعوا المتقدّم اذ كان ناقصا، ولم ينقصوا المتأخر اذ كان زائدا، فلمثل هؤلاء تصنف الكتب وتدوّن العلوم» اهـ .

(١) لعل هذا الشعر من لغة العامة فى ذلك العهد كالأغانى التى يتغنى بها العامة الآن .

(٢) الأسد بالفارسية : «شير» . ولعل «شار» لغة أو لهجة فى هذه اللفظة . و« دو » بمعنى اثنين .

وطال مُقَامُه هناك، وأخذ الغناءَ الفارسىَّ والعربىَّ، وتزوّج بها أيضا شاهَك أمّ إسحاقَ ٱبنِه وسائرِ ولده . قال : وفى دُوشار هـذه يقول إبراهيمُ، وله فيه غِناءٌ من الهَـزَج، :

دُوشَارُ يا سيّدتى * يا غايتى ومُنْيتى
ويا سرورى من جميـ * ـع الناس رُدّى سِلّتى

أوّل مال وصله على الغناء من خادم لأبى جعفر، أنفقه فى تعلم صنعة الغناء

٤/٥ قال إسحاقُ وحدّثنى أبى قال : أوّلُ شىء أُعْطِيتُه بالغناء أنّى كنتُ بالرّىّ أُنادم أهلَها بالسَّوِيّة لا أرْزَؤُهم شيئا، ولا أُنْفِقُ إلا من بقيّة مالٍ كان معى ٱنصرفتُ به من الموصل؛ فمرّ بنا خادم أنفذه أبو جعفر المنصور إلى بعض عمّاله برسالة، فسمِعَنى عند رجل من أهل الرّىّ، فشُغِف بى وخلَع علىّ دُوَّاجَ سَمّورٍ (١) له قيمة، ومضى بالرسالة ورجع وقد وصَله العاملُ بسبعة آلاف درهم وكساه كُسوةً كثيرة، فجاءنى إلى منزلى الذى كنتُ أسكنه فأقام عندى ثلاثةَ أيام، ووهَب لى نصف الكُسوة التى معه وألفَىْ درهم، فكان ذلك أوّلَ ما ٱكتسبتُه بالغناء، فقلتُ : والله لا أُنفق هذه الدراهم إلا على الصناعة التى أفادَتْنيها، ووُصف لى رجل بالأُبُلَّة (٢) يقال له جُوانُويه (٣) كان حاذقا، فخرجتُ إليه وصحِبتُ فتيانَها، فأخذتُ عنهم وغنّيتُهم فشُغِفوا بى .

---

(١) دوّاج سمور : ضرب من الثياب يتخذ من جلد حيوان يشبه السنور وهى فراء ثمينة تتخذ للبسها ونعومتها وإدفائها وحسنها . وفى حـ : «دراج سمور» بالراء، وهو تحريف .

(٢) الأبلة (بضم الهمزة والباء الموحدة وتشديد اللام وفتحها) : بلدة على شاطئ دجلة البصرة العظمى فى زاوية الخليج الذى يدخل الى مدينة البصرة، وهى أقدم من البصرة، لأن البصرة مصرت فى أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وكانت الأبلة حينئذ مدينة فيها مسالح من قبل كسرى وقائد .

(٣) فى م : «خولويه» .

قصته مع جوانويه الذى أراد أن يتعلم منه ثم سبب اتصاله بالمهدى

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن جدّه قال :

لما أتيتُ جُوانُويَه لم أصادفه فى منزله ، فانتظرتُه حتى جاء ، فلما رآنى احتشمنى وكان مجوسيًّا ، فأخبرتُه بصناعتى والحالِ التى قصدتُه فيها ، فرحّب بى وأفرد لى جَناحا فى داره ، ووكّل بى أُختَه[(1)]، فقدّمتْ إلىّ ما أحتاج إليه ، فلما كان العَشِىُّ عاد إلى منزله ومعه جماعةٌ من الفُرْس ممّن يُغنّى ، فنزلتُ إليه ، فجلسنا فى مجلس قد صُفّى[(2)] لنا فيه نبيذٌ وأُعِدّتْ لنا فاكهة ورَياحينُ ، فجلسنا وأخذوا فى شأنهم وضربوا وغنَّوا ، فلم أجد عند أحدٍ منهم فائدةً ؛ وبلغتِ النَّوْبةُ إلىّ ، فضربتُ وغنّيتُ ، فقاموا كلُّهم إلىّ وقبّلوا رأسى ، وقالوا : سَخِرتَ منّا ، نحن إلى تعليمك لنا أحوجُ منك إلينا ؛ فأقمتُ على تلك الحال أيّاما ، حتى بلَغ محمدَ بن سليمان بن علىّ خبرى ، فوجّه إلىّ فأحضرنى وأمرنى بملازمته ، فقلتُ له : أيها الأمير ، إنى لستُ أتكسّب بالغناء وإنما ألتذُّ فلذلك تعلّمتُه ، وأريد العَوْدَ إلى الكوفة ، فلم أنتفع بذلك عنده وأخذنى بملازمته ، وسألنى : من أين أنا ؟ فانتسبتُ إلى الموصل ، فلزِمتنى وعُرِفتُ بها ؛ ولم أزل عنده أثيرًا مكرّما حتى قدِم عليه خادمٌ من خدَم المهدىّ ، فلما رآنى عنده قال له : أميرُ المؤمنين أحوجُ إلى هذا منك ، فدافَعه عنّى ؛ فلما قدِم الرسولُ على المهدىّ سأله عما رأى فى طريقه ومَقْصِده ، فأخبره بذلك حتى انتهى إلى ذكرى فوصَفنى له ؛ فأمره المهدىّ بالرجوع إلى محمد وإشخاصى إليه ، ففعل ذلك وجاء فأشخصنى إلى المهدىّ ، فحظِيتُ عنده وقدّمنى .

أوّل هاشمىّ صحبه وأوّل خليفة سمعه

قال وَسْواسة فى خبره عن إسحاق فحدّثنى أبى قال :

---

(1) فى م : « جارية » . (2) فى مختار الأغانى لابن منظور (ص ١٠٣ طبع مصر) : « هيّئ » .

كان أوّل هاشمىّ صحِبته علىّ[(١)] بن سليمان بن علىّ أخو جعفر ومحمد ، وكان فتاهم ظَرْفًا ولهوًا وسماحةً ، ووصَفنى له جُوانُويَه ومضى بى إليه ، فوقعتُ من قلبه كلّ مَوْقِع . وأوّلُ خليفة سمِعنى المهدىّ ، وُصِفتُ له فأخذنى من علىّ بن سليمان ، وما سمِع قبلى من المغنّين أحدا سوى فُلَيح بن أبى العَوْراء وسِيَاط ، فإن الفضل بن الرَّبيع وصلهما به .

نهاه المهدى عن الشرب ومصاحبة ابنيه موسى وهارون فلما أبى ضربه وحبسه

قال إسحاقُ : فحدّثنى أبى قال : كان المهدىّ لا يَشرب فأرادنى على مُلازمته وترك الشرب فأبيتُ عليه ، وكنتُ أَغيبُ عنه الأيامَ ، فإذا جئتُه جئتُه مُنْتشيًا ، فغاظَه ذلك منّى فضربنى وحبَسنى ، فحذَقتُ الكتابةَ والقراءةَ فى الحبس ، ثم دعانى يوما فعاتَبنى على شربى فى منازل الناس والتبذُّل معهم ، فقلتُ : يا أمير المؤمنين ، إنما تعلّمتُ هذه الصناعةَ للذّتى وعِشرتى لإخوانى ، ولو أمكننى تركُها لتركتُها وجميعَ ما أنا فيه لله جلّ وعزّ ، فغضِب غضباً شديدا وقال : لا تَدْخل على موسى وهارون ألبتّةَ ، فوالله لئن دخلتَ عليهما لأفعلنّ ولأصنعنّ ، فقلتُ : نعم ، ثم بلغه أنى دخلتُ عليهما وشرِبتُ معهما ، وكانا مُستهترَيْن بالنبيذ ، فضربنى ثلثمائة سوط ، وقيّدنى وحبَسنى .

٥/٥

قال أحمدُ بن إسماعيل فى خبره قال عمّى إسحاق فحدّثنى أبى :

أنه كان معهما فى نزهة لهما ومعهم أَبَانُ الخادمُ ، فسَعَى بهما و بى إلى المهدىّ وحدّثه بما كنّا فيه ، فدعانى فسألنى فأنكرتُ ، فأمر بى فجُرّدتُ فضُربت ثلثمائة وستين سوطا ، فقلتُ له وهو يضربنى : إن جُرْمى ليس من الأجرام التى يحلّ لك بها سَفْكُ

(١) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « عيسى » ، وهو تحريف . (راجع المعارف لابن قتيبة ص ١٩٠) .

دمى، والله لو كان سرُّ ٱبنيك تحت قدمىّ ما رفعتُهما عنــه ولو قُطِعتا ، ولو فعلتُ ذلك لكنتُ فى حالة أَبَانَ السّاعى العبدِ؛ فلمّا قلتُ له هذا ضرَبنى بالسيف فى جَفْنه(١) فشجّنى به، وسقطتُ مغشيًّا علىّ ساعةً، ثم فتحتُ عينىَّ فوقعتا على عينَىِ المهدىّ، فرأيتُهما عَيْنَىْ نادمٍ؛ وقال لعبــد الله بن مالك : خُذْه إليــك . قال : وقَبْل ذلك ما تناول عبــد الله بن مالك السوط من يد سَلّام الأبرش فضَربنى ، فكان ضربُ عبــد الله عندى بعد ضرب سَلّام عافيةً، ثم أخرجنى عبــدُ الله إلى داره وأنا أرى الدنيــا فى عينى صفراءَ وخضراء [وحمــراء](٢) من حَرّ السَّوْط ، وأَمَره أن يتّخذ لى شِبهًا بالقبر فيصيِّرنى فيــه ؛ . فدعا عبدُ الله بكَبْش فذُبِح وسُلخ وألبسنى جلدَه ليسكّن الضربُ ، ودفعنى إلى خادم له يقــال له أبو عثمان سَعيد التركىّ فصــيّرنى فى ذلك القبر، ووكّل بى جاريةً له يقال لها جَشّة(٣) ؛ فتأذّيتُ بنَزٍّ كان فى ذلك القبر(٤) وبالبقّ ، وكان فيه حَلِيٌّ(٥) أستريح إليه، فقلتُ لجشّة: اطلُبى لى آجُرّة عليها فحم وكُنْدُر(٦) يذهب عنّى هذا البقّ، فأتتنى بذلك ، فلمــا دخّنْتُ أظلم القبرُ علىّ وكادت نفسى تخرُج من الغمّ، فٱسترحتُ من أذاه إلى النّزّ فألصقتُ به أنفِى حتى خَفّ الدُّخَان ، فلمّا ظننتُ أنى قد ٱسترحتُ ممّا كنتُ فيه، إذا حيّتان مُقْبلتان نحوى من شقّ القبر تَدُوران حولى بحفيف شديد، فهَمَمْتُ أن آخذ واحدةً بيدى اليمنى والأُخرى بيدى

(١) جفن السيف : غمده . (٢) زيادة عن م . (٣) فى ح : «حسة» .

(٤) كذا فى م ، وهو قريب ممــا جاء فى مختار الأغانى لأبن منظور (ص ١٠٤ طبع مصر) فقد ذكر فيه : «فتأذيت بنتن كان فى ذلك القبر و بالبقّ» . وفى سائر الأصــول : «فتأذيت بنز عيسى باذ و بالبق فى ذلك القبر» . وعيسى باذ : محلة كانت بشرقى بغداد منسوبة الى عيسى بن المهدى، وكانت إقطاعا له .

(٥) كذا فى ط ، ء . والحــلىّ (وزان غنىّ) : يبيس ضرب من الكلأ يسمى النصىّ . وفى سائر الأصول : «وكان فيه خلاء» . (٦) الكندر (بضم فسكون فضم) : اللبان الذكر .

اليسرى فإمّا علىّ و إمّا لى، ثم كُفِيتُهما، فدخلنا من الثَّقب الذى خرجنا منه، فمكثتُ فى ذلك القبر ما شاء الله، ثم أُخرجتُ منه؛ ووجّهتُ إلى أبى عثمان الخادم أسأله أن يبتعنى جَشّةَ لأُكافئها عمّا أولتْنى ففعل، فزوّجتُها من حاجبٍ لى، ولم تزل عندنا . قال إسحاق : مكثتْ عندنا حتى ماتت، و بقيتْ بنتٌ لها يقال لها جُمعة، فزوّجتُها من مولًى لى فى سنة أربع وثلاثين ومائتين .

قال إبراهيم : وقلتُ فى الحبس [وأنا مقيّد](١) :

ألَا طال ليلِى أُراعى النجوم * أُعالج فى السّاق كَبْلًا ثقيلَا
بدارِ الهَوَانِ وشرّ الديار * أُسامُ بها الخسفَ صبراً جميلا
كثيرَ الأخلّاء عنــد الرّخاء * فلمّــا حُبِستُ أراهم قليــلا
لطول بلائىَ مَلَّ الصــديقُ * فلا يأمَنَنّ خليــلٌ خليــلا

قال : ثم أخرجنى المهدىّ وأحلفنى بالطّلاق والعتاق وكلّ يمين لا فُسْحة لى فيها ألّا أدخلَ على آبنيه موسى وهارون أبدا ولا أُغنّيهما، وخلّى سبيلى . قال : وصنعتُ فى الحبس لحناً فى شعر(٢) أبى العتاهية لمّا حبسه المهدىّ بسبب عُتْبة، وهو : ٦/٥

صنع وهو فى الحبس لحنا فى شعر أبى العتاهية

صــــوت

أيا وَيْحَ قَلْبِى من نَجِىّ البَلَابِلِ * و يا ويحَ ساقٍ من قُرُوح السّلاسلِ
و يا ويحَ نفسى وَيْحَها ثم ويحها * ألَمْ تَنْجُ يوماً من شِباك الحبائل
و يا وَيْحَ عينِى قــد أضرّبها البُكا * فلم يُغْنِ عنها طِبُّ ما فى المكاحل
ذَرِينى أُعَلِّل نفسىَ اليــوم إنها * رهينــةُ رَمْسٍ فى ثرًى وجَنَادل
ذَرِينى أُعَلِّل بالشّراب فقــد أرى * بقيّــةَ عيشى هــذه غيرَ طائل

(١) زيادة عن حـ . (٢) كذا فى حـ، م . وفى سائر الأصول : « من شعر... الخ» .

الشعر لأبى العتاهية، وذكر حمّاد أنه لجدّه إبراهيم . والغناء لإبراهيم رَمَلٌ بالوسطى فى الثلاثة الأبيات الأُوَل، وله فى البيتين الأخيرين ثقيلٌ أوّل بالوسطى.

طلبه الهادى لما ولى الخلافة وكان استتر منه برًّا بيمينه للمهدىّ

قال حمّاد : فلما وَلِيَ موسى الهادى الخلافةَ آستترجدّى منه ولم يَظهر له بسبب الأيمان التى حلّفه بها المهدىّ ، فكانت منازلُنا تُكبَس فى كل وقت وأهلُنا يُروَّعون بطلبه حتى أصابوه فمضوا به إليه، فلما عاينه قال : يا سيّدى، فارقتُ أمّ ولدى وأعزّ خلق الله علىّ، ثم غنّاه لحنَه فى شعره :

صــــوت

يأبنَ خيرِ الملوك لا تترُكَنّى * غَرَضًا للعدوّ يرمى حِيالى[(1)]

فلقد فى هواك فارقتُ أهلى * ثم عرَّضتُ مهجتى للزوال

ولقد عِفْتُ فى هواك حياتى * وتغرّبتُ بين أهلى ومالى

الشّعرُ والغناءُ لإبراهيم خفيفُ رَمَلٍ بالوسطى . قال إسحاق : فموّله[(2)] والله الهادى وخوّلَه، وبحَسْبك أنه أخذ منه فى يوم واحد مائةً وخمسين ألفَ دينار[(3)]، ولو عاش لنا لبنيْنا حِيطانَ دُورِنا بالذهب والفضة .

ما وصل اليه من الأموال وما تركه وشىء عن مروءته

قال حمّاد قال لى أبى : نظرتُ إلى ما صار إلى جَدّك من الأموال والغَلّات[(4)] وثمن ما باع من جواريه، فوجدتُه أربعةً وعشرين ألفَ ألفِ درهم سوى أرزاقِه الجارية، وهى عشرة آلاف درهم فى كلّ شهر، وسوى غَلّات ضِياعه، وسوى الصِّلات النّزْرَة التى لم يحفظها؛ ولا والله ما رأيتُ أكمَلَ مروءةً منه ، كان له طعامٌ

(١) كذا فى ط، ء، م . وفى سائر الأصول : «حبالى» بالباء، وهو تصحيف .

(٢) موّله وخوّله : أعطاه مالا وخولا .

(٣) فى مختار الأغانى : «درهم»

(٤) فى ط ، ء ، م : «والصلات» .

مُعَــدّ فى كل وقت؛ فقلت لأبى : أكان يُمكنه ذلك؟ فقال : كان له فى كل يوم ثلاثُ شِيَاه : واحدةٌ مقطَّعةٌ فى القدور، وأخرى مسلوخةٌ ومعلَّقة، وأخرى حيّة، فإذا أتاه قومٌ طَعِمُوا مافى القدور، فإذا فرغتْ قُطّعت الشاة المعلّقة ونُصبت القدور وذُبِحت الحيّــة فعلِّقت وأُتِىَ بأخرى فجُعلت وهى حيّة فى المطبخ؛ وكانت وظيفتُه لطعامه وطِيبِه وما يُتّخذ له فى كل شهر ثلاثين ألف درهم سوى ما كان يُجرِى وسوى كُسْوته؛ ولقــد آتفق عنــدنا مرّةً من الجــوارى الودائع لإخوانه ثمانون جارية، ما منهنّ واحدة إلا ويُجْرِى عليها من الطعام والكُسوة والطِّيب مثلَ ما يُجرِى لأخصّ جواريه ، فإذا رُدّت الواحدة منهنّ إلى مولاها وصَلها وكساها، ومات وما فى ملكه إلا ثلاثة آلاف دينار، وعليه من الدّين سبعمائة دينار قُضِيَتْ منها .

اشترى منه الرشيد جارية وسأله الحطيطة من ثمنها فكان منه مادل على سمو نفسه

أخبرنى محمــد بن خَلَف وَكِيعٌ ويحيى بن علىّ بن يحيى وآبن المَــرْزُ بان قالوا أخبرنا حمّاد بن إسحاق قال : ٧/٥

كان أبى يحدِّث أن الرشيد آشترى من جَدّى جاريةً بستة وثلاثين ألفَ دينار، فأقامت عنده ليلةً ، ثم أرسل إلى الفضلِ بن الربيع : إنا آشترينا هذه الجاريةَ من إبراهيم ، ونحن نحسب أنها من بابَتِنا(١) وليست كما ظننتُها ، وما قَرِبتُها، وقد ثقُل علىّ الثمنُ و بينك و بينه ما بينكما، فآذهب إليه فسَلْه أن يَحُطّنا من ثمنها ستةَ آلاف دينار؛ قال: فصار الفضلُ إليه فآستأذن [عليه](٢) فخرج جدّى فتلقّاه؛ فقال : دَعْنى من هذه الكرامة التى لا مُؤْنة بيننا فيها، لستُ ممّن يُخدع، وقد جئتُك فى أمرٍ أَصْدُقُك عنه، ثم أخبره الخبرَ كلّه؛ فقال له إبراهيم : إنه أراد أن يبلوَ قَدْرَك عندى؛ قال : ذاك

(١) البابة : الوجه والطريق، و يقال : هذا شىء من بابتك، أى يصلح لك (راجع الحاشية رقم ٩ ص ١٧٩ من الجزء الأوّل من هذا الكتاب طبع دار الكتب المصرية) . (٢) زيادة عن م .

أراد! قال: فمالي كلّه صدقةٌ في المساكين إن لم أُضعِّفه لك، قد حَطَطْتُك[1] آثني عشر ألف دينار، فرجع الفضلُ إليه بالخبر، فقال: وَيْلَك! ادفعْ إلى هذا مالَه، فما رأيتُ سُوقةً قطُّ أنبلَ نفسًا منه. قال أبي: وكنتُ قد أتيتُ جدّك فقلتُ: ما كان لحطيطةِ هذا المال معنًى وماهو بقليل، فتغافَل عنّي وقال: أنت أحمقُ، أنا أعرفُ الناسِ به، والله لو أخذتُ المالَ منه كَمَلًا[2] ما أخذتُه إلا وهو كاره، ويحقد ذلك عليّ وكنتُ أكون عنده صغيرَ القَدْر، وقد مَنَنْتُ عليه وعلى الفضل، وآنبسطتْ نفسُه ونَشِط وعظُم قَدْرى عنده، وإنما آشتريتُ الجاريةَ بأربعين ألف درهم، وقد أخذتُ بها أربعة وعشرين ألف دينار، فلما حُمل المالُ إليه بلا حَطيطة دعاني فقال لي: كيف رأيتَ يا إسحاقُ! مَن البصيرُ أنا أم أنت؟ فقلتُ: بل أنت جعلني الله فداءك.

حوار الفضل بن يحيى له وقد رآه خارجا من عند الفضل بن الربيع

حدّثني وَكيع قال حدّثنا حمّاد قال حدّثني أبي قال:

لَقِيَ الفضل بن يحيى أبي وهو خارج من عند الفضل بن الرّبيع، وكانا متجاورَيْن في الشّمّاسيّة[3]، فقال: من أين يا أبا إسحاق؟ أمن عند الفضل بن الربيع؟ قلت: نعم، غيرَ معتذرٍ من ذلك؛ فقال: خروجٌ من عند الفضل بن الربيع إلى الفضل بن يحيى! هذان والله أمران لا يجتمعان لك! فقال: والله لئن لم يكن فيّ ما يتّسع لكما حتى يكون الوفاءُ لكما جميعا واحدا ما فيّ خيرٌ، والله لا أترك واحدا منكما

(١) كذا في ط، ى. وفي م: «حطّطته». وفي سائر الأصول: «حططت».

(٢) كملا (بفتحتين) أي كاملا وافيا. قال الليث: هكذا يتكلم به في الجمع والوحدان سواء، لا يثنى ولا يجمع وليس بمصدر ولا نعت وإنما هو كقولك: أعطيته المال كله. (انظر المصباح المنير واللسان مادة كمل).

(٣) الشماسية: محلة مجاورة لدار الروم التي في أعلى مدينة بغداد وإليها ينسب باب الشماسية، وفيها كانت دار معز الدولة أبي الحسين أحمد بن بويه.

لصاحبه، فمن قَبِلنى على هـذا قَبِلنى، ومن لم يقبلنى فهو أعلم؛ فقـال له الفضل بن يحيى : أنت عندى غير متَّهم، والأمرُ كما قلتَ، وقد قَبِلتُك على ذلك .

كان فى الحبس فذكره الرشيد فأحضره فغناه فوصله

أخبرنى إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنى إسحاق قال حدّثنى أبى :

أن الرشيد غضِب عليه فقيّده وحبسه بالرَّقّة (١)، ثم جلس للشرب يوما فى مجلس قد زيّنه وحسّنه، فقال لعيسى بن جعفر : هل لمجلسنا عيبٌ؟ قال : نعم، غَيْبةُ إبراهيمَ الموصلىِّ عنـه؛ فأمر بإحضارى فأُحضِرتُ فى قيـودى ، ففُكَّتْ عنّى بين يديه ، وأمرهم فناولونى عُودا وقال : غنِّنى يا إبراهيم؛ فغنّيته :

تَضَوَّعَ مِسْكًا بَطْنُ (٢) نَعْمانَ أَنْ مشتْ * به زينبٌ فى نِسْـوةٍ خَفِـراتِ (٣)

فآستعاده وشرب وطرِبْ ، وقال : هَنَأْتَنِى يومى وسأُهنئك بالصِّـلة ، وقد وهبتُ لك المَنِىءَ والمَرِىءَ (٤)؛ فآنصرفتُ ، فلما أصبحتُ عُوِّضتُ منهما مائتى ألف درهم .

نسـبة هذا الصـوت

صـــوت

٨/٥

تَضَوَّعَ مِسكًا بطنُ نَعْمانَ أَنْ مشتْ * به زينبٌ فى نِسْـوةٍ خَفِـراتِ
مَرَرْنَ بفَـخٍّ (٥) رائحـاتٍ عَشِـيّةً * يُلَبِّـين للرّحمن مُعْتَمِراتِ

(١) الرقة : مدينة على الجانب الشرقى من الفرات بينها وبين حرّان ثلاثة أيام . (٢) بطن نعمان : واد بين مكة والطائف كثير الأراك . (٣) فى م : « عطرات » . (٤) يريد أنه أقطعه ضيعتهما أى المنىء والمرىء كما فى ياقوت : نهران بازاء الرقة والرافقة حفرهما هشام بن عبد الملك وأحدث فيهما مدينة «واسط الرقة» . قال ياقوت نقلا عن البلاذرى : ثم ان تلك الضيعة (أعنى المنىء والمرىء) قبضت فى أوّل الدولة العباسية وانتقلت الى أم جعفر وزادت فى عمارتها ، ثم قال : وهما يسقيان عدّة بساتين، مستمدهما من الفرات ومصبهما فيه . (٥) فخ : موضـع بينه وبين مكة ثلاثة أميال ؛ روى أن النبى صلى الله عليه وسلم اغتسل به قبل دخوله مكة ، وبه كانت وقعة الحسين وعقبة ، وبه مقابر المهاجرين كل من جاور بمكة منهم فمـات يوارى هناك . (معجم ما استعجم للبكرى) .

يُخَمِّرْنَ(١) أطرافَ البَنانِ من التُّقَى * ويَقْتُلْنَ بالألحاظ مُقْتَدِراتِ(٢)
ولمّا رأت ركبَ النُّمَيْرِىّ أعرضتْ * وكُنّ مِنَ أن يَلْقَيْنَه حَذِراتِ

الشعر للنُّمَيْرِىّ(٣) الثقفىّ. والغناء لابن سُرَيج ثانى ثقيل بالخنصر فى مجرى البنصر عن إسحاق ويحيى المكّىّ وعمرو بن بانة . وذكر حبشٌ أن فيه لعَزّة المَيْلاءِ لحنًا من الثقيل الأوّل .

أنشده يحيى بن خالد بيتا فثناه وغنى فيه فأجازه

أخبرنى محمد بن مَزْيَد وأحمد بن جعفر جَحْظة قالا حدّثنا حمّاد بن إسحاق قال، وأخبرنى الصُّولىّ قال حدّثنى عَوْن بن محمد جميعا عن إسحاق عن أبيه قال :

رأيت يحيى بن خالد خارجا من قصره الذى عند باب الشَّمّاسيّة يريد قصره الذى بباب البَرَدان(٤) وهو يتمثّل :

صوت

هَوًى بتِهامةٍ وهوًى بنجدٍ * فأبلتْنى(٥) التَّهائمُ والنُّجودُ

قال أبى : فزدتُه عليه :

أُقيمُ بذا وأذكرُ عهدَ هذا * فلى ما بين ذَيْن هوًى جديدُ

(١) يخمرن : يغطين . (٢) روى المبرد هذا البيت فى الكامل هكذا :
يخبئن أطراف البنان من التقى * ويخرجن شطر الليل معتجرات
ومعتجرات : مختمرات بالمعاجر، والمعجر : ثوب تشده المرأة على رأسها . (٣) هو محمد بن عبد الله ابن نمير، شاعر غزل ، من شعراء الدولة الأموية، مولده ومنشؤه بالطائف . وكان يهوى زينب بنت يوسف بن الحكم أخت الحجاج بن يوسف، وله فيها أشعار كثيرة يتشبب بها . وله ترجمة فى الأغانى (ج ٦ ص ٢٤ طبع بولاق) . (٤) البردان (بفتح الباء الموحدة والراء والدال المهملتين) : قرية من قرى بغداد عامرة وهى على شاطئ دجلة الشرقىّ، وبينها وبين بغداد خمسة فراسخ . (٥) فى م : «فأبكتنى» بالكاف .

قال : وصنعت فيه لحنًا — قال الصُّولىّ فى خبره : وهو من خفيف الثّقيل — ثم صِرتُ إليه فغنّيته إيّاه ، فأمر لى بألف دينـار و دابّته(١) التى كانت تحتـه يومئذ بسَرْجها ولجامها ؛ فقلت له : جزاك الله من سـيِّد خيرًا ، فإنك تأتى الأنفُسَ وهى شواردُ فتُقِرّها ، والأهواءَ وهى سَقيمة فتُصحّحها ؛ فأمر لى بألف دينار أخرى .

قال إبراهيم : ثم ضَرَب الدهرُ من ضَرْبه(٢) ، فبينا أنا أسير معه إذ لقِيه العبّاس ابن الأحنف ، وكان ساخطا عليه لشىء بلغه عنه ، فترجّل له وأنشده :

صـــوت

بالله يا غضبانُ إلّا رَضِيتْ * أذاكرٌ للعهدِ أم قد نسِيتْ

فقال : بل ذاكرٌ يا أبا الفضل ؛ فأضفتُ إلى هذا البيت :

لو كنتُ أبغى غيرَ ماتشتهى * دعوتُ أن تُبلَى كما قد بُليتْ

وصنعت فيه لحنا — قال الصُّولىّ فى خبره : هو ثقيل أوّل — قال : وغنّيتُه به ، فأمر لى بألفىْ دينار وضحِك ؛ فقلت : من أىّ شىء تَضْحك ياسـيّدى ؟ لا زلتَ ضاحكا مسرورا ! فقال : ذكرتُ ما جرى فى الصوت الأوّل وأنه كان مع الجائزة دابّةٌ بسرجه ولجامه(٣) ، ولن تنصرف الليـلةَ إلا على مثله ، فقمتُ فقبّلت يدَه ؛ فأمر لى بألفىْ دينار آخرين ، وقال : تلك الكَرّة شكَرْتَ على الجائزة بكلام فزِدناك ، والآن شكرتَ بفعلٍ أوجب الزيادة ، ولولا أنّى مُضيقٌ فى هـذا الوقت لضاعفتُها ، ولكنّ الدهرَ بيننا مستأنَفٌ جديد .

غنّى الرشيد فى طريقه إلى طوس بشعر له فاستحسن الغناء دون الشعر

حدّثنى جَحْظة قال حدّثنى هِبَةُ الله بن إبراهيم بن المهدىّ عن أبيه قال :

(١) فى ط ، ء : « بدابته الذى كان ... » والدابة تطلق على المذكر والمؤنث . (٢) أى مرّ من مروره ومضى بعضه . (انظر اللسان مادة ضرب) . (٣) كذا فى ط ، ء ، وهو الذى يوافق الضمير فى : « الا على مثله » . وفى باقى الأصول : « بسرجها ولجامها » .

لمّا نزل الرشيدُ فى طريقه إلى طُوس[1] بشِبْداز[2] جلس يشرب عنده، فكان إبراهيمُ الموصلىّ أوّلَ من غنّاه، فابتدأ بهذا الصوت، والشعرُ له، :

٩/٥

صــوت

رأيتُ الدِّينَ والدُّنيا * مُقيمَيْن بشِبْدازِ
أقاما بين حَجّاجٍ[3] * وغازٍ أيّما غازِ

— وهو من الثقيل الأوّل — فأمر له بألف دينار، ولم يَستحسن الشعرَ، وقال له : يا إبراهيم صَنْعتُك فيه أحسن من شعرك، فخجل وقال : يا سيّدى شغَل خاطرى الغناءُ فقلت لوقتى ما حضَرنى، فضحك الرشيد من قوله وقال له : صدقتَ .

كان كثير الأصدقاء من الأشراف

أخبرنا يحيى بن علىّ بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال :

كان جدّك محبًّا للأشراف كثيرَ الأصدقاء منه، حتى إنْ كان الرشيدُ ليَقولُ كثيرا : ما أعرف أحدًا أكثرَ أصدقاءَ من إبراهيم .

كان مع الغناء كاتبا وشاعرا وخطيبا

قال إسحاق : وما سمعتُ أحسنَ غناءً من أربعة : أبى، وحَكَم الوادى، وفُلَيح ابن أبى العَوْراء، وسِيَاط؛ فقلت له : وما بلغ من حِذْقهم ؟ قال : كانوا يصنعون فيُحسنون، ويؤدّون غناءَ غيرِهم فيُحسنون؛ فقلت : فأيّهم كان أحذق؟ قال: كانوا

---

(١) طوس (بضم أوّله وسين مهملة) : مدينة معروفة ما بين الرىّ ونيسابور فى أوّل عمل خراسان وفيها دفن هارون الرشيد . قال ابن حوقل : وعلى ربع فرسخ منها قبر على بن موسى الرضا . (٢) كذا فى ط، ء . وشبداز : موضع بين حلوان وقرميسين تبعد عن قرميسين يسرة بأقل من فرسخين . وفى سائر الأصول : « شيراز » وهو تحريف . (راجع معجم البلدان فى الكلام على شبداز والمسالك والممالك لابن خرداذبه فى كلامه على الطريق من مدينة السلام الى أقاصى خراسان ص ١٨ طبع مدينة ليدن) .

(٣) كذا فى ب، س . وفى سائر الأصول : « أقاما مع حجاج » . والحجاج : الكثير الحج . يريد أن الدين والدنيا قد اجتمعا للرشيد الذى كان كثير الحج والغزو .

بمنزلة خطيب أو كاتب أو شاعر يُحسن صناعته ، فإذا آنتقل عنها إلى غيرها لم يبلُغ منها ما يبلُغ من صناعته، وكان جدُّك كرجل مفوَّه، إن خطب أَجْزل، وإن كتب رسالة أَحْسن، وإن قال شعرا أَحْسن، ولم يكن فيهم مثلُه .

هو أول من علم الجوارى الحسان الغناء وشعر أبى عيينة فى ذلك

أخبرنى الحسين بن يحيى قال حدّثنا حمّاد عن أبيه ، وأخبرنى علىّ بن عبد العزيز عن ابن خُرْدَاذْبَه ، وأخبرنى إسماعيل بن يونس عن عُمر بن شَبّة جميعا عن إسحاق قال :

لم يكن الناس يعلِّمون الجاريةَ الحسناء الغناءَ، وإنما كانوا يعلِّمونه الصُّفْرَ والسُّودَ؛ وأوّل من علّم الجـوارىَ المُثَمَّناتِ أبى ، فإنه بلغ بالقِيان كلَّ مَبلغ ، ورفع من أقدارهنّ . وفيـه يقول أبو عُيَيْنة بن محمد بن أبى عُيَيْنة المهلَّبىّ وقـد كان هَـوِى جاريةً يقال لهـا أمان فأغلَى بها مولاها السَّوْمَ، وجعل يردّدها إلى إبراهيم وإسحاق ابنـه فتأخذ عنهما ، فكلمـا زادت فى الغناء زاد فى سَوْمِه، فقال أبو عُيَيْنة :

قلتُ لـمّـا رأيتُ مولَى أمانٍ * قـد طَغَى سـومُه بها طُغْيانَا
لا جَزَى الله المَوْصلىّ أبا إسـ * ـحاقَ عنّـا خيراً ولا إحسانَا
جاءنا مُرْسَلا بوَحْيٍ من الشيـ * ـطان أغلَى به علينـا القِيـانَا
من غِنـاءٍ كأنه سَـكَرات الـ * ـحبّ يُصْبِى القُلوبَ والآذانَا

شعر ابن سيابة فيه

وقال فيه آبن سيابةَ[1] :

صـــوت

ما لإبراهـيمَ فى العِلْـ * ـم بهـذا الشأن ثانِى
إنمـا عُمْـر أبى إسـ * ـحاق زَيْنٌ للزمان

---

(١) هو إبراهيم بن سيابة مولى بنى هاشم، وله ترجمة فى الجزء الحادى عشر من الأغانى طبع بولاق .

جَنّــةُ الدُّنيــا أبو إســ * ــحاق فى كلّ مكانِ
فإذا غَــنّى أبو آسحا * ق أجابتْـــه المَثَــانى[(١)]
منــه يُجْنَى ثَمَـــرُ اللهـ * ـو وريحــانُ الجنَــان

لإبراهيم فى هذا الشعر لحنان: خفيفُ ثقيل بالبنصر، وخفيفُ رَمَل بالوسطى عن عمرو والهِشَامىّ.

شعر أبى العتاهية فيه وهو محبوس

أخبرنى عمّى عن أحمد بن أبى طاهر عن أبى دِعَامةَ[(٢)] قال:

كان سَلْم الخاسر عند أبى العتاهية، فأخبره سلم أنّ الرشيد حبَس إبراهيم الموصلىّ فى المُطْبِق[(٣)]؛ فأقبل عليه أبو العتاهية فقال:

سَــلْمُ ياسَــلْمُ ليس دونك سِـــرٌّ[(٤)] * حُبِس المَوْصـــلىُّ فالعيشُ مُرُّ
ما آستطابَ اللّذاتِ مُذْ سَكَنَ المُطْـ * ـبِقَ رأسُ اللّذات فى النــاسِ حُرُّ
تركَ الموصـــلىُّ مَنْ خَلَق اللهُ جميعــا وعيشُهـــم مُقْشَـــعِرُّ
حُبِس اللهوُ والسرور فمــا فى الـ * أرض شىءٌ يُلْهِى به أو يَسُـــرُّ

١٠
ـــ
٥

وأنشــدنى بعضُ أصحابنا عن آبن المَرْزُبان عن أحمــد بن أبى طاهر عن آبن أبى فَنَن لأبى العتاهية يخاطب إبراهيم الموصلىّ لمّا حُبِس:

أيا غَمّى لغَمّـــك يا خليــلى * ويا وَيْـــلى عليك ويا عَوِيلى
يَعِـــزُّ علىّ أنّـــك لا ترانى * وأنّى لا أراكَ ولا رســـولى
وأنك فى محلّ أذًى وضَنْكٍ * وليس إلى لقــائكَ من سبيل
وأنى لستُ أملِك عنك دفعًا * وقد فُوجئتَ بالخَطْب الجليل

---

(١) سهل الهمز فى «إسحاق» لضرورة الشعر. (٢) هو على بن يزيد أبو دعامة، وقد مر فى الجزء الرابع من هذا الكتاب ص ٨ طبع دار الكتب المصرية. (٣) المطبق: السجن تحت الأرض.
(٤) فى حـ: «سرّ».

قصته مع ابراهيم ابن المهدى فى لحن غناه عند الرشيد

أخبرنى الحسن بن علىّ الخفّاف قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويَه قال حدّثنا عبد الله بن عمر قال حدّثنى أبو تَوْبة صالحُ بن محمد عن القَطِرانىّ المغنّى عن محمد بن جبر، وكان المهدىّ رباه، قال حدّثنى إبراهيم بن المهدىّ قال :

انصرفتُ ليلةً من الشَّمّاسيّة فمررتُ بدار إبراهيمَ الموصلىّ، وإذا هو فى رَوْشَن(١) له وقد صنع لحنه :

أَلَا رُبّ نَدمانٍ علىّ دموعُه * تَفيضُ على الخدّين سَحًّا سُجُومُها(٢)

وهو يُعيده ويلعَب به بنَغَمه ويُكرّره لتَسْتَوِى له أجزاؤه، وجواريه يضربْن عليه، فوقفتُ تحت الرَّوْشَن حتى أخذتُه ثم انصرفت إلى منزلى، فما زلتُ أعيده حتى بلغتُ فيه الغايةَ، وأصبحتُ فغدوتُ إلى الشَّمّاسيّة وآجتمعنا عند الرشيد، فآندفع إبراهيم فغنّاه أوّلَ شىء غنّى، فلمّا سمعه الرشيد طرِب وآستحسنه وشرب عليه، ثم قال له : لمن هذا يا إبراهيم؟ قال : لى ياسيّدى، صنعتُه البارحة؛ فقلت : كذَب يا أمير المؤمنين، هذا الصوت قديمٌ وأنا أُغنّيه؛ فقال لى : غَنِّه ياحبيبى، فغنّيتُه كما غنّاه، فبُهِت إبراهيمُ وغضِب الرشيد، وقال له(٣) : يآبن الفاجرة! أَتكْذِبنى وتدّعى ما ليس لك!. قال : فظلّ ابراهيمُ بأسوأ حال، فلمّا صلّيتُ العصر قلت للرشيد : يا أمير المؤمنين، الصوتُ وحياتِك له وما كذَب، ولكنّى مررتُ به البارحةَ وهو يردّده على جارية له فوقفتُ حتى دار لى وآستوى فأخذتُه منه؛ فدعا به الرشيد ورضى عنه، وأمر له بخمسة آلاف دينار.

---

(١) الروشن : خشب يخرج من حائط الدار الى الطريق ولا يصل الى جدار آخر يقابله وهو الشرفة.

(٢) سجوم الدمع : سيلانه كثيرا كان أو قليلا. (٣) فى الأصول ما عدا حـ : «وقال لى يابن الفاجرة» ولا يستقيم به الكلام. وكلمة "لى" ساقطة من حـ.

نسبة هذا الصوت

صوت

ألا رُبّ نَدمانٍ علىّ دموعُه * تَفيضُ على الخدّين سَحًّا سُجومُها
حَليمٌ إذا ما الكأسُ دارتْ وهَرَّها(١) * رجالٌ لديها قد تَخِفّ حُلومُها

الغناء لإبراهيمَ رَمَلٌ بالسبّابة فى مجرى البنصر عن إسحاق .

قصته مع إبراهيم ابن المهدى وابن جامع عند الرشيد

أخبرنى يحيى بن علىّ بن يحيى قال حدّثنا أبى عن طَيّاب(٢) بن إبراهيم الموصلىّ قال: كان إبراهيم بن المهدىّ يُقدّم ابنَ جامع ولا يُفضّل عليه أحدا، فأخبرنى إبراهيم ابن المهدىّ قال : كنّا فى مجلس الرشيد وقد غلَب النبيذُ على ابن جامع، فغنّى صوتا فأخطأ فى أقسامه ؛ فالتفت إلىّ إبراهيمُ فقال : قد خَرِى(٣) قد خرى أستاذك فيه ! وفهمتُ صِدْقَه فيما قال؛ قال : فقلت له : انتَبِهْ أيها الشيخ وأعِدِ الصوت، ففَطِن وأعاده وتحفّظ فيه وأصاب؛ فغضب إبراهيم وأقبل علىّ فقال :

١١/٥

أُعلّمه الرِّمايةَ كلَّ يومٍ * فلمّا آستدّ(٤) ساعدُه رمانى

وتنكّر لى وحلَف ألّا يكلّمنى ؛ فقلت للرشيد بعد أيام : إن لى حاجةً؛ قال : وما هى؟ قلت : تأمر إبراهيمَ الموصلىّ أن يرضى عنّى ويعودَ إلى ما كان عليه ؛ فقال :

---

(١) هرّ فلان الكأس : كرهها . (٢) كذا فى أكثر الأصول هنا وفيما يأتى فى جميع الأصول فى أكثر من موضع . وفى ط ، ى هنا : « طباب » بالباء الموحدة من تحت . (٣) فى حـ : « قد خزى أستاذك فيه » بالزاى وبدون تكرار . (٤) كذا فى ط ، ى، سـ وإحدى روايتى حـ ، وهى الرواية المشهورة . واستدّ : استقام . وفى سائر الأصول « اشتدّ » بالشين المعجمة . قال الأصمعىّ : اشتدّ بالشين المعجمة ليس بشىء . وقال ابن برّى : هذا البيت ينسب الى معن بن أوس قاله فى ابن أخت له . وقال ابن دريد : هو لمالك بن فهم الأزدى، وكان اسم ابنه سليمة، رماه بسهم فقتله فقال البيت . قال ابن برّى : ورأيته فى شعر عقيل بن علفة يقوله فى ابنه عميس حين رماه بسهم . وبعده :

فلا ظفرت يمينك حين ترمى * وشلت منك حاملة البنان

ومَنْ إبراهيم حتى يُطلبَ[1] رضاه ! فقلت : يا أمير المؤمنين، إن الذى أُريده منه لا يُنال إلا برضاه؛ فقال : قم إليه يا إبراهيم فقبِّل رأسه؛ [فقام إلىّ ليقبِّل رأسى][2]، فلما أكبَّ علىّ قال : تَعُود ؟ قلت : لا؛ قال : قد رضيتُ عنك رِضًا صحيحا، وعاد إلى ما كان عليه .

خرج مع الرشيد الى الحيرة وغناه فأجازه

أخبرنى أبو الحسن أحمد بن يحيى بن علىّ بن يحيى قال : سمعتُ جدّى عليًّا يحدِّث عن إسحاق قال :

قال أبى : خرجتُ مع الرشيد إلى الحِيرة، فساعةَ نَزل بها دعا بالغَداء فتغذّى ثم نام، فاغتنمتُ قائلتَه فذهبتُ فركبت أدُور فى ظهر الحِيرة، فنظرت إلى بستان فقصدته فإذا على بابه شابٌّ حسن الوجه، فاستأذنته فى الدخول فأذِن لى، فدخلت فإذا جَنّة من الجِنان فى أحسن تُرْبة وأغزرِها ماءً، فخرجتُ فقلت له : لمن هذا البستان؟ فقال : لبعض الأشاعِثة[3]؛ فقلت له : أيباع؟ فقال : نعم وهو على سَوْم؛ فقلت : كم بلغ؟ فقال : أربعةَ عشرَ ألفَ دينار؛ قلت : وما يُسمَّى هذا الموضع ؟ قال : شُمَارَى؛ فقلت :

صـوت

جِنانَ شُمَارَى ليس مثلَكِ مَنْظَرٌ * لذِى رَمَدٍ أعيَا عليه طبيبُ
تُرابُكِ كافورٌ ونَوْرُكِ[4] زهرةٌ * لهـا أَرَجٌ بعد الهُدُوِّ يطيب[5]

(١) فى حـ ، م : «تطلب» . (٢) الزيادة عن م . (٣) الأشاعثة : منسوبون الى الأشعث بن قيس بن معديكرب الكندى أبى محمد الصحابى، وفد على النبى صلى الله عليه وسلم وروى عنه وعن عمر رضى الله عنه، ونزل الكوفة ومات بها فى آخر سنة أربعين هجرية وهو ابن ثلاث وستين سنة . (٤) فى حـ : «ونبتك» . (٥) فى حـ : «وطيب» .

قال : وحَضَرتْنِى فيه صَنْعةٌ حسنة ؛ فلما جلس الرشيد وأمر بالغناء غنّيته إياه أوّلَ ما غنّيتُ ؛ فقال : وَيْلَك ! وأين شُمَارَى ؟ فأخبرته القصّة ؛ فأمر لى بأربعة عشرَ ألفَ دينار ؛ وغَمَزنى جعفر بن يحيى فقال : خذ توقيعَه بها إلىّ ؛ وتشاغل الرّشيدُ عنّى ، فأعدتُ الصوتَ ، فقال : وَيْلَكم ! أَعْطُوا هذا دنانيره ؛ فوثبتُ وقلت : يا سيّدى ، وَقِّع لى بها إلى جعفر بن يحيى ؛ فقال : أفعلُ ، ووقَّع لى بها إليه ؛ فلمّا حصَل التوقيعُ عند جعفر أطلق لى المالَ وخمسةَ آلاف دينار من عنده ؛ فلما حصَل المالُ عندى كان أحبَّ إلىّ وأحسنَ فى عَيْنى من شُمَارَى .

عرض الرشيد أبياتا ليجيزها الشعراء ثم أمره فغنى فيها

أخبرنى[1] جعفر بن قُدَامة قال أخبرنى أبو العَيْناء قال :

خرج الفضلُ بنُ الرّبيع يومًا من حضرة الرشيد ومعه رقعةٌ فيها أربعة أبيات ، فقال : إن أميرَ المؤمنين يأمر كلَّ مَن حضَر ممن يقول الشعر أن يُجِيزها ، وهى :

أَهْدَى الحبيبُ مع الجَنُوب سلامَه * فَارْدُدْ إليه مع الشَّمَال سلامَا
وٱعرِفْ بقلبك ما تَضَمَّن قلبُه * وتَدَاوَلَا بهواكما الأيّاما
وإذا بكيتَ له فأَيْقِنْ أنه * ستجود أَدْمُعه عليك رِهَاما[2]
فٱحبِس دموعَك رحمةً لدموعه * إن كنتَ تحفظُ أو تَحُوط ذِماما

١٢/٥

فلم يوجد من يُجِيزها ، فأمر إبراهيمَ فغنّى فيها لحنًا من خفيف الثقيل .

انقطع عن الرشيد فى سفره عند خمار وشعره فى ذلك

أخبرنى محمد بن خَلَف وَكِيع قال حدّثنى أبو العبّاس البصرىّ[3] قال حدّثنى عبدالله بن الفَضْل بن الرّبيع قال سمعت أبى يقول :

---

(١) هذا الخبر الذى يبتدئ من قوله : « أخبرنى جعفر » الى قوله : « لحنا من خفيف الثقيل » ساقط من ط ، ء ، م . (٢) الرهام : جمع رهمة (بالكسر) وهى المطر الضعيف .

(٣) فى حـ : « النصرى » بالنون .

لمّا خرج الرشيدُ إلى الرَّقّة(١) أخرَج معه إبراهيمَ الموصليّ ، وكان به مشغوفا ، ففقده فى بعض المنازل أيّاما وطلبه فلم يُخبره أحد بقصّته ، ثم أتاه ، فقال له : وَيْحَك ! ما خبرُك وأين كانت غَيْبتك ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، حديثى عجيب ، نزلنا بموضع كذا وكذا ، فوُصِف لى خمّارٌ ، من ظَرْفه ومن نظافة منزله كيت وكيت ، فتقدّمتُ أمام ثَقَلى(٢) وأتيته مُخِفًّا ، فوافيتُ(٣) أطيبَ منزل وأوسعَ رَحْل وأطيب طعام وأسخى نفْس ، من شابٍّ حسن الوجه ظريف العِشْرة ، فأقمت عنده ، فلمّا أردتُ اللَّحاق بأمير المؤمنين أقْسم علىّ وأخرج لى من الشراب ما هو أطيبُ وأجود مما رأيت ، فأقمت ثلاثا ، ووهبتُ له دنانير كانت معى وكُسوةً ، وقلت فيه :

صـــوت

سَقْيًا لمنزل خمّـارٍ قَصَفْتُ(٤) به * وَسْط الرُّصافة يومًا بعد يومين
ما زلتُ أَرْهَنُ أثوابى وأَشْرَبُها * صفراءَ قد عُتِّقتْ فى الدَّنّ حَوْلين
حتى إذا نَفِـدت منّى بأجمعها * عاودتُـه بالرِّبا دَنًّا بدَنَّين
فقال «إِزَلْ بشِين» حين ودّعنى * وقد لَعَمْرُك زُلْنا عنه بالشَّيْن

ــ الشعر والغناء لإبراهيم خفيفُ رمل بالبنصر . قوله : "إِزَلْ بشِين" كلمة سريانية ، تفسيرها : اِمْضِ بسلام ، دعا له بها لمّا ودّعه ــ قال إبراهيم : فقال لى الرشيد : غنِّنى هذا الصوتَ ، فغنّيته إياه وزَمَر عليه بَرْصُوما ، فوهب لى الرشيد مائة ألف درهم وأقطعنى ضَيْعة ، وبعث إلى الخمّارِ فأُحْضِر(٥) ، وأَهْدى إلى الرشيد من ذلك الشراب فوصَله ، ووهَب له إبراهيمُ عشرةَ آلاف درهم .

(١) فى حـ : « الكوفة » . (٢) الثقل (وزان سبب) : متاع المسافر وحشمه وكل شىء نفيس مصون . (٣) كذا فى م . وفى ط ، ء : « فأتيت » . وفى سائر الأصول : « فوافقت » ، وهو تحريف . (٤) أنظر الحاشية رقم ٤ ص ١٥٦ من هذا الجزء .
(٥) كذا فى ط ، ء . وفى سائر الأصول : « فأحضره » .

قصته مع ابن جامع ورؤياه

أخبرنى الحسين بن يحيى ومحمد بن مَزْيَد ووكيع قالوا جميعا حدّثنا حمّاد بن إسحاق قال حدّثنى أبى قال :

قال ابن جامع يومًا لأبى : رأيتُ فى منامى كأنّى وإيّاك راكبان فى مَحْمِل، فَسَفُلْتَ حتى كدتَ تَلْصَق بالأرض، وعلا الشِّقّ الذى أنا فيه، فَلَأَعْلُوَنَّك فى الغناء؛ فقال إبراهيم : الرؤيا حقٌّ والتأويل باطل، إنّى وإيّاك كنّا فى ميزان، فرجحتُ بك وشالتْ كِفَّتُك وعلوتَ فلَصِقتُ بالأرض ، فلأَبْقَيَنّ بعدك ولتموتنّ قبلى . قال إسحاق : فكان كما قال أبى، علا عليه وأفاد أكثر من فوائده، ومات ابن جامع قبله وعاش أبى بعده .

ألقى على جارية عبد الله بن الربيع صوتا أعجب ابن جامع فأخذ يستعيدها إياه

أخبرنى عبد الله بن الرّبيع الرَّبيعىّ قال حدّثتنى خَديجة بنت هارون بن عبد الله بن الرّبيع قالت حدّثتنى خُمار(١) جارية أبى — وكانت قُنْدُهارِيّة(٢) ، اشتراها جدّى عبد الله وهى صَبِيّة رَيِّض(٣) من آل يحيى بن مُعاذ بمائتى ألف درهم — قالت :

ألقى علىّ إبراهيمُ الموصلىّ لحنَه فى هذين البيتين :

صوت

إذا سَرّها أمرٌ وفيه مَساءتى * قضيتُ لها فيما تريد على نفسى
وما مَرّ يومٌ أرتجى فيه راحةً * فأذكُرَه إلّا بكيتُ على أمسِ

(١) فى ط : «قمار» . (٢) قندهارية : نسبة إلى قندهار، وهى بلد من بلاد السند أو الهند مشهورة فى الفتوح . (٣) الرّيض كسيد : الدابة أوّل ما تراض، يطلق على الذكر والأنثى، يقال : غلام ريض، وناقة ريض .

— الشعر لأبى حَفْص الشِّطْرَنْجِىّ(١)، والغناء لإبراهيمَ ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى —

١٣ / ٥ فسمعنى ابن جامع يومًا وأنا أُغَنِّيه، فسألنى: ممن أخذتَه؟ فأخبرتُه؛ فقال: أَعِيديه، فأعدتُه مِرَارا، وما زال ابن جامع يتنغَّم(٢) به معى حتى ظننت أنه قد أخذه، ثم كان كلما جاءنا قال لى: ياصَبِيَّةُ، غَنِّى ذلك الصوت، فكان صوتَه علىّ.

قصته مع مخارق فى أخذه دراهم من يحيى البرمكى وأولاده

أخبرنى إسماعيل بن يونس قال حدّثنى عمر بن شَبّة قال قال مخارق:

أذِن لنا أميرُ المؤمنين الرشيدُ أن نُقيم فى منازلنا ثلاثةَ أيّام، وأعلمنا أنه مشتغل فيها مع الحُرَم، فمضى الجلساء أجمعون إلى منازلهم — وأخبرنى وَسْواسة وهو أحمد بن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الموصلىّ بهذا الخبر فقال حدّثنى أبى عن أبيه عن مُخارق قال: اشتغل الرشيد يوما واصطبح مع الحُرَم وقد أصبحتِ السماء مُتغيِّمة، فانصرفنا إلى منازلنا. ولم يذكر فى الخبر ما ذكره عمر بن شَبّة مما قدمتُ ذكره، واتفقا هاهنا فى أكثر الحكايات، واللفظ فأكثره لرواية ابن الموصلىّ — قال مخارق: وأصبحت السماء مُتغيِّمة تَطِشّ طَشًّا خفيفا، فقلت: والله لأذهبنّ إلى أستاذى إبراهيمَ فأعرف خبره ثم أعود، فأمرتُ مَنْ عندى أن يُسَوُّوا مجلسًا لنا إلى وقت رجوعى؛ فجئت إلى إبراهيمَ الموصلىّ فإذا البابُ مفتوح والدِّهليز قد كُنِس والبوّاب قاعد، فقلت: ما خبر أستاذى؟ فقال: ادخُل، فدخلت فإذا هو جالس فى رِواق له وبين يديه قُدورٌ تُغَرْغِر(٣) وأباريق تَزْهَر، والستارة منصوبة والجوارى خَلْفَها، وإذا قُدّامَه طَشْتٌ فيه رِطْلِيّة وكوزٌ وكأس، فدخلت أترنّم ببعض الأصوات، وقلت له: ما بالُ

---

(١) هو أبو حفص عمر بن عبد العزيز مولى بنى العباس، نشأ فى دار المهدى وتأدب وكان لاعبا بالشطرنج مشغوفا به فلقب به لغلبته عليه، فلما مات المهدى انقطع الى علية ابنته. وله ترجمة فى الجزء التاسع عشر من الأغانى طبع بولاق. (٢) تنغم المغنى: طرّب فى الغناء.

(٣) غرغرت القدر، صاتت عند الغلى.

الستارة لستُ أسمع من ورائها صوتا ؟ فقال : اقعُد وَيْحَك ! إنى أصبحت على الذى ظننتَ ، فأتانى خبرُ ضَيْعة تجاورنى ، قد والله طلبتُها زمانًا وتمنّيتها فلم أملكها ، وقد أُعْطِىَ بها مائةُ ألف درهم ؛ فقلت : وما يمنعك منها ؟ فوالله لقد أعطاك الله أضعافَ هذا المال وأكثر ؛ قال : صدقتَ ، ولكن لستُ أطيب نَفْسا أن أُخرج هذا المال ؛ فقلت : فمن يُعطيك الساعةَ مائة ألف درهم ؟ والله ما أطمع فى ذلك من الرشيد ، فكيف بمن دونه ! فقال : اجلس ، خذ هذا الصوت ، ونَقَر بقضيب معه على الدواة وألقى علىّ :

صـــــوت

نام الخَلِيُّـــون من هَمٍّ ومن سَقَمِ * وبِتُّ من كَثْرة الأحزان لم أَنَمِ

يا طالبَ الجود والمعـروفِ مُجتهدًا * اِعْمِدْ ليحيى حليفِ الجود والكرمِ

ـــ الشعر لأبى النضير[1]، والغناء لإبراهيم الموصلىّ ثقيل أوّل بالبنصر ـــ قال : فأخذتُه فأحكمتُه ، ثم قال لى : اِمضِ الساعةَ إلى باب الوزير يحيى بن خالد ، فإنك تجد الناس عليه وتجد الباب قـد فُتح ولم يجلس بعدُ ، فآستأذِنْ عليه قبل أن يَصل إليـه أحد ، فإنه سيُنكر عليك مجيئـك ويقول : من أين أقبلتَ فى هذا الوقت ؟ فحدِّثه بقصـدك إياى وما ألقيتُ إليك من خبر الضَّيْعة ، وأعلِمه أنّى صنعتُ هذا

(١) ورد هذا الاسم فى حـ : «لأبى النضر» . وفى سائر الأصول : «لأبى بصير» ، وكلاهما تحريف عن «أبى النضير» . واسمه عمر بن عبـد الملك البصرى مولى بنى جمح ، شاعر من شعراء البصرة صالح المذهب ليس من المعمودين المتقدمين ولا من المولدين الساقطين ، وكان يغنى بالبصرة على جوارله مولدات ، ويظهر الخلاعة والمجون والفسق ، ويعاشر جماعة ممن يعرف بذلك الشأن ، وكان أبان اللاحق يعاشره ثم تصارما وهجاه وهجا جواريه وافترقا على قلى ؛ ثم انقطع أبو النضير الى البرامكة فأغنوه الى أن تعاقلما (راجع ترجمته فى الأغانى ج ١٠ ص ١٠٠ طبع بولاق) .

الصوت وأعجبني، ولم أرَ أحدًا يستحقّه إلا فلانةَ جاريتَه، وأنى ألقيتُه عليك حتى أحكمْتَه لتطرحَه عليها؛ فسيدعو بهـا ويأمر بالسّتارة أن تُنْصَب ويُوضع له كرسىّ ويقول لك : اطْرَحْه عليها بحضرتى، فافعل وأْتِنى بالخبر بعد ذلك . قال : فجئتُ بابَ يحيى فوجدتُه كما وصَف، وسألنى فأعلمتُـه ما أمرنى به ، ففعل كلّ شيء قاله

١٤ ٥ لى إبراهيم ، وأحضَر الجـارية فألقيتُه عليهـا؛ ثم قال لى : تُقيم عنـدنا يا أبا المهنّأ أو تنصرف ؟ فقلت : أنصرف أطال الله بقاءك فقد علمتَ ما أُذِنَ لنا فيه، قال : يا غلام ، احمِلْ مع أبى المهنّأ عشرةآلاف درهم، واحمِلْ إلى أبى إسحاق مائةَ ألف درهم ثمنَ هذه الضَّيْعة، فحُمِلَتِ العشرةُ الآلافِ الدرهم إلىّ، وأتيتُ منزلى فقلت : أُسَرّ يومى هذا وأُسِرّ من عندى، ومضى الرسول إليه بالمـال؛ فدخلتُ منزلى ونثرتُ على من عنـدى من الجوارى دراهمَ من تلك البَـدْرة، وتوسّدتُها وأكلتُ وشربت وطربت وسُررت يومى كلَّه؛ فلمـا أصبحتُ قلتُ : والله لآتينّ أُستاذى ولأعرفنّ خبره، فأتيتُه فوجدت البابَ كهيئته بالأمس، ودخلتُ فوجدته على مثـل ما كان عليـه، فترنّمت وطربت فلم يتلقَّ ذلك بمـا يجب؛ فقلت له : ما الخبر؟ ألم يأتك المـال؟ قال : بلى ! فمـا كان خبرُك أنت بالأمس ؟ فأخبرته بمـا كان وُهب لى وقلت : ما ينتظر[1] من خلف الستارة، فقال : ارفع السّجْف فرفعتُه فإذا عشر[2] بِدَر؛ فقلت: وأىّ شيء بقى عليك فى أمر الضيعة؟ قال: وَيْحَك! ماهو والله إلا أن دخلتُ منزلى حتى شَحَحْتُ عليها فصارت مثلَ ما حَويتُ قديمـا؛ فقلت : سبحان الله العظيم ! فتصنع ماذا ! قال : قم حتى أُلقِىَ عليـك صوتًا صنعتُه يفـوق ذلك الصوت؛ فقمتُ وجلستُ بين يديه، فألْقَى علىّ :

(١) كذا فى ط ، ء . وفى سائر الأصول : « ما كان ينتظر من خلف السـتارة » وعبارة نهـاية الأرب (ج ٤ ص ٣٥٤ طبع دار الكتب المصرية) : « فأخبرته بما كان وقلت : ما تنتظر ؟ فقال : ارفع السجف ... الخ » . (٢) كذا فى حـ . وفى سائر النسخ : «عشرة» بتأنيث العدد .

صــــوت

ويَفْرَح بالمــــولود من آل بَرْمَكٍ * بُغاةُ النَّدَى والسيفُ والرمحُ ذو النصلِ[(١)]
وتَنْبسط الآمالُ فيـــه لفضـــله * ولا سيما إن كان من وَلَدِ الفَضْلِ

— الشعرُ لأبى النَّضير[(٢)]. والغناءُ لإبراهيمَ ثقيلٌ أوّل بالبنصر عن الهِشَامىّ، وذكر عمرو بن بانة أنه لإسحاق، وهو الصحيح. وفيه خفيف ثقيــلٍ، أظنه لحنَ إبراهيم. أخبرنى إسماعيل بن يونس عن عمر بن شَبّة عن إسحاق أن أباه صنع هذا الصوت فى طريقة خفيفِ الثقيــل وعَرَضه على الفَضْل، فآستحسنه وأمر مخارقا بإلقائه على جواريه فألقاه على مراقش وقَضِيبَ فأخذتاه عنــه — قال مُخارق: فلما ألقى علىّ الصوتَ سمعت ما لم أسمع مثلَه قطُّ، وصغُر عندى الأوّل فأحكمتُه؛ ثم قال: انهض الساعةَ إلى الفَضْــل بن يحيى، فإنك تجِــدُه لم يأذن لأحد بعــدُ، وهو يريد الخَلْوة مع جواريه اليوم، فآستأذِنْ عليه وحدِّثه بحديثنا أمس، وما كان من أبيه إلينا وإليك، وأعلمه أنّى قد صنعتُ هذا الصوتَ وكان عندى أرفعَ منزلةً من الصوت الذى صنعتُــه بالأمس، وأنى ألقيته عليك حتى أحكمْتَه ووَجَّهْتُ بك قاصدًا لتلقيه على فلانةَ جاريتــه؛ فصِرتُ الى باب الفَضْــل فوجدتُ الأمر على ما ذكَر، فآستأذنتُ فوصلتُ، وسألنى: ما الخبر؟ فأعلمتُه بخَبَرى فى اليوم المــاضى وما وصل إلىّ وإليه من المــال، فقال: أخزَى الله إبراهيمَ فمــا أبخلَه على نفسه!؛ ثم دعا خادما فقال: اضرب السِّتارة فضربها، فقال لى: ألْقِه، فلمّا غنّيتُه لم أُتِمَّه حتى أقبَــل يجُرّ مِطْرفَه، ثم قعــد على وِسادة دون السّــتارة، وقال: أحْسَنَ والله

(١) كذا فى ط ، ء. وفى سائر الأصول: «بغاة الندى والسيف والرمح والنصل» وكذلك فى نهاية الأرب (ج ٤ ص ٣٥٤ طبع دار الكتب المصرية) والقافية فيــه مرفوعة، وآخر البيت الثانى فيــه: «ولا سيما إن كان والده الفضل». (٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٧٩ من هذا الجزء.

أستاذُك وأحسنتَ أنتَ يا مخارق ؛ فلم أخرج حتى أخذَتْه الجاريةُ وأحكمَتْه ، فسُرَّ بذلك سرورا شديدا ، وقال : أَقِم عندى اليوم ؛ فقلت : يا سيدى إنما بقى لنا يومٌ واحد ، ولولا أنّى أُحبّ سرورَك لم أخرج من منزلى ؛ فقال : يا غلام آحمِلْ مع أبى المهنأ عشرين ألف درهم وآحمل إلى إبراهيم مائتى ألف درهم ؛ فانصرفتُ إلى منزلى بالمـال ، ففتحتُ بَدْرة فنثرت منها على الجوارى وشربت وسُررت أنا ومن عندى يومَنا ؛ فلما أصبحتُ بكَّرتُ إلى إبراهيمَ أتعَرَّف خبَره وأُعرِّفه خبَرى ، فوجدتُه على الحال التى كان عليها أوّلًا وآخرا ، فدخلتُ أترنّم وأُصفِّق ؛ فقال لى : أدْنُ ؛ فقلت : ما بقى ؟ فقال : اجلس وآرفع سَجْف هذا الباب فإذا عشرون بَدْرة مع تلك العشر (١) ؛ فقلت : ما تنتظر الآن ؟ فقال : وَيْحَـك ! ما هو والله إلا أن حصلتْ حتى جرتْ مجرى ما تقدّم ؛ فقلتُ : والله ما أظن أحدا نال فى هـذه الدولة ما نلتَه ! فلِمَ تَبْخَل على نفسـك بشىء تمنّيتَه دهرًا وقد ملّكك اللهُ أضعافَه ! ثم قال : اجلس فخُـذ هذا الصوتَ ، وألْقِ علىّ صوتًا أنسانى والله صوتَىَّ الأوّلين :

صـــــوت

أفى كلّ يومٍ أنتَ صبٌّ وليـــلةٍ * إلى أمّ بكـرٍ لا تُفيـــق فَتُقْصِرُ
أُحِبّ على الهِجران أكنافَ بيتِها * فيـا لَكَ من بيتٍ يُحَبّ ويُهْجَـرُ
إلى جعفرٍ سارت بنـا كلُّ جَسْرةٍ (٢) * طَـواهَا سُراها نحـــوَه والتهجُّر
إلى واســعٍ للمُجْتَدِيـن فِنـاؤه * تروح عطـاياه عليهـم وتَبْكُـر

ــ الشعر لمروانَ بن أبى حَفْصة يمدح به جعفر بن يحيى . والغناءُ لإبراهيم ، ولم تقع الينا طريقتُه ــ قال مُخارق : ثم قال لى إبراهيم : هل سمعتَ مثلَ هذا ؟

(١) كذا فى حـ ، وفى سائر الأصول : «مع تلك العشرة» بتأنيث العدد . (٢) كذا فى ط ، ء ونهاية الأرب (حـ ٤ ص ٣٥٥ طبع دار الكتب المصرية) والجسرة : الناقة العظيمة . وفى سائر الأصول : «حرة» .

فقلت : ماسمعتُ قطُّ مثلَه . فلم يَزَلْ يُرَدِّده علىّ حتى أخذتُه، ثم قال لى : امض إلى جعفر فآفعل به كما فعلتَ بأخيه وأبيــه ؛ قال : فمضيتُ ففعلتُ مثل ذلك وخبّرته ما كان منهما وعرضْتُ عليه الصوت، فسُر به ودعا خادما فأمره بضَرْب الستارة وأحضَر الجارية وقعــد على كرسىّ، ثم قال : هاتِ يا مُخارق ؛ فآندفعتُ فألقيتُ الصوتَ عليها حتى أخذَتْه؛ فقال : أحسنتَ والله يامُخارق وأحسن أستاذُك، فهل لك فى المُقام عندنا اليــومَ ؟ فقلت : ياسيّدى هذا آخر أيّامنا، وإنما جئتُ لموقع الصوت منّى حتى ألقيته على الجارية؛ فقال : يا غلام احمِل معه ثلاثين ألف درهم والى الموْصلىّ ثلثمائة ألف درهم؛ فصرتُ إلى منزلى بالمــال، فأقمتُ ومن معى مسرورين نشْرَبُ بقيّةَ يومنا ونطرَب، ثم بكّرتُ إلى إبراهيم فتلقّانى قائمــا وقال لى: أحسنْتَ يامُخارق؛ فقلت : ما الخبر؟ فقال : اجلس فجلستُ، فقال لمن خلف الستارة: خذوا فيما أنتم فيه، ثم رفع السَّجْف فإذا المــال؛ فقلت : ما خبر الضَّــيْعة ؟ فأدخل يده تحت مِسورة[1] هو مُتّكئ عليهــا فقال : هذا صَكّ الضيعة، سئل عن صاحبها فوُجِد ببغداد، فآشتراها منــه يحيى بن خالد، وكتب إلىّ : قد علمتُ أنك لاتسخو نفسًا[2] بشراء الضيعة من مال يحصُــل لك ولو حِيزتْ لك الدّنيــا كلُّها، وقد آبتعتُها لك من مالى ووجّهتُ لك بصكّها ؛ ووجّه إلىّ بصكها وهذا المــال كما ترى؛ ثم بكى وقال لى: يامخارق إذا عاشرتَ فعاشر مثل هؤلاء، وإذا خنكرت[3] فخنكر لمثل هؤلاء؛

---

(١) المسورة : الوسادة من جلد . (٢) فى ط ، ء : «لاتسخو نفسك» . (٣) لعله يريد: اذا غنيت فغن لمثل هؤلاء، فقد ورد فى الأغانى (ج ١٧ ص ١٢٣ طبعة بولاق) فى تعنيف الفضل بن الربيع لحفيده عبد الله بن عباس على تعلمه الغناء : «... وفضحت آباءك فى قبورهم وسقطت الأبد الا من المغنين وطبقة الخيناكرين» . وقال صاحب «كتاب الألفاظ الفارسية المعربة» ، بعد أن أشار الى هذه القصة ، : «هى جمع خيناكر ومعناه المغنى» . وأخبرنا ممن لديهم معرفة باللغة الفارسية أن "الخيناكر" هو المغنى المضحك .

هذه ستمائة ألف وضَيْعةٌ بمائة ألف وستون ألفَ درهم لك، حصّلنا ذلك أجمعَ وأنا جالس فى مجلسى لم أبرح منه، فمتى يُدْرَك مثل هؤلاء !. ١٦/٥

طلب اليه موسى الهادى أن يغنيه وله حكمه

أخبرنى يحيى بن على بن يحيى قال أخبرنى أبى عن إسحاق قال :

كان موسى الهادى شَكِسَ الأخلاق صَعْبَ المِزاج(١)، من توقّاه وعرَف أخلاقه أعطاه ما أمّل ، ومن فتَح فاه فاتّفق له أن يفتحه بغير ما يهواه أقصاه وٱطّرَحه ، فكان(٢) لا يحتجب عن نُدَمائه ولا عن المغنّين ، وكان يُكثر جوائزَهم وصِلاتِهم ويُواتِرها(٣) ؛ فتغنّى أبى عنده يوماً ؛ فقال له : يا إبراهيم غنِّنى جِنْساً من الغناء ألَذّ به وأطْرَب له ولك حُكمُك ؛ فقال : يا أمير المؤمنين، إن لم يقابلنى زُحَلُ ببَرْده رجَوْتُ أن أُصيب مافى نفسك . قال : وكنت لا أراه يُصغى إلى شىء من الأغانى إصغاءَه إلى النَّسيب والرَّقيق منه ، وكان مذهبُ ٱبن سُرَيْج عنده أحمَدَ من مذهب مَعْبَد ، فغنّيته(٤) :

وإنّى لتَعْرونى لذِكراكِ هِزّةٌ(٥) * كما ٱنتفض العصفورُ بلّله القَطْرُ

فضرب بيده إلى جَيْب(٦) دُرّاعته فحطّها ذراعا، ثم قال: أحسنتَ والله! زِدْنى، فغنّيتُ:

فياحُبّها زدنى جَوًى كلَّ ليلةٍ * ويا سَلوةَ الأيّام موعدُكِ الحشرُ

---

(١) كذا فى حـ ، م . وفى سائر الأصول : «المرام» . (٢) لعله : «وكان» بالواو . (٣) واتر الصلات وغيرها : جعل بعضها يتبع بعضا . (٤) فى ب ، سـ : « فغنيته قوله » بزيادة كلمة « قوله » ، ولعلها زيدت سهوا من الطابع . (٥) كذا فى هامش حـ ، والأمالى (حـ ١ ص ١٤٩ طبع دار الكتب المصرية) ، وهى الرواية المشهورة فى هذا البيت والتى تلائم الشطر الثانى وما فيه من تشبيه . وفى جميع الأصول : «فترة» . والفترة : الضعف . (٦) الدراعة : جبة مشقوقة المقدم . وجيبها : طوقها .

فضرب بيـده إلى ذُرّاعتـه فخطّها ذراعا آخر أو نحـوه ، وقال : زِدْنى وَيْلَك ! أحسنتَ والله، ووجب حكمُك يا إبراهيم؛ فغنّيت :

هجرتُك حتى قِيل لا يعرِف الهوى * وزُرتُك حتى قيــل ليس له صَبْرُ

فرفع صـوتَه وقال : أحسنتَ ، لله أبوك[1] ! هات ما تريد؛ قلت : يا سـيّدى ، عَيْن مروان بالمدينـة؛ فدارتْ عيناه فى رأسه حتى صارتا كأنهما جمرتان، وقال : يابنَ اللَّخْناء أردتَ أن تَشْهَرنى بهذا المجلس فيقول الناس : أَطْربه فحكّمه ، فتجعلنى سَمَرا وحديثا ! يا إبراهيم الحَرّانى : خُذْ بيد هذا الجاهل إذا قمتُ، فأَدْخله فى بيت مال الخاصّة، فإن أخذ كلّ ما فيه فخَـلِّه وإيّاه؛ فدخلتُ فأخذت خمسين ألف دينار .

نسـبة هذا الصوت

صــوت

عَجِبتُ لسعيِ الدّهرِ بينى وبينهـا * فلما آنقضَى ما بيننـا سَكَن الدهرُ
فيا حُبّهـا زِدْنِى جَوًى كلَّ ليـلة * ويا سَـلْوةَ الأيّامِ موعدُك الحَشْر
ويا هجرَ ليلى قد بلغتَ بى المَـدَى * وزِدتَ على ما ليس يبلُغـه الهجر
وإنى لَتعْـرونى لذكراكِ هِزّةٌ * كما آنتفض العصـفور بلَّله القَطر
هجرتُك حتى قيل لا يعرف الهوى * وزُرْتُك حتى قيـل ليس له صبر
أمَا والذى أَبْكى وأضحـك والذى * أمات وأحيـا والذى أَمْرُه أَمْر
لقد تركتنى أحسُد الوحشَ أنْ أرى * أَلِيفَيْنِ منها لا يروعهما الذُّعْر[2]

— الشعر لأبى صَخْر الهُذَلىّ . والغناء لَمَعْبَد، وأوّل لحنه "ويا هجر ليلى" وبعده الثانى ثم الأوّلُ من الأبيات ثانى ثقيل بالبنصر عن عمرو . ولآبن سُرَيْج فى السادس

(١) فى حـ : «لله درك» .
(٢) كذا فى ب ، سـ . وفى سائر الأصول : «النفر» .

والسابع والرابع والخامس ثقيـلٌ أوّلُ عن الهشامىّ . ولعَريبَ فى السادس والسابع والرابع والخامس ثقيلٌ أوّلُ أيضا ، وللواثق فيها رَمَل ، وهو ممـا صنعه الواثق قبلها فعارضَتْه بلحنهـا . وقد نَسَب قومٌ لحنَ مَعْبد إلى ٱبن سُرَيج ولحنَ ابن سريج إلى معبد . ١٧/٥

اشترى جارية لجعفر بن يحيى فاستكثر ثمنها فأجابه

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

اشترى جدّك إبراهيمُ لجعفر بن يحيى جارية مغنّيّة بمـال عظيم ، فقال جعفر : أىّ شىء تُحسن هـذه الجاريةُ حتى بلغتَ بهـا هذا المـالَ كلَّه؟ قال : لو لم تُحسن شيئا إلا أنها تَحكى قولى :

* لِمَنِ الدّيارُ ببُرْقَة الرَّوْحَانِ[1] *

لكانت تساوِيه و زيادةً؛ فضحك جعفر وقال : أفرطتَ !

نســبة هذا الصوت

صــوت

لمـن الديارُ ببُرْقَة الرَّوْحَانِ * إذ لا نبيــعُ زمانَنـا بزمانِ
صـدَع الغوانى إذ رَمَيْن فؤادَه * صَـدْعَ الزُّجاجة ما لذاك تَدَانِ
إن زرتُ أهلَكِ لم أُنَوَّلْ حاجةً * وإذا هجرتُكِ شَـفَّنى هِجْرانى

الغناء لمَعْبد، فيما ذكره الهشامىّ وأحمد بن المكىّ، ثقيلٌ أوّل بالوسطى، ونَسَبه غيرُهما إلى حُنَين، وقال آخرون : إنه للغَـريض، وذكر حَبَش أنه ليَزيد حَوْرَاء . وفيه لإبراهيمَ خفيفُ رملٍ بالبنصر .

(١) برقة الروحان : روضة باليمامة تنبت الرمث (وهو شجر يشبه الغضى) .

عدد أصواته

أخبرنى الحُسين عن حمّاد قال قال لى أبى :

صَنع جدُّك تِسعَمائةِ صوتٍ، منها دِيناريّة ، ومنها دِرْهَمِيّة، ومنها فَلْسيّة، وما رأيت أكثرَ من صنعته؛ فأمّا ثلثُمائةٍ منها فإنه تقدّم الناسَ جميعا فيها، وأمّا ثلثُمائةٍ، فشاركوه وشاركهم فيها ، وأمّا الثلثُمائة الباقية، فلَعِبٌ وطَرَب؛ قال : ثم أسقط أبى الثلثَمائة الآخرةَ بعد ذلك من غناء أبيه، فكان إذا سُئل عن صنعة أبيه قال : هى سِتُّمائة صوت .

وقال أحمد بن حَمْدون قال لى إسحاق : من غناء أبى الذى أكرهه وأسترزيه صوتُه فى شعر العبّاس بن الأحنف :

* أبكِى ومثلى بكى من حُبّ جاريةٍ *

فما أعلم له فيه معنًى إلا آستحسانَه للشعر، فإن العباس أحسن فيه جدّا .

نسبة هذا الصوت

صوت

أبكى ومثلى بكى من حُبّ جاريةٍ * لم يَخلُقِ الله لى فى قلبها لِينَا
هل تذكرين وُقُوفى عند بابكمُ * نصفَ النهار وأهلُ الدار لاهُونا

الشعر للعبّاس بن الأحنف، والغناء لإبراهيم خفيفُ رملٍ بالوسطى .

سئل ابنه إسحاق عن طعنه على أبيه فى صوت له فأجاب

أخبرنى جَحْظة قال أخبرنى حمّاد بن إسحاق قال :

قال رجل لأبى : أخبِرنى عنك، لمَ طعنتَ على أبيك فى صنعته :

قال لى فيها عَتيقٌ مقالًا * فجرتْ مما يقول الدموعُ

قال : لأنه تعرّض لآبن عائشةَ وله فى هذا الشعر صنعةٌ ، وآبن عائشة ممن لا يُعارَض فلم يقارِبه ، وعلى أن صنعة أبى من جَيّد الغناء لو كان صنعها فى غيرهذا الشعر، ولكنها آقترنتْ بضنعة آبن عائشة فلم تقاربْها، فسقط عندى لذلك .

نسبة هـــذا الصوت

صـــــوت

قال لى فيهــا عَتِيقٌ مقالاً * بَخَرتْ ممّــا يقول الدموعُ
قال لى وَدِّعْ سُلَيمى ودَعْها * فأجاب القلبُ لا أســتطيع

الشعرُ لعمر بن أبى ربيعة . والغناءُ لمَعْبد ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن عمرو، وقيل: إنه لآبن عائشــة . وفيه ثانى ثقيلٍ يُنْسَب إلى الهُذلىّ . وفيه خفيفُ ثقيلٍ يُنسب إلى آبن عائشة وإلى إبراهيم .

قصته بالرىّ مع جارية من تلميذاته

أخبرنى الحسن بن علىّ قال أخبرنى عبد الله بن أبى سَعْد قال حدّثنى محمد بن عبد الله بن مالك[1] قال حدّثنى إسحاق عن أبيه قال :

دخلتُ الرّىّ[2] فكنتُ آلَفُ فِتْياناً من أهل النِّعم بها وهم لا يعرفوننى، فطال ذلك علىّ إلى أن دعانى أحدهم ليلةً إلى منزله فبِتُّ عنده، فأخرج جاريةً له ومدّ لها ستارةً فتغنّتْ خَلْفَها ، فرأيتُهــا صالحةَ الأداء كثيرةَ الرواية ، فشوّقتْنى إلى العراق وذكّرتْنى أيّامى بها، فدعوتُ بعُود، فلما جىء به آندفعتُ فغنّيتُ صوتى فى شعرى :

أنا بالرّىّ مُقَــيم * فى قُرَى الرّىّ أَهِيمُ

وقد كنتُ صنعتُ هــذا اللحن قديما بالرّىّ، فخرجت الجــارية من وراء السّــتارة مُبادِرةً إلىّ، فأكبّتْ على رأسى وقالت : أستاذى والله! ؛ فقال لها مولاها : أىّ أُستاذِيك هذا ؟ قالت : إبراهيم الموصلىّ؛ فإذا هى إحدى الجوارى اللّاتى أخذْن

---

(١) كذا فى ط ، ى هنا وفيما سيأتى فى جميع الأصول فى أكثر من موضع . وفى سائر الأصول هنا : « محمد بن عبد الملك» وهو تحريف . (٢) الرىّ : مدينــة مشهورة من أمهات البلاد وأعلام المدن كثيرة الفواكه والخيرات، وهى محط الحاج على طريق السابلة، وقصبة بلاد الجبال، بينها وبين نيسابور مائة وستون فرسخا وإلى قزوين سبعة وعشرون فرسخا . (راجع معجم ياقوت فى كلامه عليها) .

عنّى وطال العهدُ بها ؛ فأكرمنى مولاها وبرّنى وخلع علىّ ، فأقمت مدّة بعد ذلك بالرّىّ وآنتشر خبرى بها ، ثم كتب بحَمْلى إلى والى البلد فأُشخِصتُ .

أرسل وهو فى الحبس شعرا لبعض إخوانه فلما وقف عليه المهدى رق له وأطلقه

أخبرنى الحسن قال حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال حدّثنى أبو تَوْبة صالحُ ابن محمد قال حدّثنى القَطِرانىّ عن محمد بن جَبْر عن يحيى المَكّىّ قال :

كنّا يومًا بين يدى المهدىّ وقد حَبَس إبراهيمَ الموصلىّ وضَرَبه وأمر بأن يُلْبَس جُبّةَ صوف ، وكان يخرج على تلك الحال فيَطْرح على الجوارى ؛ فكتب إلينا ذاتَ يوم ، ونحن مُصْطبِحون وقد جادت[1] السماءُ بمطرٍ صَيِّف[2] ، وبحضرتنا شىء من ورد مُبكِّر :

أَلَا مَن مُبْلِغٌ قومًا * مِن آخوانى وجيرانى
هنيئًا لكمُ الشُّربُ * على وَرْدٍ وتَهْتان[3]
وأنّى مُفْرَدٌ وحدى * بأشجانى وأحزانى
فمَن جَفّ له جفنٌ * فجَفْناى يَسيلان

قال : فوقف المهدىُّ على رُقعته وقرأها فرَقّ له وأمر بطلبه فى الوقت ، ثم أطلقه بعدُ بأيّام .

شغف بجارية على اليمانى وقال فيها شعرا

أخبرنى الحسن قال حدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدّثنى ابن المكّىّ عن أبيه قال :

كانت لعلىٍّ اليَمَانىّ جاريةٌ مغنّية ، فهَوِيَها إبراهيم وآستُهِيم بها زمانا ، وقال فيها :

---

(١) فى الأصول : «جاءت» . (٢) الصيف (بتشديد الياء) : المطر الذى يجىء فى الصيف ، واحده صيفة (بتشديد الياء) ؛ يقال : أصابتنا صيفة غزيرة أى مطرة غزيرة فى الصيف .

(٣) هتنت السماء (من باب ضرب) هتنا وهتونا وهتانا وتهتانا : انصبت .

صــــوت

كنتُ حُرًّا فصرتُ عبدَ اليمانى * من هوًى شادنٍ هواه بَرَانى

وهو نِصْفان من قضيبٍ ودِعْصٍ(١) * زانَ صــدرَ القضيب رُمّانتان ١٩/٥٠

اللحنُ لإبراهيمَ فى هذين البيتين ثانى ثقيلٍ بالبنصر عن عمرو . وقد زعَم قوم أن الشعر للحسين(٢) بن الضّحاك .

نصح ابنه إسحاق بعض آل نهيك فى الغناء فلامه فلما عرف هو أدب النهيكى غنى به

أخبرنى إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شبّة عن إسحاق قال :

كان بعض أهل نَهيك(٣) قد تعاطى الغناء، فلمّا ظنّ أنه قد أحكمه شاورنى وأبى حاضرٌ، فقلتُ له : إن قبِلتَ منّى فلا تُغنّ فلستَ فيــه كما أرضى؛ فصاح أبى علىّ صيحةً شــديدةً ثم قال لى : وما يُدريك يا صبىّ ! ثم أقبل على الرجل فقال : أنت ياحبيبى بضدّ ما قال، وإن لَزِمتَ الصّــناعةَ برعتَ فيها ؛ فلمــا خلا بى قال لى : يا أحمق ! ما عليك أن يُخْزِى الله مائة ألف مثل هــذا ! هؤلاء أغنياء ملوك، وهم يُعيِّروننا بالغناء، فدعهم يتهتّكوا به ويُعَيَّروا ويَفْتَضِحوا ويحتاجوا إلينا فنَنْتفع بهم، ويَبين فضلُنا لدى الناس بأمثالهم . قال : ولَزِمه النَّهيكىّ يأخذ عنــه ويَبَرّه فيُجزل، فكان إذا غنّى فأحسن قال له : بارك الله فيك، وإذا أساء قال : بارك الله عليك؛ وكثُر ذلك منه حتّى عرَف النَّهيكىّ معناه فيه، فغنّى يومًا وأبى ساهٍ عنــه فسكتَ ولم يقل له شيئا؛ فقال له : جُعلت فداك، يا أستاذى، أهذا الصوت من أصوات "فيك"

(١) الدعص (بالكسر) : كثيب الرمل . (٢) كذا فى ط، ء . وقد أورد له أبو الفرج ترجمة فى (ج ٦ ص ١٧٠ طبع بولاق) . وفى سائر الأصول : «للحسن»، وهو تحريف . (٣) لعله من أسرة عثمان بن نهيك أحد قوّاد المنصور والذى كلفه المنصور قتل أبى مسلم الخراسانى حين يدخل عليه .

أم "عليك"؟ فضحك أبى ولم يكن علم(١) أنه قد فَطِن لقوله، ثم قال له: والله لأُقْبِلَنّ عليك حتّى تصيرَ كما تشتهى، فإنك ظريفٌ أديب؛ وعُنِى به حتى حَسُن غناؤه وتقدّم. وفيه يقول أبى:

أوجب اللهُ لك الحقَّ * على مثلى بظَرْفكْ
لن ترانى بعد هذا * ناطقًا إلّا بوصفك
وترى القوّةَ فيما * تشتهيه بعد ضعفك

احتكم اليه مخارق وإسحاق فحكم لإسحاق

أخبرنى إسماعيل قال حدّثنى عُمر بن شَبّة عن إسحاق، أخبرنى به الصُّولىّ عن عَوْن بن محمد عن إسحاق قال:

غنّى مُخارِقٌ بين يدَيِ الرشيد صوتًا فأخطأ فى قِسْمته؛ فقلت له: أعِدْ فأعاده، وكان الخطأ خفيًّا، فقلت للرشيد: يا سيّدى، قد أخطأ فيه؛ فقال لإبراهيم بن المهدىّ: ما تقول فيما ذكره إسحاق؟ قال: ليس الأمرُ كما قال، ولا هاهنا خطأ؛ فقلتُ له: أترضى بأبى؟ قال: إى والله، وكان أبى فى بقايا عِلّة؛ فأمر الرشيدُ بإحضاره ولو محمولا، فجىء به فى مِحَفّة؛ فقال لمخارق: أعِدِ الصوتَ، فأعاده؛ فقال: ما عندك يا إبراهيم فى هذا الصوت؟ فقال: قد أخطأ فيه؛ فقال له: هكذا قال ٱبنك إسحاق، وذكر أخى إبراهيم أنه صحيح؛ فنظر إلىّ ثم قال: هاتُوا دواةً، فأُتِى بها وكتب شيئا لم يَقِف عليه أحد ثم قطعه ووَضعه بين يدى الرشيد، وقال لى: اكتُب بذكر الموضع الفاسد من قِسْمة هذا الصوت، فكتبتُه وألقيتُه فقرأه وسُرّ، وقام فألقاه بين يدى الرشيد، فإذا الذى قلناه جميعا متّفق؛ فضحك وعجب، ولم يَبْقَ

(١) كذا فى حـ . وفى ا ، م : «ولم يكن علم الله أنه ... الخ» . وفى سائر الأصول : «ولم يكن علم أبى أنه ... الخ» .

أحدٌ فى المجلس إلا قرّظ وأثنى ووصف، ولا أحدٌ خالف إلّا خجل وذلّ وأذعن .

وقال أبى فى ذلك :

ليت من لا يُحسن العلـ * ـمَ كفانا شرّ عِلمِـــهْ
فأخـــبُر الحقّ ابتـــداءً * وقِسِ العـــلمَ بفهمـــه
طِيبُ الرَّيْحانِ لا تعـ * ـرفــه إلا بشَـــمّه

حديث بين ابنـه إسحاق والرشـيد فى المـال الذى أخذه هو من الرشـيد

حدّثنى جَحْظة قال حدّثنى هِبَةُ الله ، وحدّثنى محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حَمّاد ابن إسحاق عن أبيه قال :

غنّى أبى يوما بحضرة الرشيد :

سَلِى هل قَلَانِى من عَشيرٍ صَحِبتُه * وهل ذمّ رَحْلى فى الرِّفاق رفيقُ

فطرِب واستعاده وأمر له بعشرين ألفَ درهم ، فلما كان بعد سنين[1] ، خطر ببالى ذلك الصوتُ وذكرتُ قصّته ، فغنّيتُه إياه ؛ فطرِب وشرب ، ثم قال لى : يا إسحاق ، كأنى فى نفسك ذكرتَ حديثَ أبيك وأنّى أعطيتُه ألف دينار على هذا الصوت فطمِعتَ فى الجائزة ! ؛ فضحكتُ ثم قلت : والله يا سيّدى ما أخطأتَ ؛ فقال : قد أخذ ثمنَه أبوك مرّةً فلا تطمع ؛ فعجبتُ من قوله ، ثم قلت : ياسيّدى ، قد أخذ أبى منك أكثر من مائتى[2] ألفِ دينار ما رأيتُك ذكرتَ منها غيرَ هذا الألف على بختى[3] أنا ؛ فقال : وَيْحَك ! أكثر من مائتى[2] ألف دينار؟! قلت : إى والله ! ؛ فوجَم وقال : أستغفر الله من ذلك ، وَيْحَك ! فما الذى خلّف منها ؟ قلت : خلّف

(١) كذا فى ط ، ء . وفى سائر الأصول : «سنتين» . (٢) فى م : «مائة ألف دينار» .

(٣) قال صاحب المصباح : البخت : الحظ وزنا ومعنى وهو أعجمىّ ومن هنا توقف بعضهم فى كون البخت التى هى أصل البخاتى (أى الإبل) عربية . وفى الصحاح والقاموس وشرحه : أنه معرّب أو مولد . وفى شفاء الغليل واللسان : أن العرب تكلمت به . وقال الأزهرىّ : لا أدرى أعربىّ هو أم لا .

علىّ ديونًا مبلغها خمسةُ آلاف دينار قضيتُها عنه؛ فقال: ما أدرى أيّنا أشدُّ تضييعا! والله المستعان .

نسبة هــذا الصوت

صـــوت

سَلِي هل قلانى مِنْ عَشيرٍ صَحِبتُه * وهـل ذمّ رَحْلى فى الرِّفاق رفيقُ
وهل يَجْتوِى القومُ الكرامُ صَحَابتى * إذا آغبرّ مَخْشِىُّ الفِجَاج عَميـقُ[1]
ولو تَعلمـين الغيبَ أيقنتِ أنّنى * لـكُم والهَدايا المُشْعَراتِ[2] صديقُ

الشعر يُنسب الى مُضَرِّس بن قُرْط[3] الهِلالىّ وإلى قَيْس بن ذَرِيح، وفيـه بيت يقال: إنه لجَرير . والغناء مختلطٌ فى أشعار الثلاثة المذكورين، ونِسْبتُه تأتى فى أخبار قيس بن ذَرِيح، إلا أن الغناء فى هــذه الثلاثة الأبيات لمَعْبَـد ثقيلٌ أوّل بالخنصر فى مجرى[4] البنصر عن إسحاق .

رأى وهو فى سرداب له ستورتين تغنيان فحفظ الصوت

أخبرنى عمّى قال حدّثنى عبد الله بن أبى سَعْد قال حدّثتنى نَشْوة الأُشْنانية[5] قالت أخبرنى أبو عثمان يحيى المكىّ قال :

تشوّق يومًا إبراهيمُ الموصلىّ إلى سرداب له، وكانت فيـه بِرْكة ماء تدخل من موضع إليه وتخرج إلى بستان، فقال : أشتهى أن أشربَ يومى وأبيتَ ليلتى فى هذا

(١) كذا فى ط ، ى، وهو الموافق لما جاء فى الأمالى (ج ٢ ص ٢٥٧ طبع دار الكتب المصرية). وفى سائر الأصول : «مخشىّ العجاج سحيق» . (٢) الهدايا : ما يهدى الى البيت الحرام من النعم لتنحر . والمشعرات : المعلمات بعلامة يعرف بها أنها هدى . (٣) كذا فى ط ، ى والأمالى . وفى سائر الأصول : «قرظة» وهو تحريف . (٤) كذا فى ط ، ى ، م . وفى سائر الأصول : «ثقيل أول بالخنصر ومجرى البنصر» . (٥) فى ط، ى : «نشو الأشناسية» .

السرداب ففعل ذلك، فبينا هو نائم فى نصف الليل فإذا سنّورتان[1] قد نزلتا من درجة السّرداب، بيضاء وسوداء، فقالت إحداهما : أتراه نائما[2] ؟ فقالت السوداء : هو نائم، فاندفعت السوداءُ فغنّت بأحسن صوت :

عَفَا مَزْج[3] إلى لَصْقٍ[4] * إلى الهَضَبات من هَكِر[5]
إلى قاع النَّقِير[6] إلى * قرار حِلَال[7] ذى حَدَر[8]

قال : فمات إبراهيمُ فرحًا وقال : ياليتهما أعاداه ! فأعاداه مرارا حتى أخذه، ثم تحرّك فقامت السِّنَّوْرتان، وسمع إحداهما تقول للأخرى : والله لا طَرَحه على أحد إلا جُنّ، فطرحه من غدٍ على جارية له فجُنّت .

٢١
٥

نسبة هذا الصوت

الغناء فيه لمالكٍ ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن يحيى المكّىّ وعَمْرو بن بَانَة .

طلب من الفضل ابن يحيى مالا لفصل له عليه ممن قضى حوائجهم

أخبرنى الحسن بن علىّ وعمّى قالا حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال حدّثنى محمد بن عبد الله بن مالك قال حدّثنى أبو محمد إسحاق بن إبراهيم عن أبيه قال :

(١) السنورة : الهرة . (٢) كذا فى أكثر الأصول . وفى ب، س : «نرى نائما» . (٣) كذا فى أكثر الأصول . ومزج (بالضم ثم السكون) : ماء بينه و بين المدينة ثلاثون فرسخا أو نحوها . وفى ب، حـ، س : «مزح» (بالحاء المهملة)، وهو تصحيف . (٤) كذا فى جميع الأصول، ولم نعثر على هذا الاسم فى المراجع التى بين أيدينا . ولعله مصحف عن «لصف» (بالفاء)، وهو بركة غربى طريق مكة بين المغيثة والعقبة على ثلاثة أميال من صبيب غربىّ واقصة . (راجع معجم البلدان لياقوت والقاموس وشرحه فى «لصف») . (٥) هكر (بفتح أوله وكسر ثانيه وراء مهملة) : موضع على نحو أربعين ميلا من المدينة . (٦) كذا فى ط، ء . والنقير (بفتح أوله وكسر ثانيه) : موضع بين هجر والبصرة . وفى سائر الأصول : «البقير» بالباء الموحدة، ولم نعثر عليه فى المراجع التى بين أيدينا . (٧) حلال (بكسر الحاء وتخفيف اللام) : من نواحى اليمن . (٨) كذا فى ط، ء . والحدر (بالدال المهملة) : ما انحدر من الأرض وهو الصبب . وفى سائر الأصول : «ذى حذر» بالذال المعجمة، وهو تصحيف .

أتيتُ الفضلَ بن يحيى يومًا، فقلت له : ياأبا العبّاس، جُعِلتُ فداك! هَبْ لى دراهمَ فإنّ الخليفة قد حبَس يدَه؛ فقال : وَيْحَك يا أبا إسحاق! ما عندى مال أرضاه لك، ثم قال : هَاه! إلّا أن هاهنا خَصْلةً[1] أتانا رسولُ صاحب اليمن فقضينا حوائجَه، ووجّه إلينا بخمسين ألف دينار يشترى لنا بها محبّتنا؛ فما فعلتْ ضِياءُ جاريتُك؟ قلتُ : عندى، جُعِلت فداك! ؛ قال : فهو ذا، أقول لهم يشترونها منك فلا تَنْقُصْها من خمسين ألف دينار؛ فقبّلتُ رأسه ثم آنصرفتُ؛ فبكّر علىّ رسول صاحب اليمن ومعه صديقٌ لى، فقال : جاريتُك فلانةُ عندَك؟ فقلت: لا عندى؛ فقال : اعرِضْها علىّ، فأخرجتُها؛ قال : بكم؟ قلت : بخمسين ألفَ دينار ولا أنقُص منها دينارًا واحدا، وقد أعطانى بها الفضلُ بن يحيى أمسِ هذه العطيّة؛ فقال لى : أُريدها له؛ فقلت له : أنت أعلم، إذا آشتريتَها فصيّرها لمن شئت؛ فقال لى : هل لك فى ثلاثين ألفَ دينار مُسَلَّمةٍ لك؟ قال: وكان شراء الجارية على أربعمائة دينار، فلما وقع فى أذنى ذِكْرُ ثلاثين ألفا أُرْتِج علىّ ولَحِقنى زَمَعٌ[2]، وأشار علىّ صديقى الذى معه بالبيع، وخِفتُ والله أن يحدُث بالجارية حَدَثٌ أو بى أو بالفَضْل بن يحيى، فسلّمتُها وأخذتُ المال؛ ثم بكّرتُ على الفضل بن يحيى، فإذا هو جالس وحدَه؛ فلما نظر إلىّ ضحِك، ثم قال لى : يا ضَيِّق الحَوْصَلة[3]! حرَمتَ نفسك عشرين ألفَ دينار؛ فقلت له : جُعِلتُ فداك، دَعْ ذا عنك، فوالله لقد دخَلنى شىء أَعْجِز عن وصفه وخِفت أن تَحدُث بى حادثة أو بالجارية أو بالمشترِى أو بك، أعاذك الله من

(١) كذا فى الأصول، وظاهر سياق الكلام يقتضى أن يكون المراد مخرجا أو فرصة ونحو ذلك. فلعل كلمة «خصلة» محرّفة عما يؤدّى هذا المعنى. (٢) الزمع (بالتحريك) : شبه رعدة تأخذ الإنسان.

(٣) ضيق الحوصلة هنا كناية عن التسرّع وشدّة الحرص. وفى كتاب ما يعوّل عليه فى المضاف والمضاف اليه أن ضيق الحوصلة يكنى به عن البخل.

كل سوء ، فبادرتُ بقَبول الثلاثين ألف دينار ؛ فقال : لا ضَيْر ، ياغلام جئ بالجارية ، فجاء بجاريتى بعينها ؛ فقال : خُذْها مبارَكًا لك فيها ، فإنما أردنا منفعتك ولم نُرِدِ الجارية ؛ فلما نهضتُ[1] ، قال لى : مكانَك ، إنّ صاحب إِرْمِينِيَة قد جاءنا فقضَيْنا حوائجه ونفّذْنا كُتُبَه ، وذكر أنه قد جاءنا بثلاثين ألف دينار يشترى لنا بها ما نُحِبّ ، فاعرِض عليه جاريتَك هذه ولا تَنْقُصها من ثلاثين ألف دينار ؛ فانصرفتُ بالجارية وبكّر إلىّ رسول صاحب إِرْمِينِيَة ومعه صديقٌ لى آخر ، فقاوَلَنى بالجارية ، فقلتُ : لستُ أَنقصها من ثلاثين ألف دينار ؛ فقال لى : معى على الباب عشرون ألفَ دينار تأخذها مُسلَّمة ، بارك الله لك فيها ؛ فدخلنى والله مثلُ الذى دخلنى فى المرّة الأولى وخِفت مثلَ خوفى الأوّل ، فسلّمتُها وأخذتُ المال ، وبكّرت على الفضل ابن يحيى فإذا هو وحدَه ؛ فلما رآنى ضحك وضرب برجله الأرض وقال : ويحك ! حَرَمتَ نفسك عشرةَ آلاف دينار ؛ فقلت : أصلحك الله ، خِفتُ والله ما خفتُ فى المرّة الأولى ؛ قال : لا ضَيْر ، أخرِجْ ياغلام جاريتَه ؛ فجاء بجاريتى بعينها ، فقال : خذها ، ما أردناها ولا أردنا إلا منفعتك[2] ؛ فلما ولّتِ الجارية صِحْتُ بها : ارجعى فرجعتْ ؛ فقلت : أُشهدكَ ، جُعلت فِداك ، أنها حُرّة لوجه الله وأنى قد تزوجتها على عشرة آلاف درهم ، كَسَبتْ لى فى يومين خمسين ألف دينار ، فما جزاؤها إلا هذا ؛ فقال : وُفّقتَ إن شاء الله

٢٢ / ٥

سمع أحمد الخاركى غناءه فبهت

أخبرنى الحسن بن علىّ قال أخبرنى عبد الله بن أبى سعد قال حدّثنى محمد بن عبد الله بن مالك قال حدّثنى إسحاق قال قال لى أبى :

---

(١) كذا فى ط ، ء . وفى سائر الأصول : « ذهبت لأقوم » .

(٢) كذا فى ط ، ء . وفى سائر الأصول : « ما أردنا إلا منفعتك » .

كنت فى شبابى أُلازِم أصحابَ قُطْرُبُّل[1] وبارِى[2] وبِنَّى[3] وما أشبه هـذه المَنازل[4]، فأتخذ فيهم الخمّـارَ اللطيفَ، يحسبونى بالشراب الجيّد ويَخْبَؤه لى[5]، فجئت إلى بارِى يومًا فلَقِينى خَمَّارِى، فقال لى : يا أبا إسحاق عنـدى شىء من بَابَتك[6]، وقد كنت عملتُ لَحْنِى هذا :

صـــــوت

اشرَبِ الرّاح وكُنْ فى * شُرْبك الرّاحَ وَقُــوراَ

فاشربِ الرّاح رَوَاحًا * وظـلامًا وبُكـورا

ـــ الشعر والغناء لإبراهيمَ خفيفُ ثقيلٍ بالسبابة فى مجرى الوسطى[7]. وفيه لمنصور زَلْزَل الضاربِ خفيفُ رَمَلٍ عن حَبَش ـــ قال : فدخلتُ بيته وبَزَلْتُ[8] دَنّه وجعلتُ أُرَجِّع الصوتَ؛ فبُهِت ينظر إلىّ والنبيذُ يجرى حتى امتلأ الإناء وفاض، فقلت له : وَيْحَك! شرابُك قد فاض؛ فقال : دَعْنِى من شرابى، بالله مات لك إنسان فى هذه الأيام؟ فقلت : لا؛ قال : فما بال حَلْقِك هذا حزينا[9]؟ .

---

(١) قطربل (بضم أوّله وإسكان ثانيه وضم الراء المهملة أو فتحها، وتشديد الباء المضمومة، ويروى بفتح أوّله وطائه) : قرية بين بغداد وعكبرا تنسب اليها الخمر، كانت متنزها للبطالين وحانة للخمازين وقد أكثر الشعراء من ذكرها . (راجع معجم البلدان لياقوت ومعجم ما استعجم للبكرى) . (٢) بارى (بكسر الراء) : قرية من أعمال كلواذى من نواحى بغداد، كانت بها بساتين ومتنزهات، يقصدها أهل البطالة . (٣) بنى (بكسر أوّله وتشديد ثانيه والقصر) : قرية على شاطئ دجلة من نواحى بغداد بينهما نحو فرسخين، وهى تحت كلواذى، وكانت فى بغداد قريتان تسميان بهذا الاسم . وإحداهما أراد أبو نواس حين قال :

ما أبعد الرشد من قلب تضمنه * قطربل فقـرى بنى فكلواذى

(انظر معجم البلدان لياقوت). (٤) فى ط، ى : «المواخير» . (٥) كذا فى ط، ى، م . وفى باقى الأصول : «فيجيئنى» . (٦) البابة : الوجه والمذهب . وفى اللسان : «يقال : هذا شىء من بابتك أى يصلح لك» . (٧) فى ط، ى : «فى مجرى البنصر» . (٨) بزل الدنّ : ثقبه ليسيل ما به من خمر . (٩) فى ب، س : «زين» بدون ألف فى آخره . وفى سائر الأصول : «حزين حزين» مكرّرا .

ألق على مخارق صوتا فلما أخذه بكى ومدحه

أخبرنى الحسن بن على قال حدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزّيات قال حدّثنى حمّاد بن إسحاق عن عمّه طيّاب بن إبراهيم قال :

دخلتُ على أبى يومًا وعنده مُخارِق وأبى يُلْقِى عليه هذا الصوتَ :

صـــوت

طَـــرِبتَ وأنت مَعْـــنِىٌّ كـئيبُ * وقد يَشتاق ذو الحَزَن الغريبُ
وشاقَـــك بالمُوَقَّـــر(١) أهـــلُ خاخٍ(٢) * فلا أَمَمٌ هنـاكَ ولا قـــريبُ
وكم لك دونهـا من عُرْض أرضٍ * كأنّ سَرابَها الجـارى سَبيب
لَعَمْـــرُك إنّـــنى بِرَقِـــيم قَيْس(٣) * وجارةِ أهلِها لأنا الحَـــرِيبُ

— الشعر للأحوص ، والغناء لإبراهيمَ ماخُورِىٌّ بالبنصر عن عمرو — قال : فلمـا أخذه مخارق جعل أبى يبكى ، ثم قال له : يا مخارق ، نِعمَ وسيلة(٤) إبليس أنت فى الأرض، أنت والله بعدى صاحب اللّواء فى هذا الشأن .

---

(١) الموقر : اسم موضع من عمـــل البلقاء بنواحى دمشق . ثم قال البكرىّ فى معجم ما استعجم : « وفى شعر الأحوص ما ينبئك أن الموقر من شق اليمن قال :

ألا طـــرقتنا بالموقــــر شـــغفر * ومن دون مسراها قديد وعزوور
بواد يمانٍ نازح جل نبتـــه * غضا وأراك ينضح الماء أخضر »

(٢) خاخ : موضع بين الحرمين ، ويقال له : روضة خاخ بالقرب من حراء الأسد بالمدينة .

(٣) لم نوفق الى « رقيم قيس » فى المراجع التى بين أيدينـا ، والموجود « الرقيم » بدون إضافة ، وهو موضع بقرب البلقاء من أطراف الشام ، كان ينزله يزيد بن عبد الملك . فلعل رقيم قيس هو هذا الرقيم . ويرجح هذا أن الشعر هنا يدل على أن «رقيم قيس» قريب من «الموقر» الذى هو بجهة البلقاء . وقد ورد « الرقيم » مع « الموقر » هذا فى شعر كثير يمدح يزيد بن عبد الملك :

يزرن على تنائيـــه يزيدا * بأكناف الموقر والرقيم

(٤) كذا فى ط ، ء . وفى سائر الأصول : « نعم فيشلة ... » .

استفزه ابنه إسحاق فتفاخرا فى الغناء فحكم له

أخبرنى الحسن بن علىّ وعمّى قالا حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال حدّثنى محمد بن عبد الله بن مالك عن إسحاق قال :

لما صنع أبى لحنه فى :

ليتَ هنـدًا أنجزتنا ما تَعِدْ * وشَفَتْ أنفُسَنا مما تَجِـدْ

خاصمتُه وعِبْتُه فى صنعته، وقلت له : أَمَا بإزائك من ينتقد أنفاسك ويَعيب محاسنك وأنت لا تفكّر ! تجىء الى صوت قد عمل فيه ٱبنُ سُرَيْج لحنًا فتُعارضه بلحن لا يقارِب به والشعرُ أوسعُ من ذلك ! فدَعْ ما قد ٱعتَوَرَتْه[1] صناعةُ القدماء وخُذْ فى غيره؛ فغضب، وكنت لا أزال أُفاخره بصنعتى وأَعيب ما يُعاب من صنعته، فإن قَبِل منّى فذلك، وإن غضب داريتُه وترضّيتُه؛ فقال لى : ما يعلم الله أنى أدعك أو تفاخرَنى بخيرِ صوتٍ صنعتَه فى الثقيل الثانى فى طريقة هذا الصوت؛ فلما رأيتُ الجدّ منه ٱخترت صنعتى فى هذا اللّحن :

قل لَمَنْ صَـدّ عاتبًا * ونأى عنـك جانبًا
قد بلغتَ الذى أردْ * تَ وإن كنتَ لاعبا

٢٣
٥

وكان ما تَجاريْناه ونحن نَتَسايرُ خارجَيْن إلى الصحراء نقطع فَضْلَةَ خُمارِنا[2]؛ فقال : مَنْ تُحِبّ أن يحكم بينى وبينك؟ فقلت : من تُرَى أن يحكم هاهنا ؟ قال : أوّلُ من يطلُع [علينا][3] أُغنّيه لحنى وتُغنّيه لحنَك؛ فطمعتُ فيه وقلت نعم؛ فأقبلَ شيخ نَبَطىٌّ يحمل شوكًا على حمار له، فأقبل عليه أبى فقال : إنّى وصاحبى هذا قد تراضينا بك فى شىء؛ قال : وأىّ شىء هو ؟ فقلنا : زعَم كلُّ واحد منّا أنه أحسنُ غناءً من صاحبه،

(١) اعتور الشىء : تداوله وتعاطاه . (٢) كذا فى ط، ء والخمار : بقية السكر. وفى سائر الأصول : «خمارينا» بالتثنية . (٣) زيادة عن ط، ء .

فتسمَعَ منّى ومنه وتحكُمَ ؛ فقال : على آسمِ الله ؛ فبدَأ أبى فغنّى لحَنه ، وتبِعته فغنّيتُ لحنى ، فلما فرَغتُ أقبل علىّ فقال لى : قد حكمتُ عليك عافاك الله ومضى ؛ فلَطَمَنى أبى لَطْمةً ما مرّ بى مثلُها منه قطُّ ، وسكتُّ فما أعدتُ عليه حرفًا ولا راجعتُه بعد ذلك فى هذا المعنى حتى آفترقْنا .

نسبة هذين الصوتين

صوت

ليت هندًا أنجزتْنا ما تَعِدْ * وشَفَتْ أنفُسَنا ممّا تَجِدْ
وآستبدّتْ مرّةً واحدةً * إنما العاجز من لا يَسْتَبِدّْ
زعموها سألتْ جاراتِها(١) * ذاتَ يومٍ وتعرّتْ تَبْتَرِد(٢)
أكَمَا يَنْعَتُنِي تُبْصِرْنَنِي * عَمْرَكُنّ اللهَ أم لا يقتصِدْ
فتضاحَكْنَ(٣) وقد قُلْنَ لها * حَسَنٌ فى كلّ عينٍ من تَوَدّْ
حسدًا حُمِّلْنَه من أجلِها * وقديماً كان فى الناس الحَسَد

الشعر لعمر بن أبى رَبيعة . ولحنُ إبراهيم فيه ثانى ثقيلٍ بالوسطى . وفيه لآبن سُرَيج رَمَلٌ بالخنصر فى مجرى البنصر . وفيه لمالكٍ خفيفُ ثقيلٍ بالخنصر والبنصر عن يحيى المكىّ ، وذكره إسحاقُ فى هذه الطريقة ولم ينسُبه إلى أحد ، وقال الهشامىّ : أدلُّ شىء على أنه لمالكٍ شَبَهُه لحنَهُ :

* اِسْلَمِى يادارُ من هندِ *

(١) فى ب ، س : « جارتها » بالإفراد . (٢) تبترد : تغتسل بالماء البارد .

(٣) فى الكامل للمبرد : « فتهانفن » . والإهناف والمهانفة والتهانف : ضحك فيه فتور كضحك المستهزئ . وخصه بعضهم بضحك النساء . (راجع الكامل للمبرد ص ٥٩٤ طبع ليبزج والحاشية رقم ٣ ص ١٨٦ من الجزء الأول من الأغانى من هذه الطبعة) .

وفيــه لُمَتيَّم ثقيلٌ أوّل . وأما لحن إسحاقَ الذى فاخر به صنعةَ أبيــه ، فقد كُتب شعرُه والصنعةُ فيه — وهما جميعا[١] لإسحاق، ولحنه ثانى ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو — فى أخبار إسحاق .

كان زلزل فى الحبس فعمل فيه إبراهيم شعرا وغناه الرشيد فأطلقه

وذكر أحمد بن أبى طاهر أنّ حَمّاد بن إسحاق حدّثه عن أبيه قال :

كان الرشيد قــد وَجَد على منصور زَلْزَل لشىء بلغه عنــه ، فحبسه[٢] عشرَ سنين أو نحوَها ؛ فقام الرشــيد يومًا لحاجته ، فجعل إبراهيمُ يغنّى صوتًا صنعه فى شعر كان قاله فى حبس زَلْزَل، وهو :

هــل دهرُنا بك راجــعٌ يا زَلْزَلُ * أيّامَ يَبْغِينا العــدوُّ المبطِلُ
أيامَ أنت من المَكاره آمِنٌ * والخيرُ متَّسِعٌ علينا مُقْبِــلُ
يا بؤسَ مَنْ فقَــدَ الإمامَ وقُرْبَه * ماذا به من ذِلّةٍ لو يَعْقِــلُ
ما زلتُ بعدك فى الهموم مُرَدَّدًا * أبكى بأربعــةٍ[٣] كأنّى مُثْكِلُ

— الشعر والغناء لإبراهيمَ خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو — قال : ودخل الرشيد وهو فى ذلك فجلس فى مجلسه، ثم قال : يا إبراهيم، أىَّ شىء كنتَ تقول؟ فقال : خيرًا يا سـيّدى؛ فقال : هاته فتلكّأ، فغضب الرشــيد وقال : هاته فلا مكروهَ عليك، فردّ الغناء؛ فقال له : أتُحِبُّ أن تراه؟ فقال : وهل يُنْشَر أهل القبور ؟ فقال : هاتوا زَلْزَلًا ، فجاءوا به وقد ابيضّ رأســه ولحيته فسُرّ به إبراهيم؛ وأمَره فجلس، وأمر

٢٤/٥

(١) كذا فى ط ، ى . وفى سائر الأصول : « والشعر جميعا ... » .
(٢) كذا فى ط ، ى . وفى سائر الأصول : « فحبسه عنه » بزيادة كلمة عنه .
(٣) يريد بالأربعة : المحاظين والموقين للعينين ، فان الدمع يجرى من الموقين فاذا غلب وكثر جرى من المحاظين أيضا .

إبراهيمَ فغنّى وضرب عليه فزَلْزَلَا الدنيــا ، وشرب الرشــيدُ على ذلك رِطلا، وأمر بإطلاق زَلْزَل وأسْنَى جائزتهــما ورضى عنه وصرفه إلى منزله . قال : وزَلْزَلٌ أوّلُ من أحدث هذه العيدانَ الشَّبابِيط(١)، وكانت قديمًا على عمل عيدان الفُرْس، فجاءت عَجَبًا من العَجَب . قال : وكانت أُخْتُ زلزل تحت إبراهيمَ، وقد ولَدَت منه .

حديثــه عن أوّل أستاذ له فى الغناء

أخبرنى محمد بن مَزْيَد عن حمّــاد بن إسحاق عن أبيه قال :

أوّلُ من تعلّمتُ منه الغناءَ مجنونٌ، كان إذا صِيح به : يا مُضَر، يَهِيج ويرجُم؛ فبلغنى أنه يغنّى أصواتًا فيُجيدها، أخذها عن قدماء أهل الحجاز، فكنت أُدْخله إلىّ فأُطْعِمه وأَسقيه وأَخدَعه حتى آخذَ عنه، وكان حاذقا؛ فأوّل صوت أخذتُه عنه :

أَرْسِــلى بالسّلام يا سَــلْمِ إنّى * منــذُ عُلِّقْتُــكم غنىٌّ فقــيرُ
فالغِنَى إن ملكتُ أمرَكِ والفقـ * ـرُ بأنّى أزورُ من لا يــزور
وَيْحَ نفسى! تَسلوالنفوسُ ونفسى * فى هــوَى الرِّيم ذِكْرُها ما يَحُور
مَنْ لنفسٍ تَتُــوق أنتِ هــواها * وفــؤادٍ يكاد فيــك يطــير

ثم مكثتُ زمانًا آخذ عنه، وكان إذا عاد إليه عقلُهُ من أحذقِ الناس وأقْوَمِهــم على ما يؤدّيه؛ ثم غاب عنّى فــا أعرِف خبره .

وهذا الشعرللوليد بن يَزِيد . والغناء ليونس خفيفُ رَمَلٍ مطلق فى مجرى البنصرعن إسحاق ، وذكر غيره أنه لعمرَ الوادىّ(٢)، وفيــه لوجه القرعة ثانى ثقيــلٍ بالوسطى عن حَبَش .

---

(١) الشبابيط : جمع شبوط ، وهو ضرب من الســمك دقيق الذنب عريض الوســط لين المس صغير الرأس كأنه بربط : (عود) .

(٢) فى ب، سـ : «لعمرو الوادى» ، وهو تحريف .

خرج مع الرشيد الى الشام فأحسن إليه وخلع عليه ثيابه

أخبرني محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن جدّه قال :

خرجتُ مع الرشيد إلى الشأم لمّا غزا، فدعاني يومًا فدخلت إليه إلى مجلس لم أرَ أحسن منه مفروشٍ بأنواع الرُّخام، فأكل وأمرني فأكلتُ معه، وجعلتُ أتولّى خدمتَه الى العصر، ثم دعا بالنبيذ فشرِب وسقاني معه، ثم خلع عليّ خِلعةَ وَشْيٍ من ثيابه وأمر لي بألف دينار، ثم قال : انظر يا إبراهيم، كم من يَدٍ أوْليتُك إيّاها اليومَ ! نادمتَني مفردًا، وآكلتَني، وخلعتُ عليك ثيابي من بدني، ووصلتُك، وأجلستُك في إيوان مَسْلمة بن عبد الملك تشرب معي؛ فقلت : ياسيِّدي، ما ذهب عليّ شيء من تفضّلك، وإنّ نِعَمَك عندي لأكثرُ من أن تُحصَى، وقبّلتُ رِجلَه والأرضَ بين يديه .

هو أوّل من غنى الرشيد بعد أن ولى الخلافة بشعره فيه

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زُهَير قال قال دِعْبِل بن عليّ :

لمّا وَلِي الرشيدُ الخلافةَ وجلس للشرب بعد فراغه من إحكام الأمور ودخل عليه المغنّون، كان أوّل مَنْ غنّاه إبراهيمُ الموصليّ بشعره فيه، وهو :

صـــوت

إذا ظَلَمُ البــلادِ(١) تجلّلتنا * فهارونُ الإمامُ لها(٢) ضِياءُ
بهارونَ آستقام العدلُ فينا * وغاض الجَوْر وانفسح الرجاء
رأيتُ الناسَ قد سكنوا إليه * كما سكنتْ الى الحَرَم الظِّباءُ
تَبِعْتَ من الرسول سبيلَ حقٍّ * فشأنُك في الأمور به اقتداءُ

٢٥
٥

---

(١) كذا في الأصول . ومع استقامة الكلام به لا يبعد أن يكون : « اذا ظلم البلاد ... » .

(٢) في ط ، ء : «لنا» .

فقال له الخادم من خَلْف الستارة : أحسنتَ يا إبراهيم فى شعرك وغنائك، وأمر له بعشرين ألف درهم. لحنُ إبراهيمَ فى هذا الصوت ثقيلٌ أوّلُ بالسبّابة والوسطى عن أحمد بن المَكّى .

دخل على قوم يغنيهم هاشم بن سليمان فلما عرفوه أكرموه، وشعره فى ذلك

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنى يَزِيد بن محمد المُهَلَّبِىّ قال حدّثنى أبى قال.

كنتُ أنا وأبو سَعِيد النَّهدِىّ[(1)] وهاشم بن سليمان المغنِّى يومًا مجتمعين فى بُستان لنا ونحن نشرب وهاشم يغنِّينا، فلمّا توسّطْنا أمرَنا اذا نحن برجل قد دخل علينا البستانَ جميلِ الهيئة حسنِ الزِّىّ، فلمّا بصُرنا به من بعيد، وثَب هاشمٌ يعدو حتى لَقِيَه، فقبّل يدَه وعانقه، ولم يعرفه أحدٌ منا ، فجاء وسلّم سلامَ الصَّديق على صديقه ، ثم قال : خذوا فى شأنكم ، فإنى اجتزتُ بكم فسمعتُ غناء أبى القاسم فاستخفّنى وأَطربنى، فدخلت إليكم واثقًا بأنه لا يُعاشر إلّا فتًى ظريفا يستحسن هذا الفعلَ ويسرّه، ولى فى هذا إمامٌ وهو عبد الله بن جعفر بن أبى طالب عليه السلام ، فإنه سمع غناءً عند قوم فدخل بغير إذن ثم قال : إنما أدخلنى عليكم مغنِّيكم لمّا غنّى :

قُــلْ لـــكرامٍ ببابنـا يَلِجُوا * مافى التَّصابى على الفتى حَرَجُ

وأنا أعلم أنّ نفوسكم متعلقة بمعرفتى، فمن عرفنى فقد ٱكتفى، ومن جَهِلنى فأنا إبراهيم الموصلىّ؛ فقُمنا فقبّلنا رأسه وسُرِرنا به أتمّ سرور، وٱنعقدتْ بيننا وبينه يومئذ مودّة، ثم غاب عنّا غيبةً طويلة، وإذا هاشم قد أنفذ إلينا منه رُقعةً فيها :

أهاشمُ هل لى مِنْ سـبيل الى التى * تُفـرِّق همَّ النفس فى كل مَذْهبِ
مُعتّقةً صِرْفا كأنّ شُـعاعَها * تَضَرُّم نارٍ أو تَوَقُّـدُ كـوكبِ

(1) كذا فى ب ، س ، م ، أ . وفى ط ، ء ، حـ : « المهرى » بالميم والراء . وسيذكر هذا الاسم فى الشعر الآتى مضطربا أيضا ففى ب ، س : « النهدى » . وفى م ، أ : « المهدى» . وفى حـ : « البهرى» وفى ط ، ء : «المهرى» و «النهدىّ» و « المهرىّ» من النسب المعروفة ولم نوفق الى وجه الصواب فى هذا الاسم .

أَلَاربَّ يومٍ قد لهَــوتُ وليــلةٍ * بهــا والفتى النَّهــدِىُّ وَابنُ المُهَلَّب
نُدِيرُ مُــدامًا بيننــا بتَحِيّــةٍ * وَتَفْــدِيَةٍ بالنفسِ والأمِّ والأب

سرق عقعق لابنه إسحاق خاتما له فهجاه

أخبرنى محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : كان لى(١) وأنا صبىّ عَقْعَقٌ(٢) قد ربّيته وكان يتكلّم بكلّ شىء سمعه ، فسرق خاتمَ ياقوتٍ كان لأبى قد وضعه على تُكَأَته(٣) ودخل الخلاء ثم خرج ولم يجده ، فطلبه وضرب غلامَه الذى كان واقفا ، فلم يَقِف له على خبر؛ فبينــا أنا ذاتَ يوم فى دارنا إذ أبصرتُ العقعقَ قد نَبش ترابا فأخرج الخاتَم منه ولعب به طويلا ، ثم ردّه فيه ودفَنه ، فأخذتُه وجئت به إلى أبى، فسُرّ بذلك وقال يهجو العقعق :

إذا باركَ اللهُ فى طائــرٍ * فــلا باركَ اللهُ فى العقعقِ
طويلِ الذُّنَابَى(٤) قصيرِ الجناح * متى ما يجــد غَفْــلةً يسرق
يُقلِّب عينين فى رأســه * كأنهما قَطْــرتا زِئْبَــق

قصته مع ابن جامع بين يدى الرشيد وما كان منه فى رضا الرشيد عن محمد الزف

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا عبد الله بن أبى ســعد قال حدّثنى أحمد ابن المَكّىّ، وذاكرت أحمد بن جعفر جَحْظَة بهــذا الخبر فقال حدثنى به محمد
٢٦/٥ ابن أحمد بن يحيى المكى المرتجِل(٥) عن أبيه عن جدّه ، ووجدت هذا الخبر فى بعض الكتب عن علىّ بن محمد بن نصر عن جدّه حَمْدون بن إسماعيل فجمعت الرواياتِ كلَّهــا :

---

(١) فى ب ، س ، م : «وكان» . (٢) العقعق : طائر على قدر الحمامة وهو على شكل الغراب ، وجناحاه أكبر من جناحى الحمامة ، والعرب تتشاءم به وتضرب به المثل فى السرقة والخيانة والخبث .
(٣) كذا فى ط ، ى . وفى سائر النسخ : «فوضعه» . (٤) الذنابى : الذنب .
(٥) كذا فى ط ، ى . وفى سائر الأصول : «المرتحل» بالحاء المهملة ، وهو تصحيف .

أنّ الرشيد قال يوماً لجعفر بن يحيى : قد طال سماعنا هذه العصابةَ على ٱختلاط الأمر فيها فهلمّ أُقاسمك إياها وأُخايرك ، فاقتسما المغنّين ، على أن جعلا بإزاء كل رجل نظيرَه ، وكان ابن جامع فى حيِّز الرشيد و إبراهيم فى حيِّز جعفر بن يحيى ، وحضر الندماءُ لِمحْنة[1] المغنّين ، وأمر الرشيدُ ٱبنَ جامع فغنّى صوتا أحسن فيه كلَّ الإحسان وطرِب الرشيد غايةَ الطرب ، فلما قطعه قال الرشيد لإبراهيم : هات يا إبراهيم هذا الصوتَ فغنّه ؛ فقال : لا والله يا أمير المؤمنين ما أعرفه ، وظهر الانكسار فيه ؛ فقال الرشيد لجعفر : هذا واحد ، ثم قال لإسماعيل بن جامع : غنّ يا إسماعيل ، فغنّى صوتا ثانيا أحسن من الأول وأرضى فى كل حال ، فلما ٱستوفاه قال الرشيد لإبراهيم : هاته يا إبراهيم ، قال : ولا أعرف هذا ؛ فقال : هذان ٱثنان ، غنّ يا إسماعيل ، فغنّى ثالثا يتقدّم الصوتين الأوّلين ويفضُلُهما ، فلما أتى على آخره ، قال : هاته يا إبراهيم ، قال : ولا أعرف هذا أيضا ؛ فقال له جعفر : أخزيتَنا أخزاك الله . قال : وأتمّ ٱبنُ جامع يومَه والرشيدُ مسرور به ، وأجازه بجوائزَ كثيرة وخلَع عليه خِلَعا فاخرة ، ولم يزَل إبراهيمُ مُنخذِلا مُنكسِرا حتى ٱنصرف . قال : فمضى إلى منزله ، فلم يستقرّ فيه حتى بعث إلى محمد المعروف بالزّف[2] ، وكان محمد من المغنّين المحسنين ، وكان أسرعَ من عُرِف فى أيامه فى أَخْذ صوت يريد أخْذَه ، وكان الرشيد قد وجَد عليه فى بعض ما يجد الملوك على أمثاله فألزمه بيتَه وتناساه ؛ فقال إبراهيم للزّف : إنى ٱخترتك على من هو أحبّ إلىّ منك ، لأمرٍ لا يصلُح له غيرك ، فانظُر كيف تكون[3] ! قال : أَبلُغ فى ذلك محبّتك إن شاء الله تعالى ؛ فأدّى إليه الخبر وقال : أريد أن تمضى الساعة

(١) المحنة : الاختبار ، يقال : محنه اذا اختبره وجرّبه . (٢) فى ط ، ء : «الرف» (بالراء المهملة) . (راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٠٦ من الجزء الأوّل من الأغانى من هـذه الطبعة) .
(٣) فى ب ، س ، حـ : «كيف يكون» .

إلى ابن جامع، فتُعلمه أنك صِرت إليه مُهَنّئا بما تَهَيّأ له علىّ، وتَتَقّصُنى (١) وتَثْلِبُنى (٢) وتَشْتِمُنى، وتحتال فى أن تسمع منه الأصوات وتأخذها منه، ولك ماتُحبّه من جِهتى من عَرَض من الأعراض مع رضا الخليفة إن شاء الله . قال : فمضى من عنده وآستأذن على آبن جامع فأذِن له، فدخل وسلّم عليه وقال : جِئْتك مهنّئا بما بلغنى من خبرك، والحمد لله الذى أخزى آبنَ الجُرْمُقانيّة (٣) على يدك، وكشف الفضل فى محلّك من صِناعتك؛ قال : وهل بلغك خبرُنا؟ قال: هو أشهر من أن يخفى على مثلى؛ قال: وَيْحَك ! إنه يقصُر عن العِيان؛ قال : أيها الأستاذ، سُرّنى بأن أسمعه من فيك حتى أَروِيَه عنك، وأُسقِط بينى و بينك الأسانيدَ؛ قال : أقم عندى حتى أفعلَ؛ قال : السمع والطاعة؛ فدعا له ابن جامع بالطعام فأكلا ودعا بالشراب، ثم آبتدأ فحدّثه بالخبر حتى آنتهى إلى خبر الصوت الأوّل؛ فقال له الزّف : وما هو أيها الأستاذ؟ فغنّاه ابن جامع إياه، فجعل محمد يُصفّق وينعِر (٤) ويشرب وابن جامع مجتهدٌ فى شأنه حتى أخذه عنه. ثم سأله عن الصوت الثانى، فغنّاه إياه، وفعل مثلَ فعله فى الصوت الأوّل، ثم كذلك فى الصوت الثالث؛ فلما أخذ الأصوات الثلاثة كلّها وأحكمها قال له: يا أستاذ، قد بلغتُ ما أُحبّ، فتأذن لى فى الانصراف؟ قال: إذا شئتَ؛ فانصرف محمد من وجهه إلى إبراهيم؛ فلما طلع من باب داره قال له : ما وراءك؟ قال : كلّ ماتحب، أُدع لى بعُود، فدعا له به، فضرب وغنّاه الأصوات؛ قال إبراهيم: وأبيك ٢٧ / ٥

---

(١) كذا فى ب، سـ . وفى ط، ء : «وتقصبنى» بالباء الموحدة أى تعيبنى وتشتمنى .

(٢) ثلبه : عابه وتنقصه .

(٣) الجرمقانى، ومثله الجرمق، : واحد الجرامقة، وهم قوم من العجم صاروا بالموصل فى أوائل الاسلام . (أنظر القاموس وشرحه مادّة جرمق) .

(٤) نعر الرجل (من بابى ضرب ومنع): صاح وصوّت بخيشومه .

هى بصُوَرها[1] وأعيانها، رَدّدها علىّ الآن، فلم يزل يُردّدها حتى صحّتْ لإبراهيم، وآنصرف الزّف إلى منزله ؛ وغدا إبراهيم إلى الرشيد، فلما دعا بالمغنّين دخل فيهم، فلما بصُر به قال له : أوَ قد حضرت ! أما كان ينبغى لك أن تجلس فى منزلك شهرا بسبب ما لقِيتَ من ابن جامع ! قال: ولم ذلك يا أمير المؤمنين؟ جعلنى الله فداءك ! والله لئن أذِنتَ لى أن أقول لأقولنّ ؛ قال : وما عساك أن تقول ؟ قل ؛ فقال : إنه ليس ينبغى لى ولا لغيرى أن يراك نشيطًا لشىء فيُعارِضَك، ولا أن تكون مُتعصّبا لحيّزٍ وجَنَبةٍ[2] فيغالبَك، وإلا فما فى الأرض صوتٌ لا أعرفه، قال: دَعْ ذا عنكْ، قد أقررتَ أمسِ بالجهالة بما سمعتَ من صاحبنا، فإن كنتَ أمسكتَ عنه بالأمس على معرفة كما تقول فهاته اليومَ، فليس هاهنا عصبيّة ولا تمييز، فاندفع فأمَرّ الأصوات كلّها، وآبن جامع مُصْغٍ يسمع منه، حتى أتى على آخرها؛ فآندفع ابن جامع فحلف بالأيمان المُحْرِجة أنه ما عرفها قطّ ولا سمعها ولا هى إلا من صَنْعته، ولم تخرج إلى أحد غيره؛ فقال له : وَيْحك ! فما أحدثتَ بعدى ؟ قال : ما أحدثت حدَثا ؛ فقال : يا إبراهيم بحياتى اصدُقنى! فقال : وحياتِك لأصْدُقنّك، رميته بحَجَره[3]، فبعثت له بمحمد الزّف وضمِنتُ له ضمانات، أوّلها رضاك عنه، فمضى[4] فاحتال لى عليه حتى أخذها عنه ونقلها إلىّ، وقد سقط[5] الآن اللوم عنّى بإقراره، لأنه ليس علىّ أن أعرف ما صنعه هو ولم يُخرجه إلى الناس، وهذا باب من الغيب، وإنما يلزمنى أن يعرف[6] هو شيئا من غناء الأوائل وأجهله أنا ، وإلّا فلو لزمنى أن أروىَ صنعته للزمه أن

(١) كذا فى ط، ى. وفى سائر الأصول : «بصورتها». (٢) الجنبة : الناحية. (٣) فى أساس البلاغة : «ورمى فلان بحجره اذا قرن بمثله». (٤) كذا فى ط، ى. وفى سائر الأصول : «فمضى حتى احتال ... الخ». (٥) كذا فى ط، ى. وفى سائر الأصول : «ونقلتها حتى سقط». (٦) فى ب، سـ : «ألا يعرف». وظاهر أنه تحريف.

يروى صنعتى، ولزم كلّ واحد منا لسائر[1] طبقته ونظرائه مثلُ ذلك، فمن قصّر عنه كان مذموما ساقطا؛ فقال له الرشيد: صدقتَ يا إبراهيم، ونَضَحتَ[2] عن نفسك، وقمت بحجّتك؛ ثم أقبل على ٱبن جامع فقال له: يا إسماعيل، أُتيتَ أُتيتَ! دُهِيتَ دُهِيتَ! أبطل عليك الموصليّ ما فعلتَه به أمسِ وٱنتصف اليومَ منك؛ ثم دعا بالزِّقّ فرضى عنه.

الأصوات التى غنى بها ابن جامع وبيان ما يتصل بها

قال علىّ بن محمد: سألت خالى أبا عبد الله بن حَمْدون وقد تجارينا هذا الخبرَ: هل تعرف أصوات ٱبن جامع هذه؟ فأخبرنى أنه سمع إسحاقَ يحكى هذه القصّة، وذكر أنّ الصوت الأوّل منها:

صوت

بكيتُ نعمْ بكيتُ وكلّ إِلْفٍ * إذا بانت قرينتُه بكاها
وما فارقتُ لُبْنَى عن تَقالٍ[3] * ولكن شِقْوةٌ بلغتْ مَداها

الشعر لقَيْس بن ذَرِيح. والغناء لٱبن جامع ثانى ثقيلٍ بالوسطى. وفيه ليحيي المكىّ ثانى ثقيلٍ آخرُ بالخنصر والبنصر من كتابه. وفيه لإبراهيم ثقيلٌ أوّل[4] عن الهشامىّ.

قال: والثانى منها:

صوت

عفت دارَ سَلْمَى بمُفْضَى الرَّغام * رياحٌ تَعاقَبُها[5] كلَّ عامِ
خِلَافَ[6] الحلولِ بتلك الطُّلول * وسَحْبِ الذُّيول بذاك المقام

(١) كذا فى ط، ى، حـ. وفى سائر الأصول: «كسائر»، وهو تحريف. (٢) كذا فى ط، ى. ونضح الرجل عن نفسه: دفع عنها بالحجة. وفى سائر الأصول: «نصحت» بالصاد المهملة، وهو تصحيف. (٣) كذا فى أكثر الأصول. والتقالى: التباغض. وفى ب، حـ: «ثقال» (بالثاء المثلثة) وهو تصحيف. (٤) فى ط، ى: «ثقيل أول آخر». (٥) فى ط، ى: «توارثها». (٦) كذا فى ط، ى، حـ. أى بعده. وفى باقى الأصول: «خلال» باللام.

٢٨ / ٥

وأنس الديار وقربُ الجـــوار * وطيب المَـزار وردّ الســلامِ
ودهرٍ غَرِيرٍ(١) وعيش السّرور * ونأى الغَيور وحُسن الكلام

الشــعر لحمّاد الرّاوية . والغناء لابن جامع ثقيل أوّل بالبنصر، [ذكر ذلك الحَزَنْبَلُ(٢) عن عمرو بن أبى عمرو] . قال ابن حَمْدون : وهــذا الصوت عجيب الصنعة، كثير النَّغَم، مُحكَم العمل، من صدور أغانى ابن جامع ومتقدِّم صنعته، وكان المعتصم مُعجَبا به، وكثيرا ما كان يُسْكِت المغنّين إذا غُنِّى بحضرته فلا يَسمع سائرَ يومه غيرَه .

قال : والثالث منها :

صـــــوت

نَزَفَ البكاءُ دموعَ عينك فاْستَعِرْ * عينًا لغـــيرك دمعُها مِـــدْرارُ
مَنْ ذا يُعـيرك عينَه تبكى بهـا * أرأيتَ عينًـا للبـــكاء تُعـارُ

الشــعر للعبّاس بن الأحنف . والغناء لابن جامع ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى ؛ وقال ابن حمدون : وعارَضه إبراهيم بعد ذلك فى [هذا](٢) الشعر، فصنع فيه لحنا من الرَّمَل بالبنصر فى مجراها، فلم يَلْحَقه ولا قاربه . قال : وقد صُنع أيضا فى هذا الشعر لحنٌ خفيف فاسد الصنعة مُحدَث ليس ينبغى أن يُذكر هاهنا .

حدّثنى محمد بن يحيى الصُّولىّ قال حدّثنى أبو عبد الله الحَزَنْبَلُ قال حدّثنى أحمد ابن إبراهيم بن إسماعيل عن أبيه قال :

أنشد بشّارٌ قولَ العبّاس بن الأحنف :

نَزَف البكاءُ دموعَ عينك فاْستعرْ * عينا لغـــيرك دمعها مـــدرارُ

---

(١) كذا فى حـ ، ط ، ى . وفى سائر الأصول : «عزيز» . (٢) زيادة عن ط ، ى .

فقال بشار : لحِق والله هذا الفتى بالمحسنين، وما زال يُدخل نفسَه معنا ونحن نُخرجه حتى قال هذا الشعر .

حدّثنى محمد بن يحيى قال حدّثنى ميمون بن هارون عن إسحاق قال :

أُنشد الرشيدُ قولَ العباس :

من ذا يُعيرك عينَه تبكى بها * أرأيت عيناً للبكاء تُعارُ

فقال : يُعيره مَنْ لا حاطَه الله ولا حفِظه .

ومما يُغَنّى فيه من قصيدة العبّاس بن الأحنف الرائيّة التى هذا الصوت الأخير منها[(١)] قولُه :

صوت

الحبُّ أوّلُ ما يكون لَجاجةٌ * تأتى به وتسوقُه الأقدارُ

حتى إذا سلك الفتى لُجَجَ الهوى * جاءت أمورٌ لا تُطاق كِبارُ

غنّاه آبن جامع ثانىَ ثقيل بالبنصر . وفيه لِشاطرةَ آمرأةِ منصورٍ زَلْزَلٍ ثقيلٌ أوّلُ[(٢)] بالوسطى عن الهشامى . وذكر آبن المكىّ المرتجِل أنّ هذه الأصوات الثلاثة المسروقةُ[(٣)] من آبن جامع :

(١) فى مـ ، ب ، م : « التى هى الصوت الآخر منها » . وفى حـ : « التى هى الصوت الأوّل منها » .

(٢) فى حـ : « ثانى ثقيل أوّل بالوسطى » .

(٣) فى ط ، ى : « المعروفة » .

* يا قبرُ بين بيـوت آل مُحَـرِّقٍ (١) *

و : * عفا طَرَفُ القُـرَيَّةِ (٢) فالكثيبُ *

وأسقط منها قوله :

* نزف البكاء دموع عينك فاستعر *

و : * بكيتُ نعم بكيتُ وكلُّ إلف *

نسـبة هـذين الصوتين

صـوت

يا قبرُ بين بيـوتِ آل مُحـرِّقٍ * جادت عليـك رَوَاعِدٌ وبُرُوقُ

أمّا البكاء فقَـلَّ عنـك كثيرُه * ولـئن بكيتُ فبالبكاء حقيـق (٣) ٢٩/٥

(١) آل محرق هنا : هم ملوك الحيرة من لخم ، ومحرّق الذى أضيفوا إليه هو امرؤ القيس بن عمرو بن عدى أحد ملوكهم ، ويقال له : المحرّق الأكبر . ولقب به أيضا من اللخميين عمرو بن هنـد من ملوكهم ، ويقال له : المحرق الثانى، وابن النعمان بن المنـذر شاعر . وفيهم يقول الأسود بن يعفر :

ماذا أؤمل بعد آل محرّق * تركوا منازلهم وبعد إياد

ومحرق — أيضا — : لقب الحارث بن عمرو أبى شمر ملك الشام من آل جفنة لأنه أوّل من حرق العرب فى ديارهم . ويقال لآل جفنة أيضا : آل محرّق (ملخص عن اللسان ، والقاموس وشرحه مادة حرق ، والمعارف لابن قتيبة ص ٣١٧) . (٢) القرية (بضم أوّله وفتح ثانيه وتشديد الياء تصغير قرية) : تطلق على عدّة أماكن كما ذكر ياقوت فى معجمه ، ومنها موضع بنواحى المدينة ذكره ابن هرمة فى قوله :

انظر لعـلك أن ترى بسويقة * أو بالقـرية دون مفضى عاقل

والقرية أيضا : من أشهر قرى اليمامة ، لم تدخل فى صلح خالد بن الوليـد يوم قتل مسيلمة الكذاب . والمرجح أنها هى المعنية بهذا الشعر، وذلك لذكرها مع ملحاء التى هى واد من أعظم أودية اليمامة ، وستأتى فيما بعد عند ذكر الشعر . (٣) فى ط ، ى : « خليق » .

الشعر لرجل من بنى أسد يَرْثى خالد بن نَضْلة[(١)] ورجلا آخر[(٢)] من بنى أسد كانا نديمين للمنذر بن ماء السماء[(٣)]، فقتلهما فى سُخْطه عليهما ؛ وخبرُ ذلك مشهور فى أخبار ابن جامع[(٤)] . والغناء لابن جامع، وله فيه لحنان : ثقيل أول بالوسطى، ورمل بالبنصر، وقيل : إن الرَّمَل لابن سُرَيج . وذكر حَبَشٌ أن لمحمد صاحب البِرَام فيه لحنا من الثقيل الثانى بالوسطى .

---

(١) كذا فى جميع الأصول هنا ومعجم ما استعجم للبكرى (ص ٦٩٤ طبع أوربا) والشعر والشعراء لابن قتيبة (ص ١٤٤ طبع أوربا) وسيرة ابن هشام (ج ١ ص ٤٠١ طبع أوربا) ومعجم البلدان لياقوت (ج ٣ ص ٧٩٢ طبع أوربا) . وفى أمالى القالى (ج ٣ ص ١٩٥ طبع دار الكتب المصرية) وشرح قصيدة ابن عبدون (ص ١٣٢ طبع أوربا) والأغانى (ج ١٩ ص ٨٦ طبع بولاق) : «خالد بن المضلل» . وكلاهما محتمل هنا أن يكون هو المراد ولا سيما أنهما كانا يظلهما عصر واحد وأن كليهما أسدى . وقد عنى هذين الخالدين الأسود بن يعفر فى قوله :

فان يك يومى قد دنا وإخاله * كواردة يوما الى ظمء منهل
فقبلى مات الخالدان كلاهما * عميد بنى جحوان وابن المضلل

(٢) هو عمرو بن مسعود . وقد رثتهما هند بنت معبد بن نضلة — كما فى سيرة ابن هشام ومعجم ما استعجم للبكرى . وهذا يرجح أنه خالد بن نضلة — قالت لما قتلا :

ألا بكر الناعى بخيرى بنى أسد * بعمرو بن مسعود وبالسيد الصمد

وتعنى بالسيد الصمد : خالد بن نضلة عمها .

(٣) يؤيد الأصول هنا فى أن صاحب القصة هو المنذر بن ماء السماء ما ورد فى أمالى القالى (ج ٣ ص ١٩٥ طبع دار الكتب المصرية) وكتاب الأوائل لاسماعيل بن هبة الله الموصلى ، ومعجم البلدان لياقوت فى الكلام على الغريين (ج ٣ ص ٧٩٢) . والذى فى سيرة ابن هشام (ج ١ ص ٤٠١) وكتاب المعارف لابن قتيبة (ص ٣١٩) وشرح ابن بدرون على قصيدة ابن عبدون (ص ١٣٢ طبع أوربا) ومعجم ما استعجم للبكرى وطبقات الشعراء لابن قتيبة : أن صاحب القصة هو النعمان بن المنذر بن ماء السماء .

(٤) بالبحث فى أخبار ابن جامع التى ذكرت فى الجزء السادس من الأغانى طبع بولاق لم نجد بينها هذا الخبر، وإنما وجد فى أخبار عبيد بن الأبرص فى الجزء التاسع عشر طبع بولاق .

ومنها :

صــــوت

عفا رَسْمُ[1] القُـرَيّة فالكثيبُ * الى مَلْحاءَ[2] ليس بها عَريبُ[3]
تأبّد[4] رسمُها وجرى عليها * سَفِيُّ[5] الريح والتُّربُ الغريبُ
فإنكَ وٱطّراحَك وصلَ سُعْدى * لأخرى فى مودّتها نُكوبُ
كثاقبـةٍ لحَلْيٍ مستعار * بأُذنيْها فشانَهما[6] الثقـوبُ
فـردّت حَلْيَ جارتها إليها * وقـد بَقِيتْ بأُذنيْها نُدوبُ[7]

الشعر لابن هَرْمة . والغناء لابن جامع ثانى ثقيل بإطلاق الوتر فى مجرى الوسطى . [عن إسحاق][8] . وفيه للغريض ثانى ثقيل آخر بالبنصر عن عمرو . وقال عمرو : فيه لحنٌ للهذلىّ ، ولم يُجنِّسْه .

أخبرنى[9] محمد بن خَلَف وَكِيع قال حدّثنى هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال حدّثنى عيسى بن أيوب القُـرَشىّ قال حدّثنى غَيْث بن عبـد الكريم عن فُلَيْح ابن إسماعيل عن إسماعيل بن جعفر الفقيه مولى حَرْب[10] عن أبيه قال :

---

(١) فيا تقدم فى جميع الأصول وفى ط ، ء هنا : «طرف القرية» . (٢) ملحاء : واد من أعظم أودية اليمامة . (٣) عريب : أحد . (٤) تأبد المنزل : أقفر . (٥) السفىّ : التراب المتذرى المتبدد . (٦) فى ط ، ء : «فشانتها» . (٧) الندوب : آثار الجرح فى الجسم . (٨) الزيادة عن ط ، ء . (٩) كذا ورد هـذا الخبر مقدما فى ط ، ء على الذى يليه ، وهو الذى يناسب آطراد السياق . (١٠) فى ط ، ء : «مولى خزاعة» .

مررتُ بابن هَرْمة وهو جالس على دُكّان(١) فى بنى زُرَيق، فقلت له : يا أبا إسحاق، ما يُجلسك هاهنا ؟ قال : بيت كنت قلتـه ثم آنقطع علىّ الروىّ فيه وتعـذّر علىّ ما أشتهيه، فأبغضته وتركته؛ قلت : ما هو؟ قال :

فإنك وآطّراحَك وصلَ سُعْدَى * لأخرى فى مودّتها نُكوبُ

قال : قلته ثم آنقُطِع بى فيه ؛ فمرّت بى جُوَيْرِية صـفراء مليحة كنتُ أستحسنها أبدا وأُكلّمها إذا مرّت بى ، فمرّت اليوم فرأيتُها وقد وَرِم وجهها وتغـيّرَ خَلْقُها [عمّـا أَعرِف](٢) ، فسألتُهـا عن خبرها فقالت : [كان فى بنى فلان عُرْسٌ أردت حضوره](٢) فاستعار لى أهلى حَلْياً وثقَبوا أذنى لألبَسه فورِم وجهى وأُذناى كما ترى ، فردّوه ولم أشهد العُرْس؛ قال آبن هَرْمة : فآطّرَد لى الشعرُ فقلت :

كثاقبـةٍ لحَـلْىٍ مسـتعارٍ * بأذنيهـا فشانَهما الثقـوبُ
فـردّت حَلْىَ جارتهـا إليهـا * وقـد بقيت بأذنيهـا نُدوبُ

سرق إبراهيم بن المهدى شعره ولحنه وغنى به الرشيد

أخبرنى الحسين بن القاسم قال حدّثنى العبّاس بن الفَضْل قال حدّثنى أبى قال: قال الرشيد لإبراهيم بن المهدىّ و إبراهيم الموصلىّ وابنِ جامع وابنِ أبى الكُنّات(٣): باكِرونى غدًا ، وليكن كلّ واحد قد قال شعرا إن كان يقدِر أن يقولَه ، وغنّى فيـه لحنا، وإن لم يكن شاعرا غنّى فى شـعر غيره . قال إبراهيم بن المهـدىّ : فقمتُ فى السَّحَر وجَهَدت أن أقدِر على شىء أصنعه فلم يتّفق لى، فلما خِفْتُ طلوع الفجر دعوتُ بغلمـانى وقلت لهم : إنى أُرِيد أن أمضى إلى موضع ولا يَشْـعرُ بى أحد

(١) الدكان : الدكة المبنية للجلوس عليها . (٢) الزيادة عن ط ، ء .

حتى أصيرَ إليه، وكانوا يبيتون(١) على باب دارى ، فقمت فركبت وقصدتُ دارَ إبراهيمَ الموصلىّ، وكان قد حدّثنى أنه إذا أراد الصنعة لم ينَمْ حتى يُدبّر ما يحتاج إليه، وإذا قام لحاجته فى السَّحَر اعتمد على خشبة له فى المُستَراح(٢) ، فلم يزل يَقرَع عليها حتى يَفرُغَ من الصوت ويرسَخَ فى قلبه، فجئت حتى وقفت تحت مُستَراحه ، فإذا هو يُردّد هذا الصوت :

صــــوت

إذا سُكِبتْ فى الكأسِ قبل مِزاجها * تَرى لونَها فى جِلدة الكأس مُذْهَبَا
وإن مُزِجتْ راعت بلونٍ تخاله * إذا ضُمّنتْه الكأسُ فى الكأس كوكبَا
أبوها نِجاءُ(٣) المُزْنِ والكَرْمُ أُمّها * فلم أرَ زَوْجاً(٤) منه أشهى وأطيبَا
نَجاءتك صَفْرا(٥) أشبهت غير جنسها * وما أشبهت فى اللون أُمّاً ولا أبا

قال : فما زلتُ واقفا أستمع منه الصوتَ حتى أخذتُه ، ثم غدَوْنا إلى الرشيد ، فلمّا جلسنا للشّرب خرج الخادمُ إلىّ فقال : يقول لك أمير المؤمنين : يابنَ أمّ غنّنى ، فاندفعتُ فغنّيتُ هذا الصوت والموصلىّ فى الموت حتى فرغتُ منه ، فشرب عليه وأمر لى بثلثمائة ألف درهم ، فوثب إبراهيم الموصلىّ فحلف بالطلاق وحياة ٣٠/٥

(١) كذا فى ط ، ى . وفى سائر الأصول : «وكانوا فى زبيديات لى يبيتون فيها على باب دارى فقمت فركبت فى إحداها وقصدت ... » . ولم ندر ما الزبيديات التى كانوا يبيتون فيها ثم ركب هو إحداها . ولعلها ضرب من العجل (العربات) نسب الى زبيدة زوج الرشيد . (٢) كذا فى ط ، ى . وفى سائر الأصول : «فى الحش» . والحش (مثلث الحاء) فى الأصل : البستان ، وأطلق على موضع قضاء الحاجة والمتوضأ لأنهم كانوا يذهبون عند قضاء الحاجة الى البساتين . والجمع : حشوش .
(٣) النجاء : جمع النجو وهو السحاب الذى قد هراق ماءه ثم مضى ، وقيل : هو السحاب أوّل ما ينشأ .
(٤) الزوج : النوع والصنف . (٥) كذا فى ط ، ى . وفى سائر الأصول : « مخائل صفرا » وهو تحريف .

الرشيد أنّ الشعر له قاله البارحة وغنّى فيه، ماسبقه إليه أحدٌ؛ فقال إبراهيم: ياسيّدى، فمن أين هو لى أنا لولا كذبُه وبُهتُه(١)! وإبراهيم يضطرب ويضِجّ(٢)؛ فلمّا قضيتُ أرَبًا من العَبَث به قلتُ للرشيد: الحقّ أحقّ أن يُتّبع، وصَدَقتُه؛ فقال للموصلىّ: أمّا أخى فقد أخذ المال ولا سبيل إلى ردّه، وقد أمرتُ لك بمائة ألف درهم عوضا مما جرى عليه، فلو بدأتَ أنتَ بالصوت لكان هذا حظَّكَ؛ فأمر له بها فحُمِلَتْ إليه.

سأله محمد بن يحيى أن يقيم عنده فى يوم مهرجان وله كل الهدايا التى تهدى إليه، فلما صارت إليه فرّقها جميعا

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن مخارق قال:

أتى إبراهيمُ الموصلىّ محمدَ بن يحيى بن خالد فى يوم مِهْرجان، فسأله محمدٌ أن يقيمَ عنده؛ فقال: ليس يمكننى لأن رسول أمير المؤمنين قد أتانى(٣)؛ قال: فتمرّ بنا إذا انصرفتَ ولك عندى كلُّ مايُهْدَى إلىّ اليومَ؟ فقال: نعم، وترك فى المجلس صديقا له يُحصِى ما يُبعث [به](٤) إليه؛ قال: فجاءت هدايا عجيبةٌ من كلّ ضَرْب؛ قال: وأُهدِىَ إليه تِمثالُ فيلٍ من ذهب عَيْناه ياقوتتان؛ فقال محمد للرجل: لا تخبره بهذا حتى نبعثَ به إلى فلانة ففعل؛ وانصرف إبراهيم إليه فقال: أحضِرنى ما أُهدِى لك، فأحضره ذلك كلَّه إلا التمثالَ، وقال: لا بدّ من صِدْقك، كان من الأمر كذا وكذا؛ فقال: لا! إلّا على الشّريطة وكما ضَمِنْتَ، فجِئْ بالتمثال؛ فقال إبراهيم: أليس الهديّة لى فأعمَلَ فيها ما أريد؟ قال: بلى، قال: فرُدَّ التمثال على الجارية؛ وجعل يُفرِّق الهدايا على جلساء محمد شيئا شيئا وعلى جميع من حضر من إخوانه وغلمانه وعلى من فى دُور الحُرَم(٥) من جواريه حتى لم يبقَ منها شىء، ثم أخذ من

---

(١) البهت (بالضم): الافتراء والكذب. (٢) فى ط، ء: «ويصيح». (٣) كذا فى ط، ء. وفى سائر الأصول: «لأن رسول أمير المؤمنين قاعد». (٤) الزيادة عن ط، ء.
(٥) فى ب، س: «فى دور الخدام».

المجلس تُفّاحتين لمّا أراد الانصراف وقال : هـذا لى ، وآنصرفَ ؛ بجعل محمد يَتَعجَّب من كِبَر نفسه ونُبْله .

زاره الرشيد ليلا وغنته جواريه

وقال أحمد بن المَرْزُبان حدّثنى بعض كتّاب السلطان :

أنّ الرشيد هبّ ليلةً من نومه ، فدعا بحمار كان يركبه فى القَصْر أسودَ قريبٍ من الأرض فركبه ، وخرج فى دُرّاعة وَشْيٍ مُتلثِّمًا بعمامة وشيٍ ملتحفًا بإزارِ وَشْيٍ ، بين يديه أربعمائة خادم أبيضَ(١) سـوى الفرّاشين ، وكان مسرورٌ الفَرْغانىّ(٢) جريئًا عليـه لمكانه ٣١/٥ عنده ، فلمـا خرج من باب القصر قال : أين يريد أميرُ المؤمنين فى هـذه الساعة ؟ قال : أردتُ منزل الموصلىّ [قال مسرورٌ :](٣) فمضى ونحن معه وبين يديه حتى انتهى إلى منزل إبراهيم ؛ فخرج فتلقّاه وقبّـل حافرَ حمـاره وقال له : يا أميرالمؤمنـين ، أفى مثل هـذه الساعة تظهـر ! قال : نعم ، شـوقٌ طَرَق لك بى ؛ ثم نزل فجلس فى طَرَف الإيوان وأجلس إبراهيم ؛ فقال له إبراهيم : ياسيّدى أتنشَط لشىء تأكله؟ فقال : نعم ، خَاميزَطبى(٤) ، فأُتِى به كأنمـا كان مُعَدًّا له ، فأصاب منه شيئًا يسيرا ، ثم دعا بشراب حُمِل معه ؛ فقال الموصلىّ : يا سيّدى ، أُوَغنّيك أم تغنّيك إماؤك؟ فقـال : بل الجوارى ؛ فخـرج جوارى إبراهيمَ فأخذْنَ صـدرَ الإيوان وجانبيه ؛ فقال : أيضرِبْن كلُّهن أم واحدة ؟ فقال : بل تَضرِب اثنتان اثنتان وتُغنّى واحدة

---

(١) فى ط ، ء : « أسـود » . (٢) كذا فى ط ، ء . وفى باقى الأصول : « منذر الفرغانى » . ولم نعثر على هذا الاسم فيما بين أيدينا من الكتب التى تحدّثت عن حياة الرشيد الخاصة والعامة . (٣) الزيادة عن ط ، ء . (٤) الخاميز : اسم أعجمى تعريبه عامص وآمص ، وبعضهم يقول : عاميص وآميص ، وهو طعام يتخذ من لحم عجل بجلده ، أو مرق السكباج (الأكارع تطبخ بمرق فيه عصـير الليمون ثم تغرف بمرقتهـا وتترك حتى تبرد و يجمد المرق فيكون فى قوام الفالوذج ، وهو أيضا لحم أو سمك يطبخ بخل) المبرد المصفى من الدهن .

فواحدة، ففعلن ذلك حتى مرّ صدرُ الإيوان وأحدُ جانبيه والرشيدُ يسمع ولا ينشط (١) لشيء من غنائهنّ، إلى أن غنّت صبيةٌ من حاشيته (٢) :

يا مُورِيَ الزّند قـد أعيتْ قوادحُه * اِقبِسْ إذا شئتَ من قلبي بمقباسِ

ما أقبحَ الناسَ فى عينى وأسمجَهم * إذا نظرتُ فلم أُبصرك فى الناس

قال : فطرِب لغنائهـا وآستعاد الصـوتَ مرارا وشرب أرطالا ، ثم سأل الجارية عن صانعه فأمسكتْ ، فآسـتدناها فتقاعَسَت ، فأمَر بهـا فأُقيمت حتى وُقِفتْ (٣) بين يديه، فأخبرته بشيء أسرّتْه إليـه ؛ فدعا بحماره فركبه وآنصرف ، ثم التفت إلى إبراهيم فقال : ما ضَرّكَ ألّا تكونَ خليفة! ؛فكادت نفسُه تخرج، حتى دعا به وأدناه بعـد ذلك . قال : وكان الذى خَبّرتْه [به] (٤) أن الصنعة فى الصوت لأخته عُلَيّة بنت المهدىّ،وكانت الجارية لها وجّهتْ بها إلى إبراهيم يُطارحها ، فغار الرشيد . ولحنُ الصوت خفيفُ رَمَل .

شعره فى ابنة خمارة كان يألفها

أخبرنى محمد بن مَزْيَدَ قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

كان أبى يألف خَمّارةً بالرّقة يقال لهـا بِشرة (٥) تنزِل المَنِيءَ والمَرِيء (٦)، وكانت لهـا بنت من أحسن النـاس وجها فكان أبى يتحلّاها (٧) ، ثم رحل الرشـيد عن الرّقة إلى بلاد الروم [فى بعض غزواته] (٤) ، فقال أبى فيها :

(١) فى ط ، ء : « ولاينبسط » . (٢) أى من حاشية الايوان . وفى ط ، ء ومختار الأغانى : «من حاشية الصفة» . والصفة : شبه البهو الواسع الطويل السمك ، وهى أيضا : طرته ، أى طرفه وحرفه . (٣) كذا فى ط ، ء . وفى سائر الأصول : « أروقفت » بزيادة الهمزة ، وهى لغة رديئة . (٤) الزيادة عن ط ، ء . (٥) فى شرح القاموس (مادة بشر) : « وبشرة بالكسر اسم جارية عون بن عبـدالله » ، ثم ذكر البيت إلا أنه نسبه الى اسحاق لا الى أبيـه . (٦) راجع الحاشية رقم ٤ ص ١٦٦ من هذا الجزء . (٧) تحلى الشيء واستحلاه واحلولاه بمعنى .

أيَا بنتَ بِشْرةَ ما عاقَنِي * عن العهد بَعْدَكِ من عائِقِ
نَفَى النومَ عنّى سنا بارق * وأشهقنى فى ذُرَى شاهق

قال : وفيها يقول [أيضا[1]] من أبيات له ، وله فيها صنعة من الرَّمل الأوّل :

صـــوت

وزعمتِ أنّى ظـالمٌ فهجرتِنِى * ورَمَيتِ فى قلبى بسهمٍ نافذِ
ونَعَمْ ظلمتُكِ فاغفرِى وتجاوزِى * هــذا مَقامُ المستجيرِ العائذ

ذكر حمّاد فى هذا الخبر أن لحن جدّه من الرَّمَل . ووجدتُ فى كتاب أحمد بن المكىّ أن له فيهما لحنين : أحدهما ثقيل أوّل والآخر ثانى ثقيل .

أغانيه فى السجن

حدّثنى عيسى بن الحسين[2] الورّاق قال حدّثنى عبدالله بن أبى سعد[3] قال حدّثنى محمد بن عبد الله بن مالك الخُزاعىّ قال :

حبس الرشيدُ إبراهيمَ الموصلىّ عنــد أبى العبّاس (يعنى أباه عبــد الله بن مالك)[4] فسمعناه ليلةً وقد صنع هذا اللحن وهو يكرره حتى يستوى له[5] :

٣٢/٥

يا أخــلاءِ قد مَلِلْتُ مكانى * وتذكّرتُ ما مضى من زمانى
شُرْبِىَ الراحَ إذ تقــوم علينــا * ذاتُ دَلٍّ كأنّهــا غصنُ بانِ

قال : وغنّى فى الحبس أيضا :

ألَا طال ليلى أُراعى النّجوم * أُعالج فى السّاق كَبْلًا[6] ثقيلا

(١) زيادة عن ط ، ء . (٢) كذا فى ط ، ء . وفى سائر الأصول : « الحسن » ، وهو تحريف . (٣) فى ب ، سـ فى هذا الموضع : « عبد الله بن أبى محمد » ، وهو تحريف . (٤) كان صاحب الشرطة فى أيام المهــدى فالهادى فالرشيد وكان من أكابر القوّاد وتولى أرمينيــة وأذربيجان . (انظر الحاشية رقم ١ من كتاب التاج للجاحظ ص ٨١ طبع بولاق) . (٥) كذا فى ط ، ء . وفى باقى الأصول : «حتى تستوى له» . (٦) الكبل (بالفتح و يكسر) : القيد .

زعم علويه الأعسر أنه دخل عليه فى مرضه فى علته وهو يترنم فأنكر ابنه إسحاق ذلك

حدّثنى عيسى قال حدّثنى عبد الله قال حدّثنى محمد بن عبد الله بن مالك قال حدّثنى علّويه الأعسر قال :

دخلتُ على إبراهيم الموصلىّ فى عِلّته التى توفّى فيها وهو فى الأَبْزَن(١) وبه القُولَنْج(٢) الذى مات فيه، وهو يترنّم بهذا الصوت :

صـــوت

تغـيّر منى كلُّ حُسْـنٍ وجِدّةٍ * وعاد على تَغْرى فأصبح أَثْرَمَا
وَحَلّ أطرافى فزالتْ فصوصُها * وحَنّى عظامى عُوجَها والمُقَوَّما

قال محمد : فحدّثتُ بهـذا الحـديث إسحاقَ الموصلىّ، فقال : كَذَبَ ابنُ الزانيـة ! والله ما كان يَجترئ [أن](٣) يدخل إلى أبى إسحاق وهو جالس للناس إلا بعـد جَهْد، فكيف يدخل إلى أبى إسحاق وهو جالس فى الأَبْزَن .

نسبة هذا الصوت

الشعر والغناء لإبراهيم ، وله فيه لحنان ماخُورِىّ بالوسطى عن عمرو، وثانى ثقيل عن ابن المكىّ .

غنت المقتدر إحدى جواريه لحناله

حدّثنى جَحْظة قال :

كان المقتدر يدعونا فى الأحايين، فكان يحضُر من المغنّين إبراهيمُ بن أبى العُبَيْس وكُنَيز وإبراهيم بن قاسم وأنا ووَصِيف الزّامر، وكان أكثر ما نُدْعَى له أنّ جواريه

(١) الأبزن (مثلث الهمزة) : حوض من حديد أو من نحاس مصنوع على شكل التابوت على قدر قامة الإنسان أو أقصر منها، عليه غطاء مثقوب، يضع فيه الأطباء المريض ويخرجون رأسه من الثقب فيداوونه بصب المطبوخات أو الماء المغلى بالأدوية الحارة . (٢) القولنج (وقد تكسر لامه أو هو مكسور اللام وتفتح القاف وتضم) : مرض معوى مؤلم يعسر معه خروج الثفل والريح .

(٣) زيادة يقتضيها السياق . وفى ط، ء : «ما كان غيرى يدخل على أبى إسحاق ... الخ» .

[كنّ][(١)] يطالبنه بإحضارنا ليأخذْن منّا أصواتا قد عرفْنها ويسمَعْننا ، فنُغنّى فيأخذْنَ ما يستحسِنّه ، فإذا انصرفنا أمر لكلّ واحد من إبراهيم وكُنَيْز دُبّة وإبراهيمَ بثلاثمائة دينار ، ولى بمائتى دينار ، ولوَصيف بمائتى دينار ، ولسائر مَن لعلّه أن يَحْضُر معنا بمائتين إلى المائة الدّينار إلى الألف الدّرهم[(٢)] ، فيكون[(٣)] إذا حضرنا من وراء ستارة وهو جالس مع الجوارى ، فإذا أراد اقتراح شىء جاءنا الخدم فأمرونا أن نغنّيه ، وبين يَدَىْ كلّ واحد منا قِنّينةٌ فيها خمسة أرطال نبيذ وقدحٌ ومَغْسَلٌ[(٤)] وكوزُ ماء ؛ فغنّتْ يومًا صَلِفَةُ جارية زِرْياب بصنعة إبراهيم الموصلىّ :

تغيّر منّى كلُّ حُسن وجِدّةٍ * وعادَ على ثَغْرِى فأصبح أثْرَمَا

فشَرِبتُ عليه ، فاستعاده المقتدر مرارا وأنا أشرب عليه ؛ فأخذ إبراهيم بن أبى العُبَيْس بكَتِفِى وقال : يامجنون! إنما دُعيتَ لتغنّىَ لا لِتُغَنَّى وتَطْرَب وتَشرَبَ ، فلعلّك تَسْكَر ، حَسْبُك! ؛ فأمسكتُ طمعًا أن تردّه بعد ذلك ، فما فعلتْ ولا اجتمعنا بعدها ، وما سمعتُ قبل ذلك ولا بعده أحدا غنّى هذا الصوتَ أحسنَ مما غنّته . قال : وكان المقتدر[(٥)] ابتاعها من زِرْياب .

رأى سوداء بمكة تبكى زوجها بشعر فبحث عنه حتى ردّه اليها

٣٣/٥ أخبرنى عمّى قال حدّثنى عبد الله[(٦)] بن أبى سعد قال حدّثنى أحمد بن القاسم بن جعفر بن سليمان بن علىّ قال حدّثنى إسحاق الموصلىّ عن أبيه قال :

---

(١) الزيادة عن ط ، ى . (٢) كذا فى ط ، ى . وفى سائر الأصول : «بمائتين المائة الدينار الى المائة الدرهم» . (٣) كذا فى ط ، ى . وفى سائر الأصول : «فنكون» بالنون . (٤) المغسل (بكسر السين وفتحها) : ما يغسل فيه . (٥) كذا فى ب ، سـ . وفى سائر الأصول : «المعتضد» . ويلاحظ أن جميع النسخ قد اتفقت فى أوّل الخبر على أنه المقتدر . (٦) كذا فى ط ، ى هنا وفيما سيأتى فى جميع الأصول وفيما مر فى الجزء الثالث (ص ١٩٢ من هذه الطبعة) . وفى سائر الأصول هنا : «عبيد الله» ، وهو تحريف .

بينا أنا بمكة أجول فى سِكَكِها إذا أنا بسوداءَ قائمةٍ ساهيةٍ باكيةٍ، فأنكرتُ حالها وأدمَنْتُ النظر إليها، فبكَتْ وقالت :

أعمـــرُو عـــلَامَ تجنَّبتَنى * أخذتَ فؤادى وعذَّبْتَنِى

فلو كنتَ ياعمرُو خبَّرتَنى(١) * أخذتُ حِذارى فما نِلْتَنى

فقلتُ لها : ياهذه، من عمرٌو؟ قالت : زوجى؛ قلت : وما شأنه؟ قالت: أخبرنى أنه يَهْوَانى وما زال يطلبنى حتى تزوّجتُه، فلبِث معى قليلا ثم مضى إلى جُدَّةَ وتركنى؛ فقلتُ لها : صِفيه لى؛ قالت : أحسنُ مَن أنت رائيه سُمرةً وأحلاهم حلاوةً وقدًّا؛ قال : فركِبتُ رواحلى مع غِلمانى وصرتُ إلى جُدَّةَ، فوقفتُ فى موضع المَرْفأ أتبصَّرُ مَن يحمل مِن السفن، وأمرتُ مَن يَصوت : ياعمرُو ياعمرُو، وإذا أنا به خارجًا(٢) من سفينة على عنقه صَنٌّ(٣) فيه طعامٌ، فعرفتُه بصفتها ونعتِها إياه، فقلتُ :

أعمـــرُو عَلَامَ تجنَّبتَنِى * أخذتَ فؤادى وعذَّبتَنِى

فقال : هِيهِ(٤)! أرأيتَها وسمعتَ منها؟ فقلتُ : نعم، فأطرق هُنَيهةً يبكى، ثم ٱندفع فغنَّى به أملحَ غناءٍ سمعتُه، وردّده علىّ حتى أخذتُه منه، وإذا هو أحسنُ الناس غناءً؛ فقلتُ له : ألَا ترجع إليها؟ فقال : طلبُ المعاش يمنعُنى؛ فقلتُ : كم يكفيكَ معها فى كلّ سنةٍ ؟ فقال : ثلثمائةِ درهم — قال إسحاقُ : قال لى أبى : فوالله يابُنَىّ او قال ثلثمائة دينـارٍ لطابتْ نفسى بها — فدعوتُ به فأعطيتُه ثلاثةَ آلافِ درهم، وقلتُ له : هذا

---

(١) فى ط، ى : «حذرتنى» . (٢) فى الأصول : «خارج» . (٣) كذا فى أكثر الأصول . والصنّ (بالفتح): شبه السلة المطبقة، يجعل فيها الطعام والخبز . وفى ب، س : «ضبن» بالضاد والباء، والضبن : الحمل، وهو لا يلتئم مع ما بعده . (٤) هيه (بكسر الهاء الأخيرة وفتحها) : معناه طلب الحديث والاستزادة منه .

لعشر سـنين على أن تُقيمَ معها ، فلا تَطلب المعاشَ إلا حيثُ هى مقيمةٌ معـك ، ويكون ذلك فضلا ، ورددتُه معى إليها .

كان يغنى الرشيد ليلة فبلغه ما أغضبه فما زال يغنيه حتى سرّ الرشيد وأجزل صـلته

أخبرنى حبيبُ بن نصر المهلّبىّ قال حدّثنا علىّ بن محمـد النَّوفلىّ(١) قال حدّثنـا صالح بن علىّ (يعنى الأَضْجَم(٢)) عن إبراهيم الموصلىّ — قال : وكان صالح جارَه — قال :

بينا أنا عَشِيَّةً فى منزلى إذ أتانى خادم من خَدَم الرشيد فٱستحثّنى بالركوب [إليه](٣) فخرجتُ شـبيهًا بالراكض ، فلما صرتُ إلى الدّار عُدِل بى عن المـدخل إلى طرق لا أعرفها ، فٱنتُهِى بى إلى دارٍ حديثةِ البناء ، فدخلتُ صَحنًا واسعا ، وكان الرشيد يشتهى الصّحون الواسـعة ، فإذا هو جالس على كرسىّ فى وسط ذلك الصّحْن ، ليس عنده أحد إلا خادمٌ يسقيه ، وإذا هو فى لِبْسَتِه التى كان يلبَسُها فى الصيف : غِلالةٌ(٤) رقيقـة مُتَوشِّح عليها بإزار رَشيدىّ(٥) عريض العَلَم مُضَرَّج(٦) ، فلما رآنى هَشَّ لى وسُرّ ، وقال : يامَوصِلىّ ، إنى ٱشتهيتُ أن أجلس فى هذا الصّحن فلم يتّفق لى إلا اليوم ، وأحببتُ ألّا يكون معى ومعك أحدٌ ، ثم صاح بالخُدّام(٧) ، فوافاه مائةُ وَصِيف ، وإذا هم بالأَرْوِقة مستترون بالأساطين(٨) حتى لا يراهم ، فلما ناداهم جاءوا جميعا ، فقال : مُقطَّعة لإبراهيم ، وكان هو أوّل من قطع المُصَلّيات ، فأُتيتُ بمقعد فأُلقِى لى تُجاه وجهه بالقرب منه ؛

(١) كذا فى ط ، ء ، وهو الموافق لمـا جاء فى الأغانى (ج ٣ ص ١٧٤ من هـذه الطبعة) والطبرى (قسم ٣ ص ٥٩٦ طبع أوربا) . وفى سائر الأصول : « محمـد بن يحيى النوفلى » .
(٢) فى ب ، سـ «الأضجم» بالحاء المهملة ، وهو تصحيف . (انظر الطبرى قسم ٣ ص ٥٩٦) .
(٣) زيادة عن ط ، ء . (٤) الغلالة : الشعار الذى يلبس تحت الثياب و يلى شعر الجسد .
(٥) فى مختار الأغانى : «سندى» . (٦) مضرج : مصبوغ بضرب من الصبغ أحمر .
(٧) عبارة ط ، ء : « ... ثم صاح ياغلام ... الخ » . (٨) الأساطين : الأعمدة .

ودعا بعود فقال : بحياتى أَطرِبنى بما قدَرْتَ؛ قال : ففعلتُ وآجتهدتُ فى ذلك ونشِطتُ ورجوتُ الجائزةَ فى عَشِيَّتِى؛ فبينا أنا كذلك إذ جاءه مسرورٌ الكبيرُ، فقام مَقَامَه الذى كان إذا قامه علِم الرشيدُ أنه يريد أن يُسَارَّه بشىء، فأومأ إليه بالدنوّ، [فدنا](١) فألقَى فى أذنه كلمةً خفيفةً(٢) ثم تنحَّى، فآستشاط غضبًا وآحمرّتْ عيناه وآنتفختْ ٣٤/٥ أوداجُه، ثم قال: حَتَّامَ أصبِرُ على آل بنى أبى طالب! والله لأَقتلنَّهم ولأقتلنّ شِيعتَهم ولأفعلنّ ولأفعلنّ! ؛ فقلتُ: إنا لله! ليس عند هذا أحدٌ يُخرِجُ غضبَه عليه، أحسبه والله سيُوقِعُ بى، فآندفعتُ أُغنّى :

صــــوت

نِعمَ عَوْنًا على الهموم ثلاثُ * مُتْرَعَاتٌ من بعدهنّ ثلاثُ
بعدها أربعٌ تِمَّةُ عشرٍ * لا بِطاءٌ لكنّهنّ حِثاثُ(٣)
فإذا ناولَتْكَهُنّ جوارٍ * عَطِراتٌ بيضُ الوجوه خِنَاثُ
تمّ فيها لك السرورُ وما طَيْـ * ـيَبَ عَيْشًا إلا الخِنَاثُ الإناثُ

قال : وَيْلَك! اِسقِنى ثلاثا لا أَمُتْ(٤) همًّا ؛ فشرب ثلاثا متتابعة ، ثم قال : غَنِّ فغنّيتُ، فلمّا قلتُ :

ثلاث * مُترعاتٌ من بعدهنّ ثلاثُ *

قال : هاتِ وَيْلك ثلاثا ! ، ثم قال لى : غنّ، فلمّا غنّيتُه قال : حُثَّ علىّ بأربع تِمّة العشر، ففعل؛ فوالله ما آستوفَى آخرَهنّ حتى سَكِر، فنهض ليدخل، ثم قال : قم ياموصلىّ فآنصرِف، يامسرورُ، أقسمتُ عليك بحياتى و بحقّى إلّا سَبقتَه(٥) إلى منزله

(١) زيادة عن ط ، ء . (٢) فى ب ، س ، ح : «خفية» .
(٣) حثاث : مسرعات . (٤) كذا فى ط ، ء ، أ . وفى سائر الأصول : «لا أموت» .
(٥) كذا فى ط ، ء . وفى سائر الأصول : «إلا شيعته» .

بمائة ألف درهم، لا أُستامَر فيها ولا فى شىء منها؛ فخرجتُ والله وقد أَمِنتُ خوفى وأدركتُ ما أمّلتُ، ووافيتُ منزلى وقد سبَقتنى المائةُ الألفِ الدّرهمِ إليه.

أخذ من ابن جامع فى سكره صوتا غنى به الرشيد فطرب وقرّبه

أخبرنى عمّى قال حدّثنا عبدُ الله بن أبى سعد قال حدّثنى يحيى بن الحسن (١) بن عبد الخالق قال حدّثنى عبدُ الله بن العباس بن الفضل بن الرّبيع قال:

خرج [رسول] (٢) الرشيد ذاتَ ليلةٍ إلى المغنّين فقال: غَنُّوا:

يا خليلىَّ قــد مَلِلْتُ ثَوائِى * بالمُصَلّى (٣) وقد سئِمتُ البقيعا (٤)
بلِّغانِى (٥) ديارَ هندٍ وسُعْدَى * وارجِعانى فقد هَوِيتُ الرجوعا

قال: فغنّاه ابنُ جامع، فلمّا فرَغ منه طرِب الرشيدُ وشرِب؛ فقال له إبراهيم الموصلىّ: ياسيّدى، فأسمعه من يُنَيْطِلُك فغنّاه، فجعل ابنُ جامع يزحَف من أوّل البيت الى آخره، وطَرِب هارونُ فقال: ارفعُوا الستارةَ؛ فقال له ابن جامع: مِنّى والله أخذه يا أميرَ المؤمنين؛ فأقبل على إبراهيمَ فقال: بحياتى صَدَق؟ قال: صدق وحياتِك ياسيّدى؛ قال: وكيف أخذتَه وهو أبخل (٦) الناس إذا سُئِل شيئا؟ قال: تركتُه يغنّيه وكان إذا سكِر يَسترسلُ فيه فيغنّيه مُستوِياً ولا يتحرز منّى، فأخذتُه على هذا منه حتى وفَيتُ (٧) به.

---

(١) كذا فى ط، ء والطبرى (قسم ٣ ص ٣٢٢ طبع أوربا). وفى سائر الأصول: «الحسين»، وهو تحريف. (٢) التكملة عن ط، ء، إذ المعروف عن الخلفاء أنهم كانوا يجلسون وراء ستارة بينها وبين الندماء عشرون ذراعا، وكان يوكل بهذه الستارة حاجب ينهى الى المغنين ما يريده الخليفة. (انظر كتاب التاج للجاحظ ص ٣٧ طبع بولاق) فى كلامه على الرشيد وغيره من ملوك الإسلام والفرس، وسيأتى فى بقية الخبر ما يؤيد ذلك. (٣) فى ط، ء: «شنئت». (٤) المصلى والبقيع: موضعان بالمدينة. (٥) فى ط، ء: «بلغا بى ... وارجعا بى». (٦) كذا فى ط، ء. وفى سائر الأصول: «قال: وكيف أخذته؟ قال: هو أبخل الناس إذا سئل شيئا، فتركته ... الخ». (٧) يريد: جئت به وافيا تاما لم أنقص منه شيئا.

كانت لزازل جارية مطبوعة فلما مات عنها أخبر هو بها الرشيد فابتاعها وأعتقها

أخبرنى محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حَمّادُ بن إسحاق عن أبيه قال :

كان بَرْصُـوما الزّامرُ وزَلْزَلٌ الضاربُ من سَوَاد أهل الكوفة من أهل الخُشْنَة[(١)] والبَذَاذَةِ والدناءةِ ، فقدِم بهما أبى معه سنةَ حَجٍّ ، ووقَفَهما على الغناء العربىّ وأراهما وجوهَ النَّغَم وثقّفهما حتى بلغا المبلغَ الذى بلغاه من خدمة الخليفة ، وكانا أطبعَ أهلِ دهرِهما فى صناعتهما ، فحدّثنى أبى قال : كان لزَلزل جاريةٌ قد ربّاها وعلّمها الضربَ وسألنى مطارحتَها [فطارحتُها][(٢)] ، وكانت مطبوعةً حاذقة ؛ قال : فكان يَصُونُها أن يسمعها أحدٌ ، فلما مات بلغنى أنها تُعرَض فى ميراثه للبيع ، فصرتُ إليها لأعترِضَها ، فغنّتْ :

أقفَــرَ من أوتاره العــودُ * فالعــودُ للأوتار معمودُ
وأوحش المزمارُ من صوته * فمــا لَه بعــدَكَ تغريدُ
مَنْ للزامير وعِيدانِهـا * وعامرُ اللّذات مفقــود
الخمــرُ تبكى فى أباريقهـا * والقَيْنَــةُ الخَمْصَـانةُ الرُّودُ[(٣)]

٣٥
٥

قال : وهذا شعر رثاه به صديق له كان بالرَّقّة[(٤)] ؛ قال : فأبكت والله عينى وأوجعت قلبى . فدخلتُ على الرشيد فحدّثته بحديثها ، فأمر بإحضارها فحضرتْ ؛ فقال لها : غَنّى الصوتَ الذى حدّثنى إبراهيم عنك أنك غنّيته ، فغنّته وهى تبكى ؛ فرقّ الرشيدُ لهـا وتَغَرْغَرتْ عيناه[(٥)] ، وقال لها : أتحبّين أن أشترِيَكِ؟ فقالت : يا أميرَ المؤمنين ،

(١) كذا فى أكثر الأصول . والخشنة (بضم أوله وتسكين ثانيه) : الخشونة ، ورجل ذو خشنة : صعب لا يطاق . والبــذاذة : رثاثة الهيئة . وفى أ : « الخسة » بالسين المهملة . (٢) زيادة عن ط ، ى . (٣) الرؤد (وزان قفل ومهلت همزته) : الشابة الناعمة الحسنة . (٤) كذا فى ط ، ى . وفى باقى الأصول « رثاه به صديق له كان يألفه فأبكت ... الخ » .

(٥) كذا فى ط ، ى . وفى سائر الأصول : «فغنته وهى تبكى فتغرغرت عينا الرشيد ... الخ» .

لقد عرَضتَ علىّ ما يقصُر عنه الأملُ، ولكن ليس من الوفاء أن يملكنى أحد بعد سيّدى فينتفعَ بى؛ فآزداد رِقّةً عليها ، وقال : غَنِّى صوتا آخر، فغنّت :

العينُ تُظهِر كتمانى وتُبديه * والقلبُ يكتم ما ضَمّنتُه فيه
فكيف ينكتم المكتومُ بينهما * والعينُ تُظهره والقلبُ يُخفيه

فأمر بأن تُبتاعَ وتُعتَقَ، ولم يزل يُجْرِى عليها إلى أن ماتت .

قصته مع الرشيد بشأن الجارية التى عرض بها فى مجلسه

أخبرنا محمد قال حدّثنا حمّاد عن أبيه عن جدّه قال :

قال لى الرشيدُ يوماً: يا إبراهيم، بَكِّرْ علىّ غدًا حتى نَصْطبحَ؛ فقلتُ له[1]: أنا والصبحُ كَفَرَسَىْ رِهَانٍ ؛ فبكّرتُ فإذا أنا به خالياً[2]، وبين يديه جاريةٌ كأنها خُوطُ بان أو جَدْلُ عِنان، حُلوةُ المنظَر، دَمِثةُ الشمائل، وفى يدها عودٌ؛ فقال لها: غَنِّى، فغنّتْ فى شعر أبى نُوَاس وهو :

تَوَهّمه قلبى فأصبح خدُّه * وفيه مكانَ الوَهْمِ من نظرى أُثْرُ[3]
ومرّ بفكرى خاطرًا بجرحتُه * ولم أرَ جِسمًا قطُّ يجرَحه الفِكرُ
وصافحه قلبى فآلَمَ كفَّه * فمِنْ غَمْزِ قلبى فى أناملِه عَقْرُ

قال إبراهيمُ : فذهبتْ والله بعقلى حتى كِدتُ أن أفتضحَ ، فقلتُ : مَنْ هذه يا أميرَ المؤمنين ؟ فقال : هذه التى يقول فيها الشاعر :

لها قلبى الغداةَ وقلبُها لى * فنحن كذاك فى جَسَدَيْنِ رُوحُ

(١) كذا فى ط ، ء . وفى سائر الأصول : « فكنت أنا والصبح ... الخ » .
(٢) فى الأصول : «خال» بالرفع، والقواعد تأباه، إذ هو حال من الضمير فى «به» .
(٣) أثر الجرح (بالضم وبضمتين أيضا) : أثره يبقى بعد ما يبرأ

ثم قال لها : غنّي، فغنّتْ :

صـــــوت

تقول غداةَ البَيْنِ إحدى نسائهم * لِيَ الكَبِدُ الحرَّى فسِرْ ولكَ الصَّبرُ
وقـد خنَقَتْهـا عَبْرةٌ فدموعُهـا * على خدِّها بِيضٌ وفى نحرِها صُفر

— الشعرُ لأبى الشِّيص . والغناء لعمرو بن بانةَ، خفيفُ رَمَلٍ بالوسطى من كتابه . وفيه لمُتَيَّم ثانى ثقيـلٍ وخفيفُ رَمَلٍ آخر — قال : فشرب وسقانى ثم سقاها، ثم قال : غنِّ يا إبراهيم؛ فغنَّيتُ حسبَ ما فى قلبى غيرَ مُتحفِّظ من شيء :

تَشَرَّبَ قلبى حبَّهـا ومشَى به * تَمَشِّيَ حُمَيَّا الكأس فى جسم شاربِ
ودبَّ هـــواها فى عِظامى فشَفَّها * كما دبَّ فى المَلْسوع سمُّ العقارب

قال : ففَطِن بتعريضى، وكانت جهـالةً منّى؛ قال : فأمرنى بالانصراف، ولم يدعُنى شهراً ولا حضرتُ مجلسَه؛ فلما كان بعد شهر دسّ إلىّ خادماً معه رُقعةٌ، فيها مكتوب :

قد تخوّفتُ أن أموتَ من الوَجْـ * ـد ولم يَدْرِ مَنْ هَوِيتُ بمـا بِى
يا كتابى فأقرِ السَّلامَ على مَنْ * لا أُسمِّى وقـــل له يا كتابى ٣٦/٥
إنّ كفًّا إليــكَ قـد بعثتْنى[1] * فى شـقاءٍ مُواصَـــلٍ وعذاب

فأتانى الخـادمُ بالرقعة؛ فقلت له : ما هذا ؟ قال : رقعة الجارية فلانة التى غنّتك بين يدى أمير المؤمنين؛ فأحسستُ القصّةَ فشتَمتُ الخادمَ ووثبتُ عليـه وضربتُه ضربا شَفَيْتُ به نفسى وغيظى ، وركبتُ إلى الرشـيد من فَوْرى فأخبرتُه القصّـةَ

(١) فى ط ، ء ومختار الأغانى : « إن كفا إليكم كتبتنى » .

وأعطيته الرقعة ؛ فضحك حتى كاد يستلق ، ثم قال : على عَمْدٍ فعلتُ ذلك بك لِأمتحِنَ مذهبَك وطريقتَك، ثم دعا بالخادم ؛ فلما خرج رآنى فقال لى : قطع الله يديك ورجليك، وَيْحك! قتلتَنى؛ فقلت : القتلُ والله كان بعضَ حقّك لِمَا وردت به علىّ ، ولكن رَحِمتُك فأبقيتُ عليك، [وأخبرتُ أمير المؤمنين ليأتىَ فى عقوبتك بما تستحقه . فأمر لى الرشيدُ بصِلةٍ سنيّة[1]]؛ والله يعلم أنى ما فعلتُ الذى فعلتُ عَفَافًا ولكن خوفا .

سأله الرشيد كيف يصنع ألحانه فأجابه

أخبرنى محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدّثنى حمّاد بن إسحاق قال :

أخبرنى أبى أنه سمع الرشيدَ وقد سأل جَدّى إبراهيم كيف يصنع إذا أراد أن يصوغَ الألحانَ ، فقال : يا أمير المؤمنين، أُخرِجُ الهمّ من فكرى وأُمثّل الطربَ بين عينىّ، فتسوغ[2] لى مسالكُ الألحان [التى أريد[1]] فأسلكها بدليل الإيقاع، فأرجع مُصيبا ظافرا بما أريد ؛ فقال : يَحِقُّ لك يا إبراهيم أن تُصيبَ وتظفَر، وإنّ حُسْن وصفك لَمُشاكِلٌ حُسْنَ صنعتك وغنائك .

فراسة يونس الكاتب فيه

أخبرنى ابن المَرْزُبان قال حدّثنى حمّاد عن أبيه عن جدّه قال :

أدركتُ يونس الكاتبَ وهو شيخ كبير فعرَضت عليه غنائى؛ فقال : إن عشتَ كنتَ مُغَنِّىَ دهرِك .

كان أحد من يتصرّفون فى كل مذهب من الأغانى

قال حمّاد قال لى محمد بن الحسن : كان لكلّ واحد من المغنّين مذهب فى الخفيف والثقيل، وكان مَعْبد ينفرد بالثقيل، وابنُ سُرَيج بالرَّمَل، وحَكَمٌ بالهَزَج،

(١) الزيادة عن ط ، ء ومختار الأغانى . (٢) كذا فى ط ، ء . وفى حـ : «فيشرع» . وفى سائر الأصول : « فيسرع » .

ولم يكن فى المُغنّين أحد يتصرّف فى كل مذهب من الأغانى إلا ابنُ سريج وإبراهيمُ جدّك وأبوك إسحاق .

رآه ثمامة بن أشرس مع يزيد حوراء مصطبحين يغنيان فأعجب بما كانا فيه

حدّثنى عمّى قال حدّثنى أحمد بن الطّيّب السَّرَخْسِيّ قال حدّثنى أحمد بن ثابت العَبْدىّ عن أبى الهُذَيل العَلّاف رأسِ المعتزلة عن ثُمَامةَ بن أَشْرس قال :

مررتُ بإبراهيم الموصلىّ ويزيدَ حَوْراء وهما مُصطبِحان (١) ، وقد أخذا بينهما صوتا يُغنّيانه : هذا بيتا وهذا بيتا ، وهو :

صـــــوت

أيا جَبَـلَىْ نَعْمانَ بالله خَلِّيَـا * سبيلَ الصَّبَا (٢) يَخْلُص إلىّ نسيمُها

فإنّ الصَّبا ريحٌ إذا ما تنسّمتْ * على نفس مهمومٍ تجلّت همومُها

قال ثُمامة : فوالله ما خِلتُ أنّ شيئا بقى من لذّات الدنيا بعد ما كانا فيه .

طلب الخلوة فى بيته يوما فزعم أن إبليس زاره وطارحه الغناء

أخبرنا محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن جدّه إبراهيم قال :

سألتُ الرشيد أن يهَب لى يومًا فى الجمعة لا يبعث فيه إلىّ بوجه ولا بسبب ، لأخلوَ فيـه بجوارىّ وإخوانى ، فأذن لى فى يوم السبت ، وقال لى (٣) : هو يوم أستثقله ، فالْهُ فيه بما شئتَ ؛ فأقمتُ (٤) يوم السبت بمنزلى وتقدّمتُ فى إصلاح (٥) طعامى وشرابى بما احتجتُ إليه ، وأمرتُ بوّابى فأغلقَ الأبوابَ وتقـدّمتُ (٦) إليه ألّا يأذنَ

---

(١) كذا فى ط ، ء . وفى سائر الأصول : « مصطحبان » . (٢) كذا فى ط ، ء . وفى سائر الأصول : « نسيم الصبا » . (٣) كذا فى ط ، ء . وفى سائر الأصول : «فقال : هو ... الخ » . (٤) كذا فى ط ، ء . وفى سائر الأصول : « فأقمت فى يوم ... الخ » . (٥) فى ب : « فى اصطلاح » وهو تحريف . (٦) تقدمت إليه : أمرته .

علىّ لأحد؛ فبينا أنا فى مجلسى والخدمُ قد حَفُّوا بى وجَوَارِىّ[1] يتردَّدْنَ بين يدىّ، إذا أنا بشيخ ذى هيئة وجمال، عليه خُفَّان قصيران وقميصان ناعمان، وعلى رأسه قَلَنْسُوةٌ لاطئة[2]، وبيده عُكَّازة مُقَمَّعة بفضّة، وروائحُ المسك تفوح منه حتى ملأ البيتَ والدار؛ فداخلنى بدخوله علىّ مع ما تقدّمت فيه غيظٌ ما تداخلنى قطُّ مثلُه، وهممتُ بطرد بوّابى ومَنْ حجبنى لأجله؛ فسلّم علىّ أحسنَ سلام فرددت عليه، وأمرته بالجلوس فجلس، ثم أخذ [بى][3] فى أحاديث الناس وأيام العرب وأحاديثها وأشعارها حتى سَلَّى[4] ما بى من الغضب، وظننت أنّ غلمانى تَحَرَّوْا مَسَرَّتى بإدخالهم مثلَه علىّ لأدبه وظَرْفه؛ فقلتُ: هل لك فى الطعام؟ فقال: لا حاجة لى فيه؛ فقلت: هل لك فى الشراب؟ فقال: ذلك إليك، فشربتُ رطلاً وسقيتُه مثلَه؛ فقال لى: يا أبا إسحاق، هل لك أن تُغنّى لنا شيئا من صَنْعتك وما[5] قد نَفَقْتَ به عند الخاصّ والعامّ؟ فغاظنى قولُه، ثم سهّلتُ على نفسى أمرَه فأخذتُ العود فجسستُه ثم ضربت فغنّيتُ؛ فقال: أحسنت يا إبراهيم؛ فآزداد غيظى وقلت: ما رضى بما فعله من دخوله علىّ بغير إذن وآقتراحه أن أغنّيه حتى سمّانى ولم يُكنّنى ولم يُجمِل مخاطبتى!. ثم قال: هل لك أن تزيدنا؟ فتذمّمت[6] فأخذتُ العود فغنّيتُ؛ فقال: أجدتَ يا أبا إسحاق!

(١) فى ب، س، م: «والحرم». (٢) يقال: تقلس باللاطئة وهى قلنسوة صغيرة تلطأ (تلزق) بالرأس. (٣) زيادة عن ط، ء، حـ. (٤) لعله ضمن «سلى» معنى أذهب وأزال، على أنه لا يبعد أن يكون أصله «سل». وفى ط، ء: «سلا». (٥) كذا فى ب، س، حـ ومختار الأغانى لابن منظور. وفى ط، ء: «من صنعتك ما قد نفقت به ... الخ». وفى م: «من صنعتك ما قد تغنيت به ... الخ». (٦) تذمم الرجل: استنكف، يقال: لو لم أترك الكذب أثما لتركته تذمما، أى مجانبة للذم.

فأَتِمَّ[1] حتى نكافئك ونُغنّيَك ؛ فأخذت العود وتغنّيت وتحفّظتُ وقمتُ بما غنّيته إياه [قياما][2] تامًّا ما تحفّظت مثلَه ولا قمتُ بغناء كما قمتُ به له بين يَدَىْ خليفة قطُّ ولا غيره، لقوله لى: أكافئك؛ فطرِب وقال: أحسنتَ[3] ياسيّدى، ثم قال: أتأذن لعبدك بالغناء؟ فقلت: شأنَك، وٱستضعفتُ عقلَه فى أن يغنّينى بحضرتى بعد ما سمعه منّى؛ فأخذ العود وجسّه وحبسه، فوالله لخِلْتُه ينطِق بلسانٍ عربىّ لحسن ما سمعتُه من صوته[4]، ثم تغنّى:

صوت

ولى كَبِدٌ مقروحةٌ مَنْ يبيعنى * بها كَبِدًا ليستْ بذات قُروح
أباها علىّ الناسُ لا يشترونها * ومَنْ يشترى ذاعِلَّةٍ[5] بصحيح
أئِنّ من الشوق الذى فى جوانحى * أنينَ غَصيصٍ بالشراب جَريح

قال إبراهيمُ: فوالله لقد ظننتُ الحيطانَ والأبوابَ وكلَّ ما فى البيت يجيبه ويُغنّى معه من حسن غنائه، حتى خِلتُ والله أنّى أسمعُ أعضائى[6] وثيابى تجاوبه، وبقيتُ مبهوتًا لا أستطيعُ الكلامَ ولا الجوابَ ولا الحركةَ لِمَا خالط قلبى؛ ثم غنّى:

صوت

ألَا ياحماماتِ اللِّوَى عُدْنَ عَوْدةً * فإنّى إلى أصواتكنّ حزينُ
فعُدْنَ فلما عُدْنَ كِدْنَ يُمِتْنَنِى * وكِدتُ بأسرارى لهنّ أُبِينُ

(١) فى ط، ء ومختار الأغانى: «فأتم هزارك». والهزار: كلمة فارسية من معانيها الأنشودة والمقطوعة.
(٢) الزيادة عن ط، ء. (٣) فى ط، ء: «أحسنت ياسيدى ويا أوثق عددى».
(٤) فى ط، ء: «من ضربه». (٥) فى ط، ء: «ذا عرّة». والعرّة: الجرب.
(٦) كذا فى ط، ء. وفى سائر الأصول: «أنى وعظامى وثيابى ... الخ».

دَعَوْنَ بتَرْدَاد الهَــديرِ كأنمـا * سُــقِينَ حُمَيًّا أو بهــنّ جُنونُ
فــلم تَرَ عينى مثلَهنّ حمائمًـا * بكَينَ ولم تَدْمَعْ لهنّ عيونُ

—لم أعرِف فى هذه الأبيات لحنًا يُنسب إلى إبراهيم، والذى عرفتُه لمحمد بن الحارث ابن بُسْخُنَّرَ(١) خفيفُ رمل — فكاد، والله أعلم، عقلى أن يذهب طربًا وارتياحًا لمـا سمعتُ؛ ثم غنّى :

صــــوت

٣٨ / ٥ أَلَا ياصَبا نجدٍ متى هِجْتِ من نجـدِ * لقد زادنى مَسْراكِ وَجْدًا على وَجد
أأَنْ هتفتْ وَرْقاءُ فى رَوْنق الضُّحَى(٢) * على فَنَنٍ(٣) غضّ النّبـات من الرَّنْد(٤)
بكيتَ(٥) كما يبكى الحــزينُ صبابةً * وذُبتَ من الحــزن المبرِّح والجَهْد
وقــد زعمــوا أنّ المحبَّ إذا دنا(٦) * يَمَلُّ وأنّ النأى يَشْفِى(٧) من الوَجْد
بكلٍّ تداوينا فلم يُشْــفَ مابنـا * على أنّ(٨) قرب الدار خيرٌ من البعد

(١) كذا فى ط ، ى . وقد صححه الأستاذ الشنقيطى فى عدّة مواضع بنسخته الخاصة المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم (١٤٤ أدب ش) . وقد ورد فى سائر الأصول « بشــخير » وهو تصحيف .

(٢) رونق الضحى : حسنه وإشراقه .   (٣) كذا فى ط ، ى وشرح الحماسة للتبريزى (ج ٣ ص ١٤٥) . وفى سائر الأصول وديوان ابن الدمينة المخطوط المحفوظ بدار الكتب المصرية ضمن مجموعة تحت رقم (٦ أدب ش) : « غصن » .   (٤) الرند : شجر طيب الرائحة من شجر البادية . وقد ورد هذا البيت فى أكثر الأصول بعــد البيت الذى يليه ، وقد وضعناه كما ورد فى ط ، ى لانسجام الكلام بذلك .

(٥) روى هذا البيت فى شرح الحماسة هكذا :

بكيت كما يبكى الوليــد ولم تكن * جليدا وأبديت الذى لم تكن تبدى

(٦) كذا فى ط ، ى ، م والأغانى (ج ١٥ ص ١٥٦ طبع بولاق) وهو الموافق لما جاء فى شرح ديوان الحماسة للتبريزى وديوانه . وفى سائر الأصول : « إذا نأى » .   (٧) فى ط ، ى : « يسلى » .

(٨) فى ط ، ى وشرح الحماسة : « على ذاك قرب ... الخ » .

ثم قال : يا إبراهيم ، هـذا الغناء الماخُورىّ خُـذه وٱنحُ نحوَه فى غنائك وعلّمه جَوارِيَك ، فقلتُ : أَعِده علىّ ، فقال : لست(١) تحتاج ، قد أخذتَه وفرغتَ منه ، ثم غاب من بين يدىّ(٢) ، فٱرتعتُ(٣) وقمت إلى السيف فجرّدته ، وعدوتُ نحو أبواب الحُرَم فوجدتُها مُغْلقةً ، فقلتُ للجوارى : أىّ شىء سمعتنّ عنـدى؟ فقلن(٤) : سمِعنا أحسنَ غناءٍ سُمِـعَ قطّ ، فخرجتُ متحيرًا إلى باب الدار فوجدتُه مُغْلَقًا ، فسألتُ البوّابَ عن الشيخ ، فقال لى : أىّ شيخ هو؟ والله مادخل إليك اليوم أحد ، فرجَعتُ لأتأمل أمرى ، فإذا هو قد هتَف [بى](٥) من بعض جوانب البيت : لا بأسَ عليك يا أبا إسحاق ، أنا إبليس وأنا كنت جليسَك ونديمَك اليومَ ، فلا تُرَعْ . فركبت إلى الرشـيد وقلت : لا أُطرفه(٦) أبدًا بطُرْفة مثلِ هذه ، فدخلت إليه فحدّثته بالحديث ، فقال : وَيْحَك ! تأمّلْ هـذه الأصواتَ(٧) ، هل أخذتَهـا؟ فأخذت العـود أمتحنها ، فإذا هى راسخـة فى صـدرى كأنها لم تزل ، فطرب الرشيد [عليها](٥) وجلس يشرب ولم يكن عزَم على الشراب ، وأمر لى بصلةٍ وحُمْلانٍ(٨) وقال : الشيخ كان أعلم بمـا قال لك من أنك أخذتَها وفرغتَ منها ، فليتَه أمتعَنا بنفسه يومًا واحدا كما أمتعك .

---

(١) كذا فى ط ، ء . وفى سائر الأصول : «ليس» (٢) فى ط ، ء ومختار الأغانى : «من بين عينىّ» . (٣) كذا فى ط ، ء ومختار الأغانى . وفى سائر الأصول : «فارتفعت» . (٤) فى ب ، سـ : «فقلنا» وهو تحريف . (٥) الزيادة عن ط ، ء ومختار الأغانى . (٦) أطرفه : أتحفـه وأتاه بالحديث الجديد . (٧) كذا فى ط ، ء ومختـار الأغانى . وفى سائر الأصـول : «الأبيات» . (٨) الحلان (بالضم) : ما يحمل عليـه من الدواب فى الهبة خاصة .

نسبة هذه الأصوات

أمّا الصوت الأوّل فالذى أعرفه فيه خفيفُ رَمَلٍ لمحمد بن الحارث بن بُسْخُنَّرَ، ولم يقع إلىّ فيه صنعةٌ لإبراهيم . والصوت الثانى الذى أوّله :

* ألا ياصبا نجدٍ متى هِجْتِ من نجدِ *

فشعرُه ليزيدَ[1] بن الطَّثَرِيَّةِ[2] ، والغناءُ لإبراهيم خفيفُ ثقيل بالبنصر عن عمرو . وفيه لمحمد بن الحسن بن مصعَب ثانى ثقيل بالوسطى عن الهشامىّ وعمرو . وذكر إبراهيمُ أنّ فيه لحنا لدَحْمان ولحنا لابنه الزُّبَير ، ولم يَذْكر فى أىّ طريقةٍ هما . —

هكذا حدّثنا ابن أبى الأزهر بهذا الخبر، وما أدرى ما أقول فيه ، ولعل إبراهيمَ صنع هذه الحكاية ليتنفّق بها ، أو صُنعتْ وحُكيتْ عنه . إلا أنّ للخبر أصلًا الأشبهُ بالحق منه ما حدّثنى به أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ وأحمد بن عبيد الله بن عمّار قالا حدّثنا عمرُ بن شَبّة قال حدّثنا إسحاق بن إبراهيم الموصلىّ عن أبيه قال :

صنعتُ لحنا فأعجبنى، وجعلت أطلب شعرا فعَسُر ذلك علىّ، ورأيتُ فى المنام كأنّ رجلا لَقِينى فقال : يا إبراهيم ، أأعياك شعرٌ لغنائك هذا الذى تُعْجَب به ؟ قلت نعم ؛ قال : فأين أنت من قول ذى الرُّمّة حيث قال :

---

(١) كذا فى جميع الأصول والأمالى لأبى على القالى (ج ٣ ص ١٠٤ طبع دار الكتب المصرية) . وقد نسبت هذه الأبيات فى الأغانى (ج ١٥ ص ١٥٦ طبع بولاق) وشرح الحماسة للتبريزى (ج ٣ ص ١٤٥) لعبد الله بن الدمينة ، وهى مذكورة فى ديوانه . (٢) فى ب ، حـ : « الطبرية » بالباء الموحدة ، وهو تصحيف .

ألا يا آسْلَمِى يادارَ مَىّ على البِلَى * ولا زال مُنْهَلًّا بجَرْعائك القَطْرُ[1]

وإن لم تكونى غير شَـام بقَفْرةٍ[2] * تَجُـرُّ بها الأذيالَ صَـيْفِيَّةٌ[3] كُدْرُ ٣٩/٥

قال: فآنتبهتُ وأنا فَرِحٌ[4] بالشعر، فدعوتُ مَنْ ضرب علىّ وغنّيتُه فإذا هو أوفقُ ما خلق الله، فلمّـا علمتُ [ذلك، وعملتُ][5] هذا الغناء فى شعر ذى الرّمة، تنبّهتُ عليه وعلى شعره فصنعتُ فيه ألحانًا ماخُورِيَّةً، منها :

صـــوت

أَمَــنْزِلَتَىْ مَىٍّ ســلامٌ عليــكما * هل الأزمُنُ اللائى مَضَيْنَ رواجعُ

وهل يَرجِعُ التسليمَ أو يكشِفُ العَمَى * ثلاثُ الأثافى[6] أو رســومٌ بلاقِعُ

صنعةُ إبراهيمَ فى هذين الشعرين جميعا من الماخُورِىّ بالوسطى، وهو خفيف الثقيل الثانى . وأخباره كلها فى هذا المعنى تأتى فى أخبار ذى الرُّمة مشروحةً .

---

(١) الجرعاء : الرملة المستوية لاتنبت شيئا . (٢) كذا فى جميع الأصول وديوان ذى الرمة طبع أوربا . والشام : جمع شامة ، وهى بقعة تخالف لون الأرض ؛ أى وإن أصبحت جزءا أسود من الأرض قد فقد كل ما كان له من معالم . وقد ذكر ذو الرمة هذا المعنى أيضا فى قوله :

كأن ديار الحىّ بالزرق خلقة * من الأرض أم مكتوبة بمداد

أى كأنها خلقة من الأرض سوداء . والزرق : كثيب بالدهناء . (٣) الصيفية : رياح الصيف . والكدر : جمع كدراء وهى التى فى لونها غبرة . (٤) فى ب ، حـ : « جذوح » . (٥) الزيادة عن ط ، ء . (٦) كذا فى ط ، ء هنا . وفيما سيأتى فى الأغانى (ج ١٦ ص ١٢٩ طبع بولاق) والمخصص (ج ١٧ ص ١٠٠ ، ١٢٥) :

* ثلاث الأثافى والديار البلاقع *

وورد فى كثير من كتب الأدب ومنها ديوان ذى الرمة هكذا :

* ثلاث الأثافى والرسوم البلاقع *

وكذلك أوردته أكثر معاجم اللغة شاهدا على تعريف المضاف اليه فى العدد . وفى باقى الأصول هنا : « ثلاث أثاف أو رسوم بلاقع » . والأثافى : الأحجار التى توضع عليها القدر ، واحدها أثفية (بضم الهمزة وكسرها) .

سأل الرشيد أن يختصه بالغناء فى شعر ذى الرمة وكان الرشيد يؤثره

حدّثنى [محمد بن](١) مَرْيد قال حدّثنى حمّاد عن أبيه قال قال [لى](١) أبى :

قال [لى](١) جعفر بن يحيى يوما وقد علم أنّ الرشيد أذِن لى وللمغنّين فى الانصراف يومئذ: صِرْ إلىّ حتى أَهَبَ(٢) لك شيئا حسنا؛ فصِرْتُ إليه فقال لى : أيّما أحبُّ إليك : أَهَبُ لك الشيءَ الحسن الذى وعدتُك به، أم(٣) أُرشدك إلى شيء تكسب به ألفَ ألفِ درهم؟ فقلت : بل يرشدنى الوزير ــ أعزّه الله ــ إلى هذا الوجه فإنه يقوم مقام إعطائه إيّاى هذا الحسن(٤)؛ فقال : إنّ أمير المؤمنين يحفَظ شعر ذى الرُّمّة حفظ الصِّبا(٥) و يُعجبه و يؤثره، فإذا سَمِع فيه غناءً أطربه أكثر مما يُطربه غيره ممـا لا يحفظ شعره؛ فإذا غنّيتَه فأطربتَه وأمر لك بجائزة، فقُم على رجليك قائما وقبِّل الأرض بين يديه وقل له : لى حاجة غيرُ هذه الجائزة أريد أن أسألها أميرَ المؤمنين، وهى حاجة تقوم عندى مقامَ كل فائدة ولا تَضُرّه ولا تَرْزَؤه؛ فإنه سيقول لك : أىّ شيء حاجتُك؟ فقل : قَطيعةٌ تُقْطِعُنيها سهلةٌ عليك لا قيمةَ لها ولا منفعةَ فيها لأحد؛ فإذا أجابك إلى ذلك، فقل له : تُقْطِعنى شعرَ ذى الرمّة أُغنّى فيه ما أختاره وتحظُر على المغنّين جميعا أن يداخلونى(٦) فيه، فإنى أُحبّ شعره وأستحسنه فلا أُحبّ أن يُنغّصه علىّ أحدٌ منهم، وَتَوَثَّقْ منه فى ذلك؛ فقبِلتُ ذلك القولَ منه، وما آنصرفت من عنده بعـد ذلك إلا بجائزة؛

(١) التكملة عن ط ، ء . (٢) كذا فى ط ، ء ، وهو الصواب لأن «وهب» يتعـدى الى المفعول الأوّل باللام ، وقد جاء فى التنزيل : (لأهب لك غلاما زكيا) . وأنكر سيبويه أن يقال : أهبك كذا؛ ونقل عن أبى عمرو أنه سمع أعرابيا يقول لآخر : انطلق معى أهبك نبلا . وفى سائر الأصول : «حتى أهبك» . (٣) يراد هنا التعيين ، فلهذا وضعنا «أم» بدل « أو » التى وردت فى الأصول . (٤) كذا فى ط ، ء . وفى سائر الأصول : « المـال » .
(٥) فى ط ، ء : « كأنه حفظ الصبىّ » . (٦) كذا فى ط ، ء ، أ . وفى سائر الأصول : « ألا يداخلونى » .

وتوخّيتُ وقت الكلام فى هذا المعنى حتى وجدتُه، فقمت فسالت كما قال لى، وتبيّنتُ السرور فى وجهه، وقال : ما سألتَ شَطَطا، قد أقطعتكَ سُؤْلتك ؛ فجعلوا يتضاحكون من قولى ويقولون : لقد ٱستضخمتَ القطيعة وهو ساكت ؛ فقلت : يا أمير المؤمنين، أتأذن لى فى التوثّق؟ قال: تَوَثَّقْ كيف شئت؛ فقلت : بالله وبحقّ رسوله وبتُربة أمير المؤمنين المهدىّ إلّا جعلتَنى على ثِقةٍ من ذلك بأنك [تحلف لى أنك](٢) لاتُعطى أحدًا من المغنِّين جائزة على شىء يُغنِّيه فى شعر ذى الرُّمّة فإنّ ذلك وثيقتى؛ فحلف مجتهدًا لهم لئن غنّاه أحد منهم فى شعر ذى الرُّمّة لا أثابه بشىء ولا برّه ولا سمع غناءه؛ فشكرتُ فعله وقبّلت الأرضَ بين يديه وٱنصرفنا. فغنّيت مائة صوت وزيادة(٣) فى شعر ذى الرُّمّة، فكان إذا سمع منها صوتا طَرِب وزاد طربُه ووصلنى فأجزَل، ولم ينتفع به أحدٌ منهم غيرى ؛ فأخذتُ منه والله بها ألفَ ألفِ درهم وألفَ ألفِ درهم .

رأى فى منامه من أرشده الى الغناء فى شعر ذى الرمة فغنى به الرشيد فأجزل صلته

أخبرنى(٤) جعفر بن قُدَامة بن زِيَاد الكاتب قال حدّثنى هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال حدّثنى أبو خالد الأَسْلَمِىّ قال حدّثنى محمد بن عمر الجُرْجانىّ قال :

قال إبراهيم الموصلىّ: أُرْتِج علىّ فلم أجد شعرا أَصُوغ فيه غناءً أُغنِّى فيه الرشيدَ، فدخلتُ إلى بعض حُجَر دارى مغموما، فأَسْبلتُ الستورَ علىّ وغلبتْنى عينى، فتمثّل لى

٤٠
٥

(١) كذا فى ط، ء . وفى سائر الأصول : «وقال : أقطعتك ... الخ» . (٢) زيادة عن ط، ء . (٣) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «وزيادة عليها فى شعر ... الخ» .
(٤) كذا ورد هذا السند فى ط، ء . وقد ورد فى سائر الأصول هكذا : «أخبرنى جعفر بن قدامة آبن زياد الكاتب قال حدّثنى هارون بن عمرو الجرجانى قال ... الخ» .

فى البيت شيخٌ أَشْوَهُ الْخِلْقة، فقال لى : ياموصلىّ، مالى أراك مغموما؟ قلت : لم أُصِبْ شِعْراً أُغَنِّى فيه الرشيدَ الليلةَ؛ قال : فأين أنت عن قول ذى الرُّمّة :

أَلَا يا ٱسْلَمِى يادارَ مَىَّ على البِلَى * ولا زال مُنْهَلًّا بجَرْعائِكِ[1] القطـرُ

وإنْ[2] لم تكونى غيرَ شام بقَفْرةٍ * تَجُـرّ بها الأذيالَ صَـيْفيّةٌ كُدْرُ[3]

أقامت[4] بها حتى ذَوَى العودُ فى الثَّرَى[5] * وساق الثُّـرَيّا فى مُلاءته[6] الفجـرُ

وحتى اعتلى[7] البُهْمَى[8] من الصيف نافضٌ * كما نَفَضَتْ خيلٌ نواصيَها شُـقْرُ

قال : وغنّانى فيـه بلحن وكرّره حتى عَلِقْتُه[9] فانتبهت وأنا أُدِيره، فناديت جاريةً لى وأمرتُها بإحضار عود، وما زلتُ أترنّم بالصوت وهى تضرب حتى ٱستوى [لى][10]؛ ثم صرتُ إلى هارون فغنّيته إيّاه، فأسكتَ المغنّين[11]، ثم قال : أَعِد فأعدتُ، فما زال ليلتَه يستعيدُنيه، فلمّا أصبح أمر لى بثلاثين ألف درهم وبفرش البيت الذى كنّا فيه، وقال : عليك بشعر ذى الرُّمّة فغنِّ فيه؛ فصنعتُ فيه غناءً كثيرا، فكنتُ أغنّيه به [فيُعجبه][10] ويُجزل صِلتى .

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٣٦ من هذا الجزء . (٢) فى ط ، ى وديوانه طبع أوربا : «فإن لم» بالفاء . (٣) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٢٣٦ من هذا الجزء . (٤) فى ط ، ى : « أقاموا » بالواو . (٥) فى شرح الشواهد الكبرى للإمام العينى (الموضوع على هامش الخزانة للبغدادى ج ٢ ص ٧ طبع بولاق) : «وألتوى» . (٦) ملاءة الفجر : بياضه، شبه بالملاءة وهى الثوب الأبيض . (٧) فى ديوانه وشرح الشواهد الكبرى المذكور : « اعترى » . (٨) البهمى (الواحد والجمع) : نبت تجد به الغنم وجدا شديدا مادام أخضر، فاذا يبس وعظم خرج له شوك مثل شوك السنبل ثم كان كلأ يرعاه الناس حتى يصيبه المطر من عام مقبل وينبت من تحته حبه الذى سقط من سنبله . والنافض : يبس يقع فيها فينفضها؛ وهذا فى أوّل القيظ قبل شدّة الحر . قال أبو عمرو : نافض : يريد ريح الصيف، وشبه شوك البهمى إذا وقعت عليه فابيض بنواصى خيل شـقر . (انظر شرح ديوان ذى الرمة طبع أوربا) . (٩) كذا فى ط ، ى . يريد : حتى علمته وحفظته، يقال : علق فلان أمرا اذا علمه . وفى سائر الأصول : «عقلته» . (١٠) زيادة عن ط ، ى . (١١) فى ط ، ى : «فأمسك المتغنون بإسكاته ثم قال ... الخ» .

غنى الرشيد ومعه زلزل وبرصوما فأطربوه

أخبرنى عمّى وابن المَرْزُبان والحسن بن علىّ قالوا حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال حدّثنا محمد بن عبد الله السُّلَمىّ قال حدّثنا أبو غانم مولى جَبَلة[(١)] بن يزيد السُّلَمىّ قال :

اجتمع إبراهيم الموصلىّ و زَلْزَلٌ و بَرْصوماَ بين يَدَىِ الرشيد، فضرب زلزلٌ وزَمَر بَرْصوما وغنَّى إبراهيم :

صــــوت

صَحَا قلـــبى وراعَ[(٢)] إلىّ عقــلى * وأقْصَر باطلى ونَسِيتُ جهــلى
رأيتُ الغانيــاتِ وكُنَّ صُــوراً[(٣)] * إلىّ صَرَمْننى وقَطعْنَ حبــلى

فطـرِب هارون حتى وثَب على رجليه وصاح : يا آدم، لو رأيتَ من يحضُرُنى[(٤)] من ولدك اليومَ لسرّك! ، ثم جلس وقال : أستغفر الله .

الشعر الذى غنَّى فيه إبراهيم لأبى العتاهية . والغناء لإبراهيم خفيفُ ثقيلٍ بالبنصر .

غاضب الرشيد جارية يحبها فغناه بشعر للعباس بن الأحنف فترضاها

حدّثنى جَحْظة قال حدّثنى حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

كان الرشيد يَجِد بمارِدةَ وَجْدًا شديدا ، فغضبت عليه وغضب عليها ، وتمادى بينهما الهجرُ أياما ، فأمر جعفرُ بن يحيى العباسَ بن الأحنف فقال :

راجِعْ أحبَّتك الذين هجرتَهم * إنّ المُتيَّمَ قلَّما يَتجنَّبُ
إنّ التجنُّبَ إن تطاوَلَ منكما * دبَّ السُّلُوُّ له فعزَّ المطلبُ

---

(١) فى ط ، ء : « مولى يزيد بن جبلة » . (٢) كذا فى أكثر الأصول . وراع بمعنى : رجع . وفى ب ، س : « راغ » بالغين المعجمة ، وهو تصحيف . (٣) كذا فى حـ . وصور الى كذا (من باب علم) إذا أمال عنقه ووجهه اليه فهو أصور والأنثى صوراء والجمع : صور . وفى سائر الأصول : «نزرا» . (٤) فى ط ، ء : « من بحضرتى » .

وأمر إبراهيم الموصلىّ فغنّى فيه الرشيدَ ، فلما سمعه بادر إلى ماردةَ فترضّاها ، فسألتْ عن السبب فى ذلك فعرفته ، فأمرت لكل واحد من العبّاس و إبراهيم بعشرة آلاف درهم ، وسألتِ الرشيدَ أن يكافئهما عنها ، فأمر لهما بأربعين ألف درهم .

نال أول جائزة خرجت لشاعر من الرشيد

أخبرنى جعفر بن قُدَامة عن حمّاد عن أبيه قال :

أولُ جائزة خرجتْ لشاعر من الرشيد لمّا وَلِيَ الخلافةَ جائزةٌ لإبراهيم[1] ؛ فإنه قال يمدحه لمّا وَلِي :

صوت

٤١ / ٥

ألم تَرَ أنّ الشمسَ كانت مريضةً * فلمّا وَلِي هارونُ أشرق نُورُها
فأُلبستِ[2] الدّنيا جمالًا بوجهه * فهارونُ وَاليها ويحيى وزيرُها

وغنّى فيه ، فأمر له بمائة ألف درهم ، وأمر له يحيى بخمسين ألف درهم .

نامر الرشيد بالنرد فتقامر له

أخبرنا الحسن بن علىّ قال حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال حدّثنى محمد بن عبد الله بن[3] مالك قال حدّثنى إسحاق الموصلىّ :

أنّ أباه لَعِب يوما مع[4] الرشيد بالنّرْد فى الخلْعة التى كانت على الرشيد والخلعة التى كانت عليه هو ، فتقامَرَ[5] للرشيد ، فلمّا قَمَره قام إبراهيم فنزع ثيابه ، ثم قال للرشيد : حُكْمُ النّرد الوفاءُ به ، وقد قُمِرْتُ ووفّيتُ لك ، فألبس ما كان علىّ ؛

(١) كذا فى ط ، ء . وابراهيم هذا هو ابراهيم الموصلى صاحب الترجمة ، وفى ابن خلكان فى ترجمة يحيى البرمكىّ ج ٢ ص ٣٦٠ الى ٣٦٦ بعد أن ذكر قصة هذا الشعر قال : «وفى ذلك يقول الموصلىّ وأظنه ابراهيم النديم أو ابنه اسحاق» . وفى سائر الأصول : «لأبى فائد» وهو تحريف . (٢) فى ط ، ء : «تلبست» . (٣) كذا فى ط ، ء ، وفيما سبق فى مواضع كثيرة فى جميع الأصول وفيما سيأتى أيضا . وفى سائر الأصول هنا : «محمد بن عبد الملك» ، وهو تحريف . (٤) كذا فى ط ، ء . وفى سائر الأصول : «مع» وهو تحريف . (٥) كذا فى ط ، ء ، ولعله يريد أنه تظاهر بالغلب للرشيد . وفى سائر الأصول : «فتقامر الرشيد» .

فقال له الرشيد : وَيْلَك! أنا ألبس ثيابك ! ؛ فقــال : إى والله إذا أنصفتَ ، وإذا لم تُنصف قَدَرتَ وأمكنك؛ قال : ويلك! أوَ أفتدى منك؟ قال : نعم؛ قال : وما الفداء ؟ قال : قل أنتَ يا أمير المؤمنين فإنك أولَى بالقول ؛ فقــال : أعطيك كلّ ما علىّ؛ قال : فمُرْ به يا أمير المؤمنين وأنا أستخير الله فى ذلك؛ فدعا بغير ما عليه فلبسه ونزَع ما كان عليه فدفعه إلى إبراهيم .

فطنة ابن جامع وابراهيم فى صناعة الموسيق

أخبرنى إسماعيــل بن يونس قال حدّثنى عُمَر بن شَـبّة قال حدّثنى علىّ بن عبد الكريم قال :

زار آبنُ جامع إبراهيمَ [الموصلىّ] (١) ؛ فأخرج إليه ثلاثين جارية فضربْنَ جميعا طريقةً واحدة وغنَّيْن ؛ فقال آبن جامع : فى الأوتار وَتَرٌ غير مستوٍ؛ فقال إبراهيم : يا فلانةُ شُدّى مَثْناكِ ، فشدّته فآستوى ؛ فعجبتُ أوّلًا من فطنة آبن جامع لوتر فى مائة وعشرين وترا غيرِ مستو، ثم آزداد عَجَبى من فِطْنة إبراهيم له بعينه .

غناؤه عنــد خمار بالرقة

أخبرنى إسماعيل بن يونس وحَبيب بن نَصْر [المُهَلَّبىّ] (١) قالا حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنى إسحاق بن إبراهيم قال حدّثنى أبى قال :

كنّا مع الرشـيد بالرَّقّة وكان هناك خَمّار أقصده أشترى منه شرابا حسنا طيّبا، وربما شربت فى حانته، فأتيته يومًا فبزَل (٢) لى دَنًّا فى باطِيَة (٣) له ، فرأيت لونه حســنا صافيا ، فآندفعتُ أغنّى :

(١) زيادة عن ط ، ى . (٢) كذا فى ط ، ى . وبزل الدن : ثقبه ، ويقال : بزل الشراب اذا صفاه . وفى سائر الأصول : «فنزل» بالنون ، وهو تصحيف . (٣) الباطية : إناء من الزجاج يملأ من الشراب ، يوضع بين الشرب يغترفون منه .

صـــوت

اِسْـقِنى صَهْبَاءَ صِرْفًا * لم تُـدَنَّسْ بمِـزَاجِ
اِسْـقِنى والليـلُ داجٍ * قبـلَ أصوات الدَّجاجِ
يا أبا وَهْبٍ خليـلى * كـلُّ هَمٍّ لانفـراجِ
حين تَوَّهتْ(١) بقلـبى * فى أعاصـير الفِجاجِ(٢)

ـــ الغناء فى هـذه الأبيات لإبراهيم هَزَجٌ بالوسطى عن عمرو . وفيها لِسِياط ثانى ثقيلٍ بالخِنْصر فى مجرى البِنْصر عن إسحاق ـــ قال : فدَهِش الخمّار يسمع صوتى ، فقلت له : وَيْحَك ! قد فاض النبيذ من الباطِيَة ، فقال : دَعْنى من النبيذ يا أبا إسحاق ، مالى أرى صوتك حزينًا حَرِيقا(٣) ، مات لك بالله إنسان؟ ؛ فلما جئتُ إلى الرشيد حدّثته بذلك فجعل يضحك .

قصته مع الجوارى اللاتى عقنه عن موعد الرشيد وخروج الرشيد اليهن معه متخفيا.

وذكر أحمد بن أبى طاهر أنّ المدائنىّ حدّث قال :

[قال(٤)] إبراهيم الموصلىّ قال لى الرشيد يوما : يا إبراهيم ، إنى قد جعلت غدا للحَرِيم ، وجعلت ليلته للشرب مع الرجال ، وأنا مقتصِرٌ عليك من المغنّين ، فلا تشتغل غدًا بشىء ولا تشرب نبيذا ، وكن بحضرتى فى وقت العشاء الآخِرة ؛ فقلت : السمعُ والطاعةُ لأمير المؤمنـين ؛ فقال : وحقِّ أبى لئن تأخرتَ أو اعتلَلْتَ بشىء لأضربنّ عنقك ، أفهمتَ ؟ فقلت : نعم ، وخرجتُ فما جاءنى أحد من إخوانى إلا احتجبت عنه

---

(١) كذا فى ط ، ء ، حـ . وفى سائر الأصـول : « نوهت » بالنون ، وهو تصحيف .

(٢) الفجاج : جمع فجّ وهو الطريق الواسع الواضح بين جبلين وهو أوسع من الشعب . وفى ط ، ء ، حـ : « فى أعاصير العجاج » بالعين المهملة بدل الفاء .   (٣) فى ط ، ء ، حـ : « حرقا » .

(٤) زيادة عن ط ، ء .

ولا قرأت رقعة لأحد، حتى إذا صلّيت المغرب ركبت قاصدًا إليه، فلما قرُبت من فِناء داره مررت بفناء قصر، وإذا زِنْبِيلٌ[1] كبير مُستوثَق منه بحبال وأربع عُرَى أَدَم وقد دُلِّيَ من القصر، وجاريةٌ قائمة تنتظر إنسانا قد وُعِد ليجلس فيه، فنازعتْني نفسي إلى الجلوس فيه، ثم قلت : هذا خطأ، ولعله أن يجرى سبب يعوقني عن الخليفة فيكون الهلاكُ، فلم أزل أنازع نفسي وتنازعني حتى غلبتْني، فنزلت فجلست فيه، ومُدّ الزنبيل حتى صار في أعلى القصر، ثم خرجت فنزلت، فإذا جوارٍ كأنهنّ المَها جلوسٌ، فضحِكْنَ وطَرِبْنَ، وقلن : قد جاء والله من أردناه؛ فلما رأيْنَني من قريب تَبادرْنَ إلى الحِجاب وقُلْن : يا عدوّ الله، ما أدخلك إلينا؟ فقلت : يا عدوّاتِ الله، ومن الذي أردْتُنّ إدخالَه؟ ولِمَ صار أولى بهذا منّي؟ فلم يزَل هذا دَأْبَنا وهنّ يضحكن وأضحك معهنّ؛ ثم قالت إحداهنّ : أمّا من أردناه فقد فات، وما هذا إلا ظريف، فهلمّ نعاشرْه عشرةً جميلة؛ فأُخرج إليّ طعام ودُعيت إلى أكله، فلم يكن فيّ فَضْلٌ إلّا أنّي كرِهت أن أُنسب إلى سوء العشرة، فأصبتُ منه إصابة مُعَذِّر[2]، ثم جِيء بالنبيذ فجعلنا نشرب، وأُخرجن إليّ ثلاث جَوارٍ لهنّ فغنّين غناء مليحا، فغنّتْ إحداهنّ صوتا لَمْعبد، فقالت إحدى الثلاث من وراء الستر : أحسن إبراهيمُ، هذا له؛ فقلت : كَذَبتِ ليس هذا له، هذا لمعبد؛ فقالت : يافاسقُ، وما يُدْريك الغناءَ ما هو! ؛ ثم غنّت الأخرى صوتا للغَريض، فقالت [تلك][3] : أحسن إبراهيم، هذا له أيضا؛ فقلت : كذبتِ يا خبيثةُ، هذا للغريض؛ فقالت : اللهم أخْزِه، ويلك!

(١) في ط ، ء : «زبيل» وهي بمعنى «الزنبيل» . (٢) كذا في ط ، ء . والمعذر : المقتصر . وفي باقي الأصول : «إصابة مقدرة» ، بالقاف والدال المهملة . (٣) زيادة عن ط ، ء .

وما يدريك! ثم غنّت الجارية صوتا لى، فقالت تلك: أحسن آبنُ سُرَيج، هذا له(١)؛ فقلت: كذبتِ هذا لإبراهيم، وأنت تنسُبين غناء الناس إليه وغناءه إليهم؛ فقالت: وَيْحَك! ومايدريك! ؛ فقلت: أنا إبراهيم، فتباشرنَ بذلك جميعا وطرِبْنَ كلُّهن وظهرْنَ كلُّهن لى وقلْنَ: كتمتَنا نفسَك وقد سررتَنا(٢)؛ فقلت: أنا الآن أستودعكنّ الله؛ فقلن: وما السبب؟ فأخبرتهنّ بقصتى مع الرشيد؛ فضحكن وقلن: الآن والله طاب حبسك، علينا وعلينا إن خرجتَ أسبوعا؛ فقلت: هو والله القتل؛ قلن: إلى لعنة الله. فأقمت والله عندهنّ أسبوعا لا أزول، فلما كان بعد الأسبوع ودّعْنَنى وقلن: إن سلّمك الله فأنت بعد ثلاث عندنا، قلت نعم؛ فأجلسْنَنى فى الزنبيل وسُرِّحتُ؛ فمضيت لوجهى حتى أتيت دارَ الرشيد، وإذا النداء قد أُشيع ببغدادَ فى طلبى وأنّ من أحضرنى فقد سُوِّغ ملكى وأُقطِع مالى؛ فآستأذنتُ فتبادر الخدمُ حتى أدخلونى على الرشيد؛ فلما رآنى شتمنى وقال: السيف والنِّطع! إيهِ يا إبراهيم، تهاونتَ بأمرى وتشاغلتَ بالعوامّ عما أمرتك به وجلستَ مع أشباهك من السفهاء حتى أفسدتَ علىّ لذّتى(٣)! ؛ فقلت: يا أمير المؤمنين، أنا بين يديك، وما أمرتَ به غيرُ فائت، ولى حديث عجيب ما سُمع بمثله قطُّ وهو الذى قطعنى عنك ضرورةً لا آختيارا، فآسمعْه، فإن كان عذرًا فاقبلْه وإلّا فأنت أعلم؛ قال: هاتِه فليس يُنجيك؛ فحدّثته، فوجَم ساعةً ثم قال: إن هذا لعَجَبٌ، أفتُحضِرنى معك هذا الموضعَ؟ قلت: نعم، وأُجلسك معهنّ إن شئتَ قبلى حتى تحصل عندهنّ، وإن شئت فعلى موعد؛ قال: بل على موعد؛ قلت: أفعل؛ فقال: ٥٣/٥
انظُر؛ قلت: ذلك حاصلٌ إليك متى شئت؛ فعدَل عن رأيه فىّ وأجلسنى وشرب

(١) كذا فى ط، ء. وفى سائر الأصول: «هذا له أيضا» بزيادة كلمة «أيضا»، وهو تحريف. (٢) كذا فى ط، ء. وفى سائر الأصول: «سررنا». (٣) كذا فى ط، ء. وفى سائر الأصول: «حتى فسدت لذتى».

وطرِب؛ فلما أصبحتُ أمرنى بالانصراف وأن أجيئه من عندهنّ؛ فمضيت إليهنّ فى وقت الوعد، فلما وافيتُ الموضعَ إذا الزنبيل معلّق، فجلست فيه ومدّه الجوارى فصعِدت، فلما رأيْنَنى تباشرْنَ وحمِدْنَ الله على سلامتى، وأقمتُ ليلتى[1]، فلما أردت الانصراف قلت لهنّ: إن لى أخا هو عِدْلُ[2] نفسى عندى، وقد أحبّ معاشرتكن ووعدتُه بذلك؛ فقلن: إن كنت ترضاه فمرحبًا به؛ فوعدتهن ليلةَ غدٍ وانصرفتُ وأتيت الرشيدَ وأخبرته؛ فلما كان الوقتُ خرج معى متخفّيا[3] حتى أتينا الموضع، فصعِدت وصعِد بعدى ونزلْنا[4] جميعا، وقد كان الله وفّقنى لأن قلت لهن: إذا جاء صديق فاستترنَ عنى وعنه ولا يسمعْ لكُنّ نَطْقة، وليكن ما تَخْتَرْنَه من غناء أو تَقُلْنَه من قولٍ مُراسَلةً؛ فلم يتعدَّيْنَ ذلك وأقمْنَ على أتمّ سِتْر وخَفَر، وشربنا شربا كثيرا، وقد كان أمرنى ألّا أخاطبه بأمير المؤمنين، فلما أخذ منّى النبيذُ قلت سهوا: يا أمير المؤمنين، فتَوَاثَبْنَ من وراء الستارة حتى غابت عنّا حركاتهنّ؛ فقال لى: يا إبراهيم لقد أفلتَّ من أمرٍ عظيم، والله لو برزتْ إليك واحدة منهنّ لضربتُ عنقك، قم بنا، فانصرفنا، وإذا هنّ له، قد كان غضِب عليهنّ فحبسهنّ فى ذلك القصر، ثم وجّه من غد بخَدَم فردّوهنّ إلى قصره، ووهَب لى مائة ألف درهم، وكانت الهدايا والألطاف تأتينى بعد ذلك [منهنّ][5].

غنى الرشيد فأجزل صلته

أخبرنى جعفر بن قُدامة قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدّثنى أبى قال:

(١) كذا فى ط، ء. وفى سائر الأصول: «ليلتين». (٢) العدل: النظير.
(٣) كذا فى ط، ء. وفى سائر الأصول: «مختفيا». (٤) كذا فى ط، ء. وفى سائر الأصول: «وربتنا». (٥) زيادة عن ط، ء.

دخلت على الرشيد [يوما](١) فقال لى : أنا اليوم كسلانُ خاثِر(٢)، فإن غنّيتنى صوتا يوقظ نشاطى أحسنت صلتك؛ فغنّيته :

ولم يُرَ فى الدنيـا مُحبّان مثلُنا * على ما نلاقى من ذَوِى الأعين الخُزْرِ
صَفِيّانِ لا نرضى الوُشاةَ إذا وَشَوْا * عفيفانِ لا نَغْشَى(٣) من الأمر ما يُزْرِى

فطرِب، ودعا بالطعام فأكل وشرب، وأمر لى بخمسين ألف درهم .

طلب اليه يحيى بن خالد أن يمتحن صوتا لدنانير ثم أجازه

أخبرنى إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنى إسحاق قال قال لى أبى قال لى يحيى بن خالد :

إنّ ٱبنتك دَنانيرَ قد عمِلتْ صوتا أعجبنى وأُعجِبتْ أيضا هى به، فقلتُ لها : لا تُعْجَبى به حتّى أَعْرِضَه على أبيك أبى إسحاق؛ فقلتُ له : والله ما فى معرفة الوزير — أعزّه الله — به ولا بغيره من الصنائع مَطْعَن(٤) ، وإنه لأصحُّ العالَم تمييزا وأثقبُه فِطْنةً، وما أعجبه إلّا وهو صحيحٌ حَسَن؛ .فقال : إن كنتُ كما تقول أيضا، فإنّ أهلَ كلّ صناعة يُمارسونها أفهمُ بها ممّن يَعلَمها عن عُرُض من غير مُمَارسة، ولو كنا فى هذه الصناعة متساويَين لكان الآستظهارُ برأيك أجودَ، لأنّ مَيْلى إلى صانعة الصوت ربما حسّن عندى ما ليس بالحسن، وإنما يتمّ سرورى به بعد سماعك إياه وآستحسانك له على الحقيقة؛ فمضيتُ فوجدت ستارةً منصوبة وأمرًا قد تُقدّم فيه قبلى؛ فجلستُ فسلّمت على الجارية، وقلت لها : تغنّينى الصّوتَ الذى

(١) زيادة عن ط، ى . (٢) كذا فى ط، ى . وخثرت نفسه : غثت واختلطت . وفى سائر الأصول : «حائر» وهو تحريف . (٣) كذا فى ط ، ى . وفى سائر الأصول : «نخشى» بالخاء المعجمة، وهو تحريف . (٤) فى ط ، ى : «بهذه الصناعة ولا غيرها من الصنائع ... الخ» .

ذكره لى الوزير أعزه الله؛ فقالت : إن الوزير قال لى : إن آستجاده فعرّفينى ليتمّ سرورى به ، وإلّا فاطوِ الخبرَ عنى لئلّا تزول رُتبتــه عندى ؛ فقلتُ : هاتيه حتى أسمعه؛ فغنّت تقول :

٤٤/٥

نفسى أكنتُ عليكِ مدَّعياً * أم حين أزْمَعَ بينُهم خُنْتِ
إن كنتِ هائمةً بذكرهمُ * فعلى فراقهــمُ ألا خُمْتِ

قال : فأحسَنَتْ والله وما قصّرتْ ، فآستعدتُه لأطلب فيـه موضـعاً لأُصلحه فيكون لى فيه معنى فما وَجدتُ؛ قلت : أحسنتِ والله يا بُنيّة ما شئتِ ؛ ثم عدتُ إلى يحيي فحلفت له بأيمان رضيها أنّ كثيرًا من حُذّاق المغنّين لا يُحسنون أن يصنعوا مثله ، ولقــد آستعدتُه لأرى فيه موضعا يكون لى فيه عمــلٌ فما وجدت؛ فقال : وصفُكَ لها من أجله (١) يقوم مقام تعليمك إياها ، فقد والله سررتنى وسأسرّك؛ فلمّا انصرفتُ أتبعنى بخمسين ألف درهم .

قصته مع فتاة شاعرة بحضرة الرشيد

حدّثنى عمى وآبن المَرْزُبان قالا حدّثنا آبن أبى سعد قال حدّثنى محمد بن عبدالله السُّلَمىّ قال حدّثنى عمر بن شَبّة قال حدّثنى إسحاق، ولم يقل عن أبيه، قال :

والله إنى لفِى منزلى ذاتَ يوم وأنا مفكِّرٌ فى الرّكوب مرّةً وفى القعود مرّة، إذا غلامى قد دخل ومعه خادم الرشيد يأمرنى بالحضور من وقتى، فركبتُ وصرتُ اليه؛ فقــال لى : اجلس يا إبراهيم حتى أُرِيَك عجبًا ، فجلستُ؛ فقال : علىّ بالأعرابية وآبنتها؛ فأُخرِجَتْ إلىّ أعرابيّة ومعها بُنَيّة لهــا عشرٌ أو أرجح؛ فقال : يا إبراهيم، إن هــذه الصّبيّة تقول الشــعر ؛ فقلتُ لأمّها : ما يقول أمير المؤمنين؟ فقالت : هِى هذه قدّامَك فسَلْها ؛ فقلت : ياحبيبة ، أتقولين الشعر؟ فقالت نعم؛ فقلت أنشديني بعضَ ما قلتِ؛ فأنشدتْنى :

(١) كذا فى أ ، م . وفى سائر الأصول : « من أجلك » .

صـــــوت

تقــول لأتراب لهــا وهى تَمْتَرِى[1] * دموعًا على الخدَّيْن من شدّة الوجدِ
أكلُّ فتــاةٍ لا محــالةَ نازلٌ * بها مثلُ مابى أم بُليتُ به وحدى
بَرانِى له حبٌّ تَنشَّبَ فى الحَشَى * فلم يُبْقِ من جسمى سوى العظمِ والجلد
وجَدتُ الهوى حُلْوًا لذيذا بَدِيئُه[2] * وآخره مرٌّ لصاحبــه مُرْدِى

قال الشَّبِّيّ[3] فى خبره : قال إسحــاق : وكان أبى حاضرا ، فقال : والله لا تَبرَحْ يا أمير المؤمنين أوْ نصنعَ فى هــذه الأبيات لحنا ؛ فصُغْتُ فيها أنا وأبى وجميعُ من حضر . وقال الآخرون : قال إبراهيم : فما بَرِحتُ حتى صنعتُ فيه لحنًا وتَغنّيتُ به وهى حاضرة تســمع . قال ابن المَرْزُبان فى خبره ، ولم يذكره عمّى ، : فقالت : يا أمير المؤمنين ، قد أحسنَ رِوَايةَ ماقلتُ ، أفتأذَن لى أن أكافئه بمدح أقوله فيه ؟ قال : آفعلى ؛ فقالت :

صـــــوت

ما لإبراهــيم فى العلـ * ـم بهذا الشأن ثانِى
إنمــا عُمْرُ أبى إسـ * ـحاقَ زينٌ للزمان
منــه يُجنَى ثمرُ اللّهـ * ـو وريحــانُ الجِنان
جنّة الدنيــا أبو إسـ * ـحاق فى كلّ مكان

قال : فأمر لهــا الرشيد بجائزة ، وأمر لى بعشرة آلاف درهم ، فوهبتُ لهــا شَـــطْرَها .

---

(١) تمترى دموعا : تستدرّها وتستخرجها . (٢) فى الأصول : «بديته» وهو تحريف .
(٣) الشبى : هو أبو زيد عمر بن شبة ، منسوب الى والده شبة ، وعمر بن شبة هو الذى تقدم فى الخبر . وفى الأصول : «الشعبى» ، وهو تحريف .

اللحن الذى صنعه إبراهيم فى شعر الأعرابيّة ثقيلٌ أوّل بالوسطى . وفيه لعلّويه ثانى ثقيــل . وأما الشعر الثانى فهو لآبن سيابَةَ لا يُشَــكّ فيه . ولإبراهيم فيه لحن من خفيف الثقيل :

٤٥ / ٥

غنى الرشيد وغناه غيره فأجازهـم ، وغناه علويه فغضب عليـــه

أخبرنى محمد بن مَزْيَد عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

كنت أخذتُ بالمدينة من مجنونٍ بها هذا الصوت، وغنّيتُه الرشيدَ وقلتُ :

صــــوت

همـا فتـاتانِ لمّـا(1) تعــرِفا(2) خُلُقِى * وبالشّـبابِ على شَيْبِى تُدِلّانِ(2)

رأيتُ عِرْسَىَّ لـمّا ضمّنى كِبَرِى * وشِخْتُ أزمعتَا صرمى وهجرانى

كلُّ الفَعالِ الذى يفعلْنَه حَسَنٌ * يُصْبِى فؤادى ويُبْدِى سِرّ أشجانى

بَلِ آحذَرا صَوْلةً من صَوْل شيخكما * مَهْلًا على الشيخ مَهْلًا يافتاتانِ

فطَــرِب وأمر لى بظَبْيــة(3) كانت مُلْقاة بين يديه ، فيهـا ألفُ دينار مسيَّفة(4) ؛ وكان آبن جامع حاضرا ، فقال : اسمع يا أمير المؤمنين غنــاء العقلاء ودع غناء المجانين، وكان أشدَّ خَلْقِ الله حسدًا، فغنّاه :

صــــوت

ولقــد قالت لأتراب لهـا * كالمَهَا يَلعَبْــن فى حُجْــرتِها

خُذْن عنّى الظِّلّ لا يَتْبَعُنى * ومَضَتْ(5) سَــعْيًا إلى قُبّتِها

(١) كذا فى ط ، ء . وفى سائر الأصول : « لم » ولا يستقيم بها الوزن . (٢) كذا فى ط ، ء . وفى سائر الأصول : « يعرفا » و « يدلان » بالياء المثناة من تحت ، ومرجع الضمير مؤنث . (٣) الظبْية : الجراب ، وقيل : الجراب الصغير خاصة . (٤) يقال : درهم مسيف اذا كانت جوانبه نقية من النقش . (٥) فى ط ، ء : « وعدت » .

فطَرِب وشَرِب، وأمر له بألف وخمسمائة دينـار . ثم تَبِعه محمـد بن حمزة وَجْهُ القَرْعة [فغنّى](١) :

صـــوت

يَمْشُـون فيهـا بكلّ سابغـةٍ * أُحكِم فيهـا القَتِيـرُ(٢) والحَـلَقُ

يُعـرَف إنصافُهم إذا شهِدوا * وصبْرُهم حين تَشْخَص الحَدَق

فاستحسنه وشرِب عليه، وأمر له بخمسمائة دينار . ثم غنّى علّويه :

صـــوت

يحْذَنَ دَيْنى بالنّهـار وأقتضى * دَيْنى إذا وَقَـذَ(٣) النُّعاسُ الرُّقَّدا

وأرَى الغَوَانىَ لا يُوَاصِلْنَ آمرأً * فقَدَ الشّبابَ وقد يَصِلن الأمْرَدَا

فدعا به الرشيد وقال له : ياعاضّ بظْرِ أُمّه ! أتغنّى فى مدح المُرْد وذمّ الشّيب وسِتارتى منصوبة وقد شِبْتُ وكأنك تعرّض بى ! ثم دعا مسرورًا فأمره أن يأخذ بيده فيضربَه ثلاثين دِرّة ويُخرِجَه من مجلسـه ، ففعـل ؛ وما آنتفعنا به بقيّـة يومنا ولا آنتفع بنفسه، وجفا علّويه شهرا، ثم سألناه فيه فأذِن له(٤) .

[قال أبو الفرج](٥) : لإبراهيم أخبار مع خُنْث المعروفة بذات الخال، وكان يهواها، جعلتُها فى موضع آخر من هـذا الكتاب(٦) ؛ لأنها منفردة بذاتها مسـتغنية عن إدخالها فى غِمار أخباره . وله فى هذه الجارية شعر كثير فيه غناء له ولغيره ؛ وقد شرَطْتُ أن

(١) زيادة عن ط ، ء . (٢) القتير : رءوس المسامير فى الدرع . (٣) وقذه النعاس : أسقطه وغلبه . (٤) فى الأصول هنا ، ما عدا ط ، ء ، بعد هذا الكلام هذه العبارة : « نسبـة ما فى هـذا الخبر من الأغانى لم يذكرها » ، ولعلها زيدت سهوا من النساخ ، اذ لا معنى لها فى سياق الكلام . (٥) زيادة عن ط ، ء . وفى باقى الأصول : «ولابراهيم» بزيادة الواو .

(٦) هذا الموضع يقع فى الجزء الخامس عشر طبع بولاق ص ٧٩ — ٨٥

الشىء من أخبار الشعراء [و] المغنّين إذا كانت هذه سبيلَه أُفرِده ، لئلا يقطع بين القرائن والنظائر ممـا تُضاف إليه وتدخل فيه .

شعره ومرضه وزيارة الرشيد له وموته

أخبرنى محمد بن يحيى الصُّولىّ قال حدّثنى الحسين بن يحيى قال :

٤٦/٥ سمعتُ إسحاقَ الموصلىّ يقول : لمّـا دخلتْ سنة ثمان وثمانين ومائة اشتدّ أمر القُولَنْج على أبى ولزِمه ، وكان يعتاده أحيانا ، فقعـد عن[1] خدمة الخليفة وعن نَوْبته فى داره؛ فقال فى ذلك :

صـــــوت

مَـلّ والله طبيـــبى * من[2] مُقاساة الذى بى

سوف أُنْعَى عن قريب * لعـــدوٍّ وحبـــيب

وغنّى فيه لحنًا من الرَّمَل، فكان آخِرَ شعرٍ قاله وآخِرَ لحنٍ صنعه .

أخبرنى الصُّولىّ عن محمد بن موسى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه :

أن الرشيد ركب حمارا ودخل إلى إبراهيم يعوده وهو فى الأَبْزَن جالس، فقال له : كيف أنت يا إبراهيم ؟ فقال : أنا والله ياسيّدى كما قال الشاعر :

سَـقيمٌ مَلّ منه أقربوه * وأسْلَمه المُداوِى والحميمُ

فقال الرشيد : إنّا لله! وخرج، فلم يَبْعُدْ حتى سمِـع الواعيةَ[3] عليه .

---

(١) كذا فى أكثر النسخ . وفى ب ، سـ : « فقعد فى الأبزن عن خدمة ... الخ » .

(٢) كذا فى ط ، ء . وفى سائر الأصول : «عن» . (٣) كذا فى ط ، ء ، حـ . والواعية : الصراخ على الميت . وفى سائر الأصول : «الناعية» .

أمر الرشيد ابنه المأمون أن يصلى عليه مع آخرين

أخبرنى إسماعيل بن يونس قال حدّثنى عمر بن شبّة قال :

مات إبراهيم الموصلىّ سنة ثمانٍ وثمانين ومائة، ومات فى ذلك اليوم الكِسَائى النحوىّ والعباس بن الأحنف الشاعر وهُشَيمة الخَمّارة(١)، فرُفع ذلك إلى الرشيد، فأمر المأمونَ أن يصلّىَ عليهم، فخرج فصُفُّوا بين يديه؛ فقال: مَنْ هـذا الأوّل ؟ قيل: إبراهيم؛ فقال : أخِّروه وقدّموا العبّاس بن الأحنف، فقُدّم فصَلّى عليهم؛ فلما فرغ وآنصرف، دنا منه هاشم بن عبد الله بن مالك الخُزاعىّ فقال: ياسيّدى، كيف آثرتَ العبّاسَ بالتّقدمة على من حضر ؟ قال : لقوله :

وسعَى بها ناسٌ فقالوا إنّها * لهى التى تَشْقَى بها وتُكابِدُ(٢)

فجحدتُهم ليكونَ غيرَكِ ظنُّهم(٣) * إنّى لَيُعجِبنى المحبّ الجاحد

ثم قال : أتحفظها ؟ قلت نعم ؛ فقال : أنشدنى باقيَها؛ فأنشدتُه :

لمّا رأيتُ الليلَ سدّ طَريقَه * عنّى وعذّبنى الظـلام الراكد

والنّجم فى كَبِـد السماء كأنه * أعمى تحـيّر ما لديـه قائد

ناديتُ مَنْ طَرَد الرُّقادَ بصدّه * عمّـا(٤) أُعالج وهـو خِلوٌ هاجد

ياذا الذى صدَع الفؤادَ بهجره * أنت البَلاءُ طريفُه والتّـالد

ألقيتَ بين جفون عينى حُرْقةً * فإلى متى أنا ساهرٌ يا راقـد

---

(١) هكذا وردت مضبوطة فى ط (بضم الهاء وفتح الشين)، وهى : آمرأة كانت تبيع الخمر، وكانت جارة لإسحاق الموصلى ، وقد رثاها بأبيات يرميها فيها بالقيادة . (انظر ترجمة إسحاق الموصلى فيا سيأتى من هذا الجزء) . (٢) فى ط ، ء : «وتجاهد» . (٣) فى ط ، ء : «همهم» .
(٤) كذا فى ط ، ء وديوانه . وفى سائر الأصول : «عمن» .

فقال المأمون : أليس من قال هذا الشعر حقيقا بالتقدمة ؟ فقلتُ : بلى والله يا سيِّدى .

ذهاب برصوما الزامر مع ابنه إسحاق الى المجلس الذى كان يجلس فيه وبكاؤه عليه

أخبرنى يحيى بن علىّ بن يحيى قال قال حدّثنى حمّاد بن إسحاق قال حدّثنى أبى قال :

قال لى بَرْصُوما الزامر : أمّا فى حقّى وخدمتى وميلى إليكم وشكرى لكم ما أَستوجِبُ به أن تَهَبَ لى يوما من عُمْرك تَفعل فيه ما أُريد ولا تخالفنى فى شىء ؟ فقلتُ : بلى ووعدتُه بيوم ؛ فأتانى فقال : مُرْ لى بخِلْعة ، ففعلتُ وجعلتُ فيها جبّةَ وَشْى ؛ فلبِسها ظاهرةً وقال : امضِ بنا إلى المجلس الذى كنتُ آتى أباك فيه ؛ فمضينا جميعا إليه وقد خَلَقتُه وطيّبتُه ؛ فلما صار على باب المجلس رمى بنفسه إلى الأرض فتمرّغ فى التّراب وبكى وأخرج نايه وجعل ينوح فى زَمْره ويدور فى المجلس ويقبّل المواضع التى كان أبو إسحاق يجلس فيها ويبكى ويَزْمُر حتّى قضى من ذلك وَطَرا ، ثم ضرب بيده إلى ثيابه فشقّها(١) ، وجعلت أُسَكِّتُه وأبكى معه ، فما سكن إلا بعد حين ؛ ثم دعا بثيابه فلبِسها وقال : إنما سألتك أن تخلع علىّ لئلا يقال : إن برصوما إنما خرّق ثيابه ليُخْلَع(٢) عليه ما هو خير منها ؛ ثم قال : امضِ بنا إلى منزلك فقد اشتفَيْتُ مما أردت ؛ فعُدت إلى منزلى وأقام عندى يومه ، وانصرف بخلعة مجدّدة .

٤٧/٥

المراثى التى قيلت فيه

أخبرنى إسماعيل بن يونس قال حدّثنى عمر بن شبّة قال حدّثنى القاسم بن يزيد(٣) قال :

---

(١) كذا فى ط ، ء . وفى سائر الأصول : « يشقها » . (٢) كذا فى ط ، ء . وفى سائر الأصول : « ليخلع عليه هو خيرا منها » . (٣) فى ط ، ء : « القاسم بن يزيد الموصلى » .

لمّا مات إبراهيم الموصلىّ دخلت على إبراهيم بن المهدىّ وهو يشرب وجواريه يُغنِّين، فذكرنا[1] إبراهيمَ الموصلىّ وحذقه وتقدّمه، فأفضْنا فى ذلك وإبراهيمُ مُطْرِق، فلمّا طال كلامنا وقال كلّ واحد منا مثلَ ما قاله صاحبه، اندفع إبراهيم بن المهدىّ يُغَنِّى فى شعر لابن سيابة[3] يرثى [به][2] إبراهيمَ — ويقال: إن الأبيات لأبى الأسد —:

تولّى الموصلىُّ فقد تولّتْ * بشاشاتُ المَزَاهِرِ والقِيانِ
وأىُّ بشاشةٍ بَقِيَتْ فتبقَى * حياةُ الموصلى على الزمانِ
ستَبْكيه المَزَاهِرُ[4] والمَلَاهى * وتُسْعِدُهنّ عاتقةُ الدّنانِ
وتَبْكيه الغَوِيّةُ إذ تولّى * ولا تبكيه تاليةُ القُرانِ[5]

قال: فأَبْكَى مَن حضر، وقلت أنا فى نفسى: أفتَراه هو إذا مات من يبكيه: ألمحرابُ أم المصحفُ؟! قال: وكان كالشامت بموته.

أخبرنى يحيى بن علىّ قال قال أنشدنى حمّاد قال: أنشدنى أبى لنفسه يرثى أباه، وأنشدها غير يحيى وفيها زيادة على روايته،:

أقولُ لـه لـمّا وقفتُ بقبره * عليك سلامُ الله يا صاحبَ القبرِ
أيا قبرَ إبراهيم حُيِّيتَ حُفْرةً * ولا زِلتَ تُسْقَى الغيثَ من سَبَلِ[6] القَطْرِ

(١) كذا فى ط، ى. وفى سائر الأصول: «فذكرن». (٢) زيادة عن ط، ى.
(٣) كذا فى ط، ى. وهو نباتة بن عبد الله الحمانى، من شعراء الدولة العباسية، وقد أورد له أبوالفرج ترجمة فى (ج ١٢ ص ١٧٤ طبع بولاق)، وقد ذكرت فى ترجمته هذه الأبيات يرثى بها ابراهيم الموصلى. وفى سائر الأصول: «الأسل» باللام، وهو تحريف. (٤) فى سـ: «المزامر» بالميم.
(٥) القران: القرآن. (٦) السبل (بالتحريك): ما سال من المطر.

لقد عزّنى(1) وَجْدى عليكَ فلم يَدَعْ * لقلبى نصيبًا من عَزاء ولا صبر
وقد كنتُ أبكى من فِراقك ليلةً * فكيف وقد صار الفِراقُ إلى الحشر

أخبرنى أحمد بن محمد بن إسماعيل [بن إبراهيم](2) الموصلىّ الملقب بوَسْوَاسَة(3) قال: أنشدنى حمّاد لأبيه إسحاق يرثى أباه إبراهيم الموصلىّ:

سلامٌ على القبر الذى لا يُجيبنا * ونحن نُحيّى تُرْبَه ونخاطبُهْ
سَتَبْكيه أشرافُ الملوك إذا رأَوْا * مَحَلّ التّصابى قد خلا منه جانبُهْ
ويَبكيه أهلُ الظَّرْف طُرًّا كما بكى * عليه أمير المؤمنين وحاجبُهْ
ولمّا بدا لى اليأسُ منه وأَنْزَفَتْ(4) * عيونٌ بواكيه ومَلّتْ نوادبُهْ
وصار شفاءُ النفس(5) من بعض ما بها * إفاضةَ دمع تَسْتَهِلّ سواكبُهْ
جعلتُ على عينىّ للصبح عَبرةً * ولليل أخرى ما بدتْ لى كواكبُهْ

قال: وأنشدنى أيضا حمّاد لأبيه يرثى أباه:

عليك سلامُ الله من قبرِ فاجع * وجادك من نَوْء السّماكين وابلُ(6)
هَلَ انتَ مُحَيٍّ القبرِ أم أنت سائل * وكيف تُحَيّا تُربةٌ وجَنادل
٤٨/٥
أَظَلُّ كأنى لم تُصبنى مصيبةٌ * وفى الصّدر من وَجْدٍ عليك بلابل
وهَوّن عندى فَقْدَه أنّ شخصه * على كلّ حال بين عينىّ ماثل

أخبرنا يحيى بن علىّ قال حدّثنى أبو أيوب المَدينىّ قال أنشدنى إبراهيم بن علىّ ابن هِشام لرجل يرثى إبراهيم الموصلىّ:

---

(1) عزه الوجد: غلبه. (2) زيادة عن ط، ء. (3) فى الأصول: «وسواسة» ولقب تتعدّى بالباء. (4) أنزفت العين: فنى ماؤها، و يقال أنزف الرجل البئر اذا استخرج ماءها كله، فهو لازم متعد. (5) كذا فى ط، ء. وفى باقى الأصول: «شفاء الناس». (6) وردت هذه الأبيات فى ط، ء بزيادة هاء للوصل على رويها وورد فيها الشطر الأخير من البيت الثانى هكذا: «وكيف يحيا تربه وجنادله».

أصبح اللهو تحت عَفْر الترابِ * ثاوِيًا فى مَحَلّة الأحبابِ
إذ ثوى الموصلىّ فانقرض اللّهـ * ـو بخير الإخوان والأصحاب
بكت المُسْمِعاتُ حُزْنًا عليه * وبكاه الهوى وصَفْوُ الشراب
وبكتْ آلةُ المجالس حتى * رحِم العودُ دمعةَ المِضراب (١)

ذكره ابنه اسحاق عند الرشيد وبكى فلاطفه ووصله

أخبرنى محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حمّاد عن أبيه قال :

دخلتُ إلى الرشيد بعَقِب (٢) وفاة أبى ، وذلك بعد شهر من يوم وفاته ، فلمّا جلستُ ورأيت موضعه الذى كان يجلس فيه خاليًا دَمَعَتْ عينى ، فكفَفْتُها وتصبّرتُ ؛ ولحَنى الرشيد فدعانى اليه وأدنانى منه ، فقبّلتُ يدَه ورجلَه والأرض بين يديه ؛ فاستعبر ، وكان رقيقا ؛ فوثبت قائما ثم قلت :

فى بقاء الخليفة الميمونِ * خَلَفٌ من مُصيبة المحزونِ
لا يَضير المصابَ رُزْءٌ إذا ما * كان ذا مَفْزَعٍ الى هارون

فقال لى : كذاك والله هو ، ولن تَفْقِد من أبيك ما دمتُ حيًّا إلا شخصَه ؛ وأمر بإضافة (٣) رزقه الى رزقى ؛ فقلت : بل يأمر أميرُ المؤمنين به الى ولده ، ففى خدمتى إياه ما يُغْنِينى ؛ فقال : اجعلوا رزق إبراهيم لولده وأَضْعِفوا رزق إسحاق .

(١) فى ط ، ى : « دمعة المحراب » . ومن معانى المحراب صدر البيت وأكرم موضع فيه .
(٢) كذا فى ط ، ى . وفى سائر الأصول : «بعقيب» . والعقيب : المعاقب ، ويستقيم الكلام به على تقدير محذوف ، أى بوقت عقيب وقت وفاة أبيه ، أو على أن يكون مصغرا .
(٣) فى ط ، ى : « بإفاضة » .

صـــوت

من المـائة المختـارة

أحد الأصوات من المائة المختارة

يادارَ سُـعْدى بالِجزْع[1] من مَلَلِ[2] * حُيِّيتِ من دِمْنَـةٍ[3] ومن طَلَلِ
إنّى اذا ما البخيـلُ أمَّنهـا * باتت ضَمُـوزًا[4] مـنّى على وَجَلِ[5]
لا أُمتِـع العُوذَ بالفِصـال ولا * أبتـاع إلا قَرِيبـةَ الأجلِ

العوذ: الإبل التى قد نُتِجتْ، واحدتها عائذ . يقول : أنحرُها وأولادَها للأضياف فلا أُمتِعها . والضَّمُوز : الممسكة عن أن تجترّ . ضمَز الجملُ بجرّته إذا أمسك عنها، ودسع[6] بها إذا استعملها . يقول : فهذه الناقة من شـدة خوفها على نفسها مما رأت من نَحْر نظائرها قد آمتنعتْ من جِرّتها فهى ضامِزَةٌ .

الشعر لأبن هَرْمة . والغنـاء فى اللحن المختـار لَمرْزوق الصراف[7] ثقيـلٌ أوّلُ بإطلاق الوتر فى مجـرى البنصر عن إسحاق، ويقال إنه ليحيى بن واصِـل . وذكر عمرو بن بَانةَ أنّ فيه لدَحْمانَ لحنًا من الثقيل الأوّل بالبنصر، [وأن فيه لأبن مُحْرز لحنا من

---

(١) الجزع (بالكسر و يفتح) : منعطف الوادى ووسطه أو منقطعه . وفى ط ، ى : «ذا الخيف» وهو ما انحدر عن غلظ الجبل وآرتفع عن مسيل المـاء . (٢) ملل (بالتحريك) : منزل على طريق المدينة الى مكة بينه وبين المدينة ثمانية وعشرون ميلا . (٣) فى ب : «دجنة» بالجيم، وهو تحريف . (٤) كذا فى ط ، ى . وفى سائر الأصول : «بانت ضمورا» وهو تصحيف . (٥) ورد هذا البيت والذى بعده فى الأمالى (ج ٣ ص ١١٠ طبع دار الكتب المصرية) بتقديم الذى بعده عليه، وهو الأنسب ليرجع الضمير فيه الى مذكور . وفى تفسير المؤلف للبيتين ما يشعر بهذا الترتيب .
(٦) كذا فى ط ، ى . ودسع الرجل : قاء ملء الفم . وفى ب ، سـ : «رسغ» (بالراء والغين المعجمة) . وفى سائر الأصول : «رسع» بالراء والعين المهملة، وكلاهما تحريف .
(٧) كذا فى ط ، ى ، أ هنا وفيما سبق فى جميع الأصول فى الجزء الرابع فى آخر ترجمة فليح بن أبى العوراء . وفى سائر الأصول هنا : «لمرزوق الضراب» .

الثقيل الثانى بالبنصر[(١)] فى الثالث ثم الثانى، ووافقه آبن المكىّ. قال: وفيه لدَحْمَانَ خفيفُ رَمَلٍ بالوسطى فى الأول والثالث؛ وذكر الهِشَامىّ أنّ هذا اللحن بعينه ليونس وأن الثقيل الثانى لإبراهيم، وأنّ لَمعْبد فيه لحنا من الثقيل الأوّل بالوسطى، وأن فيه للهُذَلىّ خفيفَ ثقيل، وأن فيه رَمَلًا ينسب إلى آبن مُحْرِز [أيضا](١).

٤٩/٥

شىء من ذكر آبن هَرْمة أيضا

طلب يحيى بن عروة من ابنة ابن هرمة زادا فردّته فذكرها بقول أبيها

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَلَاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثنا عبد الرحمن ابن عبد الله بن عبد العزيز الزُّهْرِىّ ونَوفل بن مَيْمون عن يحيى بن عُرْوة بن أُذَينة قال:

خرجتُ فى حاجة لى، فلمّا كنت بالسَّيَالة(٢) وقفت على منزل إبراهيم بن علىّ بن هَرْمة، فصِحْتُ: يا أبا إسحاق، فأجابتنى آبنتُه: من هذا؟ فقلت: آنظُرى، فخرجتْ إلىّ فقلت: أَعلمِى أبا إسحاق؛ فقالت: خرج والله آنفا؛ قال: فقلت: هل من قِرًى؟ فإنى مُقْوٍ(٣) من الزاد؛ قالت: لا والله، ما صادفتَه حاضرا؛ قلت: فأين قولُ أبيك:

لا أُمْتِع العُوذَ بالفِصَال ولا * أبتاع إلا قريبةَ الأجلِ

قالت: بذاك(٤) والله أفناها ــ أخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن أيّوب ابن عَبَايَةَ بمثل هذا الخبر سواء، وزاد فيه: ــ قال: فأخبرت إبراهيم بن هَرْمة بقولها، فضمّها إليه وقال: بأبى أنت وأمى! أنت والله ابنتى حقا، الدارُ والمَزْرعةُ لك.

---

(١) زيادة عن ط، ء. (٢) السيالة (بفتح أوّله وتخفيف ثانيه): أوّل مرحلة لأهل المدينة اذا أرادوا مكة. (٣) أقوى القوم: فنى زادهم. (٤) فى ط، ء، ح: «فذاك».

ذكر بشعر له فى الكرم فأنهب غنمه الناس وكان بخيلا

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثنى نَوْفل بن ميمون قال حدّثنى مُرَقِّع(١) قال :

كنت مع ٱبن هَرْمة فى سَقيفة أمّ أُذَيْنَة(٢)، فجاءه راعٍ بقطعة(٣) من غنم يشاوره فيما يبيع منها، وكان قد أمره ببيع بعضها؛ قال مُرَقِّع : فقلت : يا أبا إسحاق، أين عزَب عنك قولك :

لا غنمى مُدّ فى الحياة لها * إلا لدَرْك(٤) القِرَى ولا إبلى

وقولُك فيها أيضا :

لا أُمتِع العُوذَ بالفصال ولا * ولا أبتاع إلا قَرِيبةَ الأجلِ

فقال لى : مالك أخزاك الله ! من أخذ منها شيئا فهو له ؛ فٱنتهبناها(٥) حتى وقف الراعى وما معه منها شيء .

وحدّثنا بهذا الخبر أحمد بن عُبَيد الله بن عَمّار قال حدّثنى علىّ بن محمد النَّوْفلىّ عن أبيه :

أن ٱبن هَرْمة كان اشترى غنما للربح(٦)، فلقيه رجل فقال له : ألست القائل :

لا غنمى مُدّ فى الحياة لها * إلا لدَرْك القِرى ولا إبلى

قال : نعم ؛ قال : فوالله إنى لأحسبك تدفع عن هذه الغنم المكروهَ بنفسك ، وإنك لكاذب؛ فأحفظه [ذلك](٧) فصاح : من أخذ منها شيئا فهو له ؛ فٱنتهبها الناس جميعا، وكان ابنُ هَرْمة أحدَ البخلاء .

(١) فى ط ، ى : « موقع » بالواو . (٢) كذا فى ط ، ى . وفى سائر الأصول : «سفينة ابن أذينة» . (٣) كذا فى ط ، ى . وفى سائر الأصول : «بقطيعة» ، وهو تحريف (٤) فى جـ ، ى : « إلا دراك » . (٥) كذا فى حـ . وفى ط ، ى : « فانتهبنا » . وفى سائر الأصول : «فانتهبناها له ...» . (٦) كذا فى حـ ، ط ، ى . وفى سائر الأصول : «للذبح» ، وهو تحريف . (٧) زيادة عن ط ، ى .

أوّل شعر قاله ابن هرمة

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَلاء قال حدّثنى الزُّبَير بن بكّار قال حدثنى نوفل ميمون قال حدّثنى زُفَر بن محمد الفِهْرى (١) : أن هذه القصيدة أولُ شعر قاله ٱبن هرمة .

سمع مزبد بيتا له فى الفخر فتهكم به

أخبرنا محمد بن خَلَف وَكِيع قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق قال قرأت على أبى : حدّثنا عبد الله بن الوَليد الأَزْدِىّ قال حدّثنى جعفر بن محمد بن زيد بن علىّ بن الحسين (٢) قال :

سمع مزبد (٣) قول ٱبن هَرْمة :

لا أُمْتِع العُوذَ بالفِصال ولا * أبتاعُ إلّا قريبةَ الأَجَلِ

٥٠ / ٥

قال : صدَق ٱبن الخبيثة ، إنّما كان يَشترى الشاة للأُضْحَى فيَذْبحها من ساعته .

ذهب اليه قوم من قريش للعبث به فكان بينهم حوار ظريف

أخبرنا وَكِيع قال حدّثنا حَمّاد عن أبيه [عن عبد الله بن الوليد عن جعفر بن محمد بن زيد عن أبيه] (٤) قال :

اجتمع قوم من قريش أنا فيهم ، فأَحببْنا أن نأتى ٱبنَ هَرْمة فنعبَثَ به ، فتزوّدنا زادا كثيرا ثم أتيناه لنقيم عنده ، فلما ٱنتهينا اليه خرج إلينا فقال : ما جاء بكم؟ فقلنا : سمعنا شعرك فدعانا اليك لمـا سمعناك قلت :

---

(١) فى ط ، ى : « زفر بن الحارث الفهرى » . (٢) كذا فى ط ، ى وهو الموافق لما جاء فى كتاب المعارف لابن قتيبة (ص ١١١ طبع أوربا) . وفى سائر الأصول : «الحسن» . (٣) كذا فى ط ، ى ، وكتاب البخلاء للجاحظ (ص ٩ طبع أوربا) وعيون الأخبار طبع دار الكتب المصرية (انظر مقدّمته ص م حاشية رقم ٣) . وفى شرح القاموس (مادة زبد) : مزبد كمحدث اسم رجل صاحب النوادر ، وضبط كمعظم ، ووجد بخط الذهبى ساكن الزاى مكسور العين . (باختصار) . وفى سائر الأصول : «مزيد» بالياء المثناة التحتية ، وهو تصحيف . (٤) التكملة عن ط ، ى .

إنّ آمرأً جعل الطريقَ لبيته * طُنُبًا(١) وأنكَر حقّه لَلئيم

وسمعناك تقول :

وإذا تنوّر طارقٌ مُسْتَنبِحٌ(٢) * نَبَحَتْ فدلّته على كلابِى

وعَوَينَ يَستعجِلْنه فلقِينَه * يَضربْنه بشَرَاشِرِ(٣) الأذناب

وسمعناك تقول :

كم ناقةٍ قد وجأْتُ(٤) مَنْحَرها * بمُستَهَلّ الشُّؤْبوب أو جَمَلِ

لا أُمتع العُوذَ بالفِصال ولا * أبتاع إلّا قريبة الأَجَل

قال : فنَظَر إلينا طويلًا ثم قال : ما على وجه الأرض عصابةٌ أَضعفُ عقولًا ولا أسخفُ دِينًا منكم ؛ فقلنا له : يا عدوّ الله يا دعىّ ، أتيناك زائرين [و](٥) تُسْمِعُنا هذا الكلام ! ؛ فقال : أمّا سمعتم الله تعالى يقول للشعراء : ﴿وأنّهم يقولون ما لا يفعلون﴾ أفيُخْبِرُكم الله أنّى أقول ما لا أفعلُ وتريدون منّى أن أفعلَ ما أقول ! ؛ [قال](٥) فضحِكنا منه وأخرجناه معنا ، فأقام عندنا فى نزهتنا يَشْرَكُنا فى زادنا حتى آنصرفنا إلى المدينة .

إعجاب الأصمعى به

أخبرنا عمّى قال حدّثنى محمّد بن سعيد الكُرَانىّ عن عبد الرحمن ابن أخى الأصمعىّ عن عمّه قال :

---

(١) الطنب (بضم النون وتسكينها) : حبل الخباء والسرادق ونحوهما ، وقد يستعار للطرف والناحية . فلعله يريد أنه أقام بيتــه على الطريق فكانت الطريق طرفا له . وفى الحديث : "ما بين طنبى المدينة أحوج منى اليها" أى ما بين طرفيها . وفى حـ : «ضرب الطريق...طرقا ...الخ» . (٢) فى ط ، ى : «راكب» . (٣) شراشر الأذناب : أطرافها . (٤) وجأه : ضربه بسكين ونحوه . (٥) زيادة عن ط ، ى .

الحَكَم الخُضْرىّ، وآبن مَيّادة، ورُؤْبة، وآبن هَرْمة، وطُفَيل الكِنانىّ، ومَكين العُذْرىّ، كانوا على ساقة[1] الشعراء، وتقدّمهم آبن هَرْمة بقوله :

لا أُمتع العُوذ بالفِصال ولا * أبتـاع إلّا قريبـةَ الأجل

قال عبد الرحمن : وكان عمّى مُعْجَبًا بهـذا البيت مُستحسِنًا له ، وكان كثـيرا ما يقول : أمَا تَرَوْن كيف قال ! والله لو قال هـذا حاتم لمـا زاد ولكان كثيرا ؛ ثم يقول : ما يؤخّره عن الفحول إلا قُرْبُ عهده . انتهى .

تفضيل مروان بن أبى حفصة له

أخبرنى محمد بن مَزْيد والحسين بن يحيى ووَكِيع عن حَمّاد عن أبيه قال : قلت لمروان بن أبى حَفْصة[2] : مَنْ أشعر المُحْدَثين من طبقتكم عندك؟ لا أَعْنيك؛ قال : الذى يقول :

لا أُمتع العوذ بالفصال ولا * أبتـاع إلا قريبـةَ الأجل

ناقض ابن الكوسج شعراله فتهدّد مواليه إن لم يأتوه به مربوطا

أخبرنا يحيى بن علىّ قال حدثنا أبو أيّوب المَدِينىّ عن أبى حُذافة قال : لمّـا قال آبن هَرْمة :

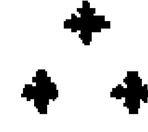
لا أُمتع العوذ بالفِصال ولا * أبتـاع إلا قريبـةَ الأجل

قال آبن الكَوْسَج مولى آل حُنَين يجيبه :

ما يشرب الباردَ القَراحَ ولا * يذبح من جَفْرةٍ[3] ولا حَمَـلِ[4]
كأنّه قِـرْدةٌ يلاعبهـا * قردٌ بأعلى الهِضاب من مَلَل

(١) الساقة : المؤخرة، يقال : فلان فى ساقة الجيش أى فى مؤخرته . (٢) كذا فى ط ، ى . وفى سائر الأصول : «مروان بن حفصة» ، وهو تحريف . (٣) الجفرة : من أولاد الشاء إذا عظم واستكرش، قال أبو عبيد : اذا بلغ ولد المعزى أربعة أشهر وجفر جنباه وفصل عن أمه وأخذ فى الرعى فهو : جفر، والأنثى جفرة . (٤) كذا فى ط ، ى ، حـ ، وهو الأنسب للعنى . وفى سائر الأصول : «جمل» بالجيم .

قال : فقال آبن هَرْمة : لئن لم أُوتَ به مربوطا لأفعلنّ بآل حُنَين ولأفعلنّ ؛ فوهبوا لآبن الكَوْسج مائة درهم وربطوه وأَتَوْا به آبن هَرْمة فأطلقه (١) ؛ فقال آبن الكوسج : والله لئن عاد لمثلها لأعودنّ (٢) . ٥١ / ٥



غنى ابن جامع الرشيد ما شغله به عن غيره فعلم إبراهيم مخارقا لحنا تفوّق به عليه

أخبرنى الحسن بن علىّ الخَفّاف قال حدّثنى هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال حدّثنى هارون بن مُخَارِق عن أبيه قال :

كُنّا عند الرشيد فى بعض أيامنا ومعنا آبن جامع ، فغنّاه آبن جامع ونحن يومئذ بالرَّقّة :

هاج شوقًا فِراقُكَ الأحبابا * فتناسيتَ أو نَسيتَ الرَّبابا
حين صاح الغرابُ بالبَيْن منهم * فتصامَمْتَ إذ سمعتَ الغُرابا
لو علمنا أنّ الفِراق وَشيكٌ * ما آنتهينا حتى نزورَ القِبابا
أو علمنا حين آستقلّتْ نَوَاهم * ما أقمنا حتّى نُزَمِّ (٣) الرِّكابا

ـ الغناء لآبن جامع رملٌ بإطلاق الوتر فى مجرى الوسطى عن إسحاق ، وله فيه أيضا ثقيلٌ أوّل بالوسطى عن عمرو . وذكرتْ دَنَانيرُ عن فُلَيح أنّ فيه لآبن سريج وآبن مُحْرِز لحنين ـ . قال : فآستحسنه الرشيد وأُعجب به وآستعاده مرارًا وشرب عليه أرطالا حتى سكر، وما سَمع غيرَه ولا أقبل على أحد، وأمر لآبن جامع بخمسة آلاف دينار؛ فلمّا آنصرفنا قال لى إبراهيم : لا تَرِمْ (٤) منزلَك حتى أصير إليك؛ فصرت

(١) عبارة ط ، ى : « فأطلقه وقال : والله لئن عاد الى مثلها لأعودنّ » . وهى تفيد أن المهدّد ابن هرمة لا ابن الكوسج، على خلاف ما يفيده باقى الأصول . (٢) الى هنا انتهى المؤلف من أخبار ابن هرمة وعاد الى ابراهيم الموصلى، ولهذا عنونا به هذه الصفحة وما بعدها الى أخبار إسحاق .
(٣) زم البعير : خطمه ووضع فيه الزمام . (٤) رام المكان يريمه : برحه، وأكثر مايستعمل منفيا .

إلى منزلى، فلم أُغَيِّر ثيابى حتى أعلمنى الغلام بموافاته ، فتلقيتُه فى دِهْليزى[1] ، فدخل وجلس وأجلسنى بين يديه ثم قال لى : يامُخَارِق، أنت فَسِيلةٌ[2] منّى وحَسَنى لك وقبيحى عليك، ومتى تركنا آبنَ جامع على ما ترى غَلَبَنا على الرّشيد، وقد صنعتُ صوتًا على طريقة صوته الذى غنّاه أحسنَ صنعةً منه وأجود وأشجى ، وإنما يَغلبنى عند هذا الرجل بصوته،ولا مَطْمَعَ على صوتك، وإذا أطربتَه وغلبتَه عليه بما تأخذه منى قام ذلك لى[3] مقام الظَّفَر؛ وسيُصبح أمير المؤمنين غدًا فيدخل الحمام ويحضُر ثم يخرج فيدعو بالطعام ويدعو بنا ويأمر آبنَ جامع فيردّ الصوت الذى غناه ويشرب عليه رِطلا ويأمر له بجائزة ، فاذا فعل فلا تنتظره أكثر من أن يردّ ردّته حتى تُغنّىَ ما أُعلّمك إياه الساعةَ ، فإنه يُقبل عليك ويَصِلك ، ولستُ أُبالى ألّا يصلنى بعد أن يكون إقبالُه عليك؛ فقلت : السمع والطاعة؛ فألقى علىّ لحنَه :

* يا دارَ سُعْدَى بالجِزْع من مَلَلِ *

وردّده حتى أخذتُه وآنصرف ، ثم بكّر علىّ فآستعاد الصوت فَرَدَدْتُه[4] حتى رَضِيَه ، ثم ركبنا وأنا أدرسه حتى صِرْنا إلى دار الرشيد ؛ فلمّا دخلنا فعل الرشيد جميع ما وصفه إبراهيم شيئا فشيئا ، وكان إبراهيم أعلمَ الناس به ، ثم أمر آبنَ جامع فردّ الصوت ودعا برِطل فشربه،ولما آستوفاه واستوفى آبن جامع صوتَه لم أَدَعْه يتنفّس حتى آندفعتُ فغنّيت صوتَ إبراهيم ، فلم يَزَلْ بُصغى إليه وهو باهتٌ حتى استوفيتُه؛

(١) الدهليز (بالكسر) : اسم الممر الذى بين باب الدار ووسطها ، فارسىّ معرّب . قال يحيى بن خالد : « ينبغى للانسان أن يتأنق فى دهليزه ، لأنه وجه الدار ، ومنزل الضيف ، وموقف الصديق حتّى يؤذن له ، وموضع المعلم ، ومقيل الخدم ، ومنتهى حدّ المستأذن » .

(٢) الفسيلة : النخلة الصغيرة تقلع من الأرض أو تقطع من الأم فتغترس .

(٣) كذا فى ط ، ى . وفى سائر الأصول : « قام ذلك منى » . (٤) فى م : «رددته» .

فشرب وقال: أحسنتَ والله! لمن هذا الصوت؟ فقلت: لإبراهيم؛ فلم يزل يستدنينى حتى صِرتُ قُدّامَ سريره، وجعل يستعيد الصّوت فأُعيده ويشرب [عليـه](١) رِطلا، فأمر لإبراهيم بجائزة سنيّة وأمر لى بمثلها؛ وجعل ٱبنُ جامع يَشْغَب ويقول: يجىء بالغناء فَيَدُسّه فى أَشْتاه الصّبيان! إن كان محسناً فليُغنّهِ هو، والرشـيد يقول [له](١): دع ذا عنك، فقد والله ٱستقاد منك وزاد عليك .

٥٢
٥

صـــوت

من المـائة المختـارة

تَوَلّى شـــبابُكَ إلا قليـــلَا * وحلّ المَشيبُ فصــبراً جميـلَا
كفى حَزَناً بفِـــراق الصِّـــبا * وإنْ أصبح الشَّيبُ منه بَديلا

الشعر والغناء لإسحاق . ولحنه المختار ثانى ثقيل بالوسطى فى مجراها عن إسحاق ابن عمرو .

---

(١) الزيادة عن ط ، ء .

أخبار إسحاقَ بنِ إبراهيم

نســب إسحاق الموصلى وكنيته

قد مضى نسبه مشروحًا فى نسب أبيه؛ ويُكْنَى أبا محمد، وكان الرشيد[(١)] يُولَع به فيَكْنيه أبا صَفْوان، وهذه كُنية أوقعها عليه إسحاق بن إبراهيم بن مُصْعب مَزْحًا .

منزلته فى العلوم وتقدير الخلفاء والناس له

وموضعُه من العِلم، ومكانُه من الأدب، ومَحَلّه من الرواية، وتقدُّمه فى الشعر، ومنزلته فى سائر المحاسن، أشهرُ من أن يُدَلّ عليه فيها بوصف؛ وأما الغناء فكان أصغرَ علومه وأدنى ما يُوسم به وإن كان الغالبَ عليه وعلى ما كان يُحسِنه؛ فإنه كان له فى سائر أدَوَاته نُظَراءُ وأكفاء ولم يكن له فى هذا نظير؛ فإنه لَحِق بمن مضى فيه وسبَق من بقِى، ولَحَبَ[(٢)] للناس جميعا طريقَه فأوضحها، وسهّل عليهم سبيلَه وأنارها؛ فهو إمامُ أهل صناعته جميعا، ورأسهم ومعلّمهم؛ يَعرِف ذلك منه الخاصّ والعامّ، ويشهد به الموافق والمفارق[(٣)]؛ على أنه كان أكرَهَ الناس للغناء وأشدَّهم بغضا لأن يُدعى إليه أو يُسمَّى به . وكان يقول : لَوَدِدْت أن أضرب، كلما أراد مريدٌ منى أن أغنّىَ وكلما قال قائل إسحاق الموصلى المغنِّى، عشرَ مَقارع، لا أُطيق أكثرَ من ذلك، وأُعْفَى من الغناء ولا ينسُبنى من يذكرنى إليه . وكان المأمون يقول : لولا ما سَبق على ألسنة الناس وشُهِر به عندهم من الغناء لولّيتُه القضاءَ بحضرتى، فإنه أولى به

(١) كذا فى جميع الأصول، والمعروف أن الرشيد لم يعاصر إسحاق بن ابراهيم بن مصعب فى بغداد، وأن إسحاق المصعبى وأهل بيته من أهل بوشنج من أعمال خراسان ولم يدخلوا بغداد إلا بعد دخول المأمون فيها، ومعلوم أيضا أن إسحاق المصعبى هو الذى أوقع هذه الكنية على إسحاق كما سيجىء فى شعر للموصلى بعث به اليه، والغالب أن فى الأصول تحريفا، والأجدر به أن يكون «المأمون» بدل «الرشيد» ليتسق التاريخ وتتلاءم الحوادث بعضها مع بعض (انظر التاج للجاحظ الحاشية رقم ١ ص ٣١ طبع المطبعة الأميرية).

(٢) لحب الطريق : سلكه وأوضحه، ويستعمل لازما فيقال : لحب الطريق اذا وضح . وفى ســـ : «ألحب» وهو بمعنى «لحب» المتعدّى . (٣) لعله «المرافق والمفارق» أى القريب والبعيد .

مشايخه الذين تلقى عنهم

وأعفّ وأصدق وأكثر دِيناً وأمانةً من هؤلاء القضاة . وقد روى الحديثَ ولقى أهلَه : مثل مالك بن أنس، وسفيان بن عُيَيْنة، وهُشَيم بن بَشِير[(١)]، وإبراهيم بن سَعْد[(٢)]، وأبى معاوية الضَّرير[(٣)]، ورَوْح بن عُبادة[(٤)]، وغيرهم من شيوخ العراق والحجاز . وكان مع كراهته الغناءَ أضنَّ خلق الله وأشدَّهم بُخلاً به على كل أحد حتى على جواريه وغِلْمانه ومن يأخذ عنه مُنتسبا إليه مُتعصِّبا له فضلا عن غيرهم . وهو الذى صحّح

هو الذى صحح أجناس الغناء بطبعه من غير أن يطلع على كتب القدماء

أجناس الغناء وطرائقَه وميّزه تمييزا لم يقدِر عليه أحد قبله ولا تعلّق به أحد بعده ، ولم يكن قديما مميَّزا على هذا الجنس، إنما كان يقال الثقيل ، وثقيل الثقيل ، والخفيف، وخفيف الخفيف. وهذا عمرو بن بانة ، وهو من تلاميذه، يقول فى كتابه : الرمل الأوّل، والرمل الثانى؛ ثم لا يزيد فى ذكر الأصابع على الوسطى والبنصر ، ولا يعرف المجارىَ التى ذكرها إسحاق فى كتابه ، مثلَ ما ميّز الأجناس ، بجعل الثقيل الأوّل أصنافا ، فبدأ فيه بإطلاق الوتر فى مجرى البنصر، ثم تلاه بما كان منه بالبنصر فى مجراها، ثم بما كان بالسّبابة فى مجرى البنصر، ثم فعل هذا بما كان منه بالوسطى على هذه المرتبة ؛ ثم جعل الثقيل الأوّل صنفين، الصنف الأوّل منهما هذا الذى ذكرناه، والصنف الثانى القَدْر الأوسط من الثقيل الأوّل، وأجراه المجرى الذى تقدّم من تمييز الأصابع والمجارى ، وألحق جميعَ الطرائق والأجناس بذلك وأجراها على هذا الترتيب . ثم لم يتعلّق بفهم ذلك أحدٌ بعده فضلا عن أن يُصنّفه فى كتابه؛ فقد ألف جماعةٌ من المغنّين كتبا، منهم يحيى المكىّ —

٥٣ / ٥

(١) هو هشيم بن بشير بن القاسم بن دينار السلمى ، يكنى أبا معاوية ، مات فى خلافة الرشيد سنة ١٨٣ ﻫ . (٢) هو إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى ويكنى أبا إسحاق ، وكان ثقة كثير الحديث وربما أخطأ فيه ، توفى ببغداد سنة ١٨٣ﻫ . (٣) اسمه محمد بن خازم مولى لبنى عمرو بن سعد ، وكان ثقة كثير الحديث يدلس ، توفى بالكوفة سنة ١٩٥ ﻫ .
(٤) هو روح بن عبادة القيسى من بنى قيس بن ثعلبة ويكنى أبا محمد وكان ثقة ، توفى سنة ٢٠٥ ﻫ .

وكان شيخَ الجماعة وأستاذهم ، وكلُّهم كان يفتقر إليه و يأخذ عنه غناء الحجاز، وله صنعةٌ كثيرة حسنة متقدّمة، وقد كان إبراهيم الموصلىّ وآبن جامع يضطران إلى الأخذ عنه — ألّف كتاباً جمع فيه الغناء القديم ، وألحق فيه آبنُه الغناءَ المُحدَث إلى آخر أيّامه ، فأتَيا فيه فى أمر الأصابع بتخليط عظيم، حتى جعلا أكثر ماجنّساه من ذلك مختلطا فاسدا ، وجعلا بعضه ، فيا زعما، تشترك الأصابع كلّها فيه ؛ وهذا محال ؛ ولو اشتركت الأصابع لَمَا احتيج إلى تمييز الأغانى وتصييرها مقسومةً على صِنْفين : الوسطى والبنصر . والكلام فى هذا طويل ليس موضعه هاهنا ؛ وقد ذكرته فى رسالة عملتُها لبعض إخوانى ممن سألنى شرحَ هذا ، فأثبتّه وآستقصيتُه استقصاءً يُستغنَى به عن غيره . وهذا كله فعله إسحاق واستخرجه بتمييزه، حتى أتى على كل ما رسمتْه الأوائلُ مثل إقليدس ومَنْ قبلَه ومَنْ بعده من أهل العلم بالموسيقى ، ووافقهم بطبعه وذهنه فيا قد أفنَوْا فيه الدهورَ، من غير أن يقرأ لهم كتابا أو يعرفه .

فأخبرنى جعفر بن قُدَامة قال حدّثنى علىّ بن يحيى المنجم قال :

كنت عند إسحاق بن إبراهيم بن مُصْعَب، فسأل إسحاقَ الموصلىّ — أوسأله محمد ابن الحسن بن مُصعب — بحضرتى، فقال له : يا أبا محمد ، أرأيتَ لو أنّ الناس جعلوا للعود وترًا خامسا للنّغمة الحادّة التى هى العاشرة على مذهبك، أين كنت تخرج منه؟ فبقى إسحاق واجماً ساعةً طويلةً مفكرًا، وآحمرت أُذُناه وكانتا عظيمتين، وكان إذا ورد عليه مثل هذا آحمرّتا وكثُر وَلُوعه بهما ؛ فقال لمحمد بن الحسن : الجواب فى هذا لايكون كلامًا إنما يكون بالضرب، فإن كنتَ تضرب أَريتُك أين تخرج! ؛ فخجِل وسكت عنه مُغْضَبا ، لأنه كان أميرا وقابله من الجواب بما لا يَحْسُن، فحلُم عنه . قال علىّ بن يحيى : فصار إلىّ به وقال لى : يا أبا الحسن، إنّ هذا

الرجل سألني عما سمعتَ، ولم يبلُغ علمُه أن يستنبط مثلَه بقريحته، وإنما هو شيء قرأه من كتب الأوائل، وقد بلغني أنّ التراجمة عندهم يترجمون لهم كتب الموسيقِى، فإذا خرج إليك منها شيء فأعطِنيه؛ فوعدته بذلك، ومات قبل أن يخرج إليه شيء منها. وإنما ذكرتُ هذا بتمام أخباره كلّها ومحاسنه وفضائله، لأنه من أعجب شيء يُؤْثَر عنه: أنه آستخرج بطبعه عِلمًا رسمتْه الأوائل لا يُوصَل إلى معرفته إلا بعد علم كتاب إقليدس الأوّل في الهندسة ثم ما بعده من الكتب الموضوعة في الموسيقِى، ثم تعلّم ذلك وتوصّل إليه وآستنبطه بقريحته، فوافق مارسمه أولئك، ولم يَشِذَّ عنه شيء يحتاج إليه منه، وهو لم يقرأه ولا له مدخلٌ إليه ولا عَرفه[1]، ثم تبيّنَ بعد هذا، بما أذكره من أخباره ومعجزاته في صناعته، فضلَه على أهلها كلِّهم وتميّزه عنهم، وكونَه سماءً هم أرضُها، وبحرًا هم جَدَاوله .

اسم أمه وجنسها

وأمّ إسحاق آمرأة من أهل الرّيّ يقال لها شاهك؛ وذكر قوم أنها دُوشَار التي كانت تُغنّي بالدّفّ، فهوِيَها إبراهيم وتزوّجها . وهذا خطأ، تلك لم تلد من إبراهيم إلا بنتا، وإسحاقُ وسائرُ ولد إبراهيم من شاهكَ هذه .

٥٤/٥

برنامج دراسته اليومي

أخبرني يحيي بن عليّ المنجم قال أخبرني أبي عن إسحاق قال :

بقيتُ دهرًا من دهري أُغلِّس في كلِّ يوم إلى هُشَيم فأسمع منه، ثم أصير إلى الكِسائيّ أو الفَرّاء أو آبن غَزَالة[2] فأقرأ عليه جزءا من القرآن، ثم آتي منصورَ

(١) كذا في ب، سـ . وفي سائر الأصول : « وهو لم يقرأه ولا المدخل اليه ... الخ » .

(٢) كذا في جميع الأصول . وقد جاء في شرح القاموس (مادة غزل) : « وعبد الواحد بن أحمد بن غزال مقرئ » .

زلزل[1] فيضارب بى طَرَقين[2] أو ثلاثة ، ثم آتى عاتكة[3] بنت شُهْدة فآخذ منها صوتا أو صوتين ، ثم آتى الأصمعىّ وأبا عُبَيدة فأُناشدهما وأُحدّثهما فأستفيد منهما ، ثم أصير إلى أبى فأُعلمه ما صنعتُ ومَنْ لَقِيت وما أخذتُ وأتغدّى معه ، فإذا كان العشاء رُحت إلى أمير المؤمنين الرشيد .

تعلم الضرب بالعود من زلزل

أخبرنا محمد بن مَزْيَد بن أبى الأَزْهر قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

أَخَذ منّى منصورٌ زلزل إلى أن تعلّمتُ مثْلَ ضربه بالعود أكثر من مائة ألف درهم .

جاء الى ابن عائشة فأكرمه

أخبرنا محمد بن العبّاس اليَزيدىّ قال حدّثنا أحمد بن أبى خَيْثَمة قال :

كنت عند ابن عائشة فجاءه أبو محمد إسحاق بن إبراهيم الموصلىّ ، فرحّب به وقال : هاهنا يا أبا محمد إلى جَنْبى ، فلئن بعُدَتْ بيننا الأنساب ، لقد قرُبتْ بيننا الآداب .

تقدير المأمون له

أخبرنى الحسن[4] بن علىّ الخَفّاف قال حدّثنا يَزيد بن محمد المهلّبىّ قال حدّثنا ابن شَبِيب[5] من جلساء المأمون عنه : أنه قال يوماً وإسحاق غائبٌ عن مجلسه : لولا

---

(١) كذا فى أكثر الأصول . وفى ب ، س : « ثم آتى منصورا زلزلا » . وإذا اجتمع علمان لمسمى واحد جازت الإضافة والإتباع على أن يكون الثانى بدلا أو عطف بيان . (٢) كذا فى أ ، م . والطرق (بالفتح) : صوت أو نغمة بالعود ونحوه ، يقال : تضرب هذه الجارية كذا طرقا . وفى ب ، س ، حـ : « طرفين » بالفاء ، وفى ء : « طريقين » ، وكلاهما تحريف .

(٣) عاتكة بنت شهدة : إحدى المغنيات المحسنات ، وأمها جارية الوليد بن يزيد وكانت مغنية أيضا . (انظر الكلام عليها فى الأغانى ج ٦ ص ٥٧ طبع بولاق) . (٤) فى الأصول هنا : «الحسين» ، وهو تحريف . (٥) فى حـ ، ء وهامش أ : «حدثنا من شئت من جلساء المأمون» .

ماسَبَق على ألسِنة الناس واشتهر به عندهم من الغناء لَوَلَّيتُه القضاء، فما أعرف مثلَه ثقةً وصدقًا وعفةً وفقهًا . هذا مع تحصيل المأمون وعقلِه ومعرفتِه .

سأل الفضل بن الربيع أن يوصى به سفيان بن عيينة فى رواية الحديث وتقدير سفيان له

أخبرنا يحيى بن على قال حدّثنا الفَضْل بن العبّاس الورّاق قال حدّثنا المُخَرِّمىّ(١) عن أبيه قال : سمعتُ إسحاق الموصلىّ يقول :

صِرتُ إلى سُفيان بن عُيَينة لأسمع منه، فتعذّر ذلك علىّ وصعُب مَرامُه، فرأيته عند الفضل بن الرّبيع، فسألتُه أن يعرّفه موضعى من عنايته ومكانى من الأدب والطلب وأن يتقدّم إليه بحديثى ؛ ففعل وأوصاه بى فقال : إنّ أبا محمد من أهل العلم وحَمَلَتِه . قال : فقلت : تَفرِضُ لى عليه ما يحدّثنى به ؛ فسأله فى ذلك ، ففرَض لى خمسةَ عشرَ حديثا فى كل مجلس؛ فصرت إليه فحدّثنى بما فرض لى ؛ فقلت له : أعزّك الله ، صحيح كما حدّثتنى به ؟ فقال : نعم ، وعقَد بيده شيئا ؛ قلت : أفأَرْويه عنك ؟ قال : نعم، وعقَد بيده شيئًا آخر، ثم قال : هذه خمسة وأربعون حديثًا، وضحك إلىّ وقال : قد سرّنى ما رأيتُ من تَقَصِّيك فى الحديث وتشدُّدك فيه على نفسك، فصِرْ إلىّ متى شئتَ حتى أحدّثك بما شئتَ .

تقدير أبى معاوية الضرير له

أخبرنى محمد بن يحيى الصُّولِىّ قال حدّثنى الحسين بن يحيى أبو الجُمَان وعَوْن ابن محمد الكِنْدىّ قالا : سمعنا إسحاق الموصلىّ يقول :

جئتُ يومًا إلى أبى معاوية الضّرير ومعى مائة حديث، فوجدتُ حاجبَه يومئذ رجلا ضريرا؛ فقال لى : إنّ أبا معاوية قد ولّانى اليوم حِجْبتَه لينفعنى؛ فقلت : معى مائةُ حديث وقد جعَلتُ لك مائة درهم إذا قرأتَها؛ فدخل واستأذن لى فدخلت؛

(١) المخرّمىّ : نسبة الى المخرّم (بضم الميم وفتح الخاء المعجمة وتشديد الراء مع الكسر) : محلة ببغداد .

فلمّا عرّفنى أبو معاوية دعاه فقال له : أخطأتَ، وإنما جعلت لك مثلَ هذا من ضعفاء أصحاب الحديث فأمّا أبو محمد وأمثاله فلا؛ ثم أقبل علىّ يُرَغّبنى فى الإحسان اليه ويذكر ضعفَه وعنايتَه به؛ فقلتُ له : آحتكِمْ فى أمره، فقال : مائة دينار؛ ٥٥/٥ فأمرتُ بإحضارها الغلامَ، وقرأتُ عليه ما أردت وآنصرفت .

كان يجرى على ابن الأعرابى ثلثمائة دينار فى كل سنة وإكبار ابن الأعرابىّ له

أخبرنى محمد بن يحيى الصُّولىّ قال حدّثنى علىّ بن محمد الأَسَدىّ قال حدّثنى أحمد بن يحيى الشَّيْبانى ثَعْلَب قال :

وقف أبوعبد الله بن الأعرابىّ على المَدَائنىّ، فقال له : إلى أين ياأبا عبد الله؟ فقال : أمضى إلى رجل هو كما قال الشاعر :

تَحِلُّ أشباحَنا إلى مَلِكٍ * نأخذُ من ماله ومن أدبهْ

فقال له : ومَنْ ذلك يا أبا عبد الله؟ قال : أبو محمد إسحاق بن إبراهيم الموصلىّ . قال أبو بكر : والبيت لأبى تمّام الطائىّ .

وقد أخبرنى بهذا الخبر عن ثَعْلَب محمد بن القاسم الأنبارىّ فقال فيه :

كان إسحاقُ يُجْرِى على آبن الأعرابىّ فى كلّ سنة ثلثمائة دينار، وأَهْدى له ابن الأعرابىّ شيئا من كتاب النوادر كتبه له بخطّه؛ فمرّ آبنُ الأعرابىّ يوما على باب دار الموصلىّ ومعه صديق له؛ فقال له صديقه : هذه دار صديقك أبى محمد إسحاق؛ فقال : هذه دارُ الذى نأخذ من ماله ومن أدبه .

رأى فى المنام جريرا يلقى كبة شعر فى فيه فأوّل ذلك بتوريثه الشعر

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا يزيد بن محمد المُهَلَّبىّ قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

رأيتُ فى منامى كأنّ جريرا جالس يُنشد شعرَه وأنا أسمع منه ، فلمّا فرَغ أخذ بيده كُبّة شَعر فألقاها فى فمى فآبتلعتها؛ فأوّلَ ذلك بعضُ من ذكرتُه له أنّه ورّثنى الشعرَ . قال يزيد بن محمد: وكذلك كان، لقد مات إسحاق وهو أشعر أهل زمانه .

تعلم الضرب بالعود من زلزل وأعطاه مالا كثيرا

أخبرنا يحيى بن علىّ بن يحيى ومحمد بن مَزْيد قالا[1] حدّثنا حمّاد بن إسحاق قال: قال لى أبى :

أعطيتُ منصورًا زَلْزَلًا من مالى خاصّة حتّى تعلمتُ ضَرْبَه بالعود نحوًا من مائة ألف درهم سوى ما أخذتُه له من الخلفاء ومن أبى . قال : وكانت فى زلزل قبل أن يعرف الصوتَ ويَفهَمَه بلادةٌ أوّلَ ما يسمعه، حتى لو ضَرَب هو وغلامه على صوت لم يعرفاه قبلُ لكان غلامه أقوى منه؛ فاذا تَفَهّمه جاء فيه من الضَّرْب بما لا يتعلّق به أحد البتّة .

ثناء أبى زياد الكلابى عليه حين أجاز بيتاله ارتجالا

أخبرنى محمد بن العبّاس اليَزيدىّ قال حدثنى عمّى الفضل عن إسحاق، [وأخبرنى به الأخْفَش عن الفضل عن إسحاق، وأخبرنى به يحيى بن علىّ بن يحيى عن أبيه عن إسحاق][2]، وأخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا يزيد بن محمد المُهلَّبىّ عن إسحاق قال :

قال لى أبو زِيَاد الكلابىّ : أَوْلم جارٌ لى يُكنى أبا سُفيان وليمةً ودعانى لها ، فانتظرتُ رسوله حتى تصرّم يومى فلم يأت، فقلت لامرأتى :

إنّ[3] أبا سفيان ليس بمُولِمٍ * فقومِى فهاتى فِلْقةً من حُوارِكِ[4]

قال إسحاق : فقلت له : أليس غيرُ هذا؟ فقال : لا، إنما أرسلتُه يتيما؛ فقلت : أفلا أُجيزه؟ قال : شأنَك؛ فقلت له :

فبيتُك خيرٌ من بيوتٍ كثيرةٍ * وقِدْرُكِ خيرٌ من وَليمة جارِكِ

(١) كذا فى ح . وفى سائر الأصول : «قال» وهو تحريف . (٢) هذه الزيادة ساقطة من ب ، س . (٣) فى ب ، س : «وإن» . وظاهر من سياق الكلام أن البيت لم يتقدّمه شعر . (٤) كذا فيما سيأتى فى الأصول . والفلقة : القطعة . والحوار (بالضم وقد يكسر) : ولد الناقة من حين يوضع الى أن يفطم ويفصل . وفى الأصول هنا : «قفرة من حوارك» ، وهو تحريف .

قال : فضحك ثم قال : أحسنتَ بأبى أنت وأمى، جئتَ والله به قَبَـلًا[١] ما انتظرتَ به القَـرَبَ، وما ألْوم الخليفةَ أن يجعلك فى سُمّـاره ويتملّح بك، وإنك لمن طِـراز ما رأيتُ بالعراق مثلَه، ولو كان الشباب يُشترَى لا ابتعتُه لك بإحدى عينىّ ويُمْنَى يدىّ، وعلى أن فيك بحمد الله ومَنّه بقيّةً تسرّ الوَدود، وتُرْغِم الحسود . هذا لفظ يزيد المُهلّبىّ والأخفش . وأخبرنى بهذا الخبر محمد بن عبد الله بن عَمّار فقال حدّثنى عمر ابن شَبّة قال حدّثنى إسحاق قال قال لى إمّا شَدّاد بن عُقْبة وإما أبو مُجيب[٢] : ٥٦/٥

قالت امرأةُ القَتّال الكلابىّ له : هل لكَ فى فِلْقـة من حُوار نطبُخها لك ؟ فقال : لاوالله، نحن على وِيمة أبى سُفْيان ودَعْوته، وكان أبو سفيان رجلًا من الحىّ زُفَّت إليه امرأتُه تلك الليلةَ، فجعل يَنظر دُخانًا فلا يراه، فقال :

إنّ أبا سـفيانَ ليس بمُولِم * فقومى فهاتى فِلقةً من حُوارِكِ

ثم ذكر باقى الخبر على ما تقدّم من الذى قبله .

أنشد أعرابيا شعراله فمدحه

أخبرنا يحيى بن علىّ قال حدّثنى أبى قال حدّثنى إسحاق قال :

أنشدتُ أعرابيًّا فَهِمًا شِعرا لى، فقال : أقْفَرْتَ والله يا أبا محمد ؛ قلتُ : وما أقفرت؟ قال : رعيتَ قَفْرة لم تُرْعَ قبلك . (يريد : أبْدَعْتَ) .

(١) القبل (بالتحريك) : الارتجال أى التكلم بكلام لم يكن قد أعدّه ؛ يقال : تكلم قبلا فأجاد ؛ واقتبل الكلام والخطبة اقتبالا اذا ارتجلهما ولم يكن أعدّهما . والقبل أيضا : أن يورد الرجل إبله فيستقى على أفواهها ولم يكن هيأ لهـا قبل ذلك شيئا . والقرب (بالتحريك) : أن يكون بين القوم وبين المـاء ليلة أو عشية فيعجلون بإبلهم ويسوقونها اليـه سوقا شديدا . يريد أنه جاء به ارتجالا وعفو الخاطر من غير أن يتريث به ويكد سعيا فى طلبه . (٢) كذا فى حـ وكذلك صححه المرحوم الشنقيطى فى نسخته ؛ وهو أبو مجيب الربعى ؛ كما سيأتى ذكـره بعد قليـل فى أخبار إسحـاق . وقد جاء مضطربا فى سائر الأصول هنا .

دخل على المأمون وعقيد يغنيه فتبين خطأ في الغناء لم يتبينه أحد ممن حضر

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش وعمّي قالا حدّثنا محمد بن يزيد المبرّد قال حدّثني بعض أصحاب السلطان بمدينة السلام قال سمعتُ إسحاق الموصليّ يقول :

دخلتُ على المأمون يوماً وعَقيدٌ يغنّيه آرتجالا وغيرُه يضرب عليه ؛ فقال : يا إسحاق ، كيف تَسمع مغنّينا هذا ؟ فقلتُ : هل سأل أمير المؤمنين عن هذا غيرى؟ قال : نعم، سألت عمّى إبراهيمَ فوصفه وقرّظه وآستحسنه ؛ فقلتُ له : يا أمير المؤمنين — أدام الله سرورك ، وأطاب عيشك — إنّ الناس قد أكثروا في أمرى حتى نَسبتْنى فرقة إلى التَّزيُّد في علمى؛ فقال لى : فلا يمنعك ذلك من قول الحق إذا لَزِمك ؛ فقلت لعقيد : أُردُد هذا الصوت الذى غنّيتَه آنفا ، وتحفّظ فيه وضَرب ضاربُه عليه ؛ فقلت لإبراهيم بن المهدىّ : كيف رأيتَه ؟ فقال : ما رأيتُ شيئا يُكره ولا سمعتُه ؛ فأقبلتُ على عَقيد فقلت له حين آستوفاه : في أىّ طريقة هذا الصوتُ الذى غنّيتَه؟ قال: في الرَّمَل؛ فقلت للضارب: في أى طريقةٍ ضربتَ أنت ؟ قال : في الهَزَج الثقيل؛ فقلت : يا أمير المؤمنين، ما عسَيتُ أن أقول في صوت يغنّى مغنّيه رَمَلا ويضرب ضاربُه هَزَجا، وليس هو صحيحا في إيقاعه الذى ضرب عليه ! . قال . وتفهّمه إبراهيمُ بن المهدىّ بعدى ، فقال : صدَق يا أمير المؤمنين، الأمرُ فيه الآن بيّنٌ؛ فغاظنى، فقلت له : بأىِّ شيء بانَ الآن ما لم يكن بَيِّناً قبلُ ؟ أتُوهِم أنك استنبطتَ معرفة هذا ! وإنما قلتَه لمّا علمتَه من جهتى كما يقوله الغلمان العُجم وسائرمن حضر اتّباعا لى واقتداءً بقولى . فقال له المأمون : صدَق، فأمسك؛ وجعل يتعجّب من ذهاب ذلك على كل من حضر، وكنّانى في ذلك اليوم مرّتين .

إعجاب الأصمعى ببيتين له في الفخر

أخبرني أحمد بن جعفر جَحْظة قال حدّثني أبو عبد الله أحمد بن حَمْدون قال حدّثني أبى :

أنّ الأصمعىّ أنشد قول إسحاق يذكر ولاءه لخُزَيمة(١) بنِ خازم :

إذا كانتِ الأحرارُ أصلى ومَنْصِبى * ودافِـعَ ضَيْمى خازمٌ وابنُ خازمِ
عَطَستُ بأنفٍ شامخ وتنـاولتْ * يداىَ الثريّا قاعـدًا غـيرَ قائم

قال : فجعل الأصمعىّ يَعْجَب منهما ويستحسنهما ، وكان بعـد ذلك يذكرهما ويُفضّلهما .

سبب ولائه لخازم ابن خزيمة

قال ابن حَمْـدون : وكان السبب فى تولّى إسحاقَ خازمَ بنَ خُزَيمـة بن خازم ، أنّ مناظرةً جرت بينه وبين ابن جامع بحضرة الرشيد فتغالظا(٢) ، فقال له ابن جامع : يا من إذا قلتُ له يا بنَ زانية لم أخَفْ أن يكذّبنى أحد ، فمضى إلى خازم بنِ خزيمة ، فتولّاه وانتمى إليه ، فقبِل ذلك منه ، وقال هذين البيتين .

امتحنه المعتصم فى صوت فأجاب بأنه محدث لامرأة وكان لعريب

أخبرنى يحيى بن علىّ قال حدّثنى أبى قال : قال إسحاق : كانت عندى صَنّاجة(٣) كنت بها مُعْجَبا ، واشتهاها أبو إسحـاق المعتصم فى خلافة المأمون ، فبينا أنا ذاتَ يوم فى منزلى إذا ببابى يُدَقّ دقّا شديدا ، فقلت : انظروا من هذا ، قالوا : رسول أميرِ المؤمنين ، فقلت : ذهبتْ صَنّاجتى ، تجده ذَكَرها له ذاكر فبعث إلىّ فيها ، فلمّا مَضَى بى الرسول انتهيتُ إلى الباب وأنا مُثْخَن(٤) ، فدخلتُ فسلّمت ، فردّ السلام ، ونظر إلى تغـيّر وجهى فقال : اسكُن ، فسكنتُ ، وسألنى عن صـوت وقال : أتدرى لمن هو ؟ فقلت : أسْمَعُه ثم أُخْبر أميرَ المؤمنين إن شـاء الله بذلك ، فأمر

٥٧ / ٥

(١) هو خزيمة بن خازم بن خزيمة ، كان هو وأبوه من أشراف الدولة العباسية ، وقد ولى أبوه خراسان وعمان لأبى جعفر المنصور ، وكان هو من قوّاد الرشيد المبرزين الذين قاموا له بجلائل الأعمال (انظر كتاب المعارف لابن قتيبة ص ٢١٣ وتاريخ الطبرى قسم ٣ ص ٦٠٢ و ٦٤٨ و ٦٨٣ الخ) .

(٢) كذا فى ب . وتغالظا : تعاديا وتشاتما ، والمغالظة : شبه المعارضة ، يقال : مالك تغالظنى وتغالطنى ، وتعارضنى وتغايظنى . وفى سائر الأصول : « تغالطا » بالطاء المهملة ، والمغالطة : الإيقاع فى الغلط .

(٣) الصناجة : الضاربة بالصنج . والصنج (لفظ دخيل) : صفيحة مدورة تتخذ من صفر يضرب بها على أخرى مثلها للطرب .

(٤) مثخن : مهموم محزون ، يقال : أثخنه الهم اذا غلبه .

جاريةً من وراء الستارة فغنّته وضربتْ، فإذا هي قد شبّهتْه بالقديم ؛ فقلت : زِدْني معها عُودا آخر فإنه أثبتُ لى، فزادنى عودا آخر؛ فقلت : يا أمير المؤمنين، هذا الصوت مُحْدَث لامرأة ضاربة ؛ فقال : من أين قلت ذلك؟ فقلت : لمّا سمعته وسمعت لِينَه عرفتُ أنه من صَنْعة النساء؛ ولمّا رأيت جودة مَقاطعه علمت أن صاحبته ضاربة؛ فقال : من أين قلت ذلك ؟ فقلت : لأنها قد حَفِظتْ مقاطعه وأجزاءه ، ثم طلبتُ عودا آخر ليكون أثبتَ لى فلم أشكُكْ ؛ فقال : صدقتَ، الغناء لَعَريب .

امتحن بادخال لحن رومى فى شعر عربى وغنى فى درج أصوات ، فلما سمعه عرفه واستخرجه

نسخت من كتاب ابن أبى سعيد (١) : حدّثنى إسحاق بن إبراهيم الطّاهرِىّ (٢) قال: حدّثتْنى مُخارِقُ مولاتُنا قالت :

كان لمولاى الذى علّمنى الغناءَ فرّاش رُومىّ ، وكان يغنّى بالروميّة صوتا مليحَ اللحن ؛ فقال لى مولاى : يا مخارق، خذى هذا اللحنَ الرومىّ فانقُليه إلى شعر من أصواتك العربيّة حتى أمتحن به إسحاق الموصلىّ فأعلمَ أين يقع من معرفته، ففعلتُ ذلك ؛ وصار إليه إسحاق فاحتبسه مولاى ، فأقام وبعث إلىّ أن أدخِلى اللحنَ الرومىّ فى وسط غنائك ؛ فغنّيته إياه فى دَرْج أصوات مرّتْ قبله ، فأصغى إليه إسحاق ، وجعل يتفهّمه ويُقَسّمه ويتفقّد أوزانَه ومقاطعَه ويُوقِع عليه بيده، ثم أقبل على مولاى فقال: هذا صوت رومىّ اللحن، فمن أين وقع إليك ؟

(١) هو عبيد الله بن أبى سعيد الوراق ، وكان أخباريا نسابة راوية للشعر . وفى ب ، سـ : «ابن أبى سعد» ، وهو تحريف . (٢) كذا فى حـ (بالطاء المهملة)، وقد صححه كذلك الأستاذ الشنقيطى فى نسخته . وهو اسحاق بن إبراهيم بن مصعب حاكم بغداد فى أيام المأمون والمعتصم والواثق ، وهو من قرابة طاهر بن الحسين، واليه ينسب . وفى باقى الأصول هنا : « الظاهرى » بالظاء المعجمة ، وهو تصحيف . على أنه سيأتى فى الأصول جميعا أكثر من مرة "الطاهرى" بالمهملة كما فى حـ هنا .

فكان مولاى بعد ذلك يقول : ما رأيتُ شيئًا أحسن من استخراجِه لحنا روميًّا لا يعرفه ولا العلّة فيه ، وقد نُقل الى غناء عربىّ وامتزجتْ نَغَمُه حتى عرَفه ولم يَخْفَ عليه .

فضل فى مجلس الواثق زلزلا على ملاحظ فتحدّاه ملاحظ فأظهر هو براعة فائقة

أخبرنى عمّى (1) قال حدّثنى محمد بن موسى قال حدّثنى عبد الله بن عمرو عن محمد بن عبد الله بن مالك قال حدّثنى عَلّويه الأعسر، ووجدت هذا الخبر فى بعض الكتب عن علىّ بن محمد بن نصر الشامىّ عن جدّه حَمْدون بن إسماعيل قال :

تناظر المغنّون يومًا عند الواثق ، فذكروا الضُّرّاب وحِذْقَهم ، فقدّم إسحاقُ زَلْزَلًا على مُلاحِظ ، وللملاحِظ فى ذلك الرياسة على جميعهم؛ فقال له الواثق : هذا حَيْف وتَعَدٍّ منك؛ فقال إسحاق : يا أمير المؤمنين ، اجمع بينهما وامتحنْهما، فإن الأمر سينكشف لك فيهما ؛ فأمَر بهما فأُحضِرا؛ فقال له إسحاق : إن للضُّرّاب أصواتا معروفة ، أفأمتحنهما بشىء منها ؟ قال: أجلْ، افعلْ؛ فسمّى ثلاثة أصوات كان أوّلها :

* عُلِّق قلبى ظبيةَ السِّيب (2) *

فضربا عليه ، فتقدّم زَلْزَل وقصّر عنه ملاحظ؛ فعجِب الواثق من كَشْفه عما ادّعاه فى مجلس واحد . فقال له ملاحظ : فما بالُه يا أمير المؤمنين يُحيلك على الناس! ولِمَ لا يضرب هو! فقال: ياأمير المؤمنين، إنه لم يكن أحد فى زمانى أضربَ منى إلا أنكم أعفيتمونى ، فتفَلّتَ منّى ؛ وعلى أن معى بقيّةً لا يتعلّق بها أحد من

(1) تكرر هذا السند أكثر من مرة فى أخبار إسحاق ، وفيه عبد الله بن أبى سعد بدل عبد الله بن عمرو

(2) السيب (بكسر أوّله وسكون ثانيه) : كورة من سواد الكوفة ، وهو أيضا نهر بالبصرة فيه قرية كبيرة ، وموضع بخوارزم . (مختصر من معجم البلدان لياقوت) .

هـذه الطبقة؛ ثم قال : يا مُلَاحِظ، شَوِّش عودَك وهاته، ففعل ذلك ملاحظ؛ ٥٨ / ٥
فقال : يا أمير المؤمنين، هـذا يخلّط الأوتار تخليط متعنِّت فهو لا يألو ما أفسدها، ثم أخذ العـودَ بجسّـه ساعةً حتى عرف مواقعـه، ثم قال(١) : يا مُلَاحِظ، غنّ أيّ صوت شئتَ، فغنّى ملاحظ صوتا، وضرب عليه إسحاقُ بذلك العود الفاسد التسوية فلم يُخرجه عن لحنه فى موضع واحد حتى استوفاه عن نَقْرة واحدة، ويَدُه تصعَد وتنحـدر على الدَّسَاتين(٢)؛ فقال له الواثق : لا والله ما رأيتُ مثـلك ولا سمعت به! اطرحْ هـذا على الجوارى؛ فقال : هيهات يا أمير المؤمنين، هذا لا تعرفه الجوارى ولا يصلُح لهنّ، إنمـا بلغنى أنّ الفهليذ ضرب يوماً بين يدىْ كِسْرَى فأحسن، فحسده رجل من حُذّاق أهل صنعته، فترقّبه حتّى قام لبعض شأنه، ثم خالفه إلى عوده فشـوّش بعضَ أوتاره، فرجع فضرب وهو لا يدرى، والملوك لا تُصـلَح فى مجالسها العيدانُ، فلم يزل يضرب بذلك العود الفاسـد إلى أن فرغ، ثم قام على رجله فأخبر الملك بالقصّة، فامتحن العود فعرف ما فيه، ثم قال : «زِهْ وزِهْ وزهَانْ زِهْ»(٣)، ووصَله بالصِّلة التى كان يصِل بها مَن خاطبه هـذه المخاطبةَ؛ فلمّا تواطأت الروايةُ بهذا أخذتُ نفسى ورُضْتُها عليه وقلت : لا ينبغى أن يكون الفهليذ أقوى على هذا منّى، فما زلتُ أستنبطه بضعَ عشرةَ سنةً حتى لم يبقَ فى الأرض موضع على طبقة من الطبقات إلا وأنا أعرف نغمته كيف هى، والمواضعَ التى يخرج النغم كلها

(١) كذا فى مختار الأغانى لابن منظور. وفى الأصول : «حتى عرف مواقعه فغنى، ثم قال ... الخ» بزيادة كلمة «فغنى»، والظاهر أنها مقحمة.
(٢) كذا فى حـ . والدساتين، والدستانات : ما عليه أطراف أوتار العود من مقدمه، وهى كلمة فارسية، وتسمى العرب ذلك : العتب (بالتحريك). وفى سائر الأصول : «الرساتين» بالراء، وهو تحريف.
(٣) كلمة فارسية ومعناها : أحسنت أحسنت.

منه فيها، من أعاليها الى أسافلها، وكلُّ شىء منها يجانس شيئا غيرَه، كما أعرف ذلك فى مواضع الدَّسَاتين؛ وهذا شىء لا تَفِى[(١)] به الجوارى. قال له الواثق : صدقتَ، ولئن متَّ لتموتنّ هذه الصناعة معك؛ وأمر له بثلاثين ألف درهم.

نسبة هذا الصوت

صــــوت

عُلِّقَ قلبى ظبيــةَ السِّيبِ * جهلًا فقد أُغْرِى بتعذيبِى
نَمَّتْ عليها حين مرَّتْ بنــا * مَجَاســدٌ[(٢)] يَنْفَحْن بالطِّيب
تَصُــدّها عنــا عَجُوزٌ لهــا[(٣)] * مُنْكَرَةٌ[(٤)] ذاتُ أعاجيب
فكلّمــا هَمْتُ[(٥)] بإتيانهــا * قالت : تَوَقَّ عَدْوَةَ الذِّيب

الشعر والغناء لإبراهيم، هَزَجٌ ثقيلٌ بالسبّابة فى مجرى البِنصر.

أخذت منه جاريته دمن صوتا على غرة منه لبخله بالغناء

حدّثنى علىّ بن هارون قال حدّثنى محمد بن موسى اليَزيدىّ قال حدّثتنى دِمْن جاريةُ إسحاقَ الموصلىّ، وكانت من كبار جواريه وأَحْظَى مَنْ عنده، ولقيتُها فقلت لها : أىّ شىء أخذتِ عن مولاك من الغنــاء؟ فقالت : لا والله ما أخذت أنا عنه ولا واحدةٌ من جواريه صوتًا قطُّ! كان أبخلَ بذلك، وما أخذتُ منه قطّ إلّا صوتا واحدا، وذلك أنه انصرف من دار الخليفة وهو مُثْخَنٌ سكرا[(٦)]، فدخل

(١) كذا فى حـ ومختار الأغانى، إلا أنه رسم فى حـ : «لا تفى.» بالهمز، ولعله تحريف من الناسخ. ولا تفى : لا تأتى به وافيا، أى إن الجوارى يقصرن عنه ولا يستطعن أداءه. وفى سائر الأصول : «لا تغنى».
(٢) المجاسد : القمصان، واحدها مجسد (بضم الميم من أجسده بالهمز، أو جسده بالتضعيف) وهو ما صبغ بالجسد أى الزعفران.
(٣) كذا فى ب، سـ. وفى سائر الأصول : «لنا».
(٤) منكرة : مبغضة مكروهة.
(٥) همت : أصله «هممت» حذفت إحدى الميمين تخفيفا. وشرط جواز هذا الحذف فى الماضى أن تكون عينه مكسورة نحو ظل تقول فيه : «ظللت» على الاتمام و«ظلت» (بفتح أوّله أو بكسره بنقل حركة عين الفعل الى الفاء) على الحذف. ولكن ابن الانبارى حكى «همت» فى هممت مع أنه مفتوح العين. وهم بالشىء : نواه وأراده.
(٦) كذا فى أكثر الأصول. وفى ب، سـ : «وهو مثخن سكران».

إلى بيت كان ينام فيه، فرأى عودًا معلّقا فأخذه بيده، وقال لخادمه: يا غلام، صِحْ لى بدِمْن؛ فجاءنى الغلام فخرجتُ، فلما بلغتُ البابَ إذا هو مُسْتَلْقٍ على فراشه والعودُ فى يده وهو يصنع هـذا الصوت ويردّده، وقد اسْحَنْفَرَ(1) فى نَغَمِه وتنوّق(2) فيها حتى استقام له، وهو : ٥٩ / ٥

صــــوت

أَلَا ليـــلُكِ لا يَذهَبْ * ونيطَ الطَّرْفُ بالكوكَبْ
وهــذا الصّبح لا يأتى * ولا يـدنو ولا يَقــرُب

فلمّـا سمعتُه علمتُ أنّى [إنْ](3) دخلتُ اليه أَمْسك، فوقفتُ أستمعه حتى فرغ منه وأخذته عنه؛ فلما فرغ منه وضع العود من يده، وذكر أنه قد طلبنى فقال: ياغلام، أين دِمْن؟ فقلت: هأنذى؛ فقال: مذكم أنتِ واقفة؟ فقلت: منـذ ابتدأتَ بالصوت وقد أخذته؛ فنظر إلىّ نَظَرَ مُغْضَب أَسِفٍ، ثم قال: غَنّيه، فغنّيته حتى استوفيتُه؛ فقال لى وقد فَتَرَ وخَجِل: قد بقِيتْ عليك فيـه بقيّة أنا أُصلحها لك؛ فقلت: لست أحتاج إلى إصلاحكَ إياه، وقد والله أخذتُه على رَغْمِك؛ فضحك.

لحنُ هذا الصوت من الهَزَج بالبنصر، والشعر والغناء لإسحاق.

غـنّى ابراهيم بن المهـدىّ عنـد المعتصم صوتا لابن جامع فأظهـر هو خطأ فيـه ثم هزأ بإبراهيم

أخبرنا يحيى بن علىّ قال قال لى إسحاق :

كنتُ عند المعتصم وعنـده إبراهيم بن المهدىّ، فغنّى إبراهيمُ صوتا لابن جامع أَخَلّ ببعضه، ثم قال: يا أميرَ المؤمنين، ترك ابنُ جامع النـاسَ يحجُلون خلفَه ولا يلحَقونه. وفى هـذا الصوت خاصّـة؛ فقلت: والله يا أمير المؤمنين، ما صدَق،

---

(1) كذا صححه الأستاذ الشنقيطى فى نسخته. واسحنفر فى الشىء: مضى فيه ولم يتمكث. وفى الأصول: «استخفر». (2) تنوّق فى الشىء: جوّده وتأنق فيه. (3) التكملة عن أ، حـ، م.

وماهذا الصوت بتامّ الأجزاء؛ فقال : كذَب والله ياأمير المؤمنين؛ فقلت : ياسيّدى، أنا أُوقفه على نُقصانه، فمُرْه فليُعِدْ يا أمير المؤمنين؛ فأعاد البيت الأوّل فأقامه. وطمِع فى الإصابة؛ فقلت : آفتُه فى البيت الثانى، فليردُدْه؛ فردّه فنقَص من أجزائه وقسمته، فعرَفتُــه فأقرّ به؛ فقلت : يا أمير المؤمنين، هذه صناعتى وصناعة آبائى وإبراهيم يكلّمنى فيها، وأنا أسأله عن ثلاثين مسألة من باب واحد فى طريق الغناء لا يعرف منها مسألةً واحدة؛ فقال : أَوَ يُعْفِينى أمير المؤمنين من كلامه؟ فأعفاه.

وقد أخبرنى بهذا الخبر الحسنُ بن علىّ قال حدّثنا يزيد بن محمد المهلّبى عن إسحاق؛ فذكر نحوًا مما ذكره يحيى، وذكر أنّ القصة كانت بين يدى المعتصم؛ وزاد فيها فقال :

أنا أسأله عن ثلاثين مسألة وأُوقفــه على خطئه فيها، فإن لم يُقِرّ بذلك أقرّ به مُخارِقٌ وعَلّويه؛ فقال : أَوَ يُعْفِينى أميرُ المؤمنين من كلامه! فإنه يَعدِل عندى البُخْتُج(١)؛ قلت : يا أميرَ المؤمنين، وما يفعل البُخْتُج؟ قال : يُسْلِح(٢)؛ قلت : قد والله فعل ذلك كلامى به، ومنه هرب؛ فضحك وغطّى فاه وقام؛ فظنّ إسحاقُ بن إبراهيم المُصعَبىّ أنّى قد أغضبته، فضرب بيده إلى السيف؛ فقلت له : لا تحسَبْ أنّى أغضبتُه؛ فما كنت لأكلّم عمّه بين يديه بهُزْء(٣) من غير إذنه، فأمسك؛ وكان لا يُقْدِم أحد أن يكلّم الخليفةَ بحضرته بما فيه الوَهْن إلا بادر إلى سيفه تعظيما للأمير(٤) وإجلالًا له.

عرف فى مجلس المأمون خطأ فى وتر بين ثمانين وترا وعشرين جارية يغنين

أخبرنى يحيى بن علىّ قال حدّثنا أحمد بن القاسم الهاشمىّ عن إسحاق، وأخبرنى الحسين بن يحيى قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

---

(١) البختج (كقنفذ كما جاء فى شرح القاموس) : العصير المطبوخ. (٢) فى جميع الأصول : «قال» وهو لا يتفق مع السياق. (٣) فى حـ : «بهرا» بالراء، والبهر : القذف والبهتان. وفى أ، ى، م : «بهـذا». (٤) فى حـ، ى : «للأمر».

دعانى المأمون وعنده إبراهيم بن المهدىّ، وفى مجلسه عشرون جارية قد أَجْلس عَشْرًا عن يمينه وعشرا عن يساره ومعهنّ العيدانُ يضرِبنَ بها؛ فلمّا دخلتُ سمعتُ من الناحية اليسرى خطأ فأنكرتُه؛ فقال المأمون : يا إسحاق، أتسمع خطأ ؟ فقلت: نعم والله يا أمير المؤمنين؛ فقال لإبراهيم : هل تسمع خطأ؟ فقال : لا ؛ فأعاد علىّ السؤال، فقلت : بلى والله يا أمير المؤمنين، وإنه لفى الجانب الأيسر؛ فأعاد إبراهيم ٦٠/٥ سَمْعَه إلى الناحية اليسرى ثم قال : لا والله يا أمير المؤمنين، ما فى هذه الناحية خطأ؛ فقلت يا أمير المؤمنين : مُرِ الجوارىَ اللواتى على اليمين يُمْسِكْنَ ، فأمرهنّ فأمسكْنَ؛ فقلت لإبراهيم : هل تَسمع خطأ ؟ فتسمّع ثم قال : ما هاهنا خطأ؛ فقلت : يا أمير المؤمنين، يُمْسِكْنَ وتضرب الثامنةُ. فأمسكْنَ وضربتِ الثامنة، فعرف إبراهيمُ الخطأ، فقال : نعم يا أمير المؤمنين، هاهنا خطأ ؛ فقال عند ذلك لإبراهيم : يا إبراهيم، لا تُمارِ إسحاق بعدها ؛ فإن رجلا فَهِم الخطأ بين ثمانين وترا وعشرين حَلْقا لجديرٌ ألّا تماريَه؛ فقال: صدقتَ يا أمير المؤمنين . وقال الحسين بن يحيى فى خبره : وكان فى الأوتار كلِّها مَثْنًى فاسدُ التسوية . وقال فيه : فطرِب أمير المؤمنين المأمون، وقال : لله درُّك يا أبا محمد؛ فكّنّانى يومئذ .

ثناء الواثق عليه

أخبرنى أحمد بن جعفر جَحْظَة قال حدّثنى أحمد بن حَمْدُون قال :

سمعتُ الواثق يقول : ماغنّانى إسحاق قط إلا ظننتُ أنه قد زِيد لى فى مُلْكى، ولا سمعته يغنّى غناءَ ابن سُرَيج إلا ظننت أنّ ابن سريج قد نُشِر، وإنه ليحضُرنى غيره إذا لم يكن حاضرا، فيتقدّمه عنـدى وفى نفسى بطيب الصوت (١)، حتى إذا اجتمعا عنـدى رأيت إسحاق يعلو ورأيت من ظننتُه يتقدّمه ينقص ؛ وإنّ إسحاق لنعمةٌ

(١) فى ب، سـ : « يطيب الصوت » بالياء المثناة التحتية، وهو تصحيف .

من نعم المُلْك التى لم يُحْظَ(١) بمثلها ؛ ولو أنّ العمر والشباب والنشاط مما يُشْتَرى لاشتريتهنّ له بشَطْر ملكى .

سأل المأمون أن يكون دخوله اليه مع العلماء ثم مع الفقهاء

أخبرنى جعفر بن قُدَامة قال حدّثنى علىّ بن يحيى المنجِّم قال :

سأل إسحاقُ الموصلىّ المأمونَ أن يكون دخوله إليه مع أهل العلم والأدب والرُّواة لا مع المغنّين، فإذا أراده للغناء غنّاه، فأجابه إلى ذلك؛ ثم سأله بعد حين أن يأذن له فى الدخول مع الفقهاء، فأذن له . قال : فحدّثنى محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر أنه كان هو ومُخَارِق وعَلّويه جلوسًا فى حجرة لهم ينتظرون جلوسَ المأمون وخروجَ الناس من عنده، إذ دخل يحيى بن أكثم وعليه سَوادُه وطَويلتُه(٢)، ويدُه فى يد إسحاق يماشيه، حتى جلس معه بين يدى المأمون، فكاد عَلّويه أن يُجنّ، وقال : يا قوم، أسمعتم بأعجب من هذا ! يدخل قاضى القضاة ويدُه فى يد مغنٍّ حتى يجلسا بين يدى الخليفة! . ثم مضت على ذلك مدّة، فسأل إسحاق المأمونَ أن يأذن له فى لُبس السواد يوم الجمعة والصلاة معه فى المقصورة؛ قال : فضحك المأمون وقال : ولا كلّ ذا يا إسحاق! وقد اشتريت منك هذه المسألة بمائة ألف درهم؛ وأمر له بها .

ما كان يمتاز به فى مجلس الواثق

حدّثنى أحمد بن جعفر جَحْظة قال حدّثنى أبو عبدالله بن حَمْدون قال :

كان المغنّون جميعا يحضُرون مجلسَ الواثق وعيدانُهم معهم إلا إسحاقَ، فإنه كان يحضُر بلا عود للشرب والمجالسة ؛ فإن أمره الخليفة أن يغنّى أحضر له عودًا، فإذا غنّى وفرَغ سُلّ من بين يديه إلى أن يطلبه . وكان الواثق كثيرا ما يكنّيه، رَفْعًا له

(١) فى ب، سـ : «لم يحظ أحد بمثلها» . (٢) السواد : شعار بنى العباس كان يرتديه أشياعهم . والطويلة : قلنسوة عالية مدعمة بعيدان كان يلبسها القضاة . (انظر الحاشيتين رقم ٢، ٣ من الجزء الأوّل من هذا الكتاب ص ٤١٤ من هذه الطبعة) . وفى ب، حـ، سـ : «سوادة وطويلة» . وفى أ، ء، م : «سوادة وطويلة» ، وكلاهما تحريف .

من أن يدعوه بآسمه؛ وكان إذا غنّى وفرغ الواثق من شرب قدحه قطع الغناءَ ولم يُعِد منه حرفا إلا أن يكون فى بعض بيت فيُتِمّه، ثم يقطع ويضع العود من يده .

علىّ بن يحيى يحدث عن تفوّقه فى فنه

أخبرنا يحيى بن علىّ بن يحيى عن أبيه فى خبر ذَكَر إسحاق فيه[1]، فقال: وعارض مَعْبدا وابن سُرَيج فآنتصف منهما ، وكان إبراهيم بن المهدىّ يناظره ويجادله فى الغناء وينازعه فى صناعته، ولم يَبلُغه؛ وما رأيت بعد إسحاق مثلَه .

٦١
―
٥

عابه إبراهيم بن المهدى بترك التحريك فى الغناء، فبعث هو إليه بكلام غاظه

أخبرنى عمّى قال حدّثنى عبدالله بن أبى سعد قال حدّثنى محمد بن عبد الله بن مالك قال قال لى محمد بن راشد الخنّاق[2] :

سمعتُ عَلّويه يقول لإسحاق بن إبراهيم الموصلىّ : إن إبراهيم بن المهدىّ يَعيبك بتركك تحريكَ الغناء، فقال له إسحاق: ليتنا نَفِى بما علمناه ، فإنا لا نحتاج إلى الزيادة فيه . [ثم][3] قال له : فإنه يزعم أنّ حلاوة الغناء تحريكه ،وتحريكُه عنده أن يكون كثيرَ النَّغَم ، وليس يفعل ذلك، إنما يُسقط بعضَ عمله لعجزه عنه، فإذا فعل ذلك فهو بالإضافة إلى حاله الأولى بمنزلة الأُسْكدار[4] للكِتاب ،وهو حينئذ بأن يُسَمَّى المحذوفَ أشبهُ منه بأن يسمّى المحرَّكَ؛ فضحك عَلّويه ثم قال : فإن إبراهيم يسمِّى غناءكم هذا المسك المِدَادِىّ؛ قال إسحاق : هذا من لغات الحاكة؛ لأنهم يسمّون الثوب الجافى[5] الكثير العرض والطول المدادىّ ؛ وعلى هذا القياس فينبغى لنا أن نسمِّى غناءه المحرّك الضِّرابىّ، وهو الخفيف السخيف[6] من الثياب فى لغة الحاكة، حتى نُدخل الغناءَ

---

(١) فى الأصول : « فى خبر ذكره إسحاق فيه » . (٢) كذا فى ب ، حـ هنا وفيما سيأتى فى أكثر الأصول، وفى سائر الأصول هنا : « الخفاف » . (٣) زيادة يقتضيها السياق .
(٤) الأسكدار : كلمة فارسية معناها حامل البريد . (٥) الجافى من الثياب : الغليظ .
(٦) السخيف من الثياب : القليل الغزل .

فى جملة الحياكة ونخرجه عن جملة الملاهى ؛ ثم قال لعَلّويه : بحياتى عليك إلّا ما أعدتَ عليه ما جرى ؛ فقال له : لا وحياتِك لا فعلتُ ؛ فإنه يعلم مَيْلى إليكم ، ولكن عليك بأبى جعفر محمد بن راشد الخنّاق ؛ فكلمه إسحاق وأقسم عليه أن يُؤَيِّده (١) ، ففعل وسار إلى إبراهيم فأخبره ، فجعل كلّما أخبره شيئا تغيَّظ وشتم إسحاقَ بأقبح شتم ؛ ثم جاءه (٢) ابن راشد فأخبره ؛ فجعل كلّما أخبره بشىء من ذلك ضحك وصفّق سرورًا لغيظ إبراهيم من قوله .

أخبرنى حبيب بن نصر المهلّبىّ قال حدّثنى على بن محمد النَّوْفلىّ قال أخبرنى محمد بن راشد الخنّاق قال :

إنى لفى منزلى يومًا مع الظهر إذ دخل علىّ إسحاقُ بن إبراهيم الموصلىّ ، فسُرِرتُ بمكانه ؛ فقال : قد جاءت بى إليك حاجة ؛ قال قلت : قل ما شاء الله ؛ قال : دَعْنى فى بيتك ، ودَعْ غلامَيْك عندى : بُدَيحًا وسليمانَ — وكانا خادمين مغنّيين — ومُرْهما أن يغنّيانى ، وأْتنى بفلان ليغنّينى أيضا ، بحياتى عليك ، وانطلِقْ إلى إبراهيم ابن المهدىّ ، فانه سيُسَرّ بمكانك ، فاشرب معه أقداحا ، ثم قل [له] (٣) : يا سيِّدى ، أسألك عن شىء ، فإذا قال : سَلْ ، فقل له : أخبرنى عن قولك :

* ذهبتُ من الدنيا وقد ذهبتْ منّى *

أىّ شىء كان معنى صنعتك فيه ؟ وأنت تعلم أنه لا يجوز فى غنائك الذى صنعتَه فيه إلا أن تقول : "ذهبتو" بالواو ، فإن قلتَ : «ذهبتُ» ولم تَمُدَّها انقطع اللحن والشعر ، وان مددتَها قَبُح الكلام وصار على كلام النَّبَط ؛ فقلت له : يا أبا محمد ، كيف أخاطب

---

(١) كذا فى الأصول . ولعل صوابه : « يزديه » أى يبلغه . (٢) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «فجعل كلما جاءه وأخبره ... الخ» وظاهر أن كلمة «جاءه» هنا مقحمة .

(٣) الزيادة عن حـ .

إبراهيم بهذا ؟ فقال : هو حاجتي إليك وقد كلّفتك إياها، فإن آستحسنتَ أن تردّني فأنت أعلم؛ قال : أفعل ذلك لموضعك على ما فيه علىّ؛ ثم أتيتُ إبراهيم، وجلست عنده مليًّا، وتجارينا[1] الحديثَ إلى أن خرجْنا إلى ذكر الغناء، فخاطبته بما قال لى إسحاق، فتغيّر لونه وآنكسر، ثم قال : يا محمد، ليس هذا من كلامك، هذا من كلام الجُرْمُقَانِىّ[2] ابن الزانية؛ قل له عنّى : أنتم تصنعون هذا للصناعة، ونحن نصنعه للّهو واللعب والعَبَث . قال : فخرجتُ إلى إسحاق فحدّثته بذلك فقال : الجُرْمُقَانِىّ والله منا أشبَهُنا بالجَرَامِقة لغةً وهو الذى يقول : «ذهبتو»؛ وأقام عندى يومَه فرِحًا بما بلّغته إبراهيمَ عنه من توقيفه على خطئه .

٦٢ / ٥

كان محمد بن راشد صديقا له فنقل عنه حديثا لابن المهدى ففسد ما بينهما وشعره فى ذلك

قال علىّ بن محمد قال لى أبى :

كان محمد بن راشد صديقا لإسحاق ثم فسد ما بينهما؛ فإنه طابق[3] إبراهيمَ آبن المهدىّ عليه، وبلغه عنه من توقيعه أنه يذكره . وكان فى محمد بن راشد رداءة ونقلٌ للأحاديث؛ فقال فيه إسحاق :

وندْمان صِدْقٍ لا تُخاف أَذَاتُه * ولا يلفِظ الأخبارَ لفظَ ابن راشدِ
دعانى إلى ما يشتهى فأجبتُه * إجابةَ محمود الخلائق ماجدِ
فلا خيرَ فى اللّذات إلّا بأهلها * ولا عيشَ إلا بالخليل المُساعِدِ

قال : فجمع ابن راشد عدّة من الشعراء وأمرهم بهجاء إسحاق؛ فهجَوْه بأشعار لم تبلغ مرادَه، فلم يُظهرها . وبلغ ذلك إسحاقَ فقال فيه :

(١) كذا فى الأصول . ولعله «تجاذبنا الحديث» . (٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٠٧ من هذا الجزء . (٣) طابقه على الأمر : وافقه ومالأه .

وأبيات شعر رائعات كأنها * إذا أُنشدت فى القوم من حُسنها سِحْرُ
تحفّز وآقْلَوْلَى لِرَدّ جوابها (١) * أبو جعفر يَغْلِي كما غَلَتِ القِدْر
فلم يستطعها غيرَ أنْ قد أعانه * عليها أُناس كى يكون له ذكر
فيا ضيعةَ الأشعار إذ يَقْرِضونها * وأضيعُ منها من يَرى أنها شعر

قال : فعاذ محمد بن راشد بإسحاق وآستكفّه وصالحه، فرجع إليه .

أخذ ابراهيم بن المهدى صوتا له وغير فيه فلما عرف ذلك غضب

أخبرنى عمّى قال حدّثنى علىّ بن محمد بن نصر الشامىّ قال حدّثنى منصور ابن محمد بن واضح :

أن إبراهيم بن المهدىّ طرح فى منزل أبيه :

صوت

أمِنْ آلِ لَيْلَى عرفتَ الطُّلولا * بذى حُرُضٍ (٢) ماثلاتٍ مُثولا
بَلِينَ وتحسَب آياتِهِنّ * عن فَرْط حَوْلين رِقًّا مُحيلا (٣)

— الشعر لكعب بن زُهير (٤)، والغناء لإسحاق، وله فيه لحنان : ثانى ثقيلٍ مطلقٌ فى مجرى البنصر، وماخُورِىّ بالوسطى . وفيه للزُّبير بن دَحْمانَ خفيفُ ثقيل — قال : فجاءنا إسحاق يومًا، وأقام عند أبى، وأخرجنا إليه جوارِيَنا، ومرّ الصوت الذى طرحه إبراهيم

(١) كذا فى حـ ، وكذلك صححها الأستاذ الشنقيطى فى نسخته . وتحفز الرجل واقلولى : إذا استقل على رجليه ولما يستو قائما وقد تهيأ للوثوب . وفى سائر الأصول : «تحفر» (بالراء المهملة) ، وهو تصحيف .

(٢) ذو حرض : واد لبنى عبدالله بن غطفان ، بينه و بين معدن النقرة خمسة أميال . (انظر معجم ياقوت فى اسم ذى حرض والنقرة) .

(٣) فرط الشىء : مضى وذهب . وأحال : أتى عليه أحوال أى سنون .

(٤) ورد هذا الشعر فى ديوان زهير بن أبى سلمى وشرحه للأعلم الشنتمرى وثعلب وغيرهما من النسخ المخطوطة والمطبوعة المحفوظة بدار الكتب المصرية ضمن قصائده ، وقد مدح به سنان بن أبى حارثة أبا هرم وهما ممدوحاه ولم يكونا ممدوحى كعب حيث يقول فيه :

إليك سنان الغداة الرحيـ * ـل أعصى النهاة وأمضى الفئولا

كما ذكره لزهير أيضا أبو عبيد البكرى و ياقوت الحموى فى معجميهما أثناء كلامهما على «حرض» ، وذكره المؤلف له أيضا فى ترجمته (ج ٩ ص ١٥٢ طبع بولاق) وقد ورد فى جميع هذه المصادر « سلمى » بدل « ليلى » وسلمى هذه محبوبته التى يشبب بها فى شعره .

ابن المهدىّ من غنائه ؛ فقال إسحاق : من أين لك هذا ؟ قال : طرحه أبو إسحاق إبراهيم بن المهدىّ أعزّه الله تعالى ؛ فقال إسحاق : وما لأبى إسحاق أعزّه الله ولهذا الصوت ! هذا أنا صنعتُه، وليس هو كما طرّحه . قال : فسأله أبى أن يغنّيه، فغنّاه وردّده[1] حتى صحّ لمن عنده؛ فقال لى أبى : اكتب إلى أبى إسحاق أن أبا محمد أعزّه الله صار إلىّ فآحتبستُه ، وأنه غنّى بحضرتى الصوتَ الذى ألقيتَه فى منزلك الذى أسكنه ، فزعَم أنه صنَعه، وأنه ليس على ما أخذه الجوارى عنك ، فأحببت أن أعلم ما عندك ، جعلنى الله فداك . قال : فكتبتُ[2] الرُّقعة وأنفذتها إلى إبراهيم . فكتب : نعم ، جُعلت فداك ، صدَق أبو محمد أعزّه الله ، الصوتُ له ، وهو على ما ذكره ، لكنّى لعِبت فى وسطه لعبًا أعجبنى . قال : فقرأ إسحاقُ الرقعة فغَضب غضبا شديدا ، ثم قال لى : اكتب إليه : «إذا أردت ياهذا أن تلعب فآلعَبْ فى غناء نفسك لا فى غناء الناس ، وما حاجتُك إلى هذا الشعر أكثر من ذلك ، فآصنع أنت إن كنت تُحسن ، وآلعبْ فى صنعتك كما تشتهى مبتدئا باللهو واللعب غيرَ مُشارِك فى جِدّ الناس بلعبك ومُفْسِد له بما لا تعلمه . يا أبا إسحاق ، أيّدك الله ، ليس هذا الصوت مما يتهيّأ لك أن تُمَخْرِق[3] فيه وتقول : جَنْدَرْتُه» . قال : وكان إبراهيم يقول : إنه يُجَنْدِر صنعةَ القدماء ويحسّنها . ٦٣ / ٥

مناظرته إبراهيم ابن المهدى فى الغناء بين يدى المعتصم

قال علىّ بن محمد حدّثنى جدّى حَمْدُون :

أنّ إسحاق قال لإبراهيمَ بن المهدىّ بحضرة المعتصم : ما تقول فيمن يزعُم أنّ ابن سُرَيج وابن مُحْرِز ومَعْبدا ومالكًا وابنَ عائشة لم يكونوا يُحْسنون تَمام الصَّنعة

(١) كذا فى ح . وفى سائر الأصول : «فردده» بالفاء بدل الواو . (٢) كذا فى ح . وفى سائر الأصول : «فكتبته الرقعة» ، وهو تحريف . (٣) مخرق : موّه . وجندره : أصلحه وصقله . قال فى اللسان (مادة جدر) : « قال الجوهرى : وجندرت الكتاب إذا أمررت القلم على ما درس منه ليتبين . وكذلك الثوب إذا أعدت وشيه بعد ما كان ذهب ، قال : وأظنه معرّبا » .

ولا آستيفاءَ الغناء، ويعجِزون عمـا به يكْمُل ويتِمّ ويحسُن، وأنه أقدر على الصنعة منهـم؟ قال: أقول: إنه جاهل أحمـق؛ قال: فأنت تزعم أنه قد كانت بَقِيَتْ عليهـم أشياءُ لم يهتدوا لهـا ولم يحسـنوها، فتنبّهتَ عليها أنت وتَمَّمْتَها وحسَّـنْتَهـا بحِذْقك؛ قال: فضحِك المعتصم وبقى إبراهيمُ واجمًا مُطْرِقا، ولم ينتفع بنفسه بقيّةَ يومه؛ وما سمعتُه أنا ولا غيرى بعـد ذلك اليوم يتبجّح بغناء يُصلحه من غناء المتقدّمين، حتى يُطنِب فى صنعته ويُشتَهى آستماعُه منه، كما كان يَدّعى قديما.

قال: وكان حَمْدون يقول: كان إبراهيم يأكل المغنِّين أكلا، حتى يحضُر إسحاق، فيُدار يه إبراهيم ويطلب مكافأته، ولا يَدعُ إسحاقُ تبكيتَه ومعارضتَه؛ وكان إسحاقُ آفتَه، كما أنّ لكل شىء آفة.

غنى المأمون بشعر ذى الرمة فأجازه

أخبرنى جعفر بن قُدَامة قال حدّثنى حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال:

خرجتُ يومًا من دارى وأنا مَخْمورٌ أتنسّم الهواء، فمررت برجل يُنشِد رجلا معه لذى الرُّمّة:

صـــوت

ألم تعلمى يا مىّ أنّى وبينَنـا * مَهَاوٍ لطَرْف العين فيهنّ مَطْرَح (١)
ذكرتكِ أن مرّتْ بنا أمُّ شادنٍ (٢) * أمامَ المَطَايا تَشْـرئِبّ وتَسْـنَح
من المؤلِفاتِ الرملَ أدماءُ حُرّةٌ (٣) * شُعاعُ الضّحى فى مَتْنها يتوضّح

(١) مهاو: جمع مهواة وهى ما بين الجبلين. يريد الشاعر أن يصفها بأنها مهاو بعيـدة يسرح فيها البصر فلا يرده شىء.   (٢) أم شادن: كنية الظبية، والشادن: ولدها الذى قد قوى وطلع قرناه واستغنى عن أمه. ويقال: ظبية مشدن أى ذات شادن يتبعها. وتشرئب: ترفع رأسها لتنظر، وكل رافع رأسه مشرئب. وفى ب، حـ: «تسترِيب» وهو تحريف. وتسنح: تعرض، وقيـل: تسنح: تأتى عن شمالك.   (٣) كذا فى سـ، وديوان ذى الرمة (ص ٨٠ طبع كلية كمبردج). ويروى «من الآلفاتِ الرمل»، يقال: آلف المكان وألفـه. وفى سائر الأصول: «المولعات». ويروى: من الموطنات. والأدماء: واحدة الأدم، وهى — كما قال الأصمعىّ —: الظباء البيض تعلوهن جدد فيهن غبرة، فإن كانت خالصة البياض فهى الآرام. وحرة: كريمة. ويتوضح: يبرق.

هي الشِّبْهُ أعطافًا وجِيدًا ومُقلةً * ومَيّةُ منها بَعْدُ أبهى وأملَحُ

كأنّ البُرى(١) والعاجَ عِيجَتْ مُتُونُه * على عُشَرٍ نَهّى(٢) به السيلَ أبطحُ

لئن كانت الدنيا علىّ كما أرى * تَبارِيحَ من مَىٍّ فَلَلموتُ أرْوحُ

فأعجبنى ، فصنعت فيه لحنا غنّيتُ به المأمونَ، فأخذتُ به منه مائة ألف درهم.

لحنُ إسحاقَ فى هذه الأبيات أوّلُ مطلقٌ فى مجرى البنصر .

دس اليه أبو أحمد ابن الرشيد غلامين على أنهما لأحد وجوه خراسان مع هدية ليعلمهما ، وقصة ذلك أمام الواثق

حدّثنى يحيى بن محمد الطّاهرىّ قال حدّثنى ينشو مولى أبى أحمد بن الرشيد قال :

اشترانى مولاى أبو أحمد بن الرشيد، واشترى رَفيقى محموما(٣)، فدفعَنا إلى وكيل له أعجمىّ خُراسانىّ، وقال له : انحدرْ بهذين الغلامين إلى بغداد إلى إسحاق الموصلىّ، ودفع إليه مائة ألف درهم، وشِهْرِيًّا(٤) بسَرْجه ولِجامه ، وثلاثة أدراج(٥) من فضّة

---

(١) البرى : الخلاخيل ، الواحدة برة ، وكل حلقة تسميها العرب برة . والعاج : أسورة تتخذها نساء العرب من العاج ، وعيجت : لويت . والعشر : شجر ناعم لين مستو . شبه ساعديها وساقيها بشجر العشر فى الاستواء واللين . (٢) كذا فى حـ وديوانه ووردت مصححة بخط الأستاذ الشنقيطى أيضا . ونهى الشىء : أبلغه وأوصله ، وتهاه : بلغ نهايته (بالتضعيف فيهما) ، وهذا المعنى غير مراد . وفى سائر الأصول : « تهمى » وهو تحريف . والأبطح : بطن الوادى . ومرجع الضمير فى « به » شجر العشر مرادا به مكانه الذى ينبت فيه . وعدّى « نهى » بالباء لأنه ضمن معنى « حبس » ، أى إن بطن الوادى حمل السيل وأبلغه للمكان الذى ينبت فيه شجر العشر وحبسه به فهو لذلك ريان ممتلئ . (انظر نسخة مخطوطة من ديوان ذى الرمة بشرح الأعلم الشنتمرى محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٨٤٠ أدب ص ٤٣).
(٣) فى حـ : « بجمجا » . (٤) الشهرية (بالكسر) : ضرب من البراذين وهو بين البرذون والمقرف من الخيل ، وفى الأساس : « بين الرمكة والفرس العتيق » . والرمكة : البرذونة ، والجمع الشهارى . (٥) الأدراج : جمع درج (بالضم) وهو سفيط صغير تدخر فيه المرأة طيبها وأداتها ، ويجمع أيضا على درجة (بكسر ففتح) .

مملوءة طِيبًا ، وسبعةَ تُخُوتٍ[1] من بَزٍّ خُرَاسانىّ ، وعشرةَ أسفاطٍ[2] من بَزٍّ مصر، وخمسةَ تخوتِ وَشْىٍ كوفىّ، وخمسة تخوتِ خَزٍّ سُوسِىّ، وثلاثين ألف درهم للنفقة ؛ وقال للرسول : عرِّفْ إسحاقَ أنّ هـذين الغلامين لرجل من وجوه أهل خُراسان، وَجِّه بهما إليه ليتفضّل ويعلّمهما أصواتًا اختارها، وكتبها له فى دَرْجٍ[3]، وقال له : كلما علّمهما صوتا آدفع اليـه ألف درهم، حتى يتعلّمـا بها مائة صوت، فإذا علّمهـما الصوتين اللذين بعـد المـائة فادفع إليـه الشِّهْرىّ، ثم إذا علمهما الثلاثة التى بعـد الصوتين، فآدفع إليه بكل صوت دُرْجا من الأدراج، ثم لكل صوت بعـد ذلك تَخْتًا أو سَفَطا، حتى يَنْفَـد ما بعثتُ به معك؛ نفعـل، وآنحدرْنا إلى بغداد، فأتينا إسحـاق، وغنّينا بحضرته ، وبلّغـه الوكيلُ الرسالةَ؛ فلم يزل يُلقى علينا الأصـوات حتى أخذناها كما أمرنا سـيّدُنا . ثم صِرْنا[4] إلى سُرّ مَنْ رأى، فدخلنا إليـه وغنّيناه جميعَ ما أخذْناه فسرّه ذٰلك . وقدِم إسحاقُ سُرّ مَنْ رأى، ولقيـه مولانا ، فدعا بنا وأوصانا بما أراد، وغدا بنـا إلى الواثق وقال : إنكما ستَرَيان إسحاقَ بين يديه، فلا تُسلّما عليـه ولا تُوهماه أنكما رأيتماه قطّ ، وألبَسنا أَقْبِيةً خُرَاسانية ومضينا معه؛ فلمّا دخلنا على الواثق قال له : يا سيّدى، هـذان غلامان اشتُريا لى من خُراسان يغنّيان بالفارسيّة ؛ فقال : غَنِّيا ، فضربنا ضربًا فارسيًّا وغنّينا غناءً فهليذيًّا؛ فطَرِب الواثق وقال : أحسنتما، فهل تغنّيان بالعربية؟ قلنا : نعم، وآندفعنا نغنّى ما أخذناه عن إسحاق

٦٤ / ٥

(١) التخت : وعاء تصان فيه الثياب، فارسىّ، وقد تكلمت به العرب . (٢) أسفاط : جمع سفط (بالتحريك) وهو ما يعبى فيه الطيب وما أشبهه من أدوات النساء، وقيل : هو كالجوالق أو كالقفه . (٣) الدرج (بالفتح وبالتحريك) : الذى يكتب فيه ، يقال : أنفذته فى درج الكتاب أى فى طيـه . وهو يطلق على الصحيفة من أى نوع ومن أى مقياس . وقد فصـل القلقشندى فى صبح الأعشى (ج ٦ ١٨٦ — ١٩٦) مقادير قطع الورق وما يناسب كل مقدار منها من الأقلام ومقادير البياض فى أوّل الدرج وحاشيته وبعد ما بين السطور فى الكتابات فارجع اليه . (٤) فى ا ، ء ، م : «ثم سرنا ثم دخلنا إلى سرّ من رأى» .

وهو ينظر إلينا ونحن نتغافل عنه، حتى غنّينا أصواتاً من غنائه ؛ فقام إسحاق ثم قال للواثق : وحياتِك ياسيّدى وبَيْعتِك، وإلّا كلّ مِلْكٍ لى صدَقة وكل مملوك لى حُرّ إن لم يكن هذان الغلامان من تعليمى ومِن قصّتهما كيت وكيت ؛ فقال له أبو أحمد : ما أدرى ما تقول! هذان اشتريتهما من رجل نخّاس خراسانىّ ؛ فقال له : بَلَغ وَلْعُكَ(١) إلىّ! ونخّاس خراسانىّ من أين يحسن [أن] يختار مثلَ تلك الأغانى! ؛ فضحك أبو أحمد ثم قال : صدَق، أنا احتلتُ عليه، ولو رُمْتُ أن يعلّمهما ما أخذاه منه إذا علم أنهما لى بعشرة أضعاف ما أعطيتُه لَمَا فعل ؛ فقال له إسحاق : قد تمّت علىّ حيلتُه . وقال أبو أحمد للواثق : إن أردتَهما فخذهما ؛ فقال : لا أَفْجَعُك بهما يا عمّ، ولكن لا تمنعنى حضورَهما ؛ فقال له : قد بذلتُ لك المِلْك فلم تُؤْثِرْه ، أفتَرانى أمنعك الخدمةَ! فكنّا نخدُمه بنَوْبة .

كان فى مجلس الواثق مع الندماء لا المغنين فاذا أمره الواثق بالغناء أبى له بعود فغناه

حدّثنى جَحْظة قال حدّثنى أبو عبد الله بن حَمْدون قال حدّثنى ابن فيلا الطُّنْبُورىّ وكان قد دخل على الواثق وغنّاه، قال :

قال الواثق فى بعض العَشايا : لا يبرحْ أحدٌ من المغنّين الليلةَ، فقد عزمتُ على الصَّبُوح فى غد ؛ فأمسكوا جميعا عن معارضته إلا إسحاقَ فإنه قال له : لا وحياتِك ما أبِيتُ ؛ قال : فلا والله ما كان له عند الواثق معارضةٌ أكثر من أن قال له : فبحياتى إلّا بَكّرتَ(٢) يا أبا محمد . قال : فرأيت مخارقًا وعَلّويه قد تقطّعا غيظا، وبِتْنا فى بعض الحُجَر(٣)، فقالا لى : اجلس على باب الحجرة، فإذا جاء إسحاق فعرّفنا حتى ندخل بدخوله ؛ فلم نلبث أن جاء إسحاقُ مع أحمد بن أبى دُوَاد يماشيه فى زِيِّه وسَوَادِه وطَيْلَتِه(٤) مثل طويلته ، فدخلت فأعلمتهما ؛ فقامت على عَلّويه القيامة

(١) الولع : الكذب . (٢) فى الأصول : «إلا بكر» . (٣) فى الأصول : «فقال لى» ، وهو تحريف . (٤) انظر الحاشيتين رقم ٢ و ٣ ص ٤١٤ من الجزء الأوّل من طبعة هذا الكتاب

وقال : ياهؤلاء، خِينًا[1] كم يدخل إلى الخليفة مع قاضى القضاة ! أسمعتم بأعجبَ من هذا البَخْت قطّ ! ؛ فقال له مُخَارِق : دَعْ هــذا عنك، فقد والله بلغ ما أراد. ولم نلبث أن خرج ابن أبى دُوَاد ودُعِىَ[2] بنا فدخلنا، فإذا إسحاق جالس فى صف الندماء لا يخرج منــه، فإذا أمره الواثق أن يُغَنِّى خرج عن صفّهم قليــلًا وأُتِىَ بعود فغنَّى الصوتَ الذى يأمره به؛ فإذا فَرَغ من القَــدح قطع الصوت الذى يأمره به حيث بلغ ولم يُتِمَّه، ورجع إلى صفّ الجلساء .

قصته مع ابراهيم ابن المهــدىّ فى مجلس الرشيد

أخبرنى محمد بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم الموصلىّ الملقّب بوَسْوَاسة قال حدّثنى حمّاد قال :

قال لى أبى : كنت عند الرشيد يوما ، وعنــده ندماؤه وخاصّته وفيهم إبراهيم ابن المهدىّ، فقال لى الرشيد : يا إسحاق تَغَنَّ :

٦٥/٥

شَرِبتُ مُدامةً وسُقِيتُ أخرى * وراح المُنتشون وما آنتشيتُ

فغنّيته؛ فأقبل علىّ إبراهيم بن المهدىّ فقال لى : ما أصبتَ يا إسحاق ولا أحسنت؛ فقلت : ليس هذا مما تُحسنه ولا تعرفه، وإن شئتَ فغنِّه، فإن لم أجِدْك أنك تُخطئ فيــه منذُ آبتدائك إلى انتهائك فَدَمِى حلال . ثم أقبلت على الرشيد فقلت : يا أمير المؤمنين، هذه صناعتى وصناعة أبى ، وهى التى قرّبتْنا منك وآستخدمتْنا لك وأوطأتْنا بساطَك، فإذا نازعَنَاها[3] أحدٌ بلا علم لم نجد بُدًّا من الإيضاح والذبّ؛ فقال : لا غَرْوَ[4] ولا لوم عليك؛ فقام الرشيد ليبول؛ فأقبل إبراهيم بن المهدىّ علىّ وقال :

(١) انظر الحاشية رقم ٣ ص ١٨٣ من هــذا الجزء . (٢) فى أ ، ء ، م : « ودعا بنا » . (٣) كذا فى حـ ، م ، ء . وفى سائر الأصول : « نازعنايهــا » .
(٤) فى أ ، ء : « لا عدو » . والعدو (وزان غزو) : الظلم .

وَيْلَك يا إسحاق ! أتجترئ علىّ وتقول ما قلتَ يابنَ الفاعلة ! لا يَكْنِى ؛ فداخلنى مالم أملك نفسى معه ؛ فقلت له : أنت تشتُمنى ، وأنا لا أقدِر على إجابتك وأنت آبن الخليفة وأخو الخليفة ، ولولا ذلك لكنت أقول لك : يآبن الزّانيـة ، أَوَ تُرَى أنّى كنت لا أُحسن أن أقول لك : يابن الزانيـة ، ولكن قولى فى ذَمّك ينصرف جميعه إلى خالك الأَعْلَم[1] ، ولولاك لذكرتُ صناعتَه ومذهبه — قال إسحاق : وكان بَيْطارا — قال : ثم سكتُّ ، وعلمتُ أنّ إبراهيم يشكونى وأن الرشيد سوف يسأل مَنْ حضر عما جرى فيخبرونه ، فتلافيتُ ذلك[2] ، ثم قلت : أنت تظنّ أنّ الخلافة تصير إليك فلا تزال تهدّدنى بذلك وتُعاديني كما تُعادى سائرَ أولياء أخيك حَسَـدًا له ولولده على الأمر ! فأنت تضعُف عنه وعنهم وتستخِفّ بأوليائهم تَشَفِّيًا ، وأرجو ألّا يُخرجها الله عن يَدِ الرشيد وولده ، وأن يقتلك دونها ؛ فإن صارت إليك — و بالله العِياذ — فحرامٌ علىّ العيشُ يومئذ ، والموت أطيب من الحياة معك ، فآصنعْ حينئذ مابدالك .

قال : فلمّا خرج الرشـيد وثَب إبراهيم فجلس بين يديه فقال : يا أميرَ المؤمنـين ، شتَمَنى وذكر أُمّى وآستخفّ بى ؛ فغضِـب وقال : ما تقـول ؟ وَيْلَك ! قلت : لا أعلم ، فَسَلْ مَنْ حضر ؛ فأقبل على مسرورٍ[3] وحُسَين ؛ فسألهما عن القصّة ؛ فجعلا يُخبرانه ووجهُه يتربّد[4] إلى أن آنتهيا إلى ذكر الخلافة ، فسُرِّى عنه ورجع لونُه ، وقال لإبراهيم : ماله ذنب ، شتمتَه فعرّفك أنه لا يقـدر على جوابك ، ارجع إلى موضعك وأمسِك عن هـذا . فلما انقضى المجلس وآنصرف الناس ، أمر بألّا أبْرَح ، وخرج كلُّ من حضر حتى لم يبقَ غيرى ، فساء ظنّى وأهمّتنى نفسى ، فأقبل علىّ وقال : ويلك

(١) الأعلم : الذى بشفته العليا أو فى جانبيها شق . (٢) عبارة مختار الأغانى لابن منظور : «فتلافيت ذلك بأن قلت ...» . (٣) مسرور وحسين : خادمان كانا للرشيد . (٤) تربد وجهه : تغير وتعبس .

يا إسحاق ! أتُرانى لم أفهم قولك ومرادك ! قد والله زَنَّيتَه (١) ثلاث مرات ، أتُرانى لا أعرف وقائعك وأقدامَك وأين ذهبت ! ويلك ! لا تَعُدْ ؛ حدِّثنى عنك ، لوضربك إبراهيم ، أكنتُ أقتصّ لك منه فأضربه وهو أخى ياجاهل ؟ ! أتُرَاك لو أمر غلمانه فقتلوك أكنتُ أقتله بك؟ ! فقلت : يا أمير المؤمنين ، قد والله قتلتنى بهذا الكلام ، ولئن بلغه ليقتلنّى ، وما أشك فى أنه قد بلغه الآن ؛ فصاح بمسرور الخادم وقال : علىّ بإبراهيم الساعة فأُحضر ، وقال : قم فآنصرف ؛ وقلت لجماعة من الخَدَم ، وكلّهم كان لى مُحِبّا وإلىّ مائلا ولى مُطيعا ، : أخبرونى بما يجرى ، فأخبرونى من غد أنه لمّا دخل وبّخه وجهّله وقال له : أتستخفُّ بخادمى وصَنيعتى ونَديمى وآبن نديمى وابن خادمى وصنيعتى وصنيعة أبى فى مجلسى ، وتُقْدِم علىّ وتستخفّ بمجلسى وحضرتى؟ ٦٦/٥ هاه هاه (٢) ! أتُقدم على هذا وأمثالِه ! وأنت مالَك وللغناء ، وما يُدريك ماهو ! ومَنْ أَخَذَك (٣) به وطارحك إياه حتى نتوهّم أنك تَبْلُغ مبلغَ إسحاق الذى غُذِى به وعُلِّمه وهو صناعته ! ثم تظن أنك تُخطِّئه فيما لا تدريه ، ويدعوك إلى إقامة الحجة عليك فلا تثبُت لذلك وتعتصم بشَتْمه ! أليس هذا مما يدُلّ على السقوط وضعفِ العقل وسوء الأدب من دخولك فيما لا يُشبهك وغَلَبةِ لذّتك على مروءتك وشرفك ثم إظهارك إياه ولم تُحكمه ، وادّعائك مالا تعلمه حتى ينسُبك الناسُ إلى الجهل المُفْرِط ! ألّا تعلم — وَيْلَك — أنّ هذا سوءُ أدب وقلّة معرفة وقلّة مُبَالاة بالخطأ والتكذيب والردّ القبيح ! . ثم قال : والله العظيم وحقِّ رسوله ، وإلا فأنا نَفِيٌّ من المهدىّ ، لئن أصابه أحدٌ بسوء ، أو سقط عليه حجرٌ من السماء ، أو سقط من على دابّته ، أو سقط

---

(١) زناه (بالتشديد) : قذفه ونسبه الى الزنا . (٢) هاه هاه : تكون حكاية لضحك الضاحك وللوعيد . وتكون أيضا فى موضع آه التى للتوجع . (٣) كذا فى حـ والمختصر . وفى سائر الأصول : «ومن أخذ لحنه وطارحك ... الخ » .

عليه سقفُه، أو مات بخاة، لأقتلنّك به؛ والله ! والله ! والله ! فلا تعرِض له وأنت تَعلم ، قم الآنَ فاخرجْ؛ فخرج وقد كاد أن يموت . فلما كان بعد ذلك دخلت إليه وإبراهيم عنده، فأعرضتُ عن إبراهيم؛ وجعل ينظر إليه مرّة وإلىّ مرّة ويضحك، ثم قال له : إنى لأعلم محبّتك فى إسحاق وميلَك إليـه وإلى الأخذ عنه ، وإنّ هذا لايجيئك من جهته كما تريد إلّا بعد أن يرضَى، والرضا لايكون بمكروه، ولكن أَحسِن إليه وأَكرمه وٱعرِف حقّه وبِرّه وصِلْه ، فإذا فعلتَ ذلك ثم خالفك فيما تهواه عاقبتَه بيدٍ منبسطة ولسان منطلق؛ ثم قال لى : قم إلى مولاك وابنِ مولاك فقبِّلْ رأسه؛ فقمت إليه وقام إلىّ وأَصلح الرشيدُ بيننا .

نسبة الصوت المذكور فى هذا الخبر

صــــوت

أعاذلُ قـد نَهَيتِ فمـا ٱنتهيتُ * وقد طال العتابُ فما ٱرعويتُ
أعاذل ماكبِرتُ وفِىّ مَلْهًى * ولو أدركتُ غايتـك ٱنتهيت
شَرِبتُ مُدامةً وسُقيت أخرى * وراح المنتشون وما ٱنتشيت
أبِيتُ مُعـــذَّباً قَلِقًـا كئيباً * لِمـا ألقاه من ألم وفَوْتِ(١)

الغناء لٱبن مُحْرِزٍ ثقيلٌ عن ٱبن المكّىّ . وفيه رَمَلٌ بالوسطى .

أرسل اليه الرشيد ذات ليـلة فحضر ثم غناه ونادمه

أخبرنى محمد بن مَزْيَد بن أبى الأزهر قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: أرسل إلىّ الرشيد ذاتَ ليـلة، فدخلت إليه فإذا هو جالس وبين يديه جاريةٌ عليها قميص مُوَرّد وسَرَاوِيلُ موردّة وقِناعٌ مورَّد كأنها ياقوتة على وردة ؛ فلما رآنى قال لى : اجلس، فجلستُ؛ فقال لى : غنّ، فغنّيت :

(١) فى هذا الشعر إقواء، وهو اختلاف حركة الروىّ .

تَشَكَّى الكُمَيْتُ الجرىَ لمـا جَهَدتُه * وبيّن لو يَسـطيعُ أن يتكلّمـا

فقال : لمن هذا اللحن؟ فقلت : لى ياأمير المؤمنين؛ فقال : هاتِ لحنَ آبن سُرَيج، فغنّيتُه إياه ؛ فطرِب وشرب رِطْلًا وسـقى الجاريةَ رطلا وسقانى رطلا ؛ ثم قال : غنِّ، فغنّيته :

صـــوت

٦٧/٥ هاجَ شَـوْقى بَعْـدَ ما شُيِّبَ أصـداغى بُرُوقُ

مَوْهِنًا(١) والـبَرْقُ ممّـا * ذا الهوى قِدْمًا يَشُوق

فقال : لمن هـذا الصوت ؟ فقلت : لى؛ فقال : قد كنت سمعت فيه لحنًا آخر؛ فقلت : نعم، لحن آبن مُحْرِز؛ قال : هاته ، فغنّيته فطرب وشرب رطلا، ثم سقى الجارية رطلا وسقانى رطلا؛ثم قال : غنِّ، فغنّيته :

أفاطم مهـلًا بعضَ هـذا التدلُّلِ * وإن كنتِ قد أَزْمَعْتِ صرمى فأَجمِلِى

فقال لى : ليس هـذا اللحن أُريد ، غَنِّ رَمَـل آبن سُرَيج ؛ فغنّيته وشرب رطلا وسـقى الجارية رطلا ، ثم قال : حدّثنى ، فجعلتُ أحدّثه بأحاديث القِيان والمغنِّين طَوْرًا، وأحاديثِ العرب وأيامها وأخبارها تارة، وأُنشِـده أشعار القدماء والمحدَثين فى خلال ذلك ، إذ دخل الفضـلُ بن الرّبيع، فحدّثه حديثَ ثلاث جوارٍ ملَكَهنّ ووَصَفهنّ بالحُسْن والإحسان والظَّرْف والأدب؛ فقال له : يا عَبّاسىّ، هل تَسخُو نفسُك بهنّ؟ وهل لك من سَلْوةٍ عنهنّ؟ فقال له : والله يا أمير المؤمنين، إنى لأسخو بهنّ وبنفسى، فبها فَدَاك الله؛ ثم قام فوجّه بهنّ إليه، فغَلَبْنَ على قلبه، وهنّ سِحْروضياء وخُنْث ذات الخال؛ وفيهنّ يقول :

---

(١) الموهن، ومثله الوهن : نحو من نصف الليل ، وقيل : هو بعد ساعة منه ، وقيل : هو حين يدبر الليل .

إنّ سِحْرًا وضِياءَ وخُنُثْ * هنّ سِحْرٌ وضِياءٌ وخُنُثْ
أخذتْ سحرٌ ولا ذنبَ لها * ثُلُثَيْ قلبي وتِرْباها الثُّلُثْ

نزل على عبيد الله ابن محمد بن عائشة بالبصرة ونادمه

حدّثني الصُّولِيّ قال حدّثني مَيْمون بن هارون عن إسحاق قال :

أتيتُ عُبَيد الله بن محمد بن عائشة بالبصرة، فلمّا دخلتُ إليه حَصِرْتُ، فقال لي: إنّ الحَصَر رائدُ(١) الحياء، والحياء عَقيدُ الإيمان، فَانْبسِطْ وأَزِلِ الوحشة، فلئن باعدتْ بيننا الأحساب، لقد قرّبتْ بيننا الآداب، فقلت [له](٢): والله لقد سررتَني بخطابك، وزِدْتَني ببرّك عجزًا عن جوابك، ولله درّ القُطَامِيّ حيث يقول :

أمّا قريشٌ فلن تلقاهمُ أبدًا * إلّا وهم خيرُ من يَحْفَى ويَنْتعِلُ

أهدى له أحمد بن هشام زعفرانا وكتب له شعرا فرد هو عليه بشعر

أخبرني عليّ بن صالح بن الهَيْثَم قال حدّثني أبو هِفّان قال :

وجّه أحمد بن هشام إلى إسحاق الموصليّ بزعفران رَطْب وكتب إليه :

اِشربْ على الزعفرانِ الرَّطْبِ مُتّكئًا * وانْعَمْ نَعِمْتَ بطول اللّهو والطّرَبِ
فحُرْمةُ الكأس بين الناس واجبةٌ * كحرمة الوُدّ والأرحام والأدبِ

قال : فكتب إليه إسحاق :

أُذكرْ أبا جعفرٍ حقًّا أُمُتّ به * أنّي وإيّاك مَشْغوفانِ بالأدبِ
وأننا قد رضعنا الكأسَ دِرّتَها(٣) * والكأسُ حرمتُها أولى من النَّسبِ

ودع الفضل بن يحيى في خروجه إلى خراسان بشعر فوصله

حدّثنا الصُّولِيّ قال حدّثني محمد بن موسى عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

لمّا أراد الفضل بن يحيى الخروجَ إلى خُراسان ودّعتُه، ثم أنشدته بعد التوديع :

(١) كذا صححها الأستاذ الشنقيطي في نسخته . وفي الأصول : « زائد » بالزاي المعجمة .

(٢) زيادة عن ب ، حـ ، م .

(٣) أصل الدرة : اللبن .

فِراقُك مثــلُ فراق الحياةِ * وفقدُك مثــلُ آفتقاد الدِّيَمْ
عليك السلامُ فكم من وفاء * أفارق فيــك وكم من كَرَمْ

قال : فضمنى إليه ، وأمر لى بألف دينار، وقال لى : يا أبا محمد، لو حلّيتَ هذين البيتين بصــنعة وأودعتهما من يَصلُح من الخارجين معنا ، لأهدَيْتَ بذلك إلىّ أُنسًا وأذكرْتنى بنفســك ؛ ففعلتُ ذلك وطرحتُه على بعض المغنّين ؛ فكان كتابه لا يزال يَرِد علىّ ومعه ألفُ دينار يَصِلُنى بذلك كلما غُنّى بهذا الصوت . قال الصُّولِىّ : وهو من طريقة الرَّمَل .

٦٨ / ٥

حديثــه عما حمله الأصمعى من كتب حين خرجا مع الرشيد الى الرقة

أخبرنى عمى قال حدّثنى عمر بن شَبّة عن إسحاق قال :

قال لى الأصمعىّ : لمّا خرجنا مع الرشيد إلى الرَّقّة قال لى : هل حملت معك شيئا من كتبك ؟ فقلت : نعم، حملتُ منها ما خفّ حمــلُه ؛ فقال : كم ؟ فقلت : ثمانيةَ عشرَ صُندوقًا ؛ فقال : هذا لمّا خفّفتَ، فلو ثقّلتَ كم كنتَ تحمل؟ فقلت : أضعافَها؛ فجعل يعجَب .

شعر إسحاق فى المعتصم حين ولى الخلافة

أخبرنا إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنى إسحاق قال :

لمّا ولِى المعتصم دخلتُ إليه فى جملة الجلساء والشعراء؛ فهنّأه القوم نظمًا ونثرا. وهو ينظر إلىّ مُسْتنطِقًا ؛ فأنشدتُه :

صــــوت

لاحَ بالمَفْــرِق(١) منــك القَتِيرُ(٢) * وذَوَى غصنُ الشّبابِ النّضِيرُ
هزِئتْ أسمــاءُ منّى وقالتْ * أنت يآبنَــ الموصلىّ كبير

(١) المفرق (كمقعد ومجلس) : وسط الرأس وهو الذى يفرق فيه الشعر . (٢) القتير : الشيب ، وقيل : هو أوّل ما يظهر منه .

ورأت شيباً برأسي فصدّتْ * وابنُ ستّين بشَيْبٍ جديرُ[1]

لا يَرُوعنّــكِ شَيْبى فإنّى * مع هـذا الشّيب حُلْوٌ مَزِيرُ[2]

قـد يُفَلّ السيفُ وهو جُرازٌ[3] * ويَصُول الليثُ وهو عَقِيـرُ[4]

يا بنى العبّاس أنتمْ شفاءٌ * وضيـاءٌ للقُـلوب ونور

أنتمُ أهـل الخلافةِ فينا * ولـكم منـبرُها والسرير

لا يزال المُلك فيكم مَدى الدّهـ * ـرِ مُقيماً ما أقام ثَبِيـر[5]

وأبو إسحاق خـير إمامٍ * ماله فى العالمـين نظـير

ماله فيما يَرِيش ويَـبْرِى * غـير توفيق الإلٰه وزير

واضح الغـرّة للخـير فيـه * حين يبدو شاهـدٌ وبشـير

زانه هَـدْىٌ تُقًى وجـلالٌ * وعـفافٌ ووقارٌ وخِـير

لو تُبارِى جودَه الريحُ يومًا * نَزَعَتْ وهى طَلِيحٌ[6] حَسير

شعره فى المعتصم يوم مقدمه من غزاة

قال : فأمر لى بجائزة فضّلنى بها على الجماعة . ثم دخلتُ إليـه يوم مقدمه من غَزَاته ، فأنشدتُه قولى فيه :

صـــوت

لأسماءَ رسمٌ عفا باللِّوَى * أقامَ رهينًا لطـول البِـلى

تعاوَرَه الدهرُ فى صَرْفـه * بكَرِّ الجـديدين حتى عفا

إذِ[7] البينُ لم تُخْشَ رَوْعاته * ولم يصرِف الحىَّ صَرْفُ الرّدى

(١) فى تجريد الأغانى لابن واصـل : « علانى » . (٢) المزير : الظـريف .
(٣) الفل : ثلم ينال حد السيف . والجراز (بالضم) : الماضى القطاع . (٤) عقير : مجروح أو مقطوع القوائم . (٥) ثبير : من جبال مكة بينها وبين عرفة . (٦) طليح : تعب هزيل . وحسير : كليل معى . (٧) فى الأصول : « اذا » .

وإذ مَيْعةُ[(١)] اللهو تجـرى بنا * وحبلُ الوصال متينُ القُوى
فذلك دهرٌ مضى فأَبْكِهِ * ومَنْ ضـاق ذَرْعًا بأمرٍ بكى
وهل يَشْفِينَّك من غُلّةٍ * بكاؤك فى إثْرِ ما قد مضى
إلى ٱبن الرشيد إمامِ الهدى * بعثنـا المطىَّ تجُوب الفلا
إلى مَلِكٍ حلّ من هاشمٍ * ذُؤابةَ مجـدٍ مُنيفِ الذُّرى ٦٩ / ٥
إذا قيـل أىُّ فـتى هاشمٍ * وسـيِّدُها كان ذاك الفتى
بـــه نَعَش الله آمالَنـا * كما نَعَش الأرضَ صَوْبُ الحَيَا
إذا ما نوى فِعْـلَ أُكْرُومةٍ * تجـاوز من جُوده ما نوى
كساه الإلٰهُ رداءَ الجمال * ونورَ الجلال وهَدْىَ التقى

قال : فأمر لى[(٢)] بجائزة ، وقال : لستُ أحسُب هذا لك إلا بعد أن تَقْرِن صناعتَك فيه بالأخرى (يعنى أن أغنّى فيه وفى : «هَزِئتْ أسماءُ منى»)؛ فصنعتُ فى :

* هزئت أسمـاء منى ... ... *

لحنا ، وفى :

* لأسمـاء رسم عفـا باللوى *

لحنا آخر وغنّيته بهما ، فأمر لى بألفىْ دينار .

نسبة هذين الصوتين

هزِئتْ أسماءُ منّى وقالت * أنت يٱبنَ الموصـلىّ كبيرُ

لحنُ إسحاقَ فى أربعة أبيات متوالية من الشعر ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى . والآخر:

لأسمـاءَ رسمٌ عفـا باللِّوَى * أقام رَهِينًـا لطُول البِـلَى

الغناء لإسحاقَ ثانى ثقيلٍ بالوسطى .

(١) ميعة اللهو والشباب والنهار والسكر وكل شىء : أوله وأصله . (٢) كذا فى حـ وفى سائر الأصول : «قال فأمر له» ، وهو تحريف .

غنى أحمد بن عبيد الله بن أبي العلاء لحنا له فنظر إليه مخارق شزرا ثم بين له السبب

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثني أبي قال حدّثني أحمد بن عُبَيد الله بن أبي العَلاء قال : غنّيتُ يومًا بين يدي الواثق لحنَ إسحاق في :

هَزِئتْ أسماءُ منّي وقالت * أنت يابنَ الموصليّ كبيرُ

قال : فنظر إليّ مخارقٌ نظرا شَزْرًا وعضّ شَفَته عليّ؛ فلما خرجنا من بين يدي الواثق قلت : يا أستاذ، لِمَ نظرتَ إليّ ذلك النظرَ؟ أأنكرتَ عليّ شيئا أم أخطأتُ في غنائي؟ فقال لي : وَيْحك! أتدري أيّ صَوْت غنّيتَ! إن إسحاق جعل صَيْحة هذا الصوت بمنزلة طريق ضيّق وَعْر صعبِ المُرْتقَى ، أحدُ جانبيْ ذلك الطريق حرفُ الجبل، وعن جانبه الآخر الوادي؛ فإن مال مُرْتقيه عن مَحَجّته إلى جانب الوادي هوى، وإن مال إلى الجانب الآخر نطَحه حرفُ الجبل فتكسّر؛ صِر إليّ غدًا حتى أصحّحه لك .

يغني لحنه في «هزئت أسماء» على أذان عبد الوهاب المؤذن

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا محمد بن يزيد قال حُدّثت من غير وجه :

أن إسحاق بات ليلةً عند المعتصم وهو أمير، فسمع لحنا لعبد الوهاب المؤذّن أذّن به على باب المعتصم، فأَصْغى إليه فأعجبه، فأعاد المَبيت ليلةً أخرى عنده حتى استقام له اللحنُ؛ فبنى عليه لحنَه :

* هزئتْ أسماءُ منّي وقالتْ *

فصد إبراهيم بن المهدي يوما فأرسل هو إليه غلامه بديحا بلحن له يغنيه إياه

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا يزيد بن محمد المهلّبي :

أنّ إبراهيم بن المهديّ فُصِد يوما، فكتب إليه إسحاقُ يتعرّف خبره ويدعو له بالسلامة وحسن العُقبَى، وكتب إليه : إني سأُهدي إليك هديّةً للفَصْد حسنةً؛ فوجّه إليه بُدَيحا غلامَه، فغنّاه لحنَه في :

* هزئتْ أسماءُ منّى وقالتْ *

فٱستحسنه إبراهيم وقال له : قد قبِلنا الهديّة، فإن كان أذِن لك فى طَرْحه على الجوارى فٱفعل ؛ فقال له : بذلك أمرنى، وقال لى : إنك ستقول لى هذا القول، فقال : إن قاله لك فقل له : لو لم آمُرْك بطرحه لم يكن هديّة ؛ فضحك إبراهيم، وألقاه بُدَيح على جواريه . وقد ذكر علىّ بن محمد بن نصر هذا الخبر، فذكر أنه كتب إلى أبيه بهذه الهديّة[1] ؛ وهذا خطأ، لأن الشعر فى تهنئة المعتصم بالخلافة، وإبراهيم الموصلىّ مات فى حياة الرشيد، فكيف يُهدى إليه هذا الصوت ! . ٧٠ / ٥

غنى محمد بن الحارث بصوت له أمام مخارق فأعجب به

أخبرنا يحيى بن علىّ قال حدّثنى أبى قال حدّثنى أحمد بن أبى العلاء[2] قال :

اندفع محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر يومًا يغنّى هذا الصوت ؛ فالتفت إلينا مُخَارِق فقال : نخرج ٱبن الزانية[3] ! .

محاورة لعلويه فى مجلس الفضل ابن الربيع أو على ابن هشام ودفعه ما اتهمه به

حدّثنى عمّى قال حدّثنى أبو جعفر محمد بن الدِّهْقَانة النّديم قال حدّثنى أحمد ٱبن يحيى المكىّ قال :

دعانى الفَضْل بن الرّبيع ودعا عَلّويه ومخارِقا، وذلك فى أيام المأمون بعد رجوعه ورضاه عنه إلا أنّ حاله كانت ناقصة متضعضعة ؛ فلمّا اجتمعنا عنده كتب إلى إسحاقَ الموصلىّ يسأله أن يصير إليه ويُعْلِمَه الحالَ فى ٱجتماعنا عنده ؛ فكتب إليهم : لا تنتظرونى بالأكل فقد أكلت، وأنا أصير إليكم بعد ساعة ؛ فأكلنا وجلسنا نشرب حتى قرُب العصر، ثم وافى إسحاقُ بجلس، وجاء غلامه بقطْرَميز[4] نبيذ فوضعه

(١) فى الأصول : «فذكر أنك كتبت إلى أبيه بهذه الهدية ... إلخ» ، وظاهر أنه تحريف .

(٢) ورد هذا الاسم فيما سبق — قبل هذا الخبر بخبرين — : «... أحمد بن عبيد الله بن أبى العلاء» .

(٣) نخرج : نبغ .   (٤) القطرميز : قلة كبيرة من الزجاج . قال الشاعر :

أنا لا أرتوى بطاس وكاس * فٱسقنيها بالزق والقطرميز

ناحيةً، وأمر صاحبَ الشراب بإسقائه منـه، وكان عَلّويه يغنّى الفضلَ بن الرَّبيع فى لحنٍ لسِيَاط اقترحه الفضل عليه وأعجبه، وهو :

فإن تُعْجَبِى أو تُبصرى الدهرَ طَمَّنى(1) * بأحـداثه طَمَّ المقصَّص بالجَـلَم(2)

فقد أترك الأضيافَ تَنْـدَى رِحالُهم * وأكرِمهم بالمَحْض(3) والتَّامِكِ السَّنِم

— ولحنـه من الثقيل الثـانى — فقال له إسحاق : أخطأتَ يا أبا الحسن فى أداء هذا الصوت، وأنا أُصلحه لك ؛ فجُنّ عَلّويه واْغتاظ وقامت قيامته؛ ثم أقبل على عَلّويه فقال له : ياحبيبي، ما أردتُ الوضعَ منك بما قلتُه لك، وإنما أردتُ تهذيبَك وتقويمك، لأنك منسوبُ الصواب والخطأ إلى أبى وإلىّ، فإن كرِهتَ ذلك تركتُك وقلت لك : أحسنتَ وأجملتَ ؛ فقال له عَلّويه : والله ما هـذا أردتَ، ولا أردتَ إلا مالا تتركه أبدًا من سـوء عشرتك ! أخبِرْنى عنـك حين تجلّى، هذا الوقتَ لمّـا دعاك الأمير وعرّفك أنه قد نشِط للاصطباح : ما حملك على الترفّع عن مُباكرته وخدمته مع صنائعه عندك، وما كان ينبغى أن يَشْغَلَك عنه شىء إلا الخليفة! ثم تجيئـه ومعك قَطْرَمِيزُ نبيـذٍ ترفُّعـا عن شرابه كما ترفّعتَ عن طعامه ومجالسـته إلا كما تشتهى وحين تَنْشَط، كما تفعل الأكفاء، بل تَزيد على فعل الأكفاء؛ ثم تَعْمِد إلى صوت قد اْشتهاه واْقترحه وسمعه جميعُ من حضر فما عابه منهم أحد فتَعِيبه ليتمّ تنغيصُك إياه لذّته ! ؛ أمَا والله لو الفضل(4) بن يحيى أو(5) أخوه جعفر دعاك إلى مثـل

---

(1) طمنى : غمرنى . (2) الجلم (بالتحريك) : الذى يجز به الشعر والصوف، ومثله الجلمان بلفظ التثنية . (3) المحض : اللبن الخالص بلا رغوة . والتامك : العظيم السنام من الإبل، ومثله السنم . (4) كذا فى حـ ومختار الأغانى لابن منظور (ص ١٤٧) . وفى سائر الأصول : «لولا الفضل» ، وهو تحريف . (5) كذا فى مختار الأغانى لابن منظور . وفى الأصول : « الفضل بن يحيي وأخوه ... الخ » بالواو ، ولا تستقيم بها العبارة .

مادعاك إليه الأمير، بل بعضُ أتباعهم، لبادرتَ وباكرتَ وماتأخرتَ ولا آعتذرت؛ قال : فأمسك الفضلُ عن الجواب إعجاباً بمـا خاطب به علّويه إسحاقَ ؛ فقال له إسحاق : أمّا ماذكرتَه من تأخرى عنه إلى الوقت الذى حضرتُ فيه، فهو يعلم أنّى لا أتأخرعنه إلا بعائق قاطع، إن وثِق بذلك منّى و إلّا ذكرتُ له الحجة سرًّا من حيث لايكون لك ولا لغيرك فيه مدخل . وأما ترفّعى عنه، فكيف أترفّع عنه وأنا أنتسب إلى صنائعه وأستمنحُه وأعيش من فضله مذكنتُ، وهـذا تَضْريب(١) لا أُبالى به منك . وأما حَمْلى النبيذَ معى، فإنّ لى فى النبيذ شرطًا من طعمه وريحه، وإن لم أجده لم أقدِر على الشرب وتنغّص علىّ يومئذ ، وإنمـا حملته ليتمّ نشاطى وينتفعَ بى . ٧١/٥
وأما طعنى على ما آختاره، فإنى لم أطعن على اختياره، وإنما أردتُ تقويمَك، ولست والله ترانى مُتتبعا لك بعد هذا اليوم ولا مُقوّما شيئا من خطئك؛ وأنا أغنىّ له — أعزّه الله — هـذا الصوتَ فيعلم وتعلم ويعلم من حضر أنك أخطأت فيـه وقصّرت . وأما البَرَامكة وملازمتى لهم فأشهرُ من أن أجحـده ، وإنى لحقيقٌ فيـه بالمعذرة ، وأحرَى أن أشكرهم على صَنيعهم وبأن أُذيعه وأنشُرَه، وذلك والله أقلُّ ما يستحقّونه منّى . ثم أقبل على الفضـلِ — وقد غاظه مدحُه لهم — فقال : اسمـع منّى شيئا أُخبرك به مما فعلوه ليس هو بكبير فى صنائعهم عندى ولا عند أبى قبلى، فإن وجدتَ لى عذرا وإلا فلُمْ : كنت فى آبتـداء أمرى نازلًا مع أبى فى داره، فكان لا يزال يجرى بين غلمانى وغلمـانه وجوارىّ وجواريه الخصـومة ، كما تجرى بين هـذه الطبقات، فيشكونهم إليه، فأتبيّن الضَّجَر والتنكُّر فى وجهه؛ فآستأجرت دارًا بقربه وآنتقلت إليها أنا وغلمانى وجوارىّ، وكانت دارا واسعة، فلم أرْضَ ما معى من الآلة لهـا ولا لمن يدخل إلىّ من إخوانى أن يَرَوْا مثلَه عندى؛ ففكرت فى ذلك وكيف

(١) التضريب : الإغراء بين القوم .

أصنع ، وزاد فِكرى حتى خَطَر بقلبي قُبْــح الأُحْدوثة من نزول مثلى فى دار بأُجرة، وأنى لا آمَنُ فى وقت أن يَستأذن علىّ [صاحبُ دارى](١) ، وعندى من أحتشمه ولا يعلم حالى ، فيُقال صاحبُ دارك ، أو يُوجِّه فى وقت فيطلب أجرة الدار وعندى من أحتشمه ؛ فضاق بذلك صدرى ضِيقًا شديدا حتى جاوز الحدّ ؛ فأمرت غلامى بأن يُسرِجَ لى حمــارا كان عندى لأمضىَ إلى الصحراء أتفرّج فيها ممــا دخل على قلبى ، فأسرجه وركبتُ برداء ونعل ؛ فأفْضى بى المسيرُ وأنا مفكر لا أميز الطريق التى أسلك فيها حتى هجم بى على باب يحيى بن خالد ؛ فتواثب غلمانُه إلىّ ، وقالوا : أين هــذا الطريق ؟ فقلت : إلى الوزير ؛ فدخلوا فآستأذنوا لى ، وخرج الحاجب فأمرنى بالدخول ، وبقيتُ خَجِلا ، قد وقعت فى أمرين فاضحين : إن دخلت إليه برداء ونعل وأعلمته أنِّى قصدته فى تلك الحال كان سوءَ أدب ، وإن قلت له : كنت مجتازا ولم أقصِدك فجعلتك طريقا كان قبيحا ؛ ثم عزمتُ فدخلت ؛ فلمّا رآنى تبسّم وقال : ما هذا الزِّىّ يا أبا محمد ! احتبسنا لك بالبر والقَصْد والتفقّد ثم علمنا أنك جعلتنا طريقًا ؛ فقلت : لا والله ياسيِّدى ، ولكنى أَصْدُقك ؛ قال : هاتِ ؛ فأخبرته القصّة من أوّلها إلى آخرها ؛ فقال : هذا حقّ مستوٍ ، أفهذا شغل قلبك ؟ قلت : إى والله ! وزاد فقال : لا تَشــغَلْ قلبَك بهــذا ؛ ياغلام ، ردّوا حمــاره وهاتوا له خِلعة ؛ فجاءونى بخِلعة تامّة من ثيابه فلبستها ، ودعا بالطعام فأكلت ووَضع النبيذ فشربت وشرب فغنّيتُه ، ودعا فى وسط ذلك بدواة ورقعة وكتب أربعَ رِقاع ظننتُ بعضَها توقيعًا لى بجــائزة ، فإذا هو قــد دعا بعض وكلائه فدفع إليــه الرِّقاع وسارّه بشىء ، فزاد طمعى فى الجائزة ؛ ومضى الرجل وجلســنا نشرب وأنا أنتظر شيئا فلا أراه إلى العَتَمة ؛ ثم آتكأ يحيى فنام ، فقمت وأنا مُنكسر خائب فخرجت وقُدِّم لى

(١) التكملة عن مختار الأغانى .

حمارى، فلمّا تجاوزت الدارَ قال لى غلامى: إلى أين تمضى؟ قلت: إلى البيت، قال: ٧٢/٥ قد والله بِيعتْ دارك، وأُشهِد على صاحبها، وآبتيع الدَّرْبُ كلّه ووُزِن ثمنه، والمشترِى جالس على بابك ينتظرك ليعرّفك، وأظنه اشترى ذلك للسلطان، لأنى رأيت الأمر فى آستعجاله وآستحثاثه أمرًا سلطانيًّا؛ فوقعت من ذلك فيما لم يكن فى حِسابى، وجئت وأنا لا أدرى ما أعمــل؛ فلمّــا نزلت على باب دارى إذا أنا بالوكيل الذى سارّه يحيى قــد قام إلىّ فقال لى: ادخُل — أيّدك الله — دارَك حتى أدخل إليك فأخاطبك فى أمر أحتــاج إليك فيــه؛ فطابتْ نفسى بذلك، ودخلتُ ودخل إلىّ فأقرأنى توقيعَ يحيى: "يُطلَق لأبى محمد إسحاق مائةُ ألف درهم يبتاع له بها داره وجميع ما يجاورها و يلاصقها". والتوقيع الثانى إلى آبنه الفَضْل: "قد أمرتُ لأبى محمد إسحاقَ بمائة ألف درهم يبتاع له بها داره، فأطلِقْ إليه مثلَها ليُنفقها على إصلاح الدار كما يريد وبنائها على ما يشتهى". والتوقيع الثالث إلى جعفر: "قد أمرت لأبى محمد إسحاق بمائة ألف درهم يُبتاع له بها منزل يسكنه، وأمر له أخوك بدفع مائة ألف [درهم][1] يُنفقها على بنائها ومَرَمّتها على ما يريد، فأطلِقْ له أنت مائةَ ألف درهم يَبتاع بها فرشا لمنزله". والتوقيع الرابع إلى محمد: "قد أمرت لأبى محمد إسحاقَ أنا وأخواك بثلثمائة ألف درهم لمنزل يَبتاعه ونفقة يُنفقها عليه وفَرش يَبتذِلُه، فمُرْ له أنت بمــائة ألف درهم يصرفها فى سائر نفقته". وقال الوكيل: قد حملتُ المــال واشتريت كل شىء جاورك بسبعين ألفَ درهم، وهذه كتب الآبتياعات بآسمى والإقرار لك، وهذا المــالُ بُورِك لك فيه فآقبِضه؛ فقبضتُــه وأصبحت أحسنَ حالًا من أبى فى منزلى وفرشى وآلتى؛ ولا والله ما هذا بأكبرِ شىء فعلوه لى، أفألام على شكر هؤلاء! فبكى

(١) الزيادة عن م، ومختار الأغانى لابن منظور.

الفضل بن الربيع وكل من حضر،(١) وقالوا : لا والله لا تُلام على شكر هؤلاء . ثم قال الفضل : بحياتى غنّ الصوت ولا تبخل على أبى الحسن بأن تُقوّمه له ؛ فقال : أفعل ؛ وغنّاه، فتبيّن عَلّويه أنه كما قال، فقام فقبّل رأسه وقال : أنت أستاذنا وابن أستاذنا وأولى بتقويمنا واحتمالنا من كل أحد ؛ وردّده(٢) إسحاقُ مرّاتٍ حتى استوى لعلّويه .

ولقد رُوِى فى هذا الخبر بعينه أنّ هذه القصّة كانت عند علىّ بن هشام، وقد أخبرنى بهذا الخبر أحمد بن جعفر جَحْظة قال حدّثنى مَيْمون بن هارون وأبو عبد الله الهاشمىّ قالا :

دعا علىّ بن هشام إسحاقَ الموصلىّ وسأله أن يصطبح عنده ويُبكِّر فأجابه ؛ فلمّا كان الغد وافاه ظهرًا وعنده مُخارِق وعلّويه ؛ فقال له علىّ بن هشام : أين كنتَ الساعةَ يا أبا محمد؟ قال : عاقنى أمر لم أجد من القيام به بدًّا ؛ فدعا له بطعام فأصاب منه، ثم قعدوا على نبيذهم، وتغنّى عَلّويه صوتا، الشعر فيه لابن ياسين، وهو :

صـــوت

إلهى مَنَحتَ الوُدّ منّى بخيلةً * وأنت على تغيير ذاك قديرُ
شفاءُ الهوى بثُّ الهوى واشتكاؤُه * وإنّ امرأً أخفى الهوى لصَبور

— الغناء لسليمان أخى أُحَيْحة، خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالبنصر عن عمرو — فقال له إسحاق : أخطأتَ وَيْلكَ! فوضع عَلّويه العود وشرب رطلا وشرب علىّ بن هشام، ثم تناول العود وغنّى :

(١) كذا فى مختار الأغانى . وفى الأصول : « حضره » بزيادة الهاء . (٢) ردده : أعاده مثل ردّده .

٧٣/٥

صـــوت

ولقــد أسْمُو إلى غُرَفٍ * فى طريقٍ مُوحِشٍ جُدَدُه(١)

حوله الأحراسُ تحرُســه * ولديه ٱثْنَا أسَــدُهْ

— الغنـاء لمَعْبد ثقيلٌ أوّلُ بالوسـطى عن عمرو — فقـال له إسحاق : أخطأتَ وَيْلَك ! فوضع العود من يده ثم أقبل على إسحاق فقال له : دعاك ٱلأمير — أعزّه الله — لتُبكِّر إليه ، بخفّته ظُهْرًا ، وغنّيتُ صوتين يشتهيهما ٱلأمير — أعزّه الله — علىّ فخطّأتنى فيهما ، وزعمتَ أنك لا تغنّى بين يدى الأمير — أعزّه الله — ولا تغنّى إلا بين يدى خليفة أو ولىّ عهد ، ولو دعاك بعض البرَامكة لكنت تُسرع إليه ثم تغنّى مُنْذُ غُدْوةٍ إلى الليل ! ؛ فقال إسحاق : إنى والله ما أردت انتقاصًا منك ، ولا أقول مثلَه لغيرك ولا أريد ازدراءً من أحد ، ولكنى أردت بك خاصّةً التقويمَ والتأديب ؛ فإن ساءك ذلك تركتُك فى خطئك . ثم أقبـل على علىّ بن هشام ، فقـال له : أعزّك الله ، إنى أُحدّثك عن البرَامكة بمـا يُقيم عذرى فيما ذكره : دخلت على يحيى بن خالد يوما ، ولم أكن أردت الدخول عليـه ، وإنما ركبت متبذّلا(٢) لهمٍّ أهمّنى ، وكنت نازلًا مع أبى فى داره ، فضِقْتُ صدرًا بذلك وأحببت النُّقْلة عنه ، ونظرت فإذا يدى تَقْصُر عما يُصْلحنى ؛ ثم ذكر الخبرَ نحوًا مما قلته . وزاد فيه : أنه دخل إلى يحيى بن خالد وهو مُصْطَبِح ، فلما رآه نَعَر(٣) وصفّق ، وأنه وقّع له بمائتى ألف درهم ، ووقّع له كلٌّ من جعفر والفَضْل بمائة وخمسين ألفا ، وكلُّ واحد من موسى ومحمد بمائة ألف مائة ألف . وقال فيه : فبكى علىّ بن هشام ومن حضر ، وقالوا :

---

(١) جدده (بضم ففتح) : معالمه ، واحده جدّة . (٢) التبذل : ترك التزين والتهيؤ بالهيئة الحسنة الجميلة على جهة التواضع . (٣) نعر : صاح وصوّت .

لا يُرى والله مثلُ هؤلاء أبدا ؛ وأخذ إسحاقُ العودَ فغنّى الصوتين فأتى فيهما بالعجائب ؛ فقام عَلّويه فقبّل رأسه وقال له : أنت أستاذنا وآبن أستاذنا ، وما بنا عن تقويمك غِنًى ؛ ثم غنّى بعد ذلك لحنَه : «تشكّى الكميتُ الجرىَ» ، ولم يزل يغنّى بقيّةَ يومه كلّما شرب علىّ بن هشام ؛ ثم آنصرف فأتبعه علىّ بن هشام بجائزة سنيّة .

قال عبد الله بن العباس الربيعى : إنه لا يقاربه فى الصنعة أحد

حدّثنى الصُّولِىّ قال حدّثنا عَوْن بن محمد قال حدّثنى عبد الله بن العبّاس الرَّبيعىّ قال :

أحضرنى إسحاق بن إبراهيم بن مُصْعَب ، فلمّا جلست وآطمأننت ، أخرج إلىّ خادمُه رقعةً ، فقال : اقرأ ما فيها وآعمل بما رسَمه الأمير أعزّه الله ؛ فقرأتها فإذا فيها قوله :

صـــوت

يرتاح للدَّجْن(١) قلبى وهو مقتسَمٌ * بين الهموم آرتياحَ الأرض للمطرِ

إنى جعلتُ لهــذا الدَّجْن نِحْلتَه(٢) * ألّا يزولَ ولى فى اللهو من وَطَر

وتحت هــذين البيتين : «تقدّمْ — جُعِلت فداك — إلى مَنْ بحضرتك من المغنّين بأنْ يُغنُّوا فى هذين البيتين ، وألْقِ جميعَ ما يصنعونه على فلانة ؛ فإذا أخذتْه فانفِذْها إلىّ مع رسولى» ؛ فقلت : السمعُ والطاعة لأمر الأمير أعزّه الله ، فهل صنع فيهما أحد قبلى ؟ فقال : نعم ، إسحاق الموصلىّ ؛ فقلت : والله لو كُلِّف إبليسُ أن يصنع فيهما صنعةً يفضُل إسحاقَ فيها بل يساويه بل يقاربه ، ما قدَر على ذلك ولا بلغ مبلغَه ؛ فضحك حتى آستلق ، وقال : صدقتَ والله ! وهكذا يقول من يعقل لا كما يقول ٧٤/٥

(١) الدجن : إلباس الغيم الأرض ، وقيل : إلباسه أقطار السماء . (٢) النحلة : المذهب والنزوع ، يعنى أنه جعل لهذا الدجن ما يناسبه من الشراب واللهو ، وكان من عادتهم أنهم يستحسنون ذلك إذا أدجن اليوم .

هؤلاء الحَمْقَى، ولكن اصنعْ فيهما على كل حال كما أمر، فقلت : أفعل وقد بَرِئتُ من العُهْدة، فأنصرفت فصنعت فيهما صنعة كانت والله عنـد صنعة إسحاق بمنزلة غناء القَرَادين .

أخبره أحد الخلفاء بظهور الشيب فيه فبكى وقال فى ذلك شعرا وغنى فيه

حدّثنى جَحْظة قال حدّثنى ميمون قال حدّثنى إسحاق الموصلىّ قال :

قال لى المعتصِم أو قال لى الواثِق : لقد ضَحِك الشَّيْبُ فى عارضَيْك، فقلت : نعم يا سيِّدى، وبكيت، ثم قلت أبياتا فى الوقت وغنَّيت فيها :

تولَّى شــبابُك إلا قليــلَا * وحَلّ المَشــيب فصبرًا جميــلَا
كفى حَزَنًا بفِــراق الصِّبَا * وإن أصبح الشيبُ منه بَدِيلَا
ولمّـا رأى الغـانياتُ المَشِيد * سَبَ أغضَيْنَ دونك طَرْفًا كَلِيلَا
سـأنْدُب عهدًا مضى للصِّــبا * وأبكى الشبابَ بكاء طـويلَا

فبكى الواثق وحزِن وقال : والله لو قدَرتُ على ردّ شـبابك لفعلت بشَـطْر مُلكى؛ فلم يكن لكلامه عندى جواب إلا تقبيل البساط بين يديه .

جهد المغنون أن يأخذوا لحنا له فلم يستطيعوا أن يغنوا به

أخبرنى محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق قال حدّثنى حَمْدون بن إسماعيل قال : لمّـا صنع أبوك لحنَه فى :

قِفْ بالديار التى عفَا القِدَمُ * وغيَّرتْهـا الأرواحُ[(١)] والدِّيَمُ

رأيتهـم (يعنى المغنِّين) يأخذونه عنه ويَجْهَدون فيه ؛ فتُوُفِّىَ والله وما أخذوا منـه إلا رَسْمَه .

---

(١) الأرواح : جمع ريح كالأرياح والرياح .

نسبة هـــذا الصوت

صـــوت

قِفْ بالديار التى عَفَا القِدَمُ * وغيَّرتْهـا الأرواحُ والدِّيَمُ
لـمّا وقفْنا بهـا نسائلُها * فاضت من القوم أعينٌ سُجُمُ(١)
ذِكْرًا لعيشٍ مضى إذا ذَكَروا * ما فات منـــه فإنه سَقَمُ
وكل عيش دامت غَضَارتُه * منقطِـعٌ مرّةً ومنصرِمُ

الشعر والغناء لإسحاق، ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى من جميع أغانيه .

حدّثنى أبو أيّوب المَـدينىّ قال حدّثنى هارونـ اليتيم قال حدّثنى عُجَيف آبن عَنْبَسة قال :

كنت عند أمير المؤمنين المعتصِم وعنده إسحاق الموصلىّ، فغنّاه :

قُلْ لمنـ صَدّ عاتبًا * ونأى عنــكَ جانبًا

فأمره بإعادته، فأعاده ثلاثا، وشرب عليه ثلاثا؛ فقال له إبراهيم بن المهدىّ : قد آستحسنتَ هذا الصوت ياأمير المؤمنين، أفنأخذه؟ قال : نعم، خذوه فقد أعجبنى؛ فآجتمع جماعةُ المغنّين: مخارِقٌ وعَلّويه وعَمْرو بن بانة وغيرهم، فأمرهُ المعتصم أن يُلقيَه عليهم حتى يأخذوه ؛ فقال عُجَيف : فعددتُ خمسين مرّة قد أعاده فيها عليهم وهم يظنّون أنهم قد أخذوه ولم يكونوا أخذوه . قال هارونُ : فنحن فى هـذا الحديث إذ دخل علينا محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر ، فقال له عُجَيْف : يا أبا جعفر، كنت أحدِّث أبا موسى بحديثنا البارحةَ مع إسحاقَ فى الصوت وأنّى عددت خمسين مرة؛ ٧٥/٥

(١) سجم : جمع سجوم ، يقال : سجمت العين الدمع (من بابى ضرب وقعد) : أسالته قليلا كان أو كثيرا ، فالعين ساجمة وسجوم . و يقال : سجم الدمع (من باب قعد) : سال ، فالفعل لازم متعد .

فقال محمد : إى والله! — أصلحك الله — ولقد عددتُ أنا أكثرَ من سبعين مرّة وما فى القوم أحد إلا وهو يظن أنه قد أخذه، والله ما أخذه أحد منهم وأنا أوّلهم ما قدَرت — علم الله — على أخذه على الصحة وأنا أسرعُهم أخذا، فلا أدرى: ألِكَثْرة زوائده فيه أم لشدّة صعوبته، ومن يقدِر أن يأخذ من ذلك الشيطان شيئا!.

أخبرنى محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق قال حدّثنى عُجَيْف بن عَنْبَسة بهذا الخبر فذكر مثلَه سواءً.

مرّ على المعتصم شعر أعجبه وزنه دون معناه فصاغ هو فيه معنى أعجبه فأجازه

قال أبو أيّوب وحدّثنى حمّاد عن أبيه قال:

كنت يومًا عند المعتصم، فمرّ شعر على هذا الوزن فقال: وَدِدت أنه على غير ما هو، فقلت له: أنا لك به على هذا الوزن فى أحسنَ من هذا الشعر:

صــوت

قُلْ لمن صدّ عاتبًا * ونأى عنك جانبا
قد بلغتَ الذى أردْ * تَ وإن كنت لاعبا

فأعجبه، وقال لى: قد والله أحسنت! وأمر لى بألفَىْ دينار، ووالله ما كانت قيمتهما عندى دانِقَين (١).

الشعر والغناء فى هذين البيتين لإسحاق، ثانى ثقيل بالسبّابة فى مجرى الوسطى.

غضب عليه الأمين فتشفع إليه بالفضل ابن الربيع ثم دخل عليه بالأنبار وغناه فأطربه فأجازه

أخبرنى يحيى بن علىّ قال حدّثنى أبو أيّوب المَدِينىّ قال حدّثنى ابن المكىّ عن إسحاق قال:

غَضب علىَّ المخلوعُ (٢) فأقصانى وجفانى، فاشتدّ ذلك علىّ — قال: وجفانى وهو يومئذ بالأنبار — فحمّلتُ عليه بالفضل بن الربيع، فطلب إليه فشفّعه المخلوعُ ودعانى

(١) الدانق: سدس الدرهم معرب «دانك» بالفارسية. (٢) المخلوع: هو محمد الأمين الخليفة ابن هارون الرشيد.

وهو مُصْطبِح ، فلم أزل متوقِّفا وقد لبِستُ قَبَاءً وخُفًّا أحمرَ وآعتصبتُ بعصابة صفراءَ وشدَدت وسطى بشُقّةٍ حمراء من حرير؛ فلما أخذوا (١) فى الأهزاج دخلتُ وفى يدىّ صَفّاقتان وأنا أتغنّى :

صــــوت

إسمع لصوتٍ طَرِيبٍ (٢) * من صَنْعةِ الأنْبارِى (٣)
صوتٍ مليحٍ خفيفٍ * يطــير فى الأوْتارِ

— الشعر والغناء لإسحاق ، هزَجٌ بالبنصر — فسُرّ بذلك محمد ، وكان صوتهم فى يومهم ذلك ، وأمر لى بثلثمائة ألف درهم . وأخبرنى جَحْظة بهذا الخبر عن محمد آبن أحمد بن يحيى المَكّىّ قال حدّثنى أبى أن إسحاق حدّثه بهذا الخبر ، وذكر مثل ماذكره يحيى ؛ وزاد فيه قال : وكان سبب تسمية محمد لى بـ"الأنبارى" أنى دخلت عليه يوما وقد لُثْتُ (٤) عمامتى على رأسى لَوْثًا غير مستحسَن ، فقال لى : يا إسحاق ، كأنّ عمامتك من عمائم أهل الأنبار .

أنشد الأصمعىّ شعرا له فأعجب به فلما علم أنه له غير رأيه فيه

أخبرنا محمد بن العباس اليَزيدىّ قال حدّثنى عمّى الفضل عن إسحاق ، وأخبرنى علىّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنى عمّى الفَضْل عن إسحاق ، وأخبرنا يحيى بن علىّ ابن يحيى قال حدّثنى أبى :

قال إسحاق : قلت فى ليلة من الليالى :

---

(١) فى أ ، ء ، م : «فلما دخلوا» . (٢) فى حـ : «ظريف» . (٣) كذا فى حـ . والأنبارى : نسبة الى الأنبار ، وهى مدينة على الفرات فى غربى بغداد بينهما عشرة فراسخ . وفى سائر الأصول : «... الأنبار» بدون ياء النسبة ، وهو تحريف . (٤) لاث العمامة على رأسه يلوثها لوثا : لفها وعصبها .

صـــوت

هـل إلى نظرةٍ إليـك سبيلُ * يُرْوَ[1] منها الصَّدَى ويُشْفَى الغليلُ
إنّ ماقلّ منك يكثُر عنـدى * وكثيرٌ ممن تحبّ القليـلُ

قال : فلمّا أصبحت أنشدتهما الأصمعىّ، فقال : هـذا الدّيباج الخُسْرُوَانىّ[2]، هذا الوَشْى الإسكندرانىّ، لمن هذا؟ فقلت له : إنه ابن ليلته؛ فتبيّنت الحسدَ فى وجهه، وقال : أفسدتَه! أفسدتَه! أمَا إنّ التوليد فيه لبيّن. فى هذين البيتين لإسحاق خفيفُ ثقيلٍ بالبنصر.

٧٦/٥

كان يعجب بمعنى ويرى أنه ماسبق اليه فلما أنشد له هذا المعنى لأعرابى حلف أنه ماسمعه

أخبرنى جعفر بن قُدَامة قال حدّثنى علىّ بن يحيى قال حدّثنى إسحاق بهذا الخبر، فذكر مثل ماذكره من قدّمت الرواية عنه، وزاد فيه : فقال لى علىّ بن يحيى بعَقِب هذا الخبر : كان إسحاق يُعْجَب بهذا المعنى ويكرره فى شعره، ويرى أنه ما سُبِق إليه؛ فمن ذلك قوله :

صـــوت

أيّها الظّبيُ الغَـرِيرُ * هـل لنا منـك مُجِيرُ
إنّ ما تُولتنى منـ * ـكَ وإنْ قـلّ كثير

— لحنُ إسحاقَ خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى — فقلت : إنك قد سُبِقت إلى هذا المعنى، فقال : ما علمتُ أنّ أحدا سبقنى إليه؛ فأنشدته لأعرابىّ من بنى عُقَيْل :

قِفِى وَدِّعينا يامليحُ بنظـرةٍ * فقد حان منّا يا مليح رحيـلُ

---

(١) جزم الفعل هنا لضرورة الشعر. (٢) الخسروانى : نوع من الثياب منسوب الى خسرو شاه من الأكاسرة.

أليس قليــلًا نظرةٌ إنْ نظرتُها * إليكِ وَكَلّا ليس منكِ قليــل
عُقَيْلِيّــةٌ أمّا مَلاثُ(١) إزارها * فوَعْثٌ وأما خَصْرها فضئيل

صـــوت

أيا جنّةَ الدنيــا وياغايةَ المُنَى * ويا سُؤْلَ نفسى هل إليكِ سبيلُ
أراجعــةٌ نفسِى إلىّ فأغتدِى * مع الرَّكْب لم يُقْتل عليكِ قتيل
فما كلَّ يومٍ لى بأرضك حاجةٌ * ولا كلَّ يومٍ لى إليكِ رسول

قال : فحلف أنه ما سمِــع بذلك قطُّ . قال علىّ بن يحيى : وصــدق ، ما سمع بها . الغناء فى الأبيات الأخيرة من أبيات العُقَيْلىّ .

عاتبه ابراهيم بن المهدى فى ترك المجىء له فكان بينهما حوار لطيف

حدّثنى الحَرَمىّ بن أبى العَلَاء قال حدّثنا الحسين(٢) بن محمد بن أبى طالب الدّينارىّ بمكة قال حدّثنى إسحاق بن إبراهيم الموصلىّ قال :

عاتبنى إبراهيم بن المهدىّ فى ترك المجىء إليه، فقال لى : مَنْ جمع لك مع المودّة الصادقة رأيًا حازما، فاجمع له مع المحبة الخــالصة طاعةً لازمة ؛ فقلت له : جعلنى الله فداك ، إذا ثبتتِ الأصول فى القلوب، نطقتِ الألسن بالفروع، والله يعلم أنّ قلبى لك شاكر، ولسانى بالثناء عليك ناثر(٣)، وما يظهر الودّ المستقيم ، إلا من القلب

(١) ملاث الشىء : الموضع الذى يدار فيــه ذلك الشىء و يلف . وملاث الإزار : مادون الخصر أى العجز وما تحته . ووعث : لين، يقــال : امرأة وعثة ، ووعثــة الأرداف ، كأن الأصابع تسوخ فيها من لينها وكثرة لحمها . (٢) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول هنا : « الحسن » ، ولعل هــذا تحريف ، اذ ســيأتى فى جميع الأصول : «الحسين بن طالب» . والظاهر من مقارنة الأسانيد بعضها ببعض فى عدة أخبار هنا أن «الحسين بن طالب» هو «الحسن بن محمد بن أبى طالب الدينارىّ» . على أنه بقى من بعد ذلك : أجدّه « طالب » أم « أبو طالب » . (٣) فى ا ، ء ، م : « ناطق » .

السليم؛ قال : فأَبْرِئْ ساحتَك عندى بكثرة مجيئك إلىّ؛ فقلت : أجعل مجيئى إليك فى الليل والنهار نُوَبًا أتيقّظ لها كتيقّظى للصلوات الخمس، وأكون بعد ذلك مقصّرًا؛ فضحك وقال : من يقــدر على جواب المغنّين ! ؛ فقلت : مَنِ اتخذ الغناءَ لنفسه ولم يتخذه لغيره؛ فضحك أيضا، وأمر لى بخِلَع ودنانيرَ وبِرْذَوْن وخادم . وبلغ الخبرُ المعتصمَ، فضاعف لإبراهيم ما أعطانى، فرُحتُ وقد ربِحت وأربحتُ .

عتب عليه الفضل بن الربيع فكتب إليه

حدّثنا الحَرَمىّ قال حدّثنا الدِّينارىّ قال حدّثنى إسحاق قال :

عَتَب علىّ الفضلُ بن الرَّبيع فى شىء بلغه عنّى؛ فكتبت إليه : «إنّ لكل ذنب عفوًا وعقوبة؛ فذنوب الخاصة عندك مستورة مغفورة، فأمّا مثلى من العامّة فذنبه لا يُغفر، وكسره لا يُجبر؛ فإن كنت لا بدّ معاقِبى فإعراضٌ لا يؤدّى إلى مقت» .

جواب الأعرابىّ الذى كان عنده للفضل بن الربيع حين سأله عما كانوا فيه

حدّثنى الحَرَمىّ قال حدّثنا الدِّينارىّ قال حدّثنى إسحاق قال : ٧٧/٥

كان يختلف إلىّ رجلٌ من الأعراب ، وكان الفضل بن الربيع يقرّبه ويستظرف كلامَه ، وكان عندى يومًا وجاء رسول الفضل يطلبه فمضى إليه؛ فقال له الفضل : فيم كنتم؟ قال : كنّا فى قِدْرٍ تَفُور، وكأس تَدُور، وغناء يَصُور(١)، وحديث لا يَحُور(٢) .

كان يصنع الشعر وينحله الأعراب

حدثنا الحَرَمىّ قال حدّثنا الحسين بن طالب(٣) قال :

كان إسحاق يقول الشعر على ألسن الأعراب ، وينشده للأعراب ، وكان يُعَايِى بذلك أصحابَه ويُغْرِب عليهم به؛ فمن ذلك ما أنشدنيه لأعرابىّ :

---

(١) يصور : يصوت . (٢) لا يحور : لا يرجع؛ يريد أنه دائما مجدّد على غير معاد . وفى م : «لا يجور» بالجيم . (٣) تراجع الحاشية رقم ٢ من الصفحة السالفة .

لَفَظ الخُدورُ عليك حُورًا عِينًا (١) * أنسَيْنَ ما جمع الكِناسُ قَطِينَا
فإذا بَسَمْنَ فعَنْ كمثل غَمامةٍ * أو أُقْحُوان الرمل بات مَعِينا (٢)
وأصحُّ من رأتِ العيونُ محاجرًا * ولهنّ أمرضُ ما رأيت عيونا
وكأنما تلك الوجوهُ أهِلّةٌ * أَقْمَرْنَ (٣) بين العشر والعشرينا
وكأنهنّ إذا نَهَضْنَ لحاجةٍ * ينهضن بالعَقِدَاتِ (٤) من يَبْرِينَا

قال : وأنشدنى أيضا مما كان ينسُبه إلى الأعراب وهو له :

ومكحولة العينيْن من غير ما كُحْلِ * مُهَفْهَفَة الكَشْحَيْن ذات شَوًى (٥) خَدْلِ
مُنَعَّمَة الأطراف مُفْعَمة البُرَى (٦) * روادفُها تحكِى الدَّهاس (٧) من الرملِ
صَيُود لألباب الرجال، متى رنتْ (٨) * إلى ذى نُهًى جَلْد القُوَى وافرِ العقلِ
تخلّى النُّهى عنه وحالفه الصِّبا * وأسلمه الرأىُ الأصيل إلى الجهلِ

---

(١) لفظ : أخرج . والقطين : اسم جمع لقاطن ، وهو من قطن بالمكان اذا أقام به وتوطنه .
(٢) معين : ريان ، يقال : معن الموضع والنبت (بكسر العين فى الماضى وفتحها فى المضارع) اذا روى من الماء . ويقال : معن المطر الأرض اذا تابع عليها فأرواها . فيحتمل هنا أن يكون «معين» فعيلا بمعنى فاعل على المعنى الأوّل، وأن يكون فعيلا بمعنى مفعول على المعنى الثانى، أى تتابع عليه المطر فأرواه .
(٣) أقمر الهلال : صار قمرا . (٤) العقدات : جمع عقدة (بفتح فكسر وبالتحريك لغة) وهى ما تراكم من الرمل وتعقد . ويبرين : من أصقاع البحرين ، وهناك الرمل المعروف بالكثرة . والظاهر أنه يريد أن يصف أعجازهن بالضخامة حتى كأنهن اذا نهضن ينهضن بكثبان يبرين . يشبه أعجازهن بالكثبان . وفى الأصول : «بالعقرات» بالراء المهملة ، وهو تحريف . (٥) الشوى : الأطراف . وخدل (بالخاء المعجمة والدال المهملة) : ممتلئ ضخم ، أى هى ممتلئة الذراعين والساقين . وفى الأصول : «جدل» بالجيم ، والتصويب للأستاذ الشنقيطى فى نسخته . (٦) البرى : جمع برة ، وهى الحلقة سوارا كانت أو خلخالا أو قرطا . يصف ذراعيها وساقيها بالامتلاء . (٧) الدهاس (بالفتح) : المكان اللين السهل الذى تغيب فيه القوائم للينه . أى إن روادفها ضخمة فى لين . ويقال : امرأة دهاس ، أى عظيمة العجيزة . (٨) فى حـ : «إذا رنت» .

شيبة كُشْبانٍ[1] يَرُوقُــكَ تحتهــا * عناقيدُ كرمٍ جادَها غَدَقُ الوَبْلِ
رمتْــنِى فخلّت نائطِىَّ[2] ولم تُصِب * لهــا نائطَىْ قلبٍ ولا مَقتَــلاً نَبْلِى

أنشد الرشيد شعرا له فأعجبه وأجازه

حدّثنى علىّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا محمد بن يزيد المبرّد قال حُدِّثت عن الأصمعىّ قال :

دخلت أنا و إسحاق الموصلىّ يومًا على الرشيد فرأيناه لَقِسَ[3] النَّفْس؛ فأنشده إسحاق يقول :

صــــوت

وآمرةٍ[4] بالبخل قلتُ لها اَقْصِرى * فــذلِكِ شىءٌ ما إليــه سبيلُ
أرى الناس خُلّانَ الكرامِ ولا أرى * بخيــلاً له حــتّى المماتِ خليل
وإنى رأيتُ البُخل يُزْرِى بأهــله * فأكرمتُ نفسى أنْ يُقال بخيــل
ومن خير حالات الفتى لو علمتِه * إذا نال خيرًا أن يكون يُنيــل
فعالى فعــالُ المُكْثِرِين تجمُّــلاً * ومالى كما قــد تعلمــين قليــل
وكيف أخافُ الفقر أو أُحرَمُ الغِنَى * ورأىُ أمــير المؤمنين جميــل

قال : فقال الرشيد : لا تَخَفْ إن شاء الله؛ ثم قال : لله دَرّ أبيات تأتينا بها؛ ما أشدّ أصولَها، وأحسن فُصولَها، وأقلّ فضُولَها ! وأمر له بخمسين ألف درهم؛ فقال له إسحاق : وصفُك والله يا أمير المؤمنين لشعرى أحسن منه، فعلام آخُذ الجائزة ! فضحك الرشيد وقال : اجعلوها لهذا القول مائة ألف درهم . قال الأصمعىّ :

(١) كذا فى أكثر الأصول . وفى أ ، ء ، م : «شنبة» بالنون قبل الباء، وهو على كلتا الروايتين غير واضح . (٢) النائط : العرق المستبطن الصلب تحت المتن . (٣) كذا فى حـ . ولقست نفسه (من باب فرح) : غثت وخبثت . وفى سائر الأصول : «لقيس النفس» ، وهو تحريف . (٤) وردت هذه الأبيات فى أمالى القالى (ج ١ ص ٣١ طبع دار الكتب المصرية) مع اختلاف فى بعض الكلمات .

فعلمتُ يومئذ أنّ إسحاق أحذقُ بصيد الدراهم منّى . وأخبرنى بهذا الخبر جعفر بن ٧٨/٥
قُدَامة عن حمّاد عن أبيه ، وأخبرنا به يحيى بن علىّ عن أبيه عن إسحاق فذكر معنى الخبر قريبا مما ذكره الأصمعىّ والألفاظ تختلف .

دخل على الفضل ابن الربيع ابن ابنه فقال هو فيه شعرا سره ، وقيل : بل قاله للفضل بن يحيى فى ابنه

أخبرنا إسماعيل بن يونُس قال حدّثنا عمر بن شَبّة عن إسحاق ، وأخبرنى به جعفر ابن قُدَامة ووَكيع عن حمّاد عن أبيه قال :

كنتُ عند الفضل بن الرّبيع يوما ، فدخل إليه ٱبن ٱبنه عبدُ الله بن العبّاس ابن الفضل وهو طفل ، وكان يَرِقّ عليه لأن أباه مات فى حياته ، فأجلسه فى حِجْره وضمّه إليه ودَمعتْ عيناه ، فأنشأتُ أقول :

صـــــوت

مَـدّ لك الله الحيـاةَ مَدّا * حتى يكون ابنُك هذا جَدّا

مــؤزَّرا بمجــده مُرَدَّى (١) * ثم يُفَـدَّى مثلَ ما تُفَـدَّى

أشـبه منـك سُـنّة وخَدّا (٢) * وشِيَماً مَرْضِـيّة ومجــدا

كأنه أنت إذا تَبَــدَّى * شمـائلا محمــودةً وقَـدّا

قال : فتبسّم الفضلُ وقال : أَمْتعنى الله بك يا أبا محمد ، فقد عُوِّضتُ من الحزن سرورًا وتسلّيتُ بقولك ، وكذلك يكون إن شاء الله . قال جعفر بن قُدَامة : وحدّثنى بهـذا الحديث علىّ بن يحيى ، فذكر أن إسحاق قال هذه الأبيات للفضــل بن يحيى وقد دخل عليه وفى حِجْره ٱبنٌ له .

---

(١) مؤزر : من الإزار . ومردّى : من الرداء . (٢) كذا فى حـ وفى سائر الأصول : «وجدًا» بالجيم ، وهو تصحيف . والسنة : الوجه لصقالته وملاسته ، أو هى الجبهة والجبينان .

غنّى فى هذه الأبيات أبو عيسى بن المتوكّل لحناً من الرَّمَل، يقال : إنه صنعه وقد وُلد للمعتمد ولدٌ ثم غنّى به . وأخبرنى ذُكَاء وجه الرزّة عن بِدْعة الكبيرة : أنّ الرمل لعَرِيبَ، وأنّ لحن أبى عيسى خفيفُ رملٍ .

دخل على الفضل ابن الربيع عائدا وقال فيه شعرا سرّ الفضل به

حدّثنى عمّى قال حدّثنى الفضل بن محمد اليَزيدىّ عن إسحاق قال :

أتيتُ الفضل بن الربيع يومًا عائدا وجاءه بنو هاشم يعودونه ؛ فقلت فى مجلسى ذلك :

إذا ما أبو العباس عِيدَ ولم يَعُد * رأيتَ مَعُودًا أكرَمَ الناسِ عائدَا
وجاء بنو العباس يبتدرونه * مِراضًا لما يشكوه مَثْنَى وواحدا
يُفَدُّونه عند السلامِ وكلُّهم * مُجِلٌّ له يدعوه عَمًّا ووالدا

قال : وكان الفضل مضطجعًا ، فأمر خادما له فأجلسه، ثم قال لى : أعِد يا أبا محمد فأعدتُ، فأمرنى فكتبتُها، وسُرَّ بها وجعل يردّدها حتى حفِظها .

غضب عليه الفضل ابن الربيع مرة فاسترضاه بشعر

أخبرنى يحيى بن علىّ بن يحيى قال أخبرنى أبى قال قال إسحاق، وأخبرنى الحسن ابن علىّ الخَفّاف قال حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال حدّثنا محمد بن عبد الله ابن[1] مالك عن إسحاق قال :

جاءنى الزُّبير بن دَحْمَان يومًا مسلِّما فآحتبسته ؛ فقال لى : أمرنى الفضل بن الربيع بالمسير إليه ؛ فقلت له :

أقِمْ يا أبا العوّام وَيْحَكَ نَشْرَبِ * ونَلْهُ مع اللاهين يومًا ونَطْرَبِ
إذا ما رأيتَ اليومَ قد جاء خيرُه * فخُذْه بشكرٍ واتركِ الفضلَ يغضَبِ

(١) كذا فى حـ ، وقد ورد كذلك فى الأصول فى غير هذا الموضع غير مرة . وفى سائر الأصول هنا : « ابن أبى مالك » ، وهو خطأ

فأقام عندى وسُرِرنا يومَنا، ثم صار إلى الفضل، فسأله عن سبب تأخّره عنه، فحدّثه الحديثَ وأنشده البيتين، فغضِب وحوّل وجهَه عنّى، وأمر عونًا حاجبَه بألّا يُدخلنى إليه ولا يستأذنَ لى عليه ولا يُوصِلَ لى رقعةً، فقلت :

حرامٌ علىّ الكأسُ ما دُمتَ غضبانَا * وما لم يَعُــد عنّى رضاكَ كما كانَا ٧٩/٥

فأحسِنْ فإنّى قــد أسأتُ ولم تَزَلْ * تُعوّدنى عنــد الإساءة إحسانا

قال : وأنشدته إيّاهما، فضحك ورضى عنّى وعاد إلى ما كان عليــه . وقد أخبرنى بهذا الخبر محمد بن مَزْيد والحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه، فذكر مثلَه وزاد فيه : فقلت فى عَوْن حاجبه :

عَوْنُ يا عونُ ليس مثلَك عونَ * أنت لى عُــدّةٌ إذا كان كَوْنُ

لك عندى والله إن رَضِى الفضـ * ـل غلامٌ يُرضِــيك أو بِرْذَوْنُ

قال : فأتى عَوْنٌ الفضــلَ بالشّــعرَيْن جميعا، فقرأهما وضحك وقال : وَيْحَك ! إنمــا عرض لك بقوله : "غلام يُرضيك" بالسّوءة؛ قال : قد وعدَنى ما سمعت، فإن شئتَ أن تَحْرِمنيه فأنت أعلم ! ؛ فأمره أن يُرسل إلىّ؛ فأتانى رسولُه فصرتُ إليه فرضِى عنّى .

أخبرنى جَحْظة قال حدّثنى محمد بن أحمــد بن يحيى المكّىّ المرتجِل قال حدّثنى أبى قال حدّثنى الزُّبَير بن دَحْمان قال :

دخلتُ يومًا على الفضــل بن الرّبيع مُسلّمًا ؛ فقال لى : قد عزمتُ غدًا على الصَّبُوح، فصِر إلىّ بُكْرةً؛ فكنت أنا والصبحُ كفَرَسَىْ رِهان؛ فلما أصبحتُ فى غدٍ جعلتُ طريقى على إسحاقَ بن إبراهيم فدخلت إليــه ؛ فلمــا جلستُ قال لى : أقِم اليومَ عندى؛ فعرّفته خبرى؛ فقال :

أَقِمْ يا أبا العَوّام وَيْحَكَ نَشْرَبِ * ونَلْهُ مع اللّاهين يومًا ونطـربِ
إذا ما رأيتَ اليومَ قد جاء خيرُه * فخذه بشكرٍ واتْرُكِ الفضلَ يغضبِ

فقلت : إنى لا آمَنُ غضبَه، وأنا بين يديك؛ فقال لى : أنت تعلم أن صَبوح الفضل أبدًا فى وقت غَبُوق الناس، فأقِمْ وآرفُقْ بنفسك ثم آمضِ إليه؛ فأجبته إلى ذلك؛ فلمّا شربنا طاب لى الموضع، فأقمتُ حتى سَكِرتُ . وذكر باقىَ الخبر نحوًا مما ذكر إسحاق . انتهى .

كان المغنون يجتهدون ويطمعون فى غلبه فاذا غنى هو بذهم

حدّثنى جَحْظة قال حدّثنى محمد بن المَكّىّ المُرْتجِل قال: قلت لزُرْزُورٍ الكبير : كيف كان إسحاق يَنْفُقُ[1] على الخلفاء معكم وأنت و إبراهيمُ بن المهدىّ ومُخارِقٌ أطيبُ أصواتًا وأحسنُ نَغَمَةً ؟ قال : كنّا والله يا بنىّ نحضُر معه فنجتهد فى الغِناء ونُقيم الوَهَجَ[2] فيه ويُقبل علينا الخلفاءُ، حتى نطمعَ فيه ونظنَّ أنا قد غَلَبْناه، فإذا غنّى عمِل فى غِنائه أشياء من مُدَارَاتِه[3] وحِذْقه ولُطْفه حتى يُسقطنا كلَّنا ويُقْبِلَ عليه الخليفةُ دوننا و يُجيزَه دوننا ويُصغىَ إليه، ونَرى أنفسَنا آضطرارًا دونه .

هو أوّل من أحدث التخنيث فى الغناء ليوافق صوته

حدّثنا جَحْظة قال حدّثنى محمد بن أحمد المَكّىّ قال حدّثنى أبى قال :

كان المغنّون يجتمعون مع إسحاق وكلُّهم أحسن صوتًا منه، ولم يكن فيه عيبٌ إلا صوتَه فيطمعون فيه؛ فلا يزال بلُطْفه وحِذْقه ومعرفته حتى يغلِبَهم ويبذُّهم[4] جميعا ويفضُلَهم ويتقدّمَهم . قال: وهو أوّلُ منْ أحدث التخنيثَ ليوافقَ صوتَه ويشاكلَه،

(١) نفق الشىء : راج ورغب فيه . ولعله هنا مضمن معنى «يغلب» لكى تصح تعديته بـ «على» .

(٢) كذا فى أكثر الأصول . والوهج : التوقد، ولعله هنا كناية عن اضطرام الأمر وحدته فيما هم فيه من شأن الغناء . وفى حـ : «الرهج» بالراء، وهو الغبار أو ما أثير منـه .

(٣) داريت الظبى مداراة : احتلت له وختلته حتى أصيده . ولعله يريد أن إسحاق يحتال للأنغام حتى يؤلف بينها و يأتى فى ذلك بما يعجز عنه غيره .

(٤) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «وينبذهم» .

فجاء معه عجبًا من العَجَب، وكان فى حَلْقه نبوٌّ عن الوتر . أخبرنى يحيى بن علىّ قال أخبرنا أبو العُبَيْس(١) بن حَمْدون : أنّ إسحاق أوّل من جاء بالتخنيث فى الغناء ولم يكن يُعرف، وإنما احتال بحذقه لمُنَافرة حَلْقه الوتر، حتى صار يُحبيه ببعض التخنيث فيكون أحسنَ له فى السمع .

كان المغنون يتهاونون فى غيبته فاذا حضر جدّوا

أخبرنا جَحْظة قال حدّثنى الهِشامىّ عن أبيه قال :

٨٠/٥ كان المغنّون إذا حضروا وليس إسحاقُ معهم غنّوا هُوَيْنَى وهم غير مفكّرين؛ فإذا حضر إسحاق لم يكن إلّا الجِدّ .

قصته مع جعفر بن يحيى ونافذ حاجبه

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَلاء قال حدّثنى إسحاق الموصلىّ قال :

قال لى أبى وقد انصرف من دار الرشيد: رأيتُ الأمير جعفر بن يحيى يَستبطئك ويقول : لستُ أراه ولا يَغشانى؛ فقلت : إنى لآتيه كثيرا فأُحْجَب عنه ويصرفنى نافذٌ حاجبُه ويقول : هو على شُغْل؛ قال : فبلّغه أبى ذلك؛ فقال له : قل له : أَنِكْه أُمَّه إذا فعل؛ فأقمتُ أيّاما ثم كتبتُ إليه :

جُعِلتُ فداءكَ من كل سوءٍ * إلى حُسْن رأيك أشكو أُنَاسَا
يَحُولون بينى وبين السلام * فلستُ أُسلِّمُ إلّا اختلاسا
وأنفذتُ أمرك فى نافذٍ * فما زاده ذاك إلّا شِماسا(٢)

وقد أخبرنى الخبرَ محمدُ بن مَزْيَد عن حمّاد عن أبيه، فذكَرَ مثلَه وقال : كان خادمٌ يحجُبه يقال له : نافذ، فقال : إذا حجبك فَنِكْه؛ فلما كتبتُ إليه بهذه الأبيات بعث فأحضرنى؛ فلما دخلتُ إليه أحضر نافذًا وقرأ الأبياتِ عليه، وقال لى : أفعلتَها

(١) فى ب، س، حـ : «أبو العنبس» بالنون والباء الموحدة . (انظر الحاشية رقم ٤ ص ٩٦ ج ١ أغانى من هذه الطبعة) . (٢) شماسا : عنادا .

ياعدوّ الله! فغضب نافذٌ حتى كاد يبكى، وجعل جعفرٌ يضحك ويصفّق؛ ثم ما عاد بعد ذلك يتعرّض لى .

غضب المأمون عليه وشك أبى الفرج فى ذلك

حدّثنى الحسين(١) بن أبى طالب قال حدّثنى عبيد الله بن المأمون، وأخبرنا اليَزيدىّ عن عمّه عُبيد الله عن أبيه قال :

غضب المأمونُ على إسحاق بن إبراهيم، ثم كُلِّم فيه فرَضِى عنه ودَعا به؛ فلمّا وقف بين يديه آعتذر وقبّل الأرضَ بين يديه وآستقاله(٢)؛ فأجابه المأمونُ جوابًا جميلا، ثم قال له فى أثناء كلامه :

فلا أنتَ أعتبتَ من زَلّة * ولا أنتَ بالغتَ فى المَعْذِرهْ

ولا أنتَ ولّيتنى أمرَها * فأغفِرَ ذنبك عن مَقْدِرهْ

هكذا فى الخبر، وأظنّه إسحاقَ بن إبراهيم الطاهرىّ لا الموصلىّ .

أنشد أبا الأشعث الأعرابىّ شعرا له فأعجب به

أخبرنا الحَرَمىّ بن أبى العَلاء قال حدّثنا الحسينُ بن أبى طالب قال حدّثنى إسحاقُ قال :

أنشدتُ أبا الأشعث الأعرابىَّ شعرًا لى، فقال : والذى أصوم له مخافتَه ورجاءَه، إنك لمن طِرازٍ ما رأيت بالعراق شيئا منه، ولو كان شبابٌ يُشترى لآشتريتُه لك ولو بإحدى يدىّ، وإنّ فى كِبَرك لَمَا زان الجليسَ وسرّه .

حديث له مع زهراء الكلابية

أخبرنا الحَرَمىّ قال حدّثنا الدِّينارىّ قال حدّثنا إسحاق قال :

قالت لى زَهْراءُ الكِلابيّة : ما فعل عبدُ الله بن خُرْدَاذْبه؟ فقلتُ : مات؛ فقالت : غيرَ ذميم ولا لئيم، غفر اللهُ لصَداه(٣)، لقد كان يُحبّك ويُعجبه ما سرّك . قال : فقلتُ لزَهْراء : حدّثينى عن قول الشاعر :

(١) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «الحسن» . (راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣١٩ من هذا الجزء) .
(٢) استقاله : طلب منه أن يقيله . (٣) الصدى : جسد الإنسان بعد موته .

أَحِبُّك أَنْ أُخبِرتُ أنّك فارِكٌ (١) * لزوجِك إلى مُولَعٌ بالفَوَارِكِ

ما أَعجَبه من بغضها لزوجها؟ فقالت : عرَّفته أنّ فى نفسها فَضْلةً من جمال وشَمَخًا بأنفها وأُبَّهةً، فأعجَبته .

غنى المعتصم وهو لقس النفس فأطربه فأجازه

أخبرنى علىُّ بن سليمانَ الأخفش قال حدّثنا محمد بن يزيد المبرّد قال حُدِّثْتُ عن غير واحد :

أنّ إسحاق الموصلىّ دخل على المعتصم يومًا من الأيّام فرآه لَقِسَ النَّفْس (٢) ، فقال له : أَمَا تَرى يا أمير المؤمنين طِيبَ هذا اليوم وحُسْنَه ! ؛ فقال المعتصمُ : ما يدعونى حسْنُه الى شىءٍ مما تريد ولا أنشَطُ له ؛ فقال : يا أمير المؤمنين، إنه يومُ أكلٍ وشُربٍ ؛ فأشرب حتى أُنشِّطك ؛ قال : أوَ تفعل ؟ قال : نعم ؛ قال : ياغِلْمان ، قدِّموا الطعامَ والشرابَ ومُدُّوا الستارةَ ، وأحضِروا الندماءَ والمغنّين ؛ فأُتِى بالطعام فأكل وبالشرابِ فشرب وحضر الندماءُ والمغنّون ؛ فغنّاه إسحاق :

81 / 5

صوت

سُقِيتَ الغيثَ ياقصرَ السلامِ * فنِعْم محلّةُ المَلِك الهُمامِ
لقد نَشَر الإله عليك نُورًا * وخصّك بالسَّلامة والسلامِ

ـــ الشعرُ والغناءُ لإبراهيم الموصلىّ رَمَلٌ بالسبّابة فى مجرى البنصر عن إسحاق . وذكر حَبَشٌ أنّ فيه للزُّبَير بن دَحْمان لحنًا من الرَّمَل بالوسطى ـــ قال : فطرِب المعتصمُ وشرب شربًا كثيرا، ولم يبقَ أحدٌ بحضرته إلّا وصَله وخلَع عليه وحمَله ؛ وفضّل إسحاق فى ذلك أجمع .

(١) الفارك من النساء : التى تبغض زوجها.

(٢) فى ب ، س : « لقيس النفس » بالياء بعد القاف ، وهو تحريف .

أول جائزة نالها من الرشيد ألف دينار

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا ابنُ مَهْرويه قال حدّثنا ابنُ أبى سعد قال حدّثنا علىّ بن الصبّاح عن إسحاق قال:

أوّلُ جائزة أخذتُها من الرشيد ألفُ دينـار فى أوّل يوم دخلتُ إليـه فغنّيتُه:

* عَلِق القلبُ بِزَوْعا[(1)] *

فاستحسنه واستعاده ثلاثَ مرّات وشرب عليه ثلاثةَ أرطالٍ وأمر لى بألف دينار، فكان أوّلَ جائزةٍ أجازَنِيها.

أبى القدح من يد غلام قبيح الوجه وقال شعرا فجىء له بوصيفة

أخبرنى جعفر بن قُدامة قال حدّثنى حمّاد بن إسحاق قال:

كان أبى ذاتَ يوم عند إسحاق بن إبراهيم بن مُصْعَب، فلمـا جلسوا للشراب جعل الغِلْمانُ يَسـقُون مَنْ حضَر، وجاء غلامٌ قبيحُ الوجه إلى أبى بقَدَحِ نبيذٍ فسلم يأخذه؛ ورآه إسحاق فقال له: لِمَ لا تشرب؟ فكتب إليه أبى:

اِصْـبَحْ نديمَك أقـداحًا يُسَلْسِلُها * من الشَّـمُول[(2)] وأتبِـعْها بأقـداحِ
من كفِّ رِيمٍ مَليح الدَّلِّ رِيقتُـه * بعـد الهُجُوع كِمسْـك أو كتُفّاح
لا أشربُ الرّاح إلا من يدىْ رَشَأٍ * تقبيـلُ راحتِـه أشهى من الرّاح

فضحك وقال: صـدَقتَ والله، ثم دعا بوصيفةٍ كأنها صورةٌ، تامّةُ الحسن لطيفةُ الخَصْر فى زِىّ غُلام عليها أقْبِيةٌ[(3)] ومِنْطَقةٌ، فقال لها: تَوَلَّىْ سَقْىَ أبى محمد؛ فما زالت تَسقيه حتى سكِر؛ ثم أمر بتوجيهها وكلِّ مالَها فى داره إليه، فحُمِلتْ معه.

كانت بينه وبين زهراء الكلابية مودة فكتبت اليه شعرا فرد عليها

أخبرنى عمى قال حدّثنا عبدُ الله بن أبى سعـد قال حدّثنى علىّ بن الصَّبّـاح قال:

(1) زوع: من أسماء النساء. (2) الشمول: الخمر. (3) الأقبية: (جمع قباء بالفتح) وهو ثوب يلبس فوق الثياب؛ وقيل: ثوب يلبَس فوق القميص ويتمنطق عليه.

كانت آمرأةٌ من بنى كِلاب يقال لهـا زَهْراء تحدّث إسحاقَ وتُناشدُه، وكانت تَميل إليه، وتَكْنِى عنه فى عشيرتها إذا ذكَرَتْه بجُمْل؛ قال : فحدّثنى إسحاقُ أنها كتبتْ إليه وقد غابت عنه تقول :

وَجْدِى بجُمْــل على أنّى أُجَمْجِمُــه (١) * وجدُ السَّــقيم بِبُرءٍ بعــد إدْنافِ
أو وجدُ ثَكْلَى أصاب الموتُ واحدَها * أو وجدُ مُغْــترِبٍ من بين أُلّاف

قال : فأجبتُها :

أقْرِ السلامَ على الزَّهْراء إذ شَحَطَتْ * وقُلْ لهـا قد أذَقْتِ القلبَ ما خافَا
أمَا رَثَيْتِ لمن خلّفتِ مكتئبًا * يُذْرِى مدامعَــه سَحًّا وتَــوْكافا (٢)
فمـا وَجَدْتُ على إلْفٍ أُفَارِقُــه * وجْدِى عليــك وقد فارقتُ أُلّافا

أنشد محمد بن عبد الله بن مالك شعرا فسأله عن قصته فلم يخبره

أخبرنى عمّى قال حدّثنى عبدُ الله بن أبى سعد قال حدّثنى محمد بن عبد الله بن مالك قال أنشدنى إسحاقُ لنفسه : ٨٢ / ٥

ســقَى اللهُ يوم المَــاوَشانِ (٣) ومَجْلسًا * به كان أحْلَى عندنا من جَنَى النَّحلِ
غَداةَ آجتنينا اللّهوَ غَضًّا ولم نُبَلْ (٤) * حِجَابَ أبى نصر ولا غَضْبَةَ الفضلِ
غَــدَوْنا صِحاحا ثم رُحْنا كأنّنــا * أطاف بنا شرٌّ شــديدٌ من الخَبْلِ

فسألتُه أن يكتبها ففعل؛ فقلت له : ما حديث المَــاوَشان ؟ فضحك وقال : لو لم أكْتُبك الأبياتَ لمـا سألتَ عما لا يَعْنيك ؛ ولم يخبرنى .

---

(١) أجمجمه : أكتمه وأخفيه . (٢) يقال : وكف الدمع توكافا ، إذا سال وقطر قليلا قليلا . (٣) كذا فى حـ ومعجم البلدان لياقوت ، وهو ناحيــة وقرى ، فى وادٍ فى سفح جبــل أروند من همذان ، وهو موضع نزه فرح . وفى سائر الأصول « المـارسان » بالســين المهملة ، وهو تصحيف . (٤) لم نبل : أصله نبالى ، حذف حرف العلة للجازم ثم سكنت اللام للتخفيف ، كما حذفت النون فى « لم نك » بعد تسكينها ، فحذفت الألف لالتقاء الساكنين .

كان ابن الأعرابى يعجب به ويستحسن شعراله

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا ابن مَهْرويه قال حدّثنى أحمد بن الحارث وأبو مسلم عن ابن الأعرابىّ :

أنه كان يَصف إسحاق الموصلىّ ويُقرّظه ويُثْنى عليه ويذكر أدبَه وحِفْظَه وعلمَه وصدقَه، ويَستحسن قولَه :

صــــوت

هل إلى أن تنامَ عيــنى سبيلُ * إنّ عهدى بالنوم عهــدٌ طويلُ

غاب عنّى من لا أُسمّى فعيــنى * كلَّ يوم وجْدًا عليــه تَسِيل

— الشــعرُ والغناءُ لإسحاق رَمَلٌ بالوُسْــطى — قال : وكان إسحاقُ إذا غنّاه تَفيض دموعُه على لحيته ويبكى أحرَّ بكاء . وأخبرنا به يحيى بن علىّ عن أبيه عن إسحاق . وحديثُ موسى عن حَمّــاد أتمُّ، واللفظُ له .

أوّل صــوت وآخر صوت صنعه

أخبرنى الصُّولىّ والحسن بن علىّ قالا حدّثنا محمــد بن موسى عن حَمّــاد بن إسحاق قال :

أوّلُ صوت صنعه أبى :

إنى لأَكْنِى بأجبالٍ عَنَ اَجبُلِها * وباسم أَوْدِيــةٍ عن اسم واديها

وآخر صوت صنعه مختاراً :

قِفْ نُحَيِّ المَغَانيَا * والطُّلولَ البواليــَا

ثم قطع الصنعةَ حتى أمره الواثقُ بأن يعارضَ صنعته فى :

* لقد بَخِلتْ حتى لَوَ اَنّى سألتُها *

اتهمه المغنون بانتحال غناء أبيه بعد وفاته فامتحنه الرشيد ثم أذعنوا

قال حَمّــاد وحدّثنى أبى قال :

كان المغنّون يَحسُدوننى مُذْ كنتُ غلاما، فلمّا مات أبى صنعتُ هذا الصوتَ، فهو أوّل صوت صنعتُه بعد وفاته، وهو :

أَمِنْ آل ليلَى عَرَفتَ الطّلولا * بذى حُرُضٍ ماثلاتٍ مُثُولَا (١)

فقالوا للرشيد : هذا من صنعة أبيه فقد ٱنتحله ؛ فقال لى الرشيدُ فى ذلك ؛ فقلتُ : هـذا ومائةٌ بعده خيرٌ منه لهم ؛ فقال : اصنعْ فى شعر الأخطل :

أعاذلتىّ اليــومَ وَيْحكما مَهْــلَا * وكُفّا الأذَى عنّى ولا تُكثِرا العَذْلَا

فصنعتُ فيه كما أمرنى ؛ فلمّا سمعوا بذلك وما جاء بعده أَذْعنوا ، وزال عن قلب الرشيد ما كان ظنّه بى . وقد ذكر غيرُ حمّاد أنّ اللحن الذى ٱختبره به الرشيدُ قولُه :

كنت صبًّا وقلبىَ اليومَ سالٍ * عن حبيبٍ يُسىء فى كل حال

وذكر أنّ الفضل بن الرّبيع قال الشعرَ فى ذلك الوقت ودفعه إليه وأمره الرشيدُ أن يصنع فيه ففعل . وأخبرنى بذلك محمد بن يحيى الصُّولىّ قال حدّثنى الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق ، وأخبرنى محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حمّاد قال :

٨٣ / ٥

أوّلُ ما سمعه الرشيد من غناء أبى :

ألم تسألْ فتُخبرَك المَغَـانى * وكيف وهنّ مُدْمِجَج ثمانى

بَرِئتُ من المنازل غيرَ شوق * إلى الدار التى بلِوَى أَبانِ

ديارٌ للتى لجْلَجْتُ فيهـا * ولو أعْرَبتُ لجّ بهـا لسانى

فكادَ يَظَلّ للعينين غَرْبٌ * بربْعَىْ دِمنـةٍ لا ينْطِقـان

قال : فحدّثنى أبى أن المغنّين قالوا للرشيد : هذا من صنعة أبيه ٱنتحله بعد وفاته ؛ فقلت له : أنا أَدَعُ لهم هذا ومائةَ صوتٍ بعده ؛ ثم نظروا إلى ماجاء بعد ذلك فأَذْعنوا .

---

(١) انظر الحاشية رقم ٢ ص ٢٩٠ من هذا الجزء .

نسبة ما فى هذه الأخبار من الغناء

صــــوت

قِفْ نُحَيِّ المَغَانِيَا * والطُّلولَ البَوالِيَا
وعلى أهلها فنُحْ * وآبكِ إن كنتَ باكيا

الشعر لابن ياسين . والغناء لإسحاقَ ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى .

صــــوت

أمن آلِ ليلَى عَرفْتَ الطُّلولَا * بذى حُرُضٍ ماثِلاتٍ مُثولَا
بَلِينَ وتحسَبُ آياتِهنَّ * عن فَرْط حولَيْن رَقًّا مُحِيلا

الشعر لكعب بْن زُهَير(1) . والغناءُ لإسحاق ثانى ثقيلٍ بالبنصر .

صــــوت

أعاذِلتيَّ اليــومَ وَيْحَكما مَهْــلَا * وكُفّا الأذى عنّى ولا تُكْثِرا العَذْلا
دعانى تَجُــدْ كفّى بمــالى فإننى * سأُصبح لا أَسْطيع جُودا ولا بُخْلا
إذا وضعوا فوق الصَّفيح(2) جنادلًا * علىّ وخلّفتُ المَطِيّــةَ والرَّحلا
فــلا أنا مجتــازٌ إذا ما نزلتُــه * ولا أنا لاقٍ ما ثَوَيْتُ به أهــلا

الشعر للأخطل ، والغناء لإسحاقَ ، ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى .

صــــوت

إنّى لأَكْنِى بأجبال عَن اجْبُلِها * وبآسم أودِيةٍ عن اسم واديها
عَمْدًا ليَحْسَبها(3) الواشون غانيــةً * أخرى وتحسَب أنّى لا أُباليهـا

---

(1) انظر الحاشية رقم ٤ ص ٢٩٠ من هذا الجزء . (2) الصفيح : حجارة رقيقة عريضة يسقف بها القبر .

(3) المعنى على نصب الفعل واضح ، وهو أنه يريد أن يعمى عليها كما عمى على الواشين فيجعلها تحسب أنه لا يباليها . ولا يبعد أن يرفع الفعل على أن يكون المعنى أنه ينسبها الى الخطأ فى هذا الظن و ينكره عليها .

ولا يُغَيِّر وُدّى أن أهاجرها * ولا فراقُ نَوًى فى الدار أنويها
وللقلوص ولى منها إذا بَعُدتْ * بوارحُ الشّوق تُنْضِينى وأُنضيها

الشعر لأعرابىّ، والغناء لإسحاق هَزَجٌ بالبنصر.

حديثه مع الواثق بشأن الأهزاج من الأغانى

حدّثنى جَحْظة قال حدّثنى أبو عبد الله أحمد بن حَمْدون قال: قال إسحاق للواثق يوماً: الأهزاج من أملح الغناء؛ فقال الواثق: أمّا إذا كانت مثلَ صوتك:

إنّى لأَكْنى بأَجْبال عَنَ اَجْبُلها * وبآسم أودية عن اسم واديها

فهى كذلك.

غنى لطلحة بن طاهر مرارا وأخذ جوائزه

قال أحمد بن أبى طاهر حدّثنى أحمد بن يحيى الرازىّ عن محمد بن المُثَنّى عن الحجّاج بن قُتَيبة بن مُسْلم قال:

٨٤ ه

قال إسحاق: بعث إلىّ طَلْحَةُ بن طاهر وقد آنصرف من وقعة للشُّرَاة(١) وقد أصابته ضربة فى وجهه؛ فقال لى الغلام: أَجِبْ؛ فقلت: وما يعمل؟ قال: يشرب؛ فمضيت إليه فإذا هو جالسٌ قد عصب ضربتَه وتَقَلْنَس بقَلَنْسُوة؛ فقلت له: سبحانَ الله أيها الأمير! ما حملك على لُبْس هذا؟ قال: التبرّم بغَيْره، ثم قال: غنّ:

* إنّى لأَكْنى بأَجْبال عن آجْبُلها *

قال: فغنّيتُه إياه، فقال: أحسنتَ والله! أَعِدْ! فأعدتُ وهو يشرب حتى صلّى العَتَمة وأنا أُغنّيه؛ فأقبل على خادم له بالحَضْرة وقال له: كم عندك؟ قال: مقدارُ سبعين ألفَ درهم؛ قال: تُحْمَل معه. فلمّا خرجتُ من عنده تبِعنى جماعةٌ من الغِلْمان يسألونى، فوزّعتُ المال بينهم؛ فرُفِع الخبر إليه فأغضبه ولم يوجّه إلىّ ثلاثا، فجلست ليلا وتناولت الدّواةَ والقِرْطاسَ فقلت:

(١) الشراة: الخوارج.

علّمني جُـودُك السّماحَ فما * أبقيتُ شيئًا لدىّ من صِلَتِكْ
لم أُبقِ شـيئًا إلّا سمحتُ به * كأنّ لى قُـدرةً كمقـدرتك
تُتلِف فى اليوم بالهباتِ وفى السّـاعة ما تجتنيـه فى سَـنَتك
فلستُ أدرى من أين تُنفق لو * لا أنّ ربّى يَجزى على صِلَتك

فلما كان فى اليوم الرابع بعث إلىّ ، فصِرتُ إليه ودخلت عليه فسلّمت ، فرفع بصَرَه إلىّ وقال : اسقُوه رطلا فسُقِيتُه ، وأمر لى بآخَرَ وآخَرَ فشربتُ ثلاثا ، ثم قال لى : غنّ :

* إنى لأ كنى بأجبال عن أجبلها *

فغنّيتُه ثم أتبعتُه بالأبيات التى قلتها ، وقد كنتُ غنّيتُ فيها لحنًا فى طريقة الصوت ، فقال : ادْنُ فدنوت ، وقال : اجلس فجلست ، فآستعاد الصوتَ الذى صنعتُه فأعدتُه . فلما فهِمه وعرَف معنى الشعر قال لخادم له : أحضِرنى فلانًا فأحضره ، فقال : كم قِبلَك من مال الضِّياع ؟ قال : ثمانمائة ألف درهم ، فقال : احضُرْ بها الساعة ، فجِيء بثمانين بَدْرة ، فقال للخادم : جئنى بثمانين غلاماً مملوكا ، فأُحضِروا ، فقال : احملوا هـذا المـال ، ثم قال : يا أبا محمد ، خذ المـال والممـاليك حتى لا تحتاج أن تُعطِى لأحد منهم شيئا .

مهاجاته محمد بن راشد وما كان بينهما

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَلَاء قال حدّثنا الحسين بن محمد بن طالب قال :

كان إسحاق بن إبراهيم الموصلىّ كثيرَ الغِشْيان لإسحاق بن إبراهيم بن مُصْعَب والحضورِ لسَمَره ، وكان إسحاق بن إبراهيم يرى ذلك له ويُسْنِى جوائزه ويُوَاتِر[1] صِلاتِه ويشاوره فى بعض أموره ويسمع منه ؛ فأُصيب إسحاقُ ببصره قبل موته بسنتين ،

(١) يواتر : يتابع .

فترك زيارةَ إسحاقَ وغيرِه ممن كان يغشاهم ولَزِم بيتَه . وخرج إسحاق يوماً إلى بستان له بباب قُطْرَبُّل وخرج معه ندماؤه وفيهم موسى بن صالح بن شَيْخ(١) بن عَمِيرة ومحمد ابن راشد الخَنّاق والحَرّانِى ؛ فجرى ذِكْرُ إسحاقَ الموصلىّ ، فتوجّع له إسحاق وذكر أُنسَه(٢) به وتمنّى حضورَه ، وذكر[ه] القومُ فأطْنبوا فى نشر محاسنه وشيّعوا ما ذكره به إسحاقُ بما حَسُن موقعُه لهم عنده ؛ وذكره محمد بن راشد ذكرا لم يحمَده أصحابه عليه ، وزجره إسحاق ، فأمسك عنه ؛ فلما انصرفوا من مجلسهم نُمِىَ إلى إسحاق الموصلىّ ما كان فيه القوم فى يومهم وما جرى من ذكره ؛ فكتب إلى موسى بن صالح :

أَلا قُلْ لموسَى الخيرِ موسى بنِ صالحٍ * ومَنْ هو دون الخَلْقِ إِلْفِى وخُلْصَانِى(٣) ٨٥/٥
ومَنْ لو سألت الناس عنه لأَجمعوا * على أنّه أفتى(٤) مَعَــدٍّ وقَحْطانِ
لعَمْرِى لئن كان الأميرُ تمنّانى * بمجلس لذّاتٍ ونُزْهــةِ بُستانِ
لقــد زادنى ما كان منــه صَبابةً * وجَدّدَ لى شوقًا إليــه وأبكانى
وما زال ممتنًّا علىّ يَخُصّنى * بما لستُ أُحصِى من أيادٍ وإحسانِ
هو السيّد القَرْم الذى ما يُرَى له * من النّاس إن حصّلته أبدًا ثانِى
نَمَتْــه رَوابى مُصْعَب وبَنَى له * كريمُ المساعى فى أُرُومته بانِى
يَعِــزّ علىّ أن تفوزوا بقُربه * ولستُ إليــه بالقريب ولا الدّانى
فياليتَ شعرى هل أُرَوِّحنّ مَرّةً * إليــه فيلقانى كما كان يلقانى

---

(١) كذا فى ى . وفى حـ ، م : «شيخ عميرة» . وفى أ ، ب ، سـ : «سنح بن عميرة» بالسين والنون والحاء المهملة ، وكلاهما تحريف . (راجع الطبرى فى اسمى موسى بن صالح بن شيخ وعميرة أبى شيخ بن عميرة الأسدى قسم ٣ ص ١٦٤١ ، ٩٣٥) . (٢) فى جميع الأصول : «وذكر أنسه كان به» . وظاهر أن كلمة «كان» هنا مقحمة . (٣) الخلصان : الخالص من الأخدان ، يستوى فيه الواحد والجمع ، يقال : هم خلصانى ، وهو خلصانى . (٤) أفتى : أفعل تفضيل من الفتوة وهى الكرم والمروءة .

وهل أرَيَنْ يوماً غَضارةَ مُلْكه * وسلطانه لا زال فى عزِّ سلطان
وهل أَسْمَعَن ذاك المُزاحَ الذى به * إذا جئتُه سلَّيتُ همّى وأحزانى
إذا قال لى "يا مَرْدَ مَىْ نَخْرْ" وكرّها * علىّ وكأّنى مُزاحاً[1] بصفوان

(هذا كلام بالفارسية تفسيره : يا رجل اشرب النبيذ)

فيالكَ من مَلْهًى أنيق ومجلس * كريمٍ ومن مَزْحٍ كثيرٍ بالوانِ
وهل يَغْمِزَنْ بى ذو الهَنَاتِ ابنُ راشد * وذاك الكريمُ الجِدِّ من آل حرّان
وهل أرَيَنْ موسى الكريمَ ابنَ صالح * يُنازعنى صوتاً إذا هو غنّانى

(يريد الغناء فى :
فلم أرَ كالتّجمير مَنْظَرَ ناظرٍ * ولا كليالى النَّفْرِ أَفْتَنَ ذا هوى)

إذا صاح بالتجمير ثم أعاده * بتحقيق إعراب صحيح وتِبْيان
أولئك إخوانى الذين أُحِبّهم * وأُوثِرهم بالودّ من بين إخوانى
وما منهمُ إلّا كريمٌ مهذّبٌ * حبيبٌ إلى إخوانه غيرُ خَوّان

فأجابه محمد بن راشد :

بعثتَ بشعر فيه أنّ رسالةً * أتتك لموسى عن جماعة إخوانِ
بشوق وذكرٍ للجميل ولم يكن * لموسى لعَمْرى فى سَلامته ثانى
ولكن نَطَقْنا بالذى أنت أهلُه * وما تستحقّ من صديق ونَدْمان
وموسى كريمٌ لم يُحِطْ بك خُبْرُه[2] * تَكَبُّرِ نَدَامَى قد بلَوْكَ وإخوانِ
ولو قد بلاك قال فيك كقول مَنْ * فَسَدْتَ عليه من خليل وخُلْصان
ولم يَعْشُه شوقٌ إليك ولم يَجِدْ * لِفَقْدك مسًّا عند نُزْهة بستان

---

(١) فى حـ : «مرارا» . (٢) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «خبرة» .

حَمِدتَ النَّدامى كلَّهم غيرَ إنسانٍ(١) * أَلَا إنما يَجْنِي على نفسه الجانى

فلا تَعْتِبِ(٢) الإخوانَ من بعدها فما * تَنَقُّصُ إخوانِ المودّة من شانى

قال : فأجابه إسحاق :

عجبتُ لمخذولٍ تَعرّض جانيًا(٣) * لِلَيْثِ أبى شِبْلَينِ من أُسْدِ خَفّانِ(٤)

أتانا بشعرٍ قاله مثلِ وجهه * تَزَخْرَفَ فيه وآستعان بأعوانِ ٨٦/٥

بجاء بألفاظٍ ضِعافٍ سخيفةٍ * ومَضْغُها تمضيغَ أهوجَ سكرانِ

دَعُوا الشعرَ للشيخ الذى تعرفونه * وإلّا وُسِمتم أو رُميتم بشُهبانِ

فإنكمُ والشعرَ إذ تدّعونه * كمُعتسِفٍ فى ظلمة الليل حَيْرانِ

صَهٍ لا تعودوا للجواب فإنما * ترومون صَعْبًا من شماريخ(٥) ثَهْلانِ

أنا الأسدُ الوَرْدُ(٦) الذى لا يَفُلّه * تظاهُرُ أعداءٍ عليه وأقرانِ

ومن قد أردتم جاهدين سِقاطَه * فأعياكُمُ فى كلِّ سِرٍّ وإعلانِ

لَعَمْرِى لئن قلتم بما أنا أهلُه * ليستنفدنّ(٧) القولَ تعظيمُكم شانى

وبجَحْدِكمُ إيّاىَ ما تعلمونه * وإقرارُكم عندى بذلك سِيّانِ

ألَا يزجُرُ الجُهّالَ عنّا أميرُنا * وموسى وذاك الشيخُ من آل حَرّانِ

ولا سيّما مَنْ بان للناس شرُّه * فما يَتمارى فى مذاهبه آثنانِ

ذكر فى مجلس محمد أبن عمر الجرجانى فأثنى عليه

حدّثنى أحمد بن عُبَيد الله بن عَمّار قال حدّثنى يعقوب بن إسرائيل قَرْقارَةُ قال:

---

(١) كذا فى أكثر الأصول . وفى ب ، سـ : « أنسه » . (٢) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « فا » . (٣) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « جانبا » بالباء الموحدة ، وهو تصحيف . (٤) خفان (بفتح أوله وتشديد ثانيه) : موضع قرب الكوفة يسلكه الحاج أحيانا وهو مأسدة . (٥) الشماريخ : رءوس الجبال وأعاليها . وثهلان : جبل باليمن ، وقيل : بالعالية . (٦) الورد : الجرىء . (٧) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « لايستبعدن القول » ، وهو تحريف .

قال لى محمد بن عمر الجُرْجانىّ وقد تذاكرنا إسحاقَ يومًا بحضرته : ما تذكرون من إسحاق شيئًا تقاربون به وصفَه . كان والله إسحاق غُرّةً فى زمانه ، وواحدًا فى دهره عِلْمًا وفقهًا وأدبًا ووَقارًا ووفاءً وجودةَ رأى وصحّةَ مودّة . كان والله يُخرِس الناطقَ إذا نطق ، ويُحيِّر السامعَ إذا تحدّث ، لا يَملّ جليسُه مجلسَه ، ولا تمُجّ الآذانُ حديثَه ، ولا تنبو النفوسُ عن مُطاولته . إن حدّثك ألهاك ، وإن ناظرك أفادك ، وإن غنّاك أطربك . وما كنتَ ترى خَصْلةً من الأدب ولا جنسا من العلم يتكلم فيه إسحاقُ فيُقدِم أحدٌ على مُساجلته ومباراته .

أمره المأمون أن يغنى فى شعر رآه مكتوبا فى بساط فأعجبه

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا يزيد بن محمد المهلّبىّ قال حدّثنى أحمد ابن يحيى المكىّ قال :

أمر المأمون يومًا بالفَرْش الصَّيْفىّ أن يُخرَج ، فأُخرج فيما أخرج منه بساطٌ طَبَرِىّ أو أَصْبَهْبُذَانىّ(١) ، مكتوب فى حواشيه :

صــــوت

لَجَّ بالعين واكِفُ * مِن هوًى لا يُساعِفُ
كلّما جَفّ دمعُه * هيّجتْــه المعـازِفُ
إنمـا الموتُ أن تفا * رِقَ مَنْ أنت آلِفُ
لك حُبّـان فى الفؤا * د تليــدٌ وطارِفُ

قال : فاستحسن المأمون هذه الأبيات ، وبعث إلى إسحاق فأحضره وأمره أن يصنع فيها لحنا ويُعجِّل به ؛ فصنع فيها الهَزَج الذى يُغَنَّى به اليوم . قال أحمد :

---

(١) أصبهبذان : مدينة فى بلاد الديلم ، بينها وبين البحر ميلان .

وسمعها أبي منه فقال : لو كان هـذا الهَزَج لحَكَم الوادى لكان قد أحسن[١] . يريد أنّ حكمًا كان صاحبَ الأهزاج .

أعجب يحيى المكى بصنعة له ومدحه وكذلك الواثق

أخبرني الحسن قال حدّثني يزيد بن محمد قال حدّثني ٱبن المكيّ قال : تذاكرْنا يومًا عند أبي صنعةَ إسحاق، وقد كنّا بالأمس عند المأمون فغنّاه إسحاقُ لحنًا صنعه في شعر ٱبن ياسين :

صـــــوت

٨٧ / ٥

الطُّـلول الدَّوارِسُ * فارقتْهـا الأَوَانسُ
أَوْحشت بعد أهلها * فهى قَفْـرٌ بَسَابِسُ[٢]

ـــ الغناء لإسحاقَ خفيفُ ثقيلٍ بالبنصر ـــ قال : فقال أبي : لو لم يكن من بدائع إسحاقَ غيرُ هذا لكفى، " الطلول الدوارس " كلمتان، و" فارقتها الأوانس " كلمتان، وقد غنّى فيهـما ٱستهلالاً وبسيطا وصاح وسَجَح ورجّع النغمةَ وٱستوفى ذلك كلَّه في أربع كلمات وأتى بالباقى مثله، فمن شاء فليفعل مثلَ هذا أو ليقاربْه . ثم قال : إسحاقُ[٣] والله في زماننـا فوق ٱبن سُرَيْج والغَـرِيض ومَعْبَـد، ولو عاشوا حتى يَرَوْه لعرَفوا فضـلَه وٱعترفوا له به . وأخبرني عمّى عن يزيد بن محمـد المهلّبيّ : أنه كان عنـد الواثق فغنّته شَجَا هذا الصوتَ؛ فقال الواثق مثلَ هذا القول . والمذكور أنّ ابن المكيّ قاله ؛ فلا أدرى أهذا وَهْمٌ من يزيد، أو ٱتّفق أن قال فيه الواثق كما قال يحيى، أو ٱتّفقت عليه قريحتاهما .

أعجب هو والزبير ابن دحمان بغناء خباز فلامه الزبير على ضنته بغنائه والخباز يبتذله

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثني أبي عن إسحاق قال :

---

(١) في حـ : «معه» . (٢) البسابس : جمع بسبس وهو القفر .

(٣) في الأصول : « ثم قال : إسحاق والله ما في ... الخ » بزيادة «ما» . ولعلها مقحمة من الناسخ .

أرسل إلىّ الفضـلُ بن الرَّبيع يومًا و إلى الزُّبَيْر بن دَحْمان، فوافق مجيئُنا شغلًا كان له ، فِصرْنا إلى بعض حُجَره، فنَعَستُ فنِمتُ فإذا زُبَير يحـرّكنى فٱنتبهتُ فإذا خَبّازٌ فى مطبخ الفضل يضرب بالشَّوبَق(١) يُغنّى :

صـــوت

بِدَيْر(٢) القـائم الأقصَى * غزالٌ شَفّنى أحْوَى

بَرَى حبّى له جسمى * وما يَدرى بمـا ألقَى

وأُخفِى حبَّه جُهْدِى * ولا والله ما يَخْفَى

— الشـعر والغناء لإسحاق خفيفُ ثقيل بالبنصر — قال : فقال لى الزُّبير : تَضَنّ بهذا وٱنظرْ من يبتذله ! ؛ فقلت : لا أَضَنّ بغناء بعد هذا .

غنى للمأمون بأصوات له فأعجب بها فلما غناها هو لم يستحسنها منه ، وحواره للمغنين

حدّثنى عمّى قال حدّثنى أحمد بن الطيّب السَّرَخْسِىّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنى أحمد بن معاوية بن بكر قال قال لى صالح بن الرشيد :

كنّا أمس عند أمير المؤمنين المأمون وعنده جماعة من المغنّين ، فيهم إسحاق وعَلّويه ومُخارِق وعمرو بن بانة ؛ فغنّى مخارق فى الثقيل الأوّل :

صـــوت

أعاذلَ لا آلوكِ إلّا خَليقتى * فـلا تجعلى فوقى لسانَك مِبْرَدَا

ذَرِينى أكنْ للمـالِ ربًّا ولا يكن * لىَ المـالُ ربًّا تَحْمَـدِى غِبَّـه غدا

(١) الشوبق : خشبة الخباز ، والمشهور « الشوبك » بالكاف وفتح الشين .

(٢) دير القائم الأقصى : موضع على شاطئ الفرات من الجانب الغربى فى طريق الرقة من بغداد .

ذَرِينى يكن مالى لِعِرضى وقايةً * يَقِ(١) المالُ عِرْضى قبل أن يتبدّدا
ألم تعلمى أنّى إذا الضيفُ نابنى * وعَزَّ القِرَى أَقْرِى السَّدِيفَ(٢) المُسَرْهَدَا

فقال له المأمون : لمن هذا اللحن ؟ قال : لهذا الهِزَبْرِ الجالس (يعنى إسحاق)؛ فقال المأمون لمخارق : قم فاقعد بين يدىّ وأعِد الصوت؛ فقام فجلس بين يديه وأعاده فأجاده، وشرب المأمونُ عليه رطلا؛ ثم التفت إلى إسحاق فقال له : غنِّ هذا الصوت؛ فغنّاه فلم يستحسنه كما استحسنه من مخارق؛ ثم دار الدورُ إلى عَلّويه، فقال له : غنّ فغنّى فى الثقيل الأوّل أيضا :

٨٨ / ٥

صوت

أُرِيتُ اليومَ نارَكِ لم أُغَمِّضْ * بِوَاقِصةٍ(٣) ومَشْرَبُنا بَرُودُ(٤)
فلم أَرَ مثلَ موقِدِها ولكن * لأيّةِ نظرةٍ زَهَرَ(٥) الوَقُودُ
فبِتُّ بليلةٍ لا نومَ فيها * أُكابِدُها وأصحابى رُقودُ
كأنّ نجومَها رُبِطتْ بصَخْرٍ * وأَمْراسٍ(٦) تدور وتستريد(٧)

فقال له المأمون : لمن هذا الصوت؟ فقال : لهذا الجالس — وأشار إلى إسحاق — فقال لعَلّويه : أعِدْه فأعاده، فشرب عليه رطلا؛ ثم قال لإسحاق : غَنِّه فغنّاه، فلم

---

(١) فى ب : « يفى » بالفاء . وفى س : « يق » بالباء والقاف، وكلاهما تصحيف .

(٢) السديف : السنام وقيل : شحمه . والمسرهد : المقطع أو السمين . (٣) واقصة : منزل بطريق مكة بعد القرعاء نحو مكة، وقيل : العقبة لبنى شهاب من طيّء، ويقال لها : واقصة الحزون؛ وهى دون زبالة بمرحلتين . (انظر معجم البلدان لياقوت فى اسم واقصة) . (٤) البرود : البارد . (٥) زهر الوقود : أضاءت ناره . (٦) الأمراس : الحبال . (٧) كذا فى الأصول « تستزيد » بالزاى المعجمة . ولعلها «تستريد» بالراء المهملة . وتستريد : تذهب وتجىء؛ إذ الشاعر يريد أن يصف ليلته بالطول حتى كأن نجومها ربطت بأمراس شدّت بصخر فهى تدور وترجع إلى حيث كانت ولا تغور .

يطرَب له طَرَبه لعلّويه. فالتفت إلىّ إسحاق ثم قال لى: أيها الأمير، لولا أنه مجلس سرور وليس مجلسَ لَجَاج وجِدال لأعلمتُه أنه طرِب على خطأ، وأنّ الذى استحسنه إنما هو تزايُدٌ(١) منهما يُفسد قسمةَ اللحن وتجزئتَه، وأنّ الصوت ما غنّيتُه لا ما زادا(٢). ثم أقبل عليهما فقال: يامخنّثان(٣)، قد علمتُ أنكما لم تُريدا بما فعلتماه مدحى ولا رِفعتى، وأنا على مكافأتكما قادر؛ فضحك المأمون وقال له: ما كان ما رأيتَه من طَرَبى لهما إلّا استحسانًا لأصواتهما لا تقديمًا لهما ولا جهلًا بفضلك.

دخل على المعتصم وبين يديه صيد فغناه فطرب وأجازه

حدّثنى عمّى قال حدّثنى عبد الله بن أبى سعد قال حدّثنى محمد بن عبد الله بن مالك الخُزَاعىّ قال حدّثنى إسحاق قال:

دخلتُ يوما على المعتصم وقد رجع من الصيد وبين يديه ظِباء مذبّحة وطيرُ ماء وغير ذلك من الصيد وهو يشرب؛ فأمرنى بالجلوس والغناء؛ فجلستُ وغنّيته:

صــــوت

اِشتهَيْنــا فى ربيـــعٍ مرّةً * زَهَمَ(٤) الوحشِ على لحم الإبِلْ

فغـدَونا بطُـوَالٍ هيْـكَلٍ(٥) * كَسِيبِ النخل مَيّاد خَضِلْ

— الشعر يقال: إنه لأعشى هَمْدان، والغناء لأحمد النُّصْبىّ(٦) خفيفُ ثقيلٍ بإطلاق الوتر فى مجرى البنصر عن إسحاق — فتبسّم وقال: وأين رأيت لحم الإبل! فغنّيته:

(١) يقال: تزايد فلان فى كلامه وتزيد: اذا تكلف الزيادة فيه وجاوز ما ينبغى. (٢) كذا فى أ، حـ، م. وفى باقى الأصول: «زاد» بدون ألف بعد الدال. (٣) فى الأصول: «يا مخنثين» بالياء. (٤) الزهم (بالتحريك): شحم الوحش من غير أن يكون فيه زهومة، أى كراهة ريح أو تغير. (٥) الهيكل: الضخم من كل الحيوان. (٦) كذا فى حـ فى ترجمته (وهى تقع فى حـ ٥ ص ١٦١ طبع بولاق) وهو منسوب الى النصب (بالفتح) وهو ضرب من الغناء أرق من الحداء. وقد ورد فى جميع الأصول هنا وكذلك فى ترجمته مضطربا.

صـــوت

ليس الفتى فيهـم إذا * شَرِب الشرابَ مُؤَنَّبا
لكن يروحُ مُرَنَّحًا * حسنَ الثياب مُطَيَّبا
يسقونه صِرْفًا على * لَحم الظبـاءِ مُضَهَّبا[1]

فقال : هذا أشبه، وشَرِب . ثم غنّيته بشعر وَضّاح اليمن — قال : والغناء لابن مُحْرِز ثقيلٌ أوّلُ — :

صـــوت

أَبَى القلبُ اليمانيّ الذى تُحْمَدُ أخـلاقُهْ
و يَرْفَضُّ له اللحنُ * فما تُفْتَق أَرْتاقه
غزالٌ أَدعَجُ العين * رَبيبٌ خَدَلَّج[2] ساقه
رماني فسبَى قلبي * وأرميـه فأشتاقُه

فطرِب وقال : هـذا والله أحسن صيد وألذُّه، وشَرِبَ عليه بقيّةَ يومه وخلَع عليّ وأمر لى بجائزة . هكذا ذُكِر فى هذا الخبر أن الثقيل الأول لابن مُحْرِز وقد قيل ذلك . وذكر عمرو بن بانة أنّ الثقيل الأول بالبنصر لابن طُنْبورة ، وأن لحن ابن مُحْرِز خفيفُ ثقيلٍ . ٨٩/٥

دقته فى الوصف و إعجاب فضل اليزيدى به

حدّثنى عمى قال حدّثنى فَضْل اليَزيدىّ قال :

قال لى إسحاق يوما فى عُرْض حديثه : دخلت على المعتصم ذاتَ يوم وعليه قميصُ دَبِيقيّ[3] كأنما قُدّ من جِرْم الزُّهَرة[4]، فضحِكتُ، فقال : ما أضحكك ؟ فقلت :

(١) لحم مضهب : مقطع . (٢) الخدلج (بتشديد اللام) : الممتلئ الساقين .

(٣) دبيقيّ : منسوب الى دبيق وهى بليـدة كانت بين الفرما وتنيس من أعمال مصر، وقد خربت ولم يبق منها شيء ، وتنسب اليها الثياب الدبيقية وهى من دق الثياب كانت تتخـذ بها ، وكانت العمامة منها طولها مائة ذراع وفيها رقمات منسوجة بالذهب، تبلغ العمامة من الذهب خمسمائة دينار سوى الحرير والغزل . (راجع معجم ياقوت وشرح القاموس مادة « دبق ») . وفى ب ، سـ : « ديبق » بتقديم المثناة على الموحدة، وهو تصحيف . (٤) الزهرة (بضم ففتح) : كوكب من السيارة معروف .

من مبالغتك فى الوصف، فتبسّم . قال الفضل : وما سمعتُ محدّثا قطُّ ولا واصفا أبلغ منه ولا أحسن لفظا وتشبيها .

تبرمه بالغناء وبالتسمية به

أخبرنا يحيى بن علىّ قال حدّثنا أبو أيّوب المَدِينىّ قال حدّثنا محمد بن عبد الله ابن مالك قال :

قال لى إسحاق : وَدِدت أنّ كل يوم قيل لى : غَنّ أو قيل لى عند ذِكْرى : المغنّى، ضُرِب رأسى خمسةَ عشرَ سوطا، لا أقوى على أكثر منها، ولم يُقَل لى ذلك .

صنع لحنا على لحن أذان سمعه

أخبرنا يحيى قال حدّثنا حمّاد قال: صنع أبى لحنه فى: "تَشَكّى الكُمَيْتُ الجَرْىَ" على لحن أذانٍ سمِعه .

كثرة حفظه لأهزاج القدماء

أخبرنا يحيى قال حدّثنا حمّاد قال :

تذاكرنا يومًا الهَزَج عند المأمون؛ فقال عمرو بن بانة : ما أقله فى الغناء القديم ! ؛ فقال إسحاق : ما أكثره فيه ! ثم غنّاهم ثلاثين هَزَجًا فى إصبع واحدة ومجرى واحد، ما عرفوا جميعا منها إلا نحو سبعة أصوات .

تقدير زرزور لقدرته فى الغناء

حدّثنى يحيى قال حدّثنى أخى قال حدّثنى عافية بن شَبيب قال :

قلت لزُرْزُور : مالكم تَذِلّون لإسحاق هذا الذلّ، وما فيكم أحدٌ إلا وهو أطيب صوتا منه، وما فى صنائعكم وَصْمة ! فقال لى : لا تقلْ ذلك، فوالله لو رأيتنا معه لرحِمْتَنا ورأيتنا نذوب كما يذوب الرَّصاص فى النار ! .

غضب عليه الفضل ابن الربيع فدحه بشعر وتوسل له بعون حاجبه

حدّثنى الصُّولىّ قال حدّثنى عَوْن بن محمد قال حدّثنى إسحاق قال :

لاعبتُ الفضل بنَ الربيع بالنَّرْد، فوقع بيننا خلاف، فحلف وحلفت، فغضب علىّ وهجرنى، فكتبت إليه :

يقــول أُناسٌ شامتون وقــد رأَوْا * مُقامِى و إغبابى الرواحَ إلى الفضلِ
لقد كان هذا خُصَّ بالفضل مرّةً * فأصبح منــه اليومَ مُنصرِمَ الحبل
ولو كان لى فى ذاك ذنبٌ علِمتــه * لَقَطَّعتُ نفسى بالمَــلامة والعــذل

وعرضتُ الأبيات عليه؛ فلمّا قرأها ضحِك وقال: أشدّ من ذنبك أنك لاترى لنفسك بذلك الفعل ذنبا؛ والله لولا أنّى أدّبتك أدبَ الرجل ولدَه، وأنّ حسنَك وقبيحَك مضافان إلىّ لأنكرتنى؛ فأصلح الآن قلبَ عون — وكان يحْجُبه — نخاطبته فى ذلك فكلّمنى بمــا كَرِهت؛ فقلت: أتدخل بينى و بين الأمير أعزّه الله! ؛ وكان عونٌ يُرْمَى بالأُبْنة فقلت فيه:

وذاكرِ أمرٍ ضــاق ذرعًا بذكره * وناسٍ لداءٍ منــه مُتّسِع الخَــرْقِ

قال: ثم علِمت أنه لا يتمّ لى رضا الفَضْل إلا بعد أن يرضَى عون، فقلت فيه:

عَوْنُ يا عَوْنُ ليس مثلَك عونُ * أنت لى عُــدَّةٌ اذا كان كونُ
لك عندى والله إن رَضِىَ الفضــ * ـلُ غلامٌ يُرْضيك أو بِرْذَوْنُ

فدخل إلى الفضل فترضّاه لى فرضِى؛ ثم قال له: و يلك ياعون! إنه والله إنمــا هجاك وأنت ترى أنه قد مدحك، ألا ترى إلى قوله: «غلام يرضيك»! هــذا تعريض بك؛ قال: فكيف أصنع به مع محلّه عند الأمير!.

٩٠/٥ أخبرنى الصُّولِىّ قال حدّثنى عَوْن عن إسحاق، وأخبرنى بعضَ الخبر إسماعيلُ ابن يونس عن عمر بن شَبّة عن إسحاق، ولفظُ الخبر وسياقتُه للصُّولِىّ، قال:

شكا اليه المأمون أصحابه ثم غناه وأطرب فأجازه

استدنانى المأمونُ[1] يوما وهو مُسْتَلْقٍ على فِراش حتى صارت ركبتى على الفراش، ثم قال لى: يا إسحاق، أشكو إليك أصحابى: فعلتُ بفلان كذا ففعل كذا، وفعلتُ

(١) فى مختار الأغانى (ص ١٥٦): «الأمين».

بفلان كذا ففعل كذا ؛ حتى عدّد جماعةً من خواصّه ؛ فقلت له : أنت يا سيّدى بتفضُّلك علىّ وحسنِ رأيك فىّ ظننتَ أنّى ممّن يُشاوَر فى مثل هـذا ، فجاوزتَ بى حدّى ، وهذا رأىٌ يَجلّ عنّى ولا يبلُغه قدرى ؛ فقال : ولِمَ وأنت عندى عالم عاقل ناصح ؟ فقلت : هذه المنزلة عند سيّدى علّمتنى ألّا أقول إلّا ما أعرف ولا أطلبَ إلا ما أنال ؛ فضحك وقال : قـد بلغنى أنّك فى هـذه الأيام صنعتَ لحنًا فى شعر الرّاعى ولم أسمعه منك ؛ فقلتُ : يا سيّدى ، ما سمعه أحدٌ إلا جَوَارِىَّ ، ولا حضرتُ عندك للشرب منذ صنعتُه ؛ فقال : غَنِّه ؛ فقلتُ : الهيبةُ والصَّحْو يمنعانى أنْ أؤدّيه كما تريد ، فلو آنس أميرُ المؤمنين عبدَه بشىء يُطربه ويقوى به طبعـه كان أجود ؛ قال : صدقت ، ثم أمر بالغداء فتغدّينا ، ومُدّت الستارةُ فغُنِّىَ من ورائها وشربنا أقداحا ؛ فقال : يا إسحاق ، أمَا جاء أوانُ ذلك الصوت ؟ فقلت : بلى ياسيّدى ، وغنّيتُه لحنى فى شعر الراعى :

صـــوت

ألم تسألِ بعارِمـةَ(1) الديارَا * عن الحىّ المُفارِقِ أين صارا(2)

بلى سأءلتهـا فأبتْ جوابًا * وكيف تُسائل الدِّمَنَ القفَارا

— لحنُ إسحاق فى هذين البيتين خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى — قال : فاستحسنه ومازال يشرب عليه سائرَ يومه ، وقال لى : ياإسحاق ، لا طَلَبَ بعد وجود البُغْية ، ماأشرب بقيّةَ يومى هذا إلّا على هذا الصوت ؛ ثم وصلنى وخلَع علىّ خِلعةً من ثيابه .

---

(1) عارمة : موضع فى ديار بنى عامر بنجد ، وقيل : ماء لبنى تميم بالرمل . (انظر معجم البلدان لياقوت ومعجم ما استعجم للبكرى فى الكلام على عارمة) . (2) فى مختار الأغانى (ص ١٥٧) وشرح القاموس واللسان مادة (عرم) : «سارا» بالسين المهملة .

مدح أعرابية له

حدّثنى الصُّولى قال حدّثنى عَوْن بن محمد قال حدّثنى إسحاق قال :

كانت أعرابيّة تَقْدَم علىّ من البادية فأُفضل عليها، وكانت فصيحة، فقالت لى ذات يوم : والذى يعلم مغزى كل ناطق لكأنك فى عِلمك وُلدتَ فينا ونشأت معنا، ولقد أريْتَنى نجــدًا بفصاحتك، وأحللتَنى الرّبيع بسماحتك، فلا اطّرَدَ لى قولٌ إلّا شكرتك، ولا نَسَمتْ لى ريحٌ إلّا ذكرتك .

انحل أبا المجيب الربعى صداقا وداعبه بشعر

حدّثنى الصُّولىّ[1] قال حدّثنى عَوْن بن محمد قال حدّثنى المُغيرة بن محمــد المهلّبىّ عن إسحاق قال :

كان أبو المُجيب الرَّبَعِىّ فصيحا عالمــا، فقال لى : يا أبا محمد، قد عزمتُ على التزوّج فأعنّى وقوّنى؛ قال : فأعطيتُه دنانيرَ وثيابا . فغاب عنّى أياما ثم عاد؛ فقلت : يا أبا مُجيب، هاهنا أبيات فاسمعها؛ فقال : هاتها؛ فقلت :

يا ليتَ شعرى عن أبى مُجيبِ * إذ بات فى مَجاسِدٍ[2] وطِيبِ

معانقًــا للــرَّشَا الرَّبيبِ * أأحمَــدَ[3] المحفارُ فى القَليبِ

* أم كان رِخْوًا ذابلَ القضيبِ *

قال : فقال لى : الأخيرُ والله يا أبا محمد .

عاتب الخليل بن هشام بشعر وكان بينهما تهاجر فعادا الى ما كانا عليه

حدّثنى الصُّولىّ قال حدّثنى عَوْن بن محمد قال حدّثنى إسحاق قال :

كانت بينى و بين الخليل بن هشام صداقة ثم استوحشْنا ، فمررتُ ببابه يوما، فتذمّمتُ[4] أن أجوزَه ولا أدخل إليه، فدعوتُ بدَوَاةٍ وقِرْطاس وكتبتُ إليه :

(١) فى جميع الأصول : « حدّثنى عون بن محمد الصــولىّ » وهو خطأ ؛ فان اسم الصولى "محمد ابن يحيى" . وقد تقدّم هذا السند بنصه فى أكثر من موضع ، وسيأتى كذلك فى الخبر الذى يلى هذا الخبر.

(٢) المجاسد : جمع مجسد، وهو القميص الذى يلى البدن . (٣) أحمد الشىء : أتى ما يحمد عليه . والمحفار: المسحاة وما يحفر به ، وهو مستعمل هنا على سبيل المجاز . (٤) تذممت : استنكفت .

٩١ / ٥

رجعنا بالصفاء إلى الخليلِ * فليس إلى التّهاجُر من سبيلِ
عتابٌ فى مُراجعةٍ وصفحٌ * أحقُّ بنا وأشبهُ بالجميل

قال : ووجّهت بالرُّقعة وقصدت بابَه، فخرج إلىّ حتى تلقّانى، ورجعنا إلى ما كنّا عليه .

تعقب فيما يرويه من الأخبار فوجد صادقا

حدّثنى الصُّولىّ قال حدّثنى عبد الله بن المعتزّ عن الهِشامىّ قال : كان أهلُنا يعتبرون (1) على إسحاق ما يقوله فى نسبة الغناء وأخباره، بأن يُجلسوا كاتبتين فَهِمتين خَلْف السِّتارة، فتكتبان ما يقوله وتضبِطانه، ثم يتركونه مدّة حتى ينسى ما جرى، ثم يُعيدون تلك المسألة عليه، فلا يزيد فيها ولا ينقص منها حرفا كأنه يقرؤها من دفتر، فعلموا حينئذ أنه لا يقول فى شىء يُسأل عنه إلّا الحقّ .

غنى علويه لحنا لأبيه فخطأه هو فى مجلس المأمون

حدّثنى الصُّولىّ قال حدّثنى أحمد بن مَزْيد (2) المهلّبىّ قال حدّثنى أبى عن إسحاق قال :

كنّا عند المأمون، فغنّاه علّويه :

صــــوت

لعَبْــدةَ دارٌ ما تكلّمنــا الدارُ * تلُوح مَغَانيها كما لاح أسطارُ
أُسائل أحجــارًا ونُؤْيًا (3) مُهَدّما * وكيف يردّ القولَ نؤىٌ وأحجارُ

ــ الشعر لبَشّار، والغناء لإبراهيمَ ثانى ثقيلٍ مطلق فى مجرى الوسطى عن إسحاق ــ

قال : فقال المأمون : لمن هذا اللحن ؟ فقلت : لعبد أمير المؤمنين أبى، وقد أخطأ

(1) اعتبر الشىء : اختبره ونظر فيه وردّه إلى نظيره لحكم عليه بحكمه . (2) كذا فى جميع الأصول، ولم يتقدّم لهذا الاسم ذكر قبل ذلك ولم نعثر عليه فى كتب التراجم . والمعروف أن الصولى يروى عن محمد بن يزيد المهلبى وعن يزيد بن محمد المهلبى، كما تقدّم فى هذا الكتاب أكثر من مرة . (3) النؤى : الحفير أو الحاجز حول الخباء أو الخيمة يدفع عنها السيل يمينا وشمالا و يبعده .

فيه عَلّويه؛ قال: فغنّه أنت فغنّيته، فاستعادنيه مرارا وشرب عليه أقداحا، ثم تمثل قولَ جرير:

وابنُ اللَّبونِ[1] إذا ما لُزّ في قَرَنٍ * لم يستطع صَوْلةَ البُزْلِ القَنَاعِيسِ

ثم أمر لي بخمسين ألف درهم. ووجدتُ هذا الخبر بخطّ أبي العبّاس ثَوَابة، فقال فيه: حدّثني أحمد بن إسماعيل أبو حاتم قال حدّثني عبد الله بن العباس الرّبيعيّ قال:

اِجتمعنا بين يدي المعتصم، فغنّى عَلّويه:

* لعبدةَ دارٌ ما تكلِّمنا الدار *

فقال له إسحاق: أخطأت فيه، ليس هو هكذا؛ فقال عَلّويه: أُمّ من أخذناه عنه هكذا زانية؛ فقال إسحاق: شتَمَنا قبحه الله، وسكت وبان ذلك فيه؛ وكان عَلّويه أخذه من إبراهيم.

حواره مع علويه حين أغرى الواثق بينهما

حدّثني جَحْظة قال حدّثني أبو العُبَيس بن حَمْدون عن أبيه عن جدّه قال:

كان إسحاق بعد وفاة المأمون لا يغنّي إلا الخليفة أو وليَّ عهده أو رجلًا من الطاهِريّة مثلَ إسحاق بنِ إبراهيم وطبقتِه؛ فآجتمعنا عند الواثق وهو وليّ عهد المعتصم، فآشتهى الواثق أن يُضرِّبَ[2] بين مخارِق وعَلّويه وإسحاق، ففعل حتى تهاتروا؛ ثم قال لإسحاق: كيف هما الآن عندك؟ فقال: أمّا مُخارق فَنَادٍ[3] طيِّبُ الصوت؛

(١) ابن اللبون: ولد الناقة اذا كان في العام الثاني واستكمله، وقيل: إذا دخل في الثالث، والأنثى: ابنة لبون، سمي بذلك لأن أمه وضعت غيره فصار لها لبن. ولز: شدّ ولصق. والقرن (بالتحريك): الحبل الذي يقرن به البعيران. والبزل: جمع بازل، وهو البعير الذي فطر نابه أي انشق. قال الأصمعي وغيره: يقال للبعير اذا استكمل السنة الثامنة وطعن في التاسعة وفطر نابه: بازل. والقناعيس: جمع قنعاس، وهو الجمل الضخم العظيم الشديد.

(٢) التضريب: الإغراء.

(٣) كذا في مختار الأغاني، وهو الذي يناسب السياق. وفي الأصول: «فياد» بالياء المثناة من تحت بدل النون.

وأمّا عَلّويه فهو خيرِ حمارَيِ العِبَادِىّ(١)، وهو على كل حال شُوَيْء(٢) (يريد تصغيره)، فوثَب عَلّويه مُغْضَبا، ثم قال للواثق: جواريه حرائرُ ونساؤه طوالقُ، لئن لم تستحلفه بحياتك وحقِّ أبيك، أنْ يصدُق عما أسأله(٣) عنه، لأتوبنّ عن الغناء ما عِشْتُ؛ فقال له الواثق: لا تُعَرِّد يا علىّ، نحن نفعل ماسألت؛ ثم حَلّف إسحاق أن يصدُق فحلف؛ فقال له: مَنْ أحسنُ الناسِ اليوم صنعةً بعدك؟ قال: أنت. قال: فمن أضربُ الناس بعد ثَقيف؟ قال: أنت. قال فمن أطيبُ الناس صوتًا بعد مُخارق؟ قال: أنت. قال عَلّويه لإسحاق: أهذا قولُك فىّ وأنت تعلم أنّى مُصَلِّى(٤) كلّ سابق فاضل، ٩٢/٥ وأنّى ثالثُ ثلاثةٍ أنت أحدهم لم يكن فى الدنيا مثلُهم ولا يكون! فما أنت وغناؤك الذى لا يُسْمَع انخفاضا!؛ فغضب إسحاقُ، وانتهر الواثقُ عَلّويه. ثم أخذ إسحاقُ عودًا فنقل مَثْناه إلى موضع البَمِّ(٥)، وزيرَه إلى موضع المَثْلَث، وجعل البمّ والمثلث مكان الزير والمَثْنى، وضرب وقال: ليغنّ من شاء منكم؛ فغنّى مُخارِق عليه:

تَقَطَّع من ظَلّامةَ الوصلُ أجمعُ * أخيرًا على أنْ لم يكن يَتَقَطَّعُ

وضرب عليه إسحاقُ فلم يَبِنْ فى الأوتار خلافٌ ولا فُقِد من الإيقاع شىء ولا بان فيه آختلال؛ فعظُمَ عجبُ الواثق من فعله؛ وقام إسحاق فرقَص طربًا، فكان والله

---

(١) يشير بهذا الى المثل المشهور، وهو ما يقال من أنه كان لعبادى (نسبة الى العباد قوم من العرب نزلوا الحيرة وكانوا نصارى) حماران، فقيل له: أىّ حماريك شر؟ قال: هذا ثم هذا. ويروى أنه قال حين سئل عنهما: هذا هذا؛ أى لا فضل لأحدهما على الآخر. يضرب فى خلتين إحداهما شر من الأخرى. (انظر أمثال الميدانى حـ ٢ ص ٩٢ طبع بولاق). (٢) كذا فى مختار الأغانى. وفى الأصول: «شىء» بدون تصغير. (٣) كذا فى مختار الأغانى. وفى الأصول: «تسأله». (٤) المصلى: التالى للسابق من خيل السباق. والسابق: الأوّل. (٥) البم: الوتر الغليظ من أوتار المزاهر. وقد جاء فى مقدّمة الجزء الأول من الأغانى من هذه الطبعة كل ما يتعلق بآلات العود وأسمائها، فارجع إليه.

أحسنَ رقصًا من كُبَيْش وعبد السلام — وكانا من أرقص الناس — فقال الواثق : لا يكمُل أحدٌ أبدا فى صناعته كمثل كمال إسحاق .

مدح لعبد الله بن طاهر فيه

حدّثنى الصُّولىّ قال حدّثنى عَوْن بن محمد قال حدّثنى إسحاق قال : دخلت على عبد الله بن طاهر وهو يُلاعِب إبراهيمَ بن وَهْب بالشِّطْرَنْج، فغلبه عبد الله، وأومأ إلىّ بأن أُكايده، فقلت :

قد ذهبتْ منك أبا إسحاقِ * مثلَ ذَهَابِ الشهرِ بالمُحاقِ(1)

فقال لى عبد الله : إنّ فضائلك يا أبا محمد لتتكاثر عندنا، كما قال الشاعر فى إبله :

إذا أتاها طالبٌ يَسْتامُها * تكاثرتْ فى عينه كِرامُها

صنع لحنا فى بيتين وغناه الواثق فاستعاده حتى أخذه وأجازه

أخبرنى محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال ذكر علىّ بن الحسن بن عبد الأعلى عن إسحاق قال :

أنشدتْنى أمّ محمد الأعرابية لنفسها هذين البيتين وأنا حاجٌّ، فأستحسنتُهما، وصنعت فيهما لحنا غنّيته الواثقَ؛ فأستعاده حتى أخذه، وأمر لى بثلاثين ألف درهم؛ وهما :

عسى اللهُ يا ظَمْياءُ أن يَعكِسَ الهوَى * فَتلقَيْنَ ما قد كنتُ منكِ لَقِيتُ

ثراءً فتحتاجى إلىّ فتعلمى * بأنّى به أَجْزِيكِ حين غَنِيتُ

شوّش عودا فى مجلس المعتصم وتحدّى ابن المهدى أن يضرب به ثم أظهر هو براعة فائقة

حدّثنى عمّى قال حدّثنى عبد الله بن أبى سعد قال حدّثنى محمد بن مَرْوان قال قال لى يحيى بن مُعاذ :

كان إسحاق الموصلىّ وإبراهيم بن المهدىّ إذا خَلَوا فهما أخوانِ، وإذا ٱلتقيا عند خليفة تَكاشَحَا أقبحَ تكاشُح؛ فاجتمعا يومًا عند المعتصم؛ فقال لإسحاق : يا إسحاق، إن إبراهيم يَثْلُبك ويَغُضّ منك ويقول : إنك تقول : إنّ مخارِقا لا يُحسن شيئا

(1) المحاق (بالضم والكسر) : آخر الشهر إذا أمحق الهلال فلم يرَ .

ويتضاحك منك؛ فقال إسحاق : لم أقل يا أمير المؤمنين : إن مخارقا لا يُحسن شيئا، وكيف أقول ذلك وهو تلميذ أبي وتخريجُه وتخريجى! ولكن قلت : إنّ مخارقا يملك من صوته ما لا يملكه أحد، فيتزايد فيه تزايدًا لا يُبقِى عليه ويتغيّر فى كل حال، فهو أحلى الناس مسموعا وأقلّه نفعا لمن يأخذ عنه، لقلّة ثباته على شيء واحد. ولكنّى أفعل الساعةَ فعلا إن زعَم إبراهيمُ أنه يُحسنه فلستُ أُحسِن شيئا، وإلّا فلا ينبغى له أن يدّعىَ ما ليس يُحسنه. ثم اخذ عودا فشوّش أوتارَه، ثم قال لإبراهيم : غنِّ على هذا أو يغنِّى غيرُك وتضرِب عليه؛ فقال المعتصم : يا إبراهيم، قد سمعتَ، فما عندك؟ قال : ليفعلْه هو إن كان صادقا؛ فقال له إسحاق : غنِّ حتى أضربَ عليك فأبَى؛ فقال لزُرْزُور : غَنِّ فغنَّى وإسحاقُ يضرِب عليه حتى فَرِغَ من الصوت ما علِم أحد أنّ العود مشوّش. ثم قال : هاتوا عودا آخر، فشوّشه وجعل كلَّ وترٍ منه فى الشدّة واللين على مقدار العود المشوّش الأوّل حتى آستوفى؛ ثم قال لزُرْزور : خذ أحدَهما فأخذه، ثم قال : آنظر إلى يدى وآعمل كما أعمل وآضرِب ففعل؛ وجعل إسحاق يغنِّى ويضرِب وزُرْزور ينظر اليه ويفعل كما يفعل؛ فما ظنّ أحدٌ أن فى العودَ [ين][1] شيئا من الفساد لصحة نغَمهما جميعا الى أن فَرِغ من الصوت. ثم قال لإبراهيم : خذ الآنَ أحد العودين، فآضرِب به مبدأً أو مَحْمودَ طريقةٍ أو كيف شئتَ إن كنت تُحسن شيئا؛ فلم يفعل وآنكسر انكسارا شديدا؛ فقال له المعتصم : أرأيتَ مثل هذا قطُّ؟ قال : لا، والله ما رأيتُ ولا ظننت أنّ مثله يكون.

٩٣
٥

أعجبه يوم فتمثل فيه بشعر

حدّثنى أبو عبد الله محمد بن العباس اليَزيدىّ قال حدّثنى عمّى الفَضْل قال :

---

(١) زيادة يقتضيها السياق.

دعانى إسحاقُ يومًا، فمضيتُ اليه وعنده الزُّبَير بن دَحْمان وعلّويه وحسين بن الضحّاك، فمرّ لنا أحسنُ يوم؛ فالتفت الىّ إسحاقُ ثم قال : يومُنا هذا والله يا أبا العبّاس كما قال الشاعر :

أنت والله من الأيـ * ـام لَدْنُ الطّـرفَيْنِ
كلّمـا قلّبتُ عينى * ففى قُـرّةِ عيْنِ

غنى الواثق فشرب وخلع عليه

أخبرنى محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

دخلتُ يوما على الواثق فقال لى : يا إسحاق، إنى أصبحت اليوم قَرِمًا(١) الى غنائك فغنّنى؛ فغنّيته :

من الظباءِ ظِبَاءٌ همُّها السُّخُبُ(٢) * ترعى القلوبَ وفى قلبى لها عشُبُ
لا يَغْـتَرِبْنَ ولا يَسْكُنَّ باديةً * وليس يَدْرِينَ ما ضَرْعٌ ولا حَلَبُ
إذا يدٌ سَرَقتْ فالقطـع يلزمها * والقطع فى سَرَقٍ بالعين لا يجبُ

قال : فشرب عليه بقيّةَ يومه وبعضَ ليلته، وخلع علىّ خِلْعةً من ثيابه .

خرج مع الواثق الى الصالحية لحنّ الى بغداد وأنشده شعرا فأجازه وصرفه

أخبرنى محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

خرجتُ مع الواثق الى الصالحيّة(٣) وهو يريد النزهة، فذكرتُ بغدادَ وعيالى وأهلى وولدى بها فبكيتُ؛ فقال لى : بحياتى أذكرتَ بغدادَ فبكيتَ شوقًا اليها ؟ فقلت : نعم، وغنّيتُه :

(١) القرم (بالتحريك) فى الأصل : شدة الشهوة الى اللحم، ثم كثر حتى قالوا : قرمت الى لقائك .
(٢) كذا فى حـ ، وفيما سيأتى فى أكثر الأصول . والسخب (بضمتين) : جمع سخاب (ككتاب) وهى قلادة تتخذ من قرنفل وغيره؛ وقال الأزهرى : كل قلادة كانت ذات جوهر أولم تكن . والمعنى : أن فى الظباء صنفا (يكنى به عن النساء) همه التزين والتجمل يفتن القلوب ولا يألف إلا النعيم . وفى سائر الأصول : « السحب » بالحاء المهملة، وهو تصحيف . (٣) الصالحية : محلة ببغداد تنسب الى صالح بن المنصور المعروف بالمسكين .

صـــــوت

وما زلت أبكى فى الديار وإنمـا * بكائى على الأحباب ليس على الدار

قال : فأمر لى بمائة ألف درهم وصرفنى .

وأخبرنى محمد بن مَزْيد بهذا الخبر عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه ، وحدّثنى به علىّ ابن هارون عن عمّه عن حمّاد عن أبيه وخبرُه أتمّ ، قال :

ما وصَلنى أحدٌ من الخلفاء قطُّ بمثل ما وصلنى به الواثق . ولقد انحدرتُ معه الى النَّجَف(١) ، فقلت له : يا أمير المؤمنين ، قد قلت فى النجف قصيدة ؛ فقال : هاتِها ؛ فأنشدتُه :

يا راكبَ العِيس لا تَعْجَلْ بنا وقِفِ * نُحَيِّ دارًا لسُعْدى ثم نَنْصرِفِ

حتى أتيتُ على قولى :

لم يَنزِلِ الناسُ فى سهلٍ ولا جَبَلٍ * أَصْفَى هواءً ولا أَعْذَى(٢) من النَّجَفِ

حُفَّتْ ببَرٍّ وبَحْرٍ من جوانبهـا * فالبَرُّ فى طَرَفٍ والبحـر فى طرفِ

وما يَزَالُ نسيمٌ من يَمَانِيَـةٍ(٣) * يأتيـك منهـا برَيّا رَوْضَـةٍ أُنُفِ(٤) ٩٤ / ٥

---

(١) النجف (بالتحريك) : موضع بظهر الكوفة وهو دومة الجندل بعينها ، وبالقرب منه قبر أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضوان الله عليه .

(٢) كذا ورد فى معجم البلدان لياقوت (بالعين المهملة) فى الكلام على النجف . وأعذى : أطيب هواء ، يقال : عذا المكان يعذو اذا طاب هواؤه . ومنه الأرض العذاة وهى الأرض البعيدة عن الأحساء والنزوز والريف ، السهلة المريئة التى يكون كلؤها ناجعا مريئا . وفى الأصول : « أغذى » بالغين المعجمة ، وهو تصحيف .

(٣) فى معجم البلدان :

« ... ... من أيامنه * يأتيك منه ... ... »

(٤) الروضة الأنف (بضم الهمزة والنون) : التى لم يرعها أحد .

فقال : صدقتَ يا إسحاق، هي كذلك . ثم أنشدتُه حتى أتيت على قولي في مدحه :

لا يحسَبُ الجـــودَ يُفْنِي مالَه أبدًا * ولا يرى بذلَ مايَحوِي من السَّرَف

ومضيت فيها حتى أتممتُها ؛ فطرِب وقال : أحسنتَ والله يا أبا محمد، وكنّاني يومئذ، وأمر لي بمائة ألف درهم ؛ وانحدر الى الصالحيّة التي يقول فيها أبو نُوَاس :

* بالصالحيّة من أكنافِ كَلْواذِ (١) *

فذكرتُ الصبيانَ وبغدادَ فقلت :

أتبكي على بغـــدادَ وهي قريبـــةٌ * فكيف إذا ما ٱزددتَ منها غدًا بُعْدَا

لعَمْرُك ما فارقتُ بغـداد عن قِلًى * لوَ آنّا وجدنا عن فِـراقٍ لهـا بُدًّا

إذا ذكرتْ بغدادَ نفسي تقطّعتْ * من الشوق أو كادت تموت بها وَجْدَا

كفى حَزَنًا أن رُحْتُ لم أستطع لها * وَدَاعًا ولم أُحدِثْ بساكنها عهـدا

قال : فقال لي : ياموصليّ، أشتقتَ الى بغداد؟ فقلت : لا والله يا أمير المؤمنين، ولكن من أجل الصبيان، وقد حضرني بيتان ؛ فقال : هاتهما ؛ فأنشدتُه :

---

(١) كلواذا (بفتح فسكون وآخرها ألف مقصورة . ولعل أبا نواس كسرها هنا للقافية ، فقد أوردها بالفتح في قوله :

أحين ودّعنا يحـــيي لرحلته * وخلف الفرك واستحل لكلواذا) :

مدينة كانت قرب بغداد في ناحيـــة الجانب الشرق منها . وهـــذا الشطر من قصيدة لأبي نواس وردت في ديوانه ، وقد ورد فيها على غير رواية الأصول هنا ، مطلعها :

وقائل هـــل تريد الحج قلت له * نعم اذا نفـــدت لذات بغـــداذ

أما وقطـــربل منهـــا بحيث أرى * فقبة الفـــرك من أكناف كلواذ

فالصالحيـــة فالكرخ التي جمعت * شـــذاذ بغداذ ماهم لي بشـــذاذ

والفرك (بالكسر) : قرية كانت قرب كلواذا .

حَننتَ الى الأُصَيْبِيَةِ الصِّغارِ * وشاقك منهمُ قربُ المَزَارِ
وأَبْرحُ ما يكون الشوقُ يوماً[1] * إذا دَنَتِ الدّيارُ من الديار

فقال لى : يا إسحاق، صِرْ إلى بغداد فأقِمْ مع عيالك شهرا ثم صِرْ إلينا ، وقد أمرتُ لك بمائة ألف درهم .

صنع الواثق لحنا وأمره أن يغنى فيه فصنع هو لحنا أحسن منه

أخبرنا يحيى بن علىّ قال أخبرنى أبى قال :

لمّا صنع الواثق لحنَه فى :

أيا مُنْشِرَ المَوْتَى أَقِـدْنِى من التى * بها نَهِلَتْ[2] نفسى سَقَامًا وعَلّتِ
لقد بَخِلتْ حتى لَوَ انّى سألتُها * قَذَى العينِ من سَافِى الترابِ لضَنّتِ

أُعْجِب به إعجابًا شديدا ، فوجّه بالشعر الى إسحاق الموصلىّ وأمره أن يغنّى فيه ، فصنع[3] فيه لحنَه الثقيل الأوّلَ ، وهو من أحسن صنعةِ إسحاق ، فلمّا سمعه الواثق عَجِبَ منه وصغُرَ لحنُه فى عينه ، وقال : ما كان أغنانا أن نأمر إسحاق بالصنعة فى هذا الشعر ، لأنه قد أفسد علينا لحننا . قال علىّ بن يحيى قال إسحاق : ما كان يحضُر مجلسَ الواثق أعلمُ منه بهذا الشأن .

نسبة هذين الصوتين

صوت

أيا مُنْشِرَ المَوْتَى أَقِـدْنِى من التى * بها نَهِلتْ نفسى سَقَامًا وعَلّتِ
لقد بخِلتْ حتى لَوَ انّى سألتُها * قَذَى العين من سافِى التراب لضَنّتِ

(١) سيأتى فى الأغانى (ج ٨ ص ١٦٨ طبع بولاق) رواية أخرى لهذا الشطر :
* وكل مفارق يزداد شوقا *

(٢) النهل (بالتحريك) : الشرب الأوّل ، يقال : نهلت الإبل وأنهلتها أنا ، وهو أن تسق فى أوّل الورد فترد الى العطن (مناخ الابل ومبركها) ثم تسق الثانية وهو العلل فتردّ الى المرعى .

(٣) كذا فى ب ، س ، حـ . وفى سائر الأصول : « فغنى » .

الشعر لأعرابيّ ، والغناء للواثق ثانى ثقيلٍ فى مجرى البنصر . وفيه لمُخَارق رَمَلٌ ، ولعَرِيبَ رمل . ومن الناس من ينسُب هذا الشعر الى كثيِّر ، وهو خطأ من قائله .

أنشدنى هذه الأبياتَ عمّى قال : أنشدنى هارون بن علىّ بن يحيى ، وأنشدنيها علىّ بن هارون عن أبيه عن جدّه عن إسحاق أنه أنشده لأعرابىّ فقال :

٩٥/٥

صـــوت

أَلَا قاتل اللهُ الحمامةَ غُـــدْوةً * على الغصن ماذا هيّجتْ حين غنّتِ
تَغنّتْ بصـوتٍ أعجمىٍّ فهيّجتْ(١) * من الشوق ما كانت ضلوعى أَجنّتِ

غنّى فى هذين البيتين عمرو بن بانة ثانىَ ثقيلٍ بالوسطى .

فلو قَطَرتْ عينُ امرئٍ من صَبَابةٍ * دمًا قطَــرتْ عيـنىْ دمًا فألمّتِ
فمـا سكنتْ(٢) حتى أَوَيْتُ لصوتها * وقلت تُرَى هـذى الحمامةُ جُنّتِ
ولى زَفَـراتٌ لو يَدُمْنَ قتلْنَنى * بشـوق إلى نأى(٣) التى قــد تولّتِ
إذا قلت هذى زَفْرةُ(٤) اليوم قد مضتْ * فمَنْ لى بأخرى فى غدٍ قــد أظلّتِ
فيا مُحيِيَ المَوْتَى أَقِــدْنى من التى * بها نَهِلتْ نفسى سَـــقامًا وعَلّتِ
لقــد بخِلتْ حتى لَوَ انّى سألتُها * قَذَى العينِ من سَافِى التراب لضَنّتِ
فقلتُ ارحَــلا يا صاحبىّ فليتنى * أرى كلّ نفس أُعطِيتْ ما تمنّتِ

---

(١) كذا فى حـ وفيما سيأتى (ج ٨ ص ١٦٦ طبع بولاق) . وفى سائر الأصول هنا : «فهاجنى» . وقد وردت ثلاثة أبيات من هذه الأبيات فى أمالى القالى (ج ١ ص ١٣١ طبع دار الكتب المصرية) مع اختلاف فى بعض الكلمات .
(٢) كذا فيما سيأتى . وفى الأصول هنا : «سكنت» بالنون .
(٣) فيما سيأتى : « نادى » .
(٤) كذا فيما سيأتى . وفى الأصول هنا : «زفرة الموت» ، وهو مما يأباه سياق البيت .

حلفتُ لها بالله ما أُمُّ واحدٍ[1] * إذا ذكرتْه آخرَ الليل حَنَّتِ
وما وَجْدُ أعرابيّةٍ قذفتْ بها * صُرُوفُ النّوى من حيث لم تكُ ظَنَّتِ
إذا ذكرتْ ماءَ العِضَاهِ[2] وطِيبَه * وبَرْدَ الحِمَى من بطن خَبْتٍ[3] أَرَنَّتِ
بأكثرَ منّى لوعةً غيرَ أننى * أُجَمْجِمُ[4] أحشائى على ما أَجَنَّتِ

وأما لحن إسحاقَ فإنه غنّى فى :

* لقد بَخِلتْ حتى لَوَ آنّى سألتُها *

وأضاف إليه شيئا آخر وليس من ذلك الشعر، وهو :

فإن بَخِلتْ فالبخل منها سجيّةٌ * وإن بذَلتْ أعطت قليلاً وأَكْدَتِ[5]

قال : ولحنه ثقيلٌ أوّل بالسبّابة فى مجرى الوسطى .

كاده مخارق عند الواثق فغضب عليه ولما عرف الحق من أمره رضى عنه

أخبرنى الحسن بن علىّ ومحمد بن يحيى الصُّولِىّ قال حدّثنا يزيد بن محمد المهلّبىّ، وحدّثنى به عمّى عن أبى جعفر بن دِهْقَانَةَ النّديم عن أبيه قال :

كان الواثق إذا صنع صوتًا قال لإسحاق : هذا وقع إلينا البارحةَ فآسمَعْه، فكان ربّما أصلح فيه الشيءَ بعد الشيء. فكاده مخارق عنده وقال له : إنما يستجيد صنعتَك إذا حضر لِيُقَارِبَك ويستخرجَ ما عندك، فإذا فارق حضرتَك قال فى صنعتك غيرَ ما تسمع؛ قال الواثق : فأنا أحب أن أقف على ذلك؛ فقال له مخارق : فأنا أُغنّيه «أيا منشر

(١) كذا فى أ، ء، م ونسخة الأستاذ الشنقيطى مصححة بخطه وفيما سيأتى (ج ٨ ص ١٦٦ طبع بولاق) . وفى سائر الأصول : « يا أم واحد »، وهو تحريف . (٢) العضاه : ضرب من الشجر له شوك . (٣) الخبت : الوادى العميق الوطىء ينبت ضروب العضاه، وقيل : ما اطمأن من الأرض واتسع، وهو أيضا علم لصحراء بين مكة والمدينة يقال لها خبت الجميش . وأرنت المرأة فى نوحها : صاحت مع البكاء، وقيل : الإرنان : الصيحة الشديدة والصوت الحزين عند البكاء .
(٤) يقال : جمجم شيئا فى صدره إذا أخفاه ولم يبده . يريد أنه طوى أحشاءه على ما أجنته وجعلها غطاء له . (٥) أكدت : قللت عطاءها ومنعته، وفى التنزيل العزيز : (وأعطى قليلا وأكدى) .

الموتى» فإنه لم يعلم أنه لك ولا سمعه من أحد؛ قال : فآفعلْ. فلمّا دخل إسحاقُ غنّاه مخارق وتعمّد لأن يفسده بجَهْده، وفعل ذلك فى مواضعَ خفيّة لم يعلمها الواثق من قِسمته؛ فلمّا غنّاه قال له الواثق : كيف تَرَى هـذا الصوتَ؟ قال له : فاسدٌ غير مَرْضِىّ؛ فأمر به فسُحِب من المجلس حتى أُخرج عنه، وأمر بنفيه الى بغـداد. ثم جَرَى ذكرُه يوما. فقالت له فَرِيدةُ : يا أمير المؤمنين، إنما كاده مخارق فأفسد عليه الصوتَ من حيث أوهمك أنه زاد فيه بحذقه نَغَماً وجودةً، وإسحاق يأخذ نفسَه بقول الحق فى كل شىء ساءه أو سَرّه، ويفهم من غامض عِلل الصنعة ما لا يفهمه غيره؛ فليُحْضِرْه أمير المؤمنين ويحلِّفه بغليظ الأيمان أن يَصْدُقَه عما يسمع، وأُغنّيه ٩٦/٥ إياه حتى يقف على حقيقة الصوت؛ فإن كان فاسدًا فصدَق عنه لم يكن عليه عتب، ووافقناه عليه حتى يستوى، فليس يجوز أن نتركه[1] فاسدا إذا كان فيه فساد؛ وإن كان صحيحا قال فيه ما عنـده؛ فأمر بالكتاب بحمـله[2] فحُمِل وأُحضِر، فأظهر الرضا عنه ولزِمه أيامًا؛ ثم أَحْلفه ليَصْدُقنّ عما يمرّ فى مجلسه فحلف له. ثم غنّى الواثقُ أصواتا يسأله عنها أجمع فيُخبر فيها بما عنده، ثم غنّته فريدةُ هذا الصوتَ وسأله الواثق عنه، فرضـيه وآستجاده، وقال له : ليس على هـذا سمعتُه فى المرّة الأولى، وأبان عن المواضع الفاسـدة وأَخْبر بإفساد مُخَارِق إياها؛ فسكن غضبُه ووصَل إسحاقَ وتنكّر لمُخَارِق مدّة.

قصة له مع الواثق بشأن الغناء والألحان

أخبرنا يحيى بن علىّ قال حدّثنا أبو أيّوب المَدِينىّ قال حدّثنا محمد بن عبد الله ابن مالك قال حدّثنى إسحاق الموصلىّ :

---

(١) فى الأصـول : « ... أن يتركه ... » بالياء المثناة من تحت بدل النون؛ والتصويب عن مختار الأغانى. (٢) فى الأصول : « فأمر بالكتاب بحمله لحمله وأحضر ... » وعبارة مختار الأغانى : «فأمر بحمله فحمل وأظهر له الرضا عنه ... » .

أنه دخل على إسحاق بن إبراهيم الطّاهرىّ ، وقد كان تكلّم له فى حاجة فقُضيت ، فقال له : أعطاك الله أيها الأمير ما لم تُحط به أُمنيّةٌ ولا تبلُغه رغبة . قال : فاشتهى هذا الكلامَ واستعاده منّى فأعدتُه . ثم مكثنا ما شاء الله ، وأرسل الواثق الى محمد بن إبراهيم (1) يأمره بإخراجى إليه فى الصوت الذى أمرنى به بأن أغنّى فيه ، وهو :

* لقد بَخِلتْ حتّى لَوَ انّى سألتُها *

فغنّيته إيّاه ، فأمر لى بمائة ألف درهم . فخرجتُ وأقمتُ ما شاء الله ليس أحدٌ من مغنّيهم يقدِر أن يأخذ هذا الغناءَ منّى . فلمّا طال مُقامى قلت له : يا أمير المؤمنين ، ليس أحدٌ من هؤلاء المغنّين يقدِر أن يأخذ هذا الصوت منّى ؛ فقال لى : ولِمَ ؟ وَيْحَك ! فقلت : لأنى لا أُصحّحه ولا تسخو نفسى به لهم ؛ فما فعلت الجارية التى أخذتَها منّى ؟ (يعنى شجا ، وهى التى كان أهداها إلى الواثق وعَمِل مجرّد أغانيها وجنّسه ونسبه إلى شعرائه ومُغنّيه ، وهو الذى فى أيدى الناس إلى اليوم) ؛ فقال : وكيف ؟ قال : لأنها تأخذه منّى ويأخذونه هم منها ؛ فأمر بها فأُخرجتْ وأخذتْه على المكان ، فأمر لى بمائة ألف درهم وأَذِن لى فى الانصراف ؛ وكان إسحاق بن إبراهيم الطاهرىّ حاضرا ، فقلت للواثق عند وَداعى له : أعطاك الله يا أمير المؤمنين ما لم تُحط به أُمنيّةٌ ولم تبلُغه رغبة ؛ فالتفت إلىّ إسحاق بن إبراهيم فقال لى : أىْ إسحاقُ أتُعيد الدعاء ! فقلت : إى والله أُعيده قاضٍ أنا أو مغنٍّ . وقدِمتُ بغداد ، فلمّا وافى إسحاقُ جئته مُسلِّما عليه ؛ فقال لى : وَيْحَك يا إسحاق ! أتدرى ما قال أمير المؤمنين بعد خروجك من عنده ؟ قلت : لا أيها الأمير ؛ قال قال لى : ويحك ! كنّا أغنَى

(1) هو محمد بن ابراهيم بن مصعب بن زريق أخو اسحاق بن ابراهيم الطاهرى ، كان من القوّاد الكبار فى أيام المعتصم والواثق والمتوكل ، قتل فى خلافة المتوكل سنة ٢٣٦ هـ (راجع الطبرى ص ١٢٩٠ — ١٢٩٢ ، ١٢٩٨ — ١٣٠٠ ، ١٤٠٤ — ١٤٠٦ من القسم الثالث) .

الناس عن أن نبعث إسحاقَ على لحننا حتى أفسده علينا . قال عليّ بن يحيى : فحدّثنى إسحاق قال : اِستأذنتُ الواثقَ عدّة دَفَعات فى الآنحدار إلى بغدادَ فلم يأذن لى، فصنعتُ لحنا فى :

* خليليّ عُوجَا من صدور الرَّواحلِ *

ثم غنّيتُه الواثقَ فآستحسنه وعجِب من صحّة قِسْمته ومُكْث صوتِه أيّامًا، ثم قال لى: يا إسحاقُ، قد صنعتُ لحنًا فى صوتك فى إيقاعه وطريقته، وأمَر من وراء السّتارة[1] فَغنّوه؛ فقلت : قد والله يا أمير المؤمنين بغّضتَ إلىّ لحنى وسمّجتَه عندى؛ وقد كنتُ آستأذنتُه فى الِآنحدار إلى بغداد فلم يأذن لى؛ فلمّا صَنَع هذا اللّحنَ وقلتُ له ما قلتُ، أتبعتُه بأن قلت له : قد والله يا أمير المؤمنين آقتصَصْتَ منّى فى « لقد بخِلت» وزدتَ؛ فأذن لى بعد ذلك . ٩٧/٥

نسبة هـــذا الصوت

صـــــوت

خليليّ عُوجَا من صـــدور الرّواحل * بجَرْعاءِ[2] حُزْوَى فآبكيَا فى المنـازلِ
لعلّ انحـــدار الدّمع يُعقب راحةً * من الوَجْدِ أو يَشْفِى نَجِىَّ البَـلَابل[3]

الشعر لذى الرُّمّة، والغناء لإسحاق رَمَلٌ بالوسطى فى البيتين . وللواثق فى البيت الثانى وحدَه رَمَلٌ بالبنصر .

(١) راجع أحوال خلفاء بنى أمية والدولة العباسية فى الشرب واللهو وآحتجابهم عن الندماء والمغنين بالسـتارة فى كتاب التـاج فى أخلاق الملوك للجاحظ (ص ٣١ — ٤٥ طبع المطبعـة الأميرية) .

(٢) الجرعاء : الأرض ذات الحزونة تشاكل الرمل ، وقيـل : هى الرملة السهلة المستوية . وحزوى (بضم أوله وسكون ثانيه مقصورا) : موضع بنجد فى ديار تميم ، وقال الأزهرى : جبل من جبال الدهناء . وفى ديوانه طبع أوربا ومعجم ياقوت : « بجمهور حزوى » . والجمهور : الرملة العظيمة المشرفة على ما حولها .

(٣) البلابل : الهموم فى الصدور .

تأسى ابن عياش بشعر ذى الرمة فى البكاء عند المصائب

أخبرنى أحمد بن عمّار قال حدّثنى يعقوب بن نُعَيْم قال حدّثنى كَثِير بن أبى جعفر الحِزَامىّ(١) الكُوفىّ عن أحمد بن جَوّاس الحَنَفىّ عن أبى بكر بن عيّاش قال:

كنتُ إذا أصابتنى المصيبةُ تصبّرتُ وأمسكت عن البكاء، فأجد ذلك يشتدّ علىّ، حتّى مررتُ ذات يوم بالكُنَاسة(٢)، فإذا أنا بأعرابىٍّ واقفٍ على ناقةٍ له وهو يُنشِد:

خليلىّ عُوجَا منْ صُدورِ الرّواحلِ * بجَرْعاءِ حُزْوَى فابكيَا فى المنازلِ

لعلّ انحدار الدّمع يُعقِب راحةً * من الوجد أو يَشفِى نَجِىَّ البَلَابل

فسألتُ عنه فقيل لى : هذا ذو الرُّمّة، فكنتُ بعدُ إذا أصابتنى مصيبة بكيتُ فأجد لذلك راحة؛ فقلت : قاتل الله الأعرابىَّ ! ما كان أعلمَه وأفصحَ لهجتَه ! .

سئل أيهما أجود لحنك أم لحن الواثق فأجاب

أخبرنا يحيى بن علىّ عن أبيه قال :

قلت لإسحاق : أيّما أجودُ، لحنُك فى «خليلىّ عوجا» أم(٣) لحن الواثق؟ فقال: لحنى أجودُ قِسْمةً وأكثر عملا، ولحنُه أطرَبُ، لأنه جعل رَدّتَه من نفس قِسْمته، وليس يقدِر على أدائه إلّا متمكن من نفسه . قال علىّ بن يحيى : فتأملت اللحنين بعد ذلك فوجدتهما كما ذكر إسحاق . قال وقال لى إسحاق : ما كان بحضرة الواثق أعلمُ منه بالغناء .

فضل ابن المعتز لحنا للواثق على لحنه

أخبرنى علىّ بن هارون قال :

كان عبد الله بن المعتزّ يحلف أنّ الواثق ظلم نفسَه فى تقديمه لحنَ إسحاق فى «لقد بَخِلَتْ» . قال: ومن الدّليل على ذلك أنه قلّما غُنِّىَ فى صوت واحد بلحنين

(١) فى جـ : «الحرامى» بالراء المهملة . (٢) الكناسة (بضم الكاف) : محلة بالكوفة .

(٣) فى الأصول : «أو»، والسياق يقتضى «أم» .

فسقط أجودُهما وشُهِر الدُّون، ولا يُشْهَر من اللحنيْن إلا أجودُهما، ولحنُ الواثق أشهرُهما، وما يَرْوِى لحنَ إسحاق إلا العجائزُ ومن كَثُرتْ روايتُه .

كان الواثق يعرض عليه صنعته فيصلح فيها

حدّثنى جَحْظة عن آبن المَكىّ المرتجِل عن أبيه أحمد بن يحيى قال :

كان الواثق يَعْرِض صنعتَه على إسحاق فيُصلِح فيها الشىءَ بعد الشىء .

آخر صوت صنعه

أخبرنا حسين[1] بن يحيى عن حمّاد :

أنّ آخر صوت صنعه أبوه : « لقد بَخِلَتْ »، ثم ما صنع شيئا حتى مات .

غنى المعتصم بشعر أبى القنافذ فأجازهما

أخبرنا هاشم بن محمد الخُزَاعىّ قال حدّثنى أبو زيد عمر بن شَبّة قال حدّثنى إسحاق قال :

دخل أعرابىّ من بنى سُلَيْم سُرَّ مَنْ رأى — وكان يُكْنَى أبا القَنافِذ — فحضر بابَ المعتصم مع الشعراء فأُذِن له؛ فلمّا مَثَل بين يديه أنشده :

مِراضِ العيونِ خِماصِ البطون * طِوالِ المتون قِصارِ الخُطَا
عِتاقِ[2] النّحورِ رِقاقِ الثغورِ * لِطافِ الخصورِ خِدالِ[3] الشَّوَى
عَطابيلَ[4] من كلّ رَقْراقةٍ[5] * تَلُوث الإزارَ بِدِعْصِ[6] النَّقَا
إذا هُنّ منّيْنَنا نائلًا * أبَى البُخْلُ منهنّ ذاك المُنَى
إلى النَّفَرِ البِيضِ أهلِ البِطاح * وأهلِ السَّماحِ طَلَبْنا النَّدَى

٩٨
٥

(١) فى الأصول : «حسن بن يحيى» ، وهو تحريف . (٢) عتاق النحور : جميلاتها .

(٣) خدال : جمع خدلة وهى من النساء : الغليظة الساق المستديرتها . والشوى : الأطراف .

(٤) عطابيل : جمع عطبولة وعطبول وهى الجارية الفتية الجميلة الممتلئة الطويلة العنق . قال ابن برى : ولا يقال : رجل عطبول إنما يقال : رجل أجيد، اذا كان طويل العنق . (٥) جارية رقراقة : كأن الماء يجرى فى وجهها . (٦) الدعص : كثيب الرمل المجتمع .

لهـــم سَـطَواتٌ إذا هُيِّجوا * وحلمٌ إذا الجهـلُ حَلّ الحُبـا (١)
يَبِـــين لك الخـــيرُ فى أوجهٍ * لهـــم كالمصابيح تجلُو الدُّجى
سَعَى الناسُ كى يُدركوا فضلَهم * فقصَّرعن سـعيهم مَنْ سَـعَى
ســـعَى للخـــلافة فأقتـادَها * و برَّز فى السَّـــبْق لمـّا جرى

قال : فآسـتحسنها المعتصم وأمرنى فغنَّيت فيها ، وأمَر للأعرابىّ بعشرين ألفَ درهم ولى بثلاثين ألفَ درهم، وما خرج الناس يومئذ إلّا بهذه الأبيات .

طلب من على بن هشام نبيذا فأرسله اليـــه

حدّثنى عمّى قال حدّثنى فَضْل اليَزيدىّ عن إسحاق قال :

كتبت إلى علىّ بن هشام أطلب منه نبيذًا، فبعث إلىّ جُمَانَ (٢) بما التمستُ، وكتب إلىّ : قد بعثتُ إليك بشَرَابٍ أصْلَبَ من الصَّـخْر، وأعْتَق من الدهر ، وأصْفَى من القَطْر .

تخلف عن عبدالله ابن طاهر فكلف ليس أن تسرق لحنا له وتذيعـه

حدّثنى جَحْظة قال حدّثنى أبو عبـد الله الهِشَامىّ عن أحمد المَكّىّ قال :

لمـّا صنع إسحاقُ لحنَه فى الرَّمَل :

أَمَاوِىَّ (٣) إنّ المـالَ غادٍ ورائحٌ * ويبقى من المـال الأحاديثُ والذِّكْرُ
وقد علم الأقوامُ لو أنّ حاتمـا * يريد ثَرَاءَ المـال كان له وَفْـرُ

(١) الحبا : جمع حبوة (بضم الأوّل وكسره فى المفرد والجمـع) ، وهى الثوب الذى يحتبى به . والاحتباء : ضم الانسان رجليه الى بطنه بثوب يجمعهما . و يكنى بحل الحبا عن القيام كما يكنى بعقدها عن القعود . يريد : أن للمدوحين حلما اذا استفز الجهل أهل الجهل غضبا وطيشا. (٢) لعله يريد بجمان هـذا : قهرمانا أو وكيلا لعلى بن هشام ، وقد سقطت هذه الكلمة فى ح . (٣) الشعر لحاتم الطائى ، يخاطب ماوية بنت عفزر وقد خطبها حاتم الى أهلها ، وله فى ذلك معها حديث طويل . (انظر كتاب الشعر والشعراء ص ١٢٦ طبع أوربا ، والأغانى ج ١٦ ص ١٠٥ طبع بولاق) .

وهو رَمَل نادرٌ، ابتداؤه صِيَاح، ثم لا يزال ينزل على تدريج حتى يقطعه على سَجْحة، وكان كثيرَ الملازمة لعبد الله بن طاهر، ثم تخلّف عنه مدّة وذلك فى أيام المأمون؛ فقال عبد الله لِلَمِيسَ جاريتِه : خُذِى لحنَ إسحاق فى :

* أَمَاوِىَّ إنّ المــال غادٍ ورائحٌ *

فأخلعيه على :

وهبّتْ شَمَالٌ آخرَ الليل قَرّةٌ (١) * ولا ثوبَ إلّا بُرْدُها وردائيَا

وألْقيه على كلّ جارية تُعلّمينها واشْهَريه وألْقيه على من يُجيده من جوارى زُبَيْدة، وقولى : أخذتُه من بعض عجائز المدينة؛ ففعلتْ، وشاع أَمْرُه حتّى غُنِّى به بين يدى المأمون؛ فقال المأمون للجارية : ممّن أخذتِ هــذا ؟ فقالت : من دار عبد الله بن طاهر من لَمِيسَ جاريتِه، وأخبرتْنى أنها أخذتْه من بعض عجائز المدينة. فقال المأمون لإسحاقَ : وَيْلَك ! قد صِرتَ تسرق الغناءَ وتدّعيه ، اِسمع هذا الصوت ؛ فسمعه فقال : هذا وحياتِك لحنى، وقد وقَع علىّ فيــه نَقْب من لصّ حاذق، وأنا أغوص عليه حتّى أعرِفَه؛ ثم بَكّرَ الى عبد الله بن طاهر فقال: أهذا حقّى وحُرْمتى وخدمتى! تأخذ لَمِيسُ لحنى فى :

* أماوىّ إنّ المــال غادٍ ورائحٌ *

فتغنّيه فى : «وهبّتْ شَمال» ! وليس بى ذلك، ولكن بى أنّها فضحَتْنى عند الخليفة وادّعتْ أنها أخذتْه من بعض عجائز المدينة ؛ فضحك عبــد الله وقال : لو كنتَ تُكْثِر عندنا كما كنت تفعل لم تُقْدِم عليك لَمِيسُ ولا غيرُها؛ فاعتــذَر فقبِل عذرَه، وقال له : أىَّ شىء تريد ؟ قال : أُريد أن تُكذِّب نفسَها عند من ألقتْه عليها حتى

(١) قرة : باردة .

يعلم الخليفــة بذلك ؛ قال : أفعل ؛ ومضى إسحاقُ إلى المأمون وأخبره القصّــة ؛ فٱستكشفها من لَبِيس حتى وقف عليها ، وجعل يعبث بإسحاق بذلك مدّة .

غنى محمدا الأمين فى شعرله فيه فأجازه

حدّثنى جَحْظة قال حدّثنى عُبَيد الله بن عبد الله بن طاهر قال حدّثتنى شَهَوات[1] الصَّنّاجة التى كان إسحاق أهداها إلى الواثق : ٩٩ / ٥

أن محمدا الأمين لمّا غنّاه إسحاقُ لحنَه الذى صنعه فى شعره وهو الثقيل الأوّل :

صـــــوت

يأيّهـا القائمُ الأمين فدَتْ * نفسَك نفسى بالمـال والوَلَدِ
بَسَطْتَ للنّـاس إذ وَلِيتَهُمُ * يدًا من الجود فوق كلّ يد

فأمر له بألف ألف درهم؛ فرأيتُها قد وصلتْ إلى داره يحمِلها مائةُ فرّاش .

سأله الواثق ، وهو يغنيه شعرا ، عن أحسن ما فيه فأعجب بجوابه وأجازه

حدّثنى جَحْظة ومحمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قالا حدّثنا حَمّـاد بن إسحاق عن أبيه قال :

غنّيتُ الواثقَ :

صـــــوت

عفَا طَرَفُ القُرَيّةِ فالكَثِيبُ * إلى مَلْحاءَ ليس بهـا عَرِيبُ[2]
تأبّد رسمُهـا وجرى عليهـا * سَوَافِى الريح والتُّربُ الغريبُ

ــ ولحنه ثقيلٌ ثانٍ ــ قال: فقال لى : يا إسحاق، قد أحسن ٱبنُ هَرْمة فى البيتين، فأىّ شىء هو أحسنُ فيهما من جميعهما ؟ قال قلت : قوله : «التّرب الغريب» ، يريد أنّ الريح جاءت إلى الأرض بتراب ليس منها فهو غريب جاءت به من موضع بعيد؛ فقال : صدقتَ وأحسنتَ، وأمر لى بخمسين ألفَ درهم .

(١) فى مختار الأغانى (ص ١٥٩) : «شهوار» بالراء المهملة .
(٢) تقدّم هذا الشعر فى ص ٢١٤ من هذا الجزء مع التعليقات عليه فراجعه .

أمر ابن المدبر مغنيا أن يزيد بيتا على لحن له

حدّثنى علىّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنى محمد بن الحسن بن الحَرُون قال: كنّا يوماً عند أحمد بن المُدَبِّر، فغنّاه مغنٍّ كان عنده لحنَ إسحاقَ :

صـــوت

فأصبحتُ كالحَوْمانِ(١) ينظُر حسرةً * إلى المــاء عطشاناً وقد مُنِـع الوِرْدَا

وقال ابن المُدَبِّر: زد فيه :

وأمسيتُ كالمسلوبِ مهجةَ نفســه * يرى الموتَ فى صدّ الحبيب إذا صَدّا

لحنُ إسحاق فى هذا البيت من الثقيل الأوّل بإطلاقِ الوتر فى مجرى البنصر .

أنشد مروان بن أبى حفصة شعرا له فأدهشه

حدّثنى الأخفش قال حدّثنى محمد بن يزيد الأَزْدىّ قال حدّثنى شيخ من وَلَد المهلّب قال :

دخل مَرْوانُ بن أبى حَفْصة يوماً على إبراهيمَ الموصلىّ، فجعلا يتحدّثان إلى أن أنشد إسحاقُ بن إبراهيم مروانَ بن أبى حَفْصة لنفسه :

إذا مُضَرُ الحمراءِ(٢) كانت أَرُومَتى * وقام بنصرى خازمٌ وٱبنُ خازمِ(٣)

عطَستُ بأنفٍ شامخٍ وتناولتْ * يداى الثُّرَيّا قاعدًا غــيرَ قائمِ

---

(١) الحومان : العطشان ، من حام يحوم اذا عطش . وفى حـ : «كالحيران» ، ولعـل صوابها «الحرّان» ، والحرّان : الشديد العطش.

(٢) قيل لمضر : مضر الحمراء (بالإضافة) لأن أباهم مضر لما اقتسم هو وربيعة الميراث أعطى مضر الذهب (وهو يؤنث) وأعطى ربيعة الخيل ، فقيل لهذا : مضر الحمراء ولذاك ربيعة الفرس . ويقال : لأنه كان شعار مضر فى الحرب العمائم والرايات الحمر . (راجع لسان العرب مادة «مضر»)

(٣) تقدّم هذان البيتان فى أوّل ترجمة إسحاق (ص ٢٧٨ من هذا الجزء) برواية البيت الأوّل هكذا :

إذا كانت الأحرار أصلى ومنصبى * ودافع ضيمى ... ... الخ

وهى الرواية التى تتفق مع الواقع ، إذ إسحاق الموصلى لم تكن أرومته مضر الحمراء بل كان أصـله فارسيا . وورد فى بعض الأصول هنا : «حازم وابن حازم» بالحاء المهملة ، وهو تصحيف .

قال : وجعل إبراهيم يحدّث مروانَ وهو عنه ساهٍ مشغول، فقال له : مالَكَ لا تجيبنى؟ قال : إنك والله لا تدرى ما أفرغ آبنُك هذا فى أذنى .

طرب لشعر أعرابى وسكر حتى انصرف محمولا

حدّثنى أحمد بن جعفر جَحْظة قال حدّثنى الحَرَمىّ بن أبى العَلاء قال حدّثنى موسى بن هارون عن يعقوب بن بِشْر قال :

كنتُ مع إسحاق الموصلىّ فى نُزْهة، فمرّ بنا أعرابىّ، فوجّه إسحاقُ خَلْفَه بغلامه زِيَادٍ الذى يقول فيه :

وقُولَا لساقِينا زِيَادٍ يُرِقُّها * فقد هَدّ(1) بعضَ القوم سَقْىُ زِيادِ

قال : فوافانا الأعرابىّ، فلمّا شَرِب وسمع حَنين الدّواليب قال :

١٠٠ / ٥

صوت

بَكَرَتْ تَحِنُّ ومابها وَجْدِى * وأَحِنُّ من وَجْدٍ إلى نَجْدِ

فدموعُها تَحْيا الرِّياضُ بها * ودموعُ عَيْنِى أَقْرَحَتْ خَدّى

و بساكِنِى نجدٍ كَلِفْتُ وما * يُغْنِى لهم كَلَفِى ولا وَجْدِى

لو قِيس وجدُ العاشقين إلى * وَجْدِى لزاد عليه ماعندى

قال : فما آنصرف إسحاق إلى بيته إلّا محمولا سُكْرًا، وما شرب إلّا على هذه الأبيات. والغناء فيها لإسحاق هَزَجٌ بالبِنْصَر .

قصته مع الفضل بن الربيع بشأن البساط

أخبرنى محمد بن مَزْيَد والحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه، وأخبرنى به الحسن بن علىّ عن عبد الله بن أبى سَعْد عن محمد بن عبد الله عن إسحاق قال :

---

(1) هدّه الأمر : بلغ منه وأعياه .

دخلتُ على الفَضْل بن الرَّبيع وهو على بساط سُوسَنْجِرْدِيّ[(1)] ستينى مُذهب يلمع عليه مكتوب : «مما أمَر بصنعته حَمّاد عَجْرَد» ، فقال لى : أتدرى مَنْ حَمّاد عَجْرد؟ قلت : لا ، قال : حَمّاد عجرد كان والىَ تلك الناحية ، أفرأيتَ مثلَه قطُّ ؟ فقلتُ : لا ، فسكتَ ، ثم قلتُ : أهكذا يفعل الناس ؟ قال : أىّ شىء يفعلونه ؟ قلت : تَهَبُه لى ، قال : لا أفعل ، قلت : إذًا أغضَبُ ، قال : ما شئتَ آفعَلْ ، فخرجتُ مُتغاضبًا ، فلمّا وافيتُ منزلى إذا برسوله قد لَحِقنى بالبساط ، فكتبتُ إليه بيتين لحَمْزة ابن مُضَر :

ولقد عدَدْتُ فلستُ أُحصِى كلّ ما * قــد نِلْتُ منك من المتاع المُونِقِ
بخــديعتى فأراكَ مُنخــدعًا لها * وفُكاهــتى وتَغَضُّــبى وتملُّــقى

— قال ابن أبى سعد فى خبره : — فلمّا دخلتُ عليه ضحك وقال لى : البيتان خير من البساط ، فالفضلُ الآن لك علينا .

رآه ابن بانة يناظر ابراهيم بن المهدى فلم يفهم ما يقولان

أخبرنى يحيى بن علىّ وأحمد بن جعفر جَحْظة عن أبى العُبَيْس بن حَمْدون عن عمرو بن بانة قال :

رأيتُ إبراهيم بن المهدىّ يناظر إسحاقَ فى الغناء ، فتكلّما بما فهماه ولم أفهم منه شيئًا ، فقلت لهما : لئن كان ما أنتما فيه من الغناء فما نحن منه فى قليل ولا كثير .

شعره فى الواثق

أخبرنا يحيى بن علىّ قال حدّثنى أبى قال حدّثنى إسحاق قال :

قدِمتُ على الواثق فى بعض قَدَماتى ، فقال لى : أمَا آشتقتَ إلىّ ؟ فقلتُ : بَلَى والله يا أمير المؤمنين ، وأنشدتُه :

---

(1) فى أ ، ء ، م هكذا : «سوه منجرد ستينى» . وفى سائر الأصول : «سوسنجرد» من غير ياء النسب . وسوسنجرد : قرية من قرى بغداد .

أشكو إلى الله بُعْـدِى عن خليفته * وما أُعالج من سُقْمٍ ومن كِبَرِ
لا أستطيع رحيـلًا إن هَمَمتُ به * يوماً إليـه ولا أقوَى على السَّفَرِ
أنوِي الرَّحيـلَ إليـه ثمّ يمنعنى * ما أحدَثَ الدهرُ والأيامُ فى بَصَرى

قال : [و](١) قال وقد أشخصه إليه قصيدتَه الداليّة :

صـــوت

ضَنّتْ سُـعادُ غَداة البَيْن بالزادِ * وأخلفتْـكَ فـما تُوفِى بميعادِ
ما أنْسَ لا أنْسَ منهـا إذ تُودِّعُنا * والحزنُ منها وإن لم تُبْدِه بادى

لإسحاقَ فى هذين البيتين رَمَلٌ بالوسطَى، يقول فيها :

لمّـا أمَرتَ بإشخاصى إليك هَفَا * قلبى حنيناً إلى أهـلى وأولادى
١٠١/٥ ثم اعتزمتُ ولم أحفِـل ببَيْنِهمُ * وطابتِ النفسُ عن فضلٍ وحَمّاد
كم نعمةٍ لأبيك الخـيرِ أفردَنى * بهـا وعَمّ بأُخرى بعـد إفراد
فلو شـكرتُ أياديكم وأنعُمَكم * لمَـا أحاط بها وَصْفِى وتَعْدادى
لأشـكرنّك ما ناح الحَمَـامُ وما * حَدَا على الصبح فى إثْرِ الدُّجى حادى

قال علىّ بن يحيى : قال لى أحمد بن إبراهيم : يا أبا الحسن، لو قال الخليفة لإسحاق : أحضِرنى فَضْلًا وحَمّادًا أليس كان قد افتضح من دَمَامةِ خَلْقهما وتخلُّف شاهِدِهمـا .

كتب اليـه ابن المهدى يأسف لفقدان من يحكم بينهما

حدّثنى جَحْظة قال حدّثنى هِبة الله بن إبراهيمَ بن المهدىّ قال :

كتب أبى إلى إسحاقَ فى شىء خالفه فيه من التّجزئة والقسمة : «إلى من أُحاكمك والنّاس بيننا حَمِير!» .

(١) الزيادة عن ا، ء، م .

قصة ذهابه الى تل عزاز حين خرج مع الرشيد

أخبرنى محمد بن خَلَف وكيع قال حدّثنا سليمان بن أيّوب قال حدّثنى محمد بن عبد الله بن مالك الخُزاعىّ قال حدّثنا إسحاقُ قال :

كنتُ مع الرشيد حين خرج إلى الرَّقّة، فدخل يوما إلى النساء، وخرجتُ فمضيتُ إلى تَلّ عَزَاز[1]، فنزلتُ عند خَمّارة هناك فسقَتنى شَرابًا لم أرَ مثلَه حُسْنًا وطِيبًا وطِيبَ رائحةٍ فى بيت مرشوش ورَيْحانٍ غَضّ، وبرزتْ بنتٌ لها كأنّها خُوط[2] بانٍ أو جَدْل عِنَان، لم أرَ أحسنَ منها قدًّا، ولا أسْيَلَ خدًّا، ولا أعْتَق وجها، ولا أبرعَ ظَرْفا، ولا أفْتن طَرْفا، ولا أحسن كلاما، ولا أتمّ تماما؛ فأقمتُ عندها ثلاثًا والرشيد يطلبنى فلا يقدِر علىّ؛ ثم انصرفتُ فذهبتْ بى رُسُلُه، فدخلتُ عليه وهو غضبان؛ فلمّا رأيتُه خطَرْتُ فى مِشْيتى ورَقَصْتُ، وكانت فىّ فضلةٌ من السُّكْر، وغنّيْتُ :

صـــوت

إنّ قلبى بالتّلّ تَلّ عَزَازِ * عنـد ظبى من الظّباء الجَوازِى[3]
شادنٍ يَسْكُنُ الشّآمَ وفيـــه * مع دَلّ العِراق ظَرْفُ الحجـاز
يا لَقومِى لِبنت قَسّ أصابتْ * منك صفوَ الهوى وليست تُجازِى
حلفتْ بالمسيح أن تُنجز الوعـ * ـدَ وليست تجـود بالإنجـاز

— الغناء لإسحاقَ خفيفُ رَمَلٍ بالوسطى عن عمرو بن بانة — قال إسحاق: فسكَن غضبُه، ثم قال لى : أين كنتَ ؟ فأخبرتُه، فضحك وقال : إنّ مثل هذا إذا اتّفق

(١) عزاز : ذكره ياقوت فى معجمه فقال : «ذكر أبو الفرج الأصبهانى فى كتاب الديرة : أن عزاز بالرقة، وأنشد عليه لإسحاق الموصلى ...» . ثم ساق ياقوت بعد ذلك البيتين الأولين من الأربعة الأبيات التالية . (٢) الخوط : الغصن الناعم . والجدل : الحبل المفتول . (٣) الجوازى (أصله بالهمز) : جمع جازئة ، وهى من الظباء التى استغنت بالرطب (الرعى الأخضر من البقل والشجر) عن الماء .

لَطَيِّبٌ، أعِدْ غناءك، فأعدته، فأُعجب به، وأمرنى أن أُعيده ليلةً من أولها إلى آخرها؛ وأخذها المغنّون منّى جميعا (١) وشربنا إلى طلوع الفجر، ثم آنصرفنا فصلّيت الصبحَ ونمت، فما آستقررنا حتى أتى إلىّ رسول الرشيد فأمرنى بالحضور، فركبتُ ومَضَيت؛ فلمّا دخلتُ وجدت آبنَ جامع قد طرَح نفسه يتمرّغ على دُكّانٍ (٢) فى الدار لغَلَبة السُّكْر عليه، ثم قال: أتدرى لِمَ دُعينا؟ فقلت: لا والله؛ قال: لكنّى أدرى، دُعينا بسبب نَصْرانيّتِك الزانية، عليكَ وعليها لعنةُ الله؛ فضحكتُ. فلمّا دخلتُ على الرشيد أخبرتُه بالقصة، فضحك وقال: صدَق، عُودوا فيه فإنّى اشتقتُ إلى ما كنّا فيه لمّا فارقتمونى؛ فعُدْنا فيه يومَنا كلَّه حتى انصرفنا .

شعره الى المأمون حين وجد عليه لما ترك الغناء.

أخبرنا الحسن بن علىّ قال حدّثنا يَزيد بن محمد المُهلّبىّ قال :

١٠٢ / ٥ كان إسحاق قد أظهر التوبة وغيّر زِيَّه وآحتجر (٣) من حضور دار السلطان. فبلغه أنّ المأمون وَجَد عليه من ذلك وتنكّر، فكتب إسحاقُ إليه وغنّى فيه بعد ذلك :

صــــوت

يآبنَ عمِّ النبىّ سمعًا وطاعهْ * قــد خلعنا الرِّداءَ والدُّرّاعهْ
ورجعنا إلى الصِّناعة لمّــا * كان سُخْطَ الإمامِ تركُ الصِّناعه .

الغناء لإسحاقَ رَمَلٌ بالبنصر عن عمرو — وقد ذكر الغَلَابِىّ أن هذا الشعر لأبى العَتاهية، قاله لمّــا حبسه الرشيد وأمره بأن يقول الشعر — وذكر حبش أن هذا اللحن لإبراهيم .

(١) كذا فى جميع الأصول، ولعله : « وأخذه » أى الغناء . (٢) الدكان : مقعد يبنى ويجلس عليه وهو يشبه ما يسمى بالمصطبة الآن . (٣) احتجر : امتنع . وفى ء، : « احتجز » بالزاى المعجمة، ومعناه امتنع أيضا .

تفضيل لحنين له على لحني ابن سريج ومعبد

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثني أبي قال :

قال لي محمد بن الحسن بن مُصعَب، وكان بصيرًا بالغناء والنَّغَم، : لحنُ إسحاق في « تَشَكَّى الكميتُ الجريَ » أحسنُ من لحن ابن سُرَيج، ولحنُه في « يوم تُبْدى لنا قُتَيْلة» أحسنُ من لحن مَعْبد، وذلك من أجود صنعة معبد . قال : فأخبرتُ إسحاق بقوله ، فقال : قد والله أخذتُ بزمامَيْ راحلتيهما وزَعْزعتُهما[(1)] وأَنَخْتُ بهما فما بلغتُهما . فأخبرتُ بذلك محمد بن الحسن؛ فقال : هو والله يعلم أنه بَرَّز عليهما، ولكنه لا يدع تعصّبه للقدماء .

وأخبرني جَحْظة قال حدّثني حمّاد بن إسحاق :

أنّ رجلا سأل أباه فقال له : إنّ الناس قد كثّروا في صوتيك : «تشكّى الكُمَيتُ الجريَ» و «يوم تُبدى لنا قُتَيْلة» ، وقالوا : إنهما أجود من لحنَيِ ابن سُريج ومَعْبد؛ قال أبي : وَيْحَك ! رُميت في هذين الصوتين بمعبد وآبن سُريج وهُمَا هُمَا، فقرُبت ووقع القياسُ بيني و بينهما ، وعلى ذلك فقد والله أخذتُ بزمامَيْ راحلتيهما وآنتصفتُ منهمـا .

تحليل غنائه

قرأت في بعض الكتب أن محمـد بن الحسن — أظنّه آبن مصعَب — ذكر إسحاقَ الموصليّ فقال :

كانت صنعتُه مُحكَمةَ الأصول، ونغمتُه عجيبةَ الترتيب، وقسمتُه مُعدَّلةَ الأوزان، وكان يتصرّف في جميع بُسُط الإيقاعات ، فأيّ بِساط منها أراد أن يتغنّى فيه صوتًا قصد أقوى صوت جاء في ذلك البِساط لحُذّاق القدماء فعارَضَه : وقد كان يذهب مذهبَ الأوائل ، و يسلُك سبيلَهم ، و يقتحم طُرُقَهم ؛ فيَبْني على الرَّسْم فيصنعه ،

(١) زعزعهما : ساقهما سوقا عنيفا .

ويحتذى على المِثَال فيَحْكيه[(١)]، فتأتى صنعته قويّة وثيقة يجمع فيها حالتين : القوّةَ فى الطّبْع وسهولةَ المسلك ، وخُنْثًا بين كثرة النَّغَم وترتيبها فى الصِّيَاح والإسجاح ؛ فهى بصنعة الأوائل أشبهُ منها بصنعة المتوسّطين من الطبقات ؛ فأما المتأخرون فأحسَنُ أحوالهم أن يَرْوُوها فيردّوها . وكان حسنَ الطبع فى صياحه ، حسنَ التلطُّف، لتنزيله[(٢)] من الصّياح الى الإسجاح على ترتيب بنَغَم يشاكله ، حتّى تعتدلَ وتتّزن أعجازُ الشعر فى القسمة بصدوره . وكذلك أصواتُه كلُّها ، وأكثرها يبتدئُ الصوت فيصيح فيه — وذلك مذهبه فى جُلّ غنائه ؛ حتى كان كثير من المغنّين يلقّبونه الملسوعَ ؛ لأنه يبدأ بالصّياح فى أحسن نغمة فتح بها أحدٌ فاه — ثم يردّ نغمتَه فيرجّحها ترجيحا و ينزّلها تنزيلا حتى يَحُطّها من تلك الشـدّة إلى ما يوازيها من اللين ، ثم يَعُود فيفعل مثل ذلك ، فيخرج من شـدّة إلى لين ومن لين إلى شـدّة ؛ وهذا أشدّ ما يأتى فى الغناء وأعزّ ما يُعرف من الصّـنعة . قال يحيى بن علىّ بن يحيى وقد ذكر إسحاقَ فى صدر كتابه
الذى ألّف فى أخباره [وزاد فى بعض ما صنعه][(٣)]: «وكان إسحاق أعلمَ أهل زمانه بالغناء، ١٠٣/٥
وأنفذَهم فى جميع فنونه ، وأضربَهم بالعود و بأكثر آلات الغناء ، وأجودَهم صنعةً ، وقد تشـبّه بالقديم وزاد فى بعض ما صـنعه عليه ، وعارَض آبنَ سُريج ومعبـدًا فآنتصف منهما ؛ وكان إبراهيم بن المهدىّ ينازعه فى هذه الصناعة ولم يَبْلُغه فيها ، ولم يكن بعدَ إسحاقَ مثلُه » .

تشبيه لصوت له

أخبرنا يحيى بن علىّ بن يحيى قال حدّثنا أبو أيّوب المَدينىّ قال حدّثنى إبراهيم آبن علىّ بن هشام :

---

(١) كذا فى أ ، ء ، م . وفى سائر الأصول : « فيحكمه » . (٢) لعله «لتنزله» . والتنزل : النزول فى مهلة . (٣) كذا فى أكثر الأصول . وفى ســ : « وزاد فى بعض ما صنعوا » . على أنه غير واضح وجه ارتباط هذه العبارة بما يتصل بها ، فلعلها زيدت سهوا من النساخ .

قال إسحاق وذكر صوته :

صـــوت

كان ٱفتتاحَ بــلائِىَ النَّظرُ * فٱلحَينُ سبَّب ذاكَ والقَدَرُ
قد كان بابُ الصَّبر مُفْتَتحًا * فاليومَ أَغْلَقَ بابَهُ النَّظــرُ

ــ الشعر والغناء لإسحاقَ ثقيلٌ أوّلُ مطلقٌ فى مجرى البنصر . وفيه لأحمد بن المَكّىّ خفيفُ ثقيلٍ ، ولعَرِيبَ ثانى ثقيلٍ، جميعًا عن الهِشَامىّ ــ قال إسحاق : ما شبّهتُ صوتى هذا إلّا بإنسان أخذ الكُرَةَ على الطَّبْطَابة(١) وأهلُ الميدان جميعًا خَلْفَه، فلمّا بلغ أقصى ضربها أحجزها .

قصته مع يحيى بن معاذ والأمين

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا محمد بن يزيد المُهلّبىّ قال حدّثنى إسحاق ، وأخبرنا يحيى بن علىّ عن أبى أيّوب المَدينىّ عن ٱبن المَكّىّ عن إسحاق قال : صنعتُ هذا الصوت فى آخر أيام الرشيــد وكان إذ ذاك يحيى بن مُعاذ يشرب النبيذ، فلمّا كان فى أيام محمد غنّيته، فٱشتهاه وٱشتهَر به، وبعث الى يحيى بن معاذ وأنا أُغنّيه :

اِســقنى وٱبنَ نَهيكٍ * وٱبنَ يحيى بنِ مُعَــاذِ

فلمّا حضر يحيى غنّيت :

فٱسقنِى وٱسقِ نَهِيكًا * وٱسقِ يحيى بنَ مُعاذِ

فبعث إليــه محمد فأحضره فقــال(٢) : لتشربنّ أو لأعاقبنّك ؛ فلم يبرح حتى شرب قدحا ، وغلّفه(٣) وأمر له بمال، وسُرّ بذلك محمد ووهب لى عليه مالًا، وٱنصرفت الى

(١) الطبطابة : خشبة عريضة يلعب بها بالكرة . (٢) سياق الكلام يقتضى أن تكون العبارة بعد البيت : « فقال محمد : لتشربن ... الخ » . مع حذف الباقى، ولعله زيد سهوا .

(٣) غلفه : طيبه بالطيب . وكان من أخلاق الملك تفرده بالتطيب والتجمل ونحوهما ولا تشركه فى ذلك بطانته وندماؤه . (راجع كتاب التاج للجاحظ طبع بولاق ص ٤٦ — ٤٩) .

البيت؛ فجاءنى رسول يحيى بن معاذ فصرتُ إليه، فلم يزل يستحلفنى ألّا أعودَ فى هذا الصوت قُدّامَ محمد أبدًا، وأمر لى من المال بشىء فلم أقبله، ولم أعُدْ فيه .

نسبة هذا الصوت

صـــــوت

شعر علىّ بن هشام الذى غنى فيه

يومُنـا يـومُ رَذَاذِ * وٱصطباحٍ والتـذاذِ
فٱسقنى وٱبنَ نَهِيكٍ * وٱبنَ يحيى بن مُعـاذِ
من كُمَيْتٍ(1) عُتِّقت للشـ * ـيخ كِسرى بن قُبَاذِ
ليس للمـرء من الهـمّ * سـواها من مَلاذِ

الشعر لعلىّ بن هِشام، والغناء لإسحاقَ ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر عن عمرو .

أخبرنى بقوله علىّ بن هشام والحسن بن علىّ قالا حدّثنا عبد الله بن أبى سعد
١٠٤ قال حدّثنى أحمد بن القاسم الهاشمىّ(2) قال حدّثنى أبو عبد الله الهلالىّ قال :
كنتُ عند علىّ بن هشام يومًا إذ رَشّت السماءُ رشًّا وطَشّت، فأنشأ علىّ يقول:

يومُنـا يـومُ رذاذِ * وٱصطباحٍ والتـذاذِ

— وذكر الأبيات الأربعة — ثم قال لغلامه : اذهب إلى أحمد بن يحيى بن معاذ وقل له : يقول لك أخوك : هذا يوم طيّب، فتعالَ أنت وغلاماك بُنَان وعثعث؛ فجاء إلى بابه الرسولُ وعليه غُرَماءُ له، فمنعوه الدخولَ عليه؛ فقال لهم: كم لكم عليه؟ قالوا: مائتا ألف درهم؛ فرجع الغلام إلى علىّ بن هشام فأخبره بالخبر ومبلغ ما لهم عليه من الدَّيْن؛ فقال له : احمل إليه مائتى ألف درهم وجئْ به وبغلامَيْه الساعةَ فحملها؛ فجاء أحمدُ بن يحيى ومعه غلاماه، فقال لعلىّ بن هشام : لِمَ تحمّلت هذا لى! أنا والله

(1) الكميت : الخمر التى فيها سواد وحمرة . (2) فى حـ : « المشامى » .

مُنتظر مالا يجيء فأُعطيهم؛ فقال له : مالى ومالُك واحدٌ. فتغدّيتُ معهما حتى جاءت الحلواء، فقال : أكْثِر من الحلواء فلستَ تدخل معنا فى ديواننا (يعنى الشُّرْبَ)؛ فأكلتُ وغسلت يدىّ ؛ فقال لغلامه سِراج: احمِلْ مع أبى عبد الله الهلالىّ ثلاثين ألفَ درهم؛ فآنصرفتُ وهى معى .

تذكر فى كبره شعرا له فى صباه فبكى

أخبرنا يحيى بن علىّ قال حدّثنا سليمانُ المَدَائنىّ عن آبن المكّىّ عن أبيه قال حدّثنى إسحاق قال :

تعشّقتُ جاريةً فقلت فيها :

هل إلى أن تنـام عينى سبيلُ * إنّ عهدى بالنوم عهدٌ طويلُ
غاب عنّى مَنْ لا أُسمّى فعَيْنى * كلَّ يـــوم عليه حُزْنًا تَسيـيل

— الشـعر والغناء لإسحـاق رَمَلٌ بالبنصر عن عمرو . وفيـه لعَرِيبَ خفيفُ رَمَلٍ آخر. وفيـه لمحمد بن حمزةَ وَجْه القَرْعة خفيفُ ثقيـلٍ، وقيل : إنه لآبن المكّىّ . وفيه رَمَلٌ بالوسطى يُنسب إلى عَلّويه وإلى حسين بن مُحْرِز — قال إسحاق : ثم ملكتُها ، فكنت مشغوفا بها، حتى كَبِرتُ وآعتلّتْ علىّ عيناى ، فذكرتُ هـذا الصـوتَ وأيامَه المتقـدّمة، فما زلتُ أبكى وأذكر دهرى الذى تولّى . وأخبرنى بهذا الخبر الحسن بن علىّ عن يزيد المُهَلَّبىّ عن إسحاق؛ وليس هذا على التمام .

حكم يحيى المكى على لحن له عند المأمون

أخبرنى جَحْظة عن محمد بن أحمد بن يحيى المكّىّ عن أبيه قال :

دعا المأمونُ بإسحاق فأحضره، فأمره أن يُغنّى فى هذا الصوت [فغنّى](1) :

* هل إلى أن تَنامَ عَيْنى سبيلُ *

---

(1) سياق الكلام يأبى هذه الكلمة، ولعلها زيدت من النساخ .

فغنّاه، وكنتُ حاضرًا فقلت : أحسنَ والله يا أمير المؤمنين، وما عدَا بلحنه معنى شعره، فقال المأمون: فإنّا نُردّ الحُكمَ الى مَنْ هو أعلم بذلك منك، فبعث إلى أبى (يعنى يحيى المكىّ) فجىء به، فخبّره بما قلتُ وما قال، وأمر إسحاقَ بردّ الصوت فردّه، فقال يحيى: أحسنَ إسحاقُ فى غنائه وأحسنَ ٱبنى فى ٱستحسانه ، إلّا أنّ هـذا اللحنَ يحتاج أن يُسمَعَ من غيرِ حَلْق إسحاق، فضحك المأمون ، وأمر لإسحاقَ بمال وأمر لأبى بمثله ولى بمثله . قال : ولم يكن فى إسحاق شىء يُعاب إلّا حَلْقُه ، وكان يغلب النـاسَ جميعا بطبعه وحِذْقه .

ضعف بصره والسبب فى ذلك

قال : وأما السبب فى علّة عين إسحاق وضعفِ بصره ، فأخبرنى به محمد بن خَلَف وَكيع قال حدّثنى به أبو أيّوب المَدِينىّ قال حدّثنى محمد بن عبد الله بن مالك الخُزَاعىّ :

أنّ إبراهيم ابن أخى سَلَمة[1] الوَصيف نازَع إسحاقَ فى شىء بين يدى الرشيد من الغناء، فردّ عليه، فشتَمه ، فردّ عليه إسحاقُ وأَرْبَى فى الرّدّ، فقال له إبراهيم : أتردّ علىّ وأنا مولى أمير المؤمنين! فقال له : أُسكُتْ فإنك من مَوَالى العِيدِينِ[2]، فقال له الرشيد: وأىُّ شىء موالى العيدينِ ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، يُشْتَرَى للخلفاء كلُّ صانع وكلُّ ضربٍ فى العبيـد للعتق، فيكون فيهـم الحجّامُ والحائك والسائس، فهو أحد هؤلاء الذين ذكرتُ . قال : وخرج إبراهيم فوقف له على طريقه، فلمّا جاز عليه مُنْصرِفًا ضرب رأسَه بمِقْرَعةٍ فيهـا مِعْوَلٌ ؛ فكان ذلك سببَ ضـعف بصر إسحاق . وبلغ الرشيـدَ الخبرُ، فأمر بأن يُحْجَبَ عنه إبراهيمُ، وحلف ألّا يدخلَ عليه، فدَسّ إلى الرشيدِ من غنّاه :

١٠٥ / ٥

---

(١) فى جميع الأصول هنا : «إبراهيم بن أبى سلمة» ، وقد آثرنا ما أثبتناه لأن الأصول قد اتفقت عليه عند ذكره فى المرّات التالية . (٢) فى حـ ، سـ ، ب : «موالى العيرين» بالراء المهملة .

صـــــوت

مَنْ لعبــدٍ أذلَّه مولاهُ * ماله شافعٌ إليــه سواهُ

يشتكِي ما به إليه ويخشا * هُ ويرجوه مثلَ مايخشاه

― الشعر لأبى العتاهية، والغناء لإبراهيم ابن أخى سَلَمة الوَصيف خفيفُ رَمَلٍ. وفيه لعَرِيبَ ثقيلٌ أوّلُ . وقيل: إن لابن جامع فيه خفيفَ رملٍ آخر ― فلما غُنِّىَ الرشيدُ بهذه الأبيات ، سأل عن صاحب لحنها فعُرِّفَه، فحلف ألّا يرضَى عنه حتى يرضَى إسحاقُ؛ فقام إسحاق فقال : قد رَضِيتُ عنه يا سيّدى رضاءً حسنا، وقبّل الأرضَ بين يديه شكرًا لمـا كان من قوله ؛ فرضِى عنه وأُحضِر وأمره بترضّى إسحاقَ ففعل .

قصته مع إبراهيم ابن أخى سلمة بسبب الدخول على الرشيد

وأخبرنى محمد بن مَزْيَد قال حدّثنا حمّاد عن أبيه قال :

جاء إبراهيم ابن أخى سَلَمة إلى الرشـيد فقال له : يا أمير المؤمنين، إنّى أُحبّ أن تشرّفنى بأن تكون نَوْبتى ونوبةُ إسحاقَ الموصلىّ فى مكان، وأن يكون دخولى إليـك ودخوله فى مكان، فإنْ رأيتَ أن تجعـل ذلك كما سألتُ فعلتَ؛ قال : قد فعلتُ، ولم أكن حاضرًا لمسألته . فلمّـا كان يومُ دخولى عليه جاءنى إبراهيم فدقّ بابى دقًّا عنيفًا وعرّفنى الغـلامُ خبرَه ؛ فقلتُ له : يدخل ؛ فأبى وقال له : قل له اخرج أنت؛ فساء ظنّى واغتممتُ ، فخرجتُ اليه فقلت له : ما الخبر؟ قال : إنّ أمير المؤمنين يأمرك بالحضور ويأمرك ألا تدخل الدارَ إلّا معى بعد أن أُوجِّه إليك فتركب إلىّ وتمضى معى ؛ فمضيت معه على رغمى وأنا منكسر ، وكنت بقيّةَ يومى على تلك الحال . ثم ركبت إلى الفضـل بن الرّبيـع فشكوتُ ذلك إليـه؛ فقال : ما أرى أميرَ المؤمنين يُحِلُّك هذا المحلّ، قم بنا إليه؛ فقمت معه ، فدخل إلى الرشيد فقال له : يا أمير المؤمنين ، إسحاقُ وخدمتُـه وحقوقُ أبيه عليك وعلى أمير المؤمنين

المهدىّ تضع مقدارَه أن تجعله مضمومًا إلى إبراهيم ابن أخى سَلَمة؛ قال : لا والله ما فعلتُ هذا؛ قال : إنه قد جاءنى يبكى ويحلِف إن جرى عليه هذا تاب من الغناء وتركَه جملةً ، ثم لو قُتل لم يَعُدْ إليه؛ فقال : ويحك ! والله ما جرى من هذا شىء، إلّا أنّ إبراهيم ابن أخى سَلَمة جاء فقال : تشرّفنى أن تجعل نوبتى مع نوبة إسحاق ووصولى مع وصوله ففعلت؛فقل له : يجىء متى شاء وينفرد عنه ولا يجىء معه ولا كرامةَ؛ فأخبرنى فرجعت . فلمّا كانت نوبتى جاء إبراهيم إلىّ ففعل مثلَ فعله؛ فقلت لغلامى : اخرج اليه فقل له : ولا كرامةَ لك يا زانى يآبنَ الزانية، لا أجىء معك ولا أَدَعُك تجىء معى أيضا ، وشَتَمه أقبحَ شتم ؛ فخرج الغلام فأدّى اليه الرسالة ؛ فعلم أن هذا لم يتجرأ عليه إلّا بعدَ توثُّق فخجِل ، فقال له : قل له : ومَنْ أكرهك على هذا ! إنما أحببتُ أن نصطحبَ ونتأنّس فى طريقنا، فإن كرِهتَ هذا فلا تفعلْه؛ وآنصرَفَ ولم يعاودْنى بعدها .

١٠٦ / ٥

كان له صوت اذا غناه أخذ بلحيته وبكى

أخبرنى يحيى بن علىّ قال حدّثنا أبو أيّوب المَدِينىّ عن آبن المكّىّ عن أبيه قال :

كان إسحاق إذا غنّى هذا الصوتَ يأخذ بلِحْيته ويبكى :

إذا المرءُ قاسى الدهرَ وآبيضّ رأسُه * وثُلِّمَ تثليمَ الإناء جوانبُهْ
فَلَلموتُ خيرٌ من حياةٍ خَسيسةٍ * تُباعده طورًا وطورًا تُقاربه

الشعر لزَبّان بن سَيّار الفَزارىّ ، حدّثنى بذلك الحَرَمىّ بن أبى العَلاء عن الزُّبَير بن بكّار عن عمّه . والغناء لإسحاق رَمَلٌ بالوسطى .

جفاه المأمون فأمر هو علويه أن يغنيه بشعر له فرضى عنه

أخبرنا محمد بن مَزْيد والحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه، وأخبرنا يحيى بن علىّ عن أبيه عن إسحاق قال :

أقام المأمون بعد قدومه عشرين شهرًا لا يسمع حرفًا من الأغانى ، فكان أوّل من تغنّى بحضرته أبو عيسى بن الرشيد ، ثم واظب على السماع متستّرًا متشبّهًا فى أوّل أمره بالرشيد ، فأقام كذلك أربعَ حِجَج ، ثم ظهر الى النُّدماء والمغنّين . وكان حين أحبَّ السماعَ سأل عنّى ، بجُرِحتُ بحضرته ، وقال الطاعن علىّ : مايقول أمير المؤمنين فى رجل يَتيه على الخلافة ! قال المأمون : ما أبقَى هذا من التيه شيئًا إلا آستعمله . فأمسك عن ذكرى ، وجفانى من كان يصلنى ، لسوء رأيه الذى ظهر فىّ ؛ فأضرّ ذلك بى ، حتى جاءنى عَلّويه يومًا فقال لى : أتأذَن لى فى ذكرك ؟ فإنّا قد دُعينا اليوم ؛ فقلت : لا ! ولكن غَنّه بهذا الشعر ، فإنه سيبعثه على أن يسألك : لمن هذا ؛ فاذا سألك آنفتح لك ما تريد ، وكان الجوابُ أسهلَ عليك من الآبتداء ؛ فقال : هات ، فألقيتُ عليه لحَنى فى شعرى :

صــــوت

يا سَرْحةَ(١) الماءِ قد سُدّتْ مواردُه * أمَا إليـــك طريقٌ غيرُ مســـدودِ
لحائمٍ حامَ حـــتّى لا حِــيامَ(٢) له * مُحلَّأٍ عن طـريق المـاء مطرودِ

ـــ الغناء لإسحاق رَمَلٌ بالوسطى عنه وعن عمرو ـــ قال : فمضى عَلّويه ، فلما آستقرّ به المجلس ، غنّاه بالشعر الذى أمرتُه ، فما عدا المأمون أن يسمع الغناء حتى قال : ويحك يا عَلّويه ! لمن هذا ؟ قال : يا سيّدى ، لعبد من عبيدك جفوتَه وآطّرحتَه من غير جُرْم ؛ فقال : أإسحاقَ تَعْنِى ؟ قال : نعم ؛ قال : يحضر الساعةَ ؛ فجاءنى رسوله

(١) سرحة الماء : كنى بها هنا عن المرأة ، قال الأزهرى : «العرب تكنى عن المرأة بالسرحة النابتة على الماء» ، واستشهد بهذين البيتين . والمحلأ : المطرود عن الماء ، يقال : حلأه عن الماء : اذا طرده ومنعه وروده .

(٢) كذا فى أكثر الأصول . وفى ب ، س : « لا حوام له » . ولم نجد الحوام مصدرا من مصادر حام . وفى اللسان ومختار الأغانى : « لا حراك به » .

فصرت اليه . فلمّا دخلتُ عليه قال : ادنُ فدنوت ، فرفع يديه مادَّهما ، فأنكببتُ عليه ، وآحتضنني بيديه ، وأظهر من بِرّى و إكرامى ما لو أظهره صديق مؤانس لصديقه لَبَرَّه .

غنى المعتضد بشعر له فدحه

أخبرنى محمد بن إبراهيم الجُرْجانى قُرَيْض قال: قال لى أحمد بن أبى العَلَاء : غنّيت المعتضدَ يومًا وهو أميرٌ صوتَ إسحاق :

يا سرحةَ الماء قد سُدّتْ موارِدُه * أما إليك طريقٌ غيرُ مسدودِ

فطرب وآستعاده مرارا ، وقال : هذا والله الغناء الذى يُخالط الرُّوحَ ويُمازِجُ اللحمَ والدم .

صوت فى شعر له ، كان الناس يتهادونه كالطرف

أخبرنا يحيى بن علىّ قال حدّثنا أبو العُبَيْس بن حَمْدون قال أخبرنى أبى قال : لمّا غنّى إسحاقُ فى شعره هذا :

١٠٧

صــــوت

لأسماءَ رَسْمٌ عفا باللِّوَى * أقام رَهينًا لطُول البِلَى

تَعاوَرَه الدهرُ فى صَرْفه * بكَرِّ الجديدَيْنِ حتّى عفا

— الشعر لإسحاقَ من قصيدة مدَح بها الرشيدَ ، والغناء له ثانى ثقيلٍ بالوسطى . وفيه لسُلَيم ثقيلٌ أوّلُ من رواية الهِشامىّ ، وذكر حَبَشٌ أنه لإبراهيمَ بنِ المهدىّ — قال : فكان الناس يتهادَوْنه كما يتهادَوْن الطُّرْفةَ والباكورةَ . وقال أبو العُبَيْس حدّثنى آبن مُخارِق : أنّ الواثق بعث إلى أبيه مُخارق لمّا صنع إسحاقُ هذا الصوتَ ليُلْقيَه عليه ، فصادفه عليلا — ولم يكن أحد يَلْقَنُ عن إسحاق طَرْحَ الغناء كما يَلْقَنُه مُخارِق — فأعاد اليه الرسولَ ومعه مِحَفّة ، وقال : لا بدّ أن يجىء على كلّ حال ؛ فتحامل وصار إليه حتى أخذ الصوتَ عن إسحاق ورجع .

كان يحب الشجاعة والفروسية وشعر أخيه فيه حين أصابه سهم

وذكر محمد بن الحسين الكاتب عن أبي حارثة الباهليّ عن أخيه أبي معاوية: أنّ إسحاق كان يتحلّى بالشجاعة والفُرُوسيّة ويحبّ أن يُنسَب إليهما، ويركب الخيل ويتعلّم بها آفة من الآفات المعترضة على العقول. وكان قد شهد بعضَ مشاهد الحروب فأصابه سهم فنكَصَ على عقِبَيْه؛ فقال أخوه طَيّاب فيه:

وأنت تكلّفتَ مالا تُطيق * وقلتَ أنا الفارسُ المَوْصِلِي

فلمّا أصابتك نُشّابةٌ * رجعتَ الى سِنّك[1] الأوّل

حديث حمزة الزيات معه

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى عن أبيه عن إسحاق قال:

قال حمزة الزّيّات[2] القارئ: يا موصليّ، إنّ لى فيك رأيا، أفترضَى مع فهمك وأدبك ورأيك أن يكون عِوَضُك من الآخرة فضلَ مَطْعَم على مَطْعَم!.

شعر الأصمعي أو ابن المنذر العروضي فيه

حدّثني عليّ بن سليمان الأخفش قال أنشدني أبو سعيد السُّكّريّ قال أنشدني عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ لعمّه يقول لإسحاق:

أئنْ تغنّيتَ للشَّربِ الكرامِ «ألا * ردّ الخليط جمالَ الحيّ فآنفرقوا»

وقيل أحسنتَ فآستدعاك ذاك الى * ماقلتَ ويحك لا يَذْهَبْ بك الخَرَقُ

وقيل أنت حُسَانُ الناسِ كلِّهمُ * وآبنُ الحُسانِ فقد قالوا وقد صدَقوا

فما بهذا تقوم النادباتُ ولا * يُثْنَى عليك إذا ما ضمّك الخِرَقُ

قال يحيى بن عليّ: إنّ هذه الأبيات تُرْوَى لآبن المُنْذِر العَرُوضيّ وللأصمعيّ.

(١) كذا فى الأصول. ولعله محرف عن: «الى شأنك» ونحوه مما يستقيم به الكلام.

(٢) يلاحظ أن حمزة الزيات القارئ (صاحب قراءة القرآن المعروفة) توفى سنة ست وخمسين ومائة فى خلافة أبي جعفر المنصور بمدينة حلوان وهى فى أواخر سواد العراق مما يلى بلاد الجبل (كما فى كتاب الطبقات الكبير فى الكوفيين لآبن سعد — ج ٦ ص ٢٦٨ طبع مدينة ليدن سنة ١٣٢٥ هـ وفهرست ابن النديم ص ٢٩ طبع أوروبا وتاريخ ابن خلكان ج ١ ص ٢٣٥ طبع بولاق) وأن إسحاق الموصلى ولد سنة خمسين ومائة، فكيف يعقل أن يكون بينهما مثل هذا الحديث وإسحاق فى هذه السن.

فسد ما بينه وبين الأصمعى وسبب ذلك ونتائجه وشعره فيه

قال مؤلف هذا الكتاب : كان إسحاق يأخذ عن الأصمعىّ ويكثر الرواية عنه ، ثم فسد ما بينهما ، فهجاه إسحاق وثلَبه وكشَف للرشيد معايبَه ، وأخبره بقلّة شكره وبُخله وضَعَة نفسه وأنّ الصَّنيعةَ لا تَزْكُو عنده ، ووصف له أبا عُبَيدة مَعْمَر بن المُثَنّى بالثقة والصدق والسماحة والعلم ؛ وفعل مثلَ ذلك للفَضْل بن الرَّبيع وآستعان به ؛ ولم يزل حتى وضع مرتبةَ الأصمعىّ وأسقطه عندهم ، وأنفذوا إلى أبى عُبَيدة مَنْ أقدمه .

أخبرنى أبو الحسن الأَسَدىّ قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

أنشدتُ الفضلَ بن الرَّبيع أبياتاً كان الأصمعىّ أنشدنيها فى صفة فرس :

كأنه فى الجُلِّ(١) وهو سامِى * مُشتمِلٌ(٢) جاء من الحَمّامِ
يَسُور(٣) بين السَّرْج والِلّجامِ * سَوْرَ القَطامِىّ(٤) إلى اليَمامِ

١٠٨/٥

قال : ودخل الأصمعىّ فسمعنى أُنشدها ، فقال : هاتِ بقيّتَها ، فقلت له : ألم تقل إنه لم يبقَ منها شىء؟ فقال : مابقى منها إلّا عيونها ، ثم أنشد بعد هذه الأبيات ثلاثين بيتاً منها ، فغاظنى فعله ؛ فلمّا خرج عرّفت الفضلَ بن الربيع قلّة شكره لعارفة(٥) وبخلَه بما عنده ؛ ووصفتُ له فضلَ أبى عُبَيْدة مَعْمَر بن المُثنّى وعلمَه ونزاهتَه وبذلَه لما عنده وآشتمالَه على جميع علوم العرب ، ورَغّبتُه فيه ، حتى أنفذ إليه مالاً جليلاً وآستقدمه ؛ فكنتُ سببَ مجيئه به من البصرة .

أخبرنى عمّى قال حدّثنا فَضْل اليَزيدىّ عن إسحاق قال :

(١) الجل للدابة : كالثوب للإنسان تصان به . وقد وردت هذه الكلمة فى ب ، س : «الحل» بالحاء المهملة ، وهو تصحيف . (٢) اشتمل الرجل : تلفف بثوبه وأداره على جسده كله . (٣) يسور : يثب ويثور . (٤) القطامى (بفتح أوله وبضم) : الصقر . (٥) العارفة : المعروف .

جاء عطـاءُ المُلْك بجماعة من أهل البَصْرة إلى قُرَيْب أبى الأَصْمَعىّ، وكان نَذْلًا من الرجال، فوجده ملتفًّا فى كِسائه نائمـا فى الشمس، فركَضه برجله وصاح به: يا قُرَيْب، قم ويلك! فقال له: هل لقيتَ أحدًا من أهل العلم قطُّ أو من أهل اللغة أو من العرب أو من الفقهاء أو من المحدِّثين؟ قال: لا والله؛ قال: ولا سمعتَ شيئا تَرويه لنا أو تُنشدناه أو نكتبه عنك؟ قال: لا والله؛ فقال لمن حضر: هذا أبو الأصمعىّ، فآشهدوا لى عليه وعلى ماسمعتم منه، لا يَقُلْ لكم غدًا أو بعده: حدّثنى أبى أو أنشـدنى أبى؛ ففضَحه. قال الفضل: ثم مرِض الأصمعىّ، وكان الحال بينه وبين إسحاق الموصـلىّ آنفرجتْ؛ فعاده أبو رَبيعـة، وكان يرغب فى الأدب ويَبَرّ أهلَه؛ فقال له الأصمعىّ: أقرِضْنى خمسة آلاف درهم؛ فقال: أفعل. فقال له أبو ربيعة: فأىّ شىء تشتهى سوى هـذا؟ فقال: أشتهى أن تُهدِى الىّ فصًّا حسـنا وسيفًا قاطعا وبُردًا[1] حسنا وسرجا مُحَلًّى؛ فقال: أفعل، وبعث بذلك اليه لمّـا عاد الى منزله. وبلغ ذلك إسحاقَ فقال:

أليس من العجائب أنّ قِرْدًا * أُصَـيْمِعَ باهِليًـا يستطيلُ
ويزعُم أنه قـد كان يُفْتِى * أبا عمـرو[2] ويسأله الخليـلُ[3]
إذا ما قال قال أبى عجيبـا * لِمـا يأتى به ولِمـا يقـولُ
وما إن كان يَدْرِى ما دَبِيرٌ[4] * أبـوه إن سألتَ وما قَبِيـلُ

(١) كذا فى حـ: وفى سائر الأصول: «برذونا». والشعر الآتى يؤيد ما أثبتناه.
(٢) هو أبو عمرو بن العلاء أحد أئمة اللغة والأدب، كان إمام أهل البصرة فى القراآت والنحو واللغة، أخذ عن جماعة من التابعين؛ قال أبو عبيدة: أبو عمرو أعلم الناس بالقراءات والعربية وأيام العرب والشعر؛ وكان من أشراف العرب ووجهائها، مدحه الفرزدق ووثقه يحيى بن معين وغيره. مات سنة أربع وقيل: سنة تسع وخمسين ومائة. (٣) هو الخليل بن أحمد اللغوى النحوى العروضى، الذى ابتدع علم العروض. مات سنة سبعين ومائة وقيل: سنة خمس وسبعين. (٤) يقال: فلان لا يعرف ماقبيله وما دبيره: أى لا يعرف ما قدامه وما خلفه.

وجَـلّله عطـاءُ المُـلْكِ عارًا * تزول الراسـياتُ ولا يزولُ
نصحتُ أبا ربيعةَ فيه جُهْدِى * وبعضُ النصح أحيانًا ثقيـلُ
فقـل لأبى رَبيعةَ إذ عصانى * وجارَ به عن القصـد السبيلُ
لقد ضاعتْ برودُك فاْحتسبْها (١) * وضاع الفَصُّ والسيفُ الصقيلُ
وسرجٌ كان للبِرذَوْنِ زَينًا * له فى إثْره جَـزَعًا صهيـلُ
وأمّا الخمسـةُ الآلافِ فاْعلمْ * بأنّك غَبْنَهـا لا تسـتقيلُ
وأنّ قضاءها فتَعَزَّ عنهـا * سـيأتى دونه زمنٌ طويلُ

أعجبته وصيفة عند الواثق فأنشده شعرا المراز وغناه فيه فوهبها له

حدّثنى محمد بن مَزْيد قال حدّثنى حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

كنت جالسا بين يدى الواثق وهو ولىّ عهـد، إذ خرجتْ وصيفةٌ من القصر كأنها خُوطُ بانٍ، أحسنُ مَنْ رأتْه عينى قطُّ، تَقْدُمُ عدّةَ وصائفَ بأيديهن المَذَابُّ (٢) والمناديل ونحوُ ذلك، فنظرتُ اليها نَظَرَ دَهِشٍ وهو يَرْمُقُنى. فلمّا تبيّن إلحاحَ نظرى ١٠٩/٥
قال: مالكَ يا أبا محمد قد انقطع كلامُك وبانت الحيرةُ فيك. فتلجلجتُ؛ فقال لى: رمتْك واللهِ هذه الوصيفةُ فأصابت قلبَك!؛ فقلت: غيرُ ملوم؛ فضحك ثم قال: أنشدْنى فى هذا المعنى؛ فأنشدتُه قولَ المَرّار (٣) :

أَلِكْنى (٤) إليها عَمْرَكَ اللهَ يا فتى * بآيةِ ما قالت مـتَى هو رائحُ
وآيةِ ما قالت لهنّ عَشِـيّةً * وفى السِّتر حُرّاتُ الوجوه مَلائحُ

(١) فى أكثر الأصول: «فاحتبسها» بتقديم الباء على السين، والتصويب عن حـ .
(٢) المذاب: جمع مذبة وهى ما يذب به كالمروحة . (٣) هو المرار بن سعيد الفقعسى وله ترجمة فى الجزء التاسع من هذا الكتاب (ص ١٥٨ طبع بولاق) . (٤) ألكنى إلى فلان: أبلغه عنى وتحمل اليه رسالتى .

تَخَيَّرْنَ أَرْماكُنّ فارْمِينَ رميةً * أخا أسدٍ إذ طوّحتْه الطوارحُ (١)
فَلَبِسْنَ مِسْلاسَ الوِشَاحِ كأنها * مَهَاةٌ لها طِفْلٌ بُرُمّانَ راشِحُ (٢)

فقال له الواثق : أحسنتَ بحياتى وظَرُفتَ ، اِصنع فيها لحنا ؛ فإن جاء كما نريد وأطربَنا فالوصيفةُ لك ؛ فصنعتُ فيه لحنًا وغنّيته إيّاه ، فاصطبح عليه وشرب بقيّة يومه وليلته حتى سكِر ، [و] (٣) لم يقترح علىّ غيرَه ، وآنصرفتُ بالجارية .

غنى الواثق وهو لقس النفس فأطربه

حدّثنى عمّى قال حدّثنى فَضْل اليَزيدىّ عن إسحاق قال :

دخلت على الواثق يوما وهو خاثر النفْس (٤) ، فأخذتُ عودًا من الخِزانة ووقفتُ بين يديه فغنّيته :

من الظباءِ ظباءٌ همُّها السُّخُبُ (٥) * ترعَى القلوبَ وفى قلبِى لها عُشُبُ
أهوَى الظباءَ اللواتى لا قُرونَ لها * وحليُهـا الدُّرُّ والياقوتُ والذهبُ
لا يَغْـتَرِبْنَ ولا يسكُنَّ باديةً * وليس يَعْرِفن ما صَرٌّ (٦) ولا حَلَبُ
وفى الذين غَدَوْا ، نفسى الفداءُ لهم ، * شمسٌ تبَرقـعُ أحيانا وتنتقبُ
ياحسنَ ما سَرَقتْ عينى وما آنتهبتْ * والعينُ تَسرِق أحيانًا وتنتهبُ
إذا يدٌ سَرَقتْ فالقطعُ يلزمهـا * والقطعُ فى سَرَق العينين لا يجبُ (٧)

(١) صححها الأستاذ الشنقيطى فى نسخته «طوّحته الطوائح» . وطوّحته الطوائح : قذفته القواذف ورمت به الحوادث ، ولا يقال المطوّحات وهو من النوادر . (٢) قصر الرمان : بنواحى واسط القصب ، وهى التى خربها الحجاج وسمى باسمها « واسط الحجاج » . والراشح : الصغير اذا قوى ومشى مع أمه وسعى خلفها ، و يقال لأمه : راشح أيضا ومرشح (من أرشح) ومرشّح (من رشّح بالتضعيف) .
(٣) التكملة عن حـ . (٤) خاثر النفس : ثقيلها غير طيب ولا نشيط . (٥) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٥٥ من هذا الجزء . (٦) فى أ ، ء ، م : « ما ضرع » . وكذلك وردت فى جميع الأصول فيا مضى . (٧) فى أ ، ء ، م : «فى سرق بالعين» .

قال : فهَشّ إلىّ ونشِط ودعا بطعام خفيف وأكلْنا وآصطبح وأمر لى بمائة ألف درهم . [و] أخبرنى به الحسن بن علىّ عن آبن مَهْرويه عن علىّ بن الحسن عن إبراهيم بن محمد الكَرْخىّ عن إسحاق، فذكر مثلَه ؛ وقال فيه : فأمر لى بعشرة آلاف درهم .

طلب من المأمون أن يدخل المقصورة معه يوم الجمعة فاشترى ذلك منه بمال

حدّثنى جعفر بن قُدَامة قال حدّثنى [عُبَيد الله بن](١) عبد الله بن طاهر عن أخيه محمد قال :

كان إسحاق الموصلىّ يدخل فى مُبَطَّنة وطَيْلَسان مثل زِىّ الفقهاء على المأمون؛ فسأله أن يأذَن له فى دخول المقصورة يوم الجمعة بدُرّاعة سوداءَ وطَيْلَسان أسود ؛ فتبسّم المأمون وقال له : ولا كلّ هذا بمرّة يا إسحاق ، ولكن قد اشترينا منك هذه المسألة بمائة ألف درهم حتى لا تغتمّ ، وأمر بحملها اليه فحُملت .

كان أبو خالد الأسلمىّ يمدحه و يقدم شعره

حدّثنى جعفر بن قُدَامة قال حدّثنى عُبَيد الله بن عبد الله قال حدّثنى هارون ابن محمد بن عبد الملك الزيّات عن أبى خالد الأسْلَمىّ :

أنه ذكر إسحاق يومًا وكان يفضّله و يعظّم شأنه و يقدّمه فى الشعر تقديما مُفْرِطا، فقال : ما قولكم فى رجل محدَث تَشَبّه بذى الرُّمّة وقال على لسانه شعرا وغنّى فيه ونَسَبه اليه ، فلم يَشكُكْ أحدٌ سمعه أنه له ولا فَطِن لما فعل أحد إلّا مَنْ حَصّل شعرَ ذى الرمّة كلَّه ورواه ؛ فسئل أبو خالد عن هذا الشعر فقال :

١١٠ / ٥ ومَدْرَجةٍ(٢) للريح تَيْهاءَ لم تكن * ليَجْشَمَها زُمّيْلةٌ غيرُ حازمِ

يَضِلّ بها السارِى و إن كان هاديًا * وتَقْطَعُ أنفاسَ الرياح النواسمِ

(١) هذه الكلمة ساقطة فى ب ، س سهوا من الطابع . (٢) المدرجة : الطريق . والتيهاء : المفازة التى لا يهتدى فيها . والزميلة : الضعيف الجبان .

تَعَسَّفتُ أَفْرِى جَوْزَها(١) بِشِمِلَّةٍ * بعيدةِ ما بين القَرَا والمَنَاسم
كأَنّ شِرَارَ المَرْوِ(٢) من نَبْذِها به * نجومُ هَوَتْ أُخرى(٣) الليالى العواتم

غنى المأمون بشعر فى اللذات فردّ عليه

حدّثنى عمّى وأحمد بن عُبَيد الله بن عمّار قال حدّثنا فَضْل اليَزِيدىّ عن إسحاق قال :

غَنَّيتُ المأمون يومًا هذين البيتين :

لأحسنُ من قَرْعِ المَثَانى ورجعِها * تَوَاتُرُ صوتِ الثغر يُقْرَعُ بالثغرِ
وسكرُ الهوى أروَى لعظمِى ومَفْصِلى * من الشُّرب فى الكاسات من عاتق الخمر

فقال لى المأمون: ألاَ أخبرك بأطيبَ من ذلك وأحسن؟ الفراغُ والشباب والجِدَة .

أعتق غلامه فتحا لحسن جوابه

حدّثنى الصُّولىّ قال حدّثنى الحسين بن يحيى قال :

كان لإسحاق غلام يقال له فَتْح، يستقى الماءَ لأهل داره على بغلين من بغاله دائمًا؛ فقال إسحاق: قلت له يومًا : أىُّ شىء خبرُك يا فتح؟ قال : خبرى أنه ليس فى هذه الدار أحدٌ أشقى منّى ومنك؛ قلت : وكيف ذلك؟ قال : أنت تُطعم أهل الدار الخبز وأنا أسقيهم الماء؛ فآستظرفتُ قوله وضحكتُ منه، [ثم] قلت له : فأىّ شىء تحبُّ؟ قال : تُعتقنى وتَهب لى البغلين أستقى عليهما؛ فقلت له : قد فعلت .

شعره فى أبى البصير وكان يدعى الغناء بغير علم

أخبرنى أبو الحسن أحمد بن محمد الأَسَدىّ قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق قال :

كان لأبى البَصير الشاعر قِيانٌ، وكان يتكلّم فى الغناء بغير علم ولا صواب فيُضْحَك منه، فقال أبى فيه :

(١) جوز الشىء : وسطه ومعظمه . والشملة : الناقة السريعة . والقرا : الظهر . والمناسم : الأخفاف .
(٢) المرو : حجارة بيض رقاق برّاقة (٣) فى أ ، ء ، م : «إحدى الليالى» .

سكتُّ عن الغناء فما أُمارِى * بصيرًا لا ولا غيرَ البصيرِ
مخافةَ أن أُجنَّن فيه نفسى * كما قد جُنَّ فيه أبو البصير

نهاه الرشيد عن الغناء إلا له أو لجعفر بن يحيى وقصته مع الفضل فى ذلك

أخبرنى الحسين بن يحيى المِرْداسىّ قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: نهانى الرشيدُ أن أغنِّىَ أحدًا غيرَه، ثم آستوهبنى جعفرُ بن يحيى وسأله أن يأذَن لى فى أن أُغنِّيه ففعل، وآتّفقنا يومًا عند جعفر بن يحيى وعنده أخوه الفضل، والرشيدُ يومئذ بعَقِب علّة قد عُوفِى منها وليس يشرَب؛ فقال لى الفضل: انصرفْ إلىّ الليلة حتى أَهَبَ لك مائة ألف درهم؛ فقلت له: إنّ الرشيد قد نهانى[1] ألّا أغنِّىَ إلّا له أو لأخيك، وليس يخفى عليه خبرى، وأنا متّهم عنده بالميل اليكم، ولست أتعرّض له ولا أعرِّضك، ولم أُجبْه. فلمّا نَكَبهم الرشيد قال: إيهِ يا إسحاق، تركتنى بالرَّقّة وجلستَ ببغداد تغنِّى للفضل بن يحيى! فحلفتُ بحياته أنّى ما جالستُه قطُّ إلّا على المذاكرة والحديث، وأنه ما سمعنى قطّ أغنِّى إلا عند أخيه جعفر، وحلفت بتربة المهدىّ أن يسأل عن هذا جميعَ مَنْ فى الدار من نسائه؛ فسأل عنه فحدّثْنَه بمثل ما ذكرتُه له، وعرف خبر المائة الألف الدرهم التى بذلها لى فرددتُها عليه. فلما دخلت عليه ضحِك إلىّ ثم قال: قد سألتُ عن أمرك فعرَفتُ منه مثل ما عرّفتنى، وقد أمرتُ لك بمائة ألف درهم عوضًا مما بذله لك الفضل.

تحدث بحديث لا إسناد فيه وسئل عن ذلك فأجاب

حدّثنى الصُّولىّ قال حدّثنى ميمون بن هارون عن إسحاق أنه كان يقول:
١١١/٥ الإسناد قيدُ الحديث؛ فتحدّث مرّةً بحديث لا إسنادَ له، فسئل عن إسناده، فقال: هذا من المُرْسَلاتِ عُرْفا.

(١) ق أ، ء، حـ، م: «إنه الرشيد وقد نهانى».

أنشد الفضل شعر نصيب فأجازه

حدّثنى الصُّولِىّ قال حدّثنى ميمون بن هارون عن أبيه، وحدّثنى عمّى عبدالله ابن أبى سعد قال حدّثنى محمد بن عبد الله بن مالك عن إسحاق قال : أنشدتُ الفضلَ بن يحيى قولَ أبى الجَنْاء نُصَيْبٍ مولى المهدىّ فيهم :

صـــوت

عنـد المـــلوكِ مَضَرّةٌ ومنافعٌ * وأرى البَرَامِكَ لا تَضُرُّ وتنفـعُ
إنْ كان شرٌّ كان غيرُهم له * أو كان خيرٌ فهو فيهم أجمـع
إنّ العروقَ إذا آستَسَرّ(1) بها الثّرَى * أَشِرَ(2) النباتُ بها وطابَ المَزْرَعُ
فإذا جَهِلْتَ من آمرئ أعراقَه * وقديمَــه فآنظر إلى ما يصـنع

قال فقال : كأنّا والله لم نسمع هذا الشعر قطُّ، قد كنّا وصلْناه بثلاثين ألف درهم، وإذًا نُجَدِّد له الساعةَ صلةً له ولك معه لحفظك الأبياتَ؛ فوصلَنا بثلاثين ألفَ درهم.

عتب عليه المأمون فى شىء فاسترضاه بشعر

وأخبرنى الصُّولِىّ قال حدّثنى الحسن بن يحيى الكاتب أبو الجَمّاز قال : عتَبَ المأمونُ على إسحاق فى شىء، فكتب إليه رُقعةً وأوصلها إليــه من يده، ففتحها المأمون فإذا فيها قولُه :

لا شىءَ أعظمُ من جُرْمى سوى أملى * لحسن(3) عفوك عن ذنبى وعن زَلَلى
فإنْ يكن ذا وذا فى القَدْر قد عَظُما * فأنت أعظمُ من جُرْمى ومن أمــلى

فضحك ثم قال : يا إسحاقُ، عذرُك أعلى قدرًا من جُرمك، وما جال بفكرى، ولا أُخْطِرْتُهُ(4) بعد آنقضائه على ذكرى .

(1) استسر : خفى . (2) أشر النبات : مرح وطال . (3) فى أ ، ء ، م : «وحسن ... » . (4) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «أحضرته» .

ما كان بينه وبين ابن بانة فى مجلس الواثق وقصيدته فى ذمه ومدح الواثق

حدّثنى عمّى قال حدّثنى يزيد بن محمد المهلّبىّ قال :

خرجنا مع الواثق الى القاطول[1] للصيد ، ومعنا جماعةُ الجلساء والمغنِّين وفيهم عمرو بن بانة وعَلّويه ومُخارِق وعَقِيد ، وقدِم إسحاقُ فى ذلك الوقت فأخرجه معه ؛ فتصيّد على القاطول ثم عاد فأكل وشرب أقداحا ، ثم أَمَر بالبُكور الى الصَّبُوح فباكَرْنا واصطبحْنا . فغنّى عمرُو بن بانة لحنَ إبراهيم الموصلىّ :

صوت

بلوتُ أمورَ الناس طُرًّا فأصبحتْ * مُذَمَّمةً عندى بَرَاءً من الحمد

وأصبح عندى من وَثِقتُ بغَيْبه * بَغِيضَ الأيادِى كلُّ إحسانه نَكْدُ[2]

ـــ ولحنه خفيفُ رَمَلٍ بالوسطى ـــ فغنّاه على ما أخذه من إبراهيمَ بن المهدىّ وقد غيّره . فقال الواثق لإسحاق : أتعرف هذا اللحنَ؟ فقال : نعم ، هذا لحنُ أبى ولكنّه ممّا زعمَ إبراهيمُ بن المهدىّ أنه جَنْدَره وأصلحه فأفسده ودَمَر[3] عليه ؛ فقال له : غَنِّه أنت ، فغنّاه فأتى به على حقيقته واستحسنه الواثق جدّا ؛ فغمّ ذلك عمرَو بن بانة فقال لإسحاق : أفأنت مثلُ إبراهيمَ بن المهدىّ حتّى تقول هذا فيه ! ؛ قال : لا والله ما أنا مثله ، أمّا على الحقيقة فأنا عبدُه وعبدُ أبيه ، وليس هذا مما نحن فيه ؛ وأمّا الغناء فما دخولك أنت بيننا فيه ! ما أحسنتَ قطُّ أن تأخذ فضلًا عن أن تغنّى ، ولا قمتَ بأداء غناءٍ فضلًا عن أن تميّز بين المحسنين ؛ وإلّا فغنّ أىَّ صوت شئت ممّا أخذتَه

(١) القاطول : اسم نهر يأخذ من دجلة فى الجانب الشرقى ، حفره كسرى أنوشروان العادل . وهو اسم نهر آخر أيضا كان حفره الرشيد فى موضع « سر من رأى » قبل أن يعمرها المعتصم ، وكان يأخذ من دجلة أيضا . (٢) النكد (بالفتح و بالضم) : قلة العطاء وألا يهنأه من يعطاه . وفى هذا الشعر إقواء ، وهو اختلاف حركة الروىّ . (٣) يقال : دمر عليه (من باب نصر) دمرا ودمورا اذا دخل بغير إذن وهجم هجوم الشرّ .

عنه وعن غيره كائنًا مَنْ كان، فإن لم أُوضح لك ولمن حضر أنه لا يَسْلَم لك صوت من نقصانِ أجزاءٍ وفساد صنعةٍ فدمى به رهنٌ؛ فأساء عمرو الجوابَ وأغلظ فى القول؛ ١١٢/٥ فأمضّه الواثق وشتمه وأمر بإقامته عن مجلسه فأُقيم. فلمّا كان من الغد دخل إسحاقُ على الواثق فأنشده:

ومجلسٍ باكرتُه بُكورا * والطيرُ ما فارقتِ الوُكُورا
والصبحُ لم يَستنطقِ العُصفورا * على غَديرٍ لم يكن دُعثورا(١)
لم تَرَ عينى مثلَه غديرا * يجرى حَبَابُ مائه مَسْجُورا(٢)
على حصًى تَحْسَبُه كافورا * تسمع للماء به خَريرا
يَنْسِجُ أعلَى مَتْنِه سطورا * نسيمُ ريحٍ قد وَنَتْ فُتورا
حتى تخالَ متنَه حَصيرا * والشَّربُ قد حَفُّوا به حُضورا
وأمروا الساقىَ أن يُديرا * كأسَهمُ الأصغرَ والكبيرا
وأعملوا البَمَّ معًا والزِّيرا * وجاوبتْ عيدانُهم زَميرا
وقرّبوا المُغَنِّىَ النِّحْريرا * مُقَدَّمًا فى حِذْقه مشهورا
فهم يطيرون به سرورا * ولا ترى فى شُربهم تقصيرا
ولا لِصفو عيشهم تكديرا * ولا لخُلْقٍ منهمُ نظيرا
إلّا رُجَيْلًا منهمُ سِكِّيرا * مُعَرْبِدًا مُوَضِّحًا شِرِّيرا
مُدَّعِيًا للعلم مستعيرا * يروم سعيًا كاذبًا مغرورا
وأن يكون عالمًا بصيرا * مُفَضَّلًا بعلمه مذكورا
غَمَزْتُه ولم يكن صَبورا * فعاذ منّى هاربًا مذعورا

(١) الدعثور: الحوض المثلم؛ وقيل: هو الحوض الذى لم يتنوق فى صنعته ولم يوسع.
(٢) المسجور: المنظوم المسترسل.

بمَعْشَرٍ تحسَبُهم حَميرا * أشدَّ منهم حُمُقًا كثيرا
لا ينطِقون الدهرَ إلا زُورا * حتّى إذا كَسَّرتَه تكسيرا
كالليث لمّا ضَغَمَ الخنزيرا(١) * ولّى انهزامًا خاسئًا مدحورا
معترفًا بذُلّه مقهورا * وكنتُ قِدْمًا ضيغمًا هَصُورا
معتليًا لقِرْنِه عَقُورا * وما أخاف الزمنَ العَثُورا
إذ كنتُ بالواثق مستجيرا * قد عزّ مَنْ كان له نصيرا
إمامُ عدلٍ دبّر الأُمورا * برأيه ولم يُرِدْ مُشيرا
ترى من الحقّ عليه نورا * تَقَبَّلَ(٢) المَهْدِىَّ والمنصورا
وجدَّه الأدنى تُقًى وخيرا * ورّثه المعتصمُ التدبيرا
فأصبح الملك به مُنيرا * وأصبح العدلُ به منشورا
قد أَمِنَ الناسُ به المحظورا * إذا علا المِنْبرَ والسريرا
رأيت بدرًا طالعًا منيرا * بحرًا ترى الغنيَّ والفقيرا
يرجون منه نائلًا غزيرا * واللهِ لا زلتُ له شكورا
لا جاحِدَ النُّعْمَى ولا كَفُورا * وكنتُ بالشكر له جديرا

أنشده الأصمعى جملة أشعار فى الفروسية

١١٣/٥ حدّثنى الصُّولىّ قال حدّثنى ميمون بن هارون قال : سمعت إسحاقَ يقول :

أنشدنى الأصمعىّ قولَ الأعشى :

إن تركبوا فركوبُ الخيلِ عادتُنا * أو تنزلون فإنّا معشرٌ نُزُلُ

ثم قلت له : أىّ شىء تحفظ فى هذا المعنى ؟ — وكان مع بخله بالعلم لا يبخل بمثل هذا — فأنشدنى لرَبيعة بنِ مَقْروم الضَّبِّىّ :

(١) ضغمه : عضه ملء فيه . (٢) تقبل الرجل أباه : أشبهه .

ولقد شَهِدتُ الخيلَ يوم طِرَادِها (١) * بسَلِيم أَوْظِفَــةِ (٢) القوائم هَيْــكَلِ
فدعَــوْا نَزَالِ (٣) فكنت أوّلَ نازل * وعــلامَ أركبُه إذا لم أَنْزِلِ

سر لغناء ملاحظ ومدحها بشعر

حدّثني عمّي قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني محمد بن محمد بن مروان قال حدّثني عبد الله بن العبّاس بن الفضل بن الربيع قال :

اجتمعنا يوما إمّا قال في منزلي أو في منزل محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر، ودخلنا ودخل إلينا إسحاق الموصلي وعندنا ملاحظُ تُغنّينا وقد قامت الصلاة ، فدخل إسحاق وهي غائبة فقال : فيم كنتم ومَنْ عندكم؟ فأخبرناه بخبرها ؛ فقال : لا تُعرِّفوها من أنا فيُخرِجها التصنُّع لي والتحفّظ منّي عن طبعها ، ولكن دعوها وهواها حتى ننتفعَ بها ؛ وخرجتْ وهي لا تعرفه وجلستْ كما كانت أوّلا ، وابتدأت وغنّت — والصنعة لفُلَيح بن [أبي] (٤) العَوْراء ، ولحنُه رَمَلٌ . هكذا أخبرَنا إسحاق أنّ الغناء لفليح — :

صـــوت

إنّي تعلّقتُ ظبيًا شادنًا خَرِقًا * عُلِّقتُه شِقوةً منّي وما عَلِقا

قال : فطرب إسحاق وشرب حتى والَى بين خمسة أقداح من نبيذ شديد كان بين يديه وهو يستعيدها؛ فأخذ إسحاق دواة وكتب :

---

(١) أراد بالخيل الفرسان لا الأفراس ، ألا ترى أنه قال : يوم طرادها . والطراد من الفرسان : حمل بعضهم على بعض ، وعلى هذا ما روى عن النبيّ صلى الله عليه وسلم : « يا خيل الله اركبي » . (راجع شرح أشعار الحماسة للتبريزي ص ٢٨ طبع أوربا) . (٢) الأوظفة : جمع وظيف وهو ما فوق الحافر من الفرس . ولكل ذي أربع ثلاثة مفاصل في رجليه : الفخذ والساق والوظيف ثم الحافر أو الخف أو الظلف . وفي يديه ثلاثة مفاصل : العضد والذراع والوظيف ثم الحافر أو الخف أو الظلف . (راجع شرح أشعار الحماسة للتبريزي) . والهيكل : الضخم . (٣) نزال (مثل قطام) : بمعنى انزل وهو معدول من المنازلة لا بمعنى النزول الى الأرض . هكذا ذكره صاحب اللسان واستشهد بهذين البيتين .

(٤) سقطت هذه الكلمة من الأصول هنا سهوا من النساخ .

سأشرب ما دامت تغنِّى ملاحظٌ * وإن كان لى فى الشَّيْب عن ذاك واعِظُ
ملاحظُ غنِّينا بعيشك ولكن * عليك لما ٱستحفظتُه منك حافظ
فأُقسم ما غنَّى غِناءَكَ مُحْسِنٌ * مُجيدٌ ولم يَلْفِظ كلَفْظك لافظ
وفى بعض هذا القولِ منّى مَساءةٌ * وغيظٌ شديد للمغنِّين غائظ

حدّث الرشيد عن البرامكة فزجره

أخبرنى الحسن[(1)] بن علىّ قال حدّثنا يزيد بن محمد المهلَّبىّ قال حدّثنى إسحاق قال:

قال لى الرشيد يوماً: بأىّ شىء يتحدّث الناس؟ قلت: يتحدّثون بأنك تَقْبِضُ على البرامكة وتُولِّى الفضلَ بن الرَّبيع الوزارةَ؛ فغضب وصاح بى: وما أنت وذاك وَيْلَك! فامسكتُ. فلمّا كان بعدَ أيامٍ دعا بنا؛ فكان أوّل شىء غنّيته:

صوت

إذا نحن صَدَقْناكَ * فضَرّ عندك الصدقُ
طَلبنا النفعَ بالباطِ * لِ إذ لم يَنفع الحقُّ
فلو قَدَّم صبًّا فى * هواه الصبرُ والرِّفقُ
لقُدِّمتُ على الناس * ولكنّ الهوى رزقُ

$\frac{114}{5}$ — فى هذه الأبيات خفيفُ رَمَلٍ بالوسطى يُنسب الى إسحاق والى ابن جامع، والصحيح أنه لإسحاق. وقيل: إن الشعر لأبى العتاهية —. قال: فضحك الرشيد وقال لى: يا إسحاق، قد صِرتَ حَقُودا.

غنى هو وعلويه ومخارق عند المعتصم فأجازهما دون مخارق

أخبرنى الحسن قال حدّثنا يزيد بن محمد قال حدّثنى حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال:

---

(1) كذا فى حـ. وفى سائر الأصول: «الحسين» وهو تحريف.

دخلتُ على المعتصم يومًا بسُرَّ مَنْ رأى ، فإذا الواثقُ بين يديه وعنــده عَلّويه ومُخارِقٌ ؛ فغنّاه مخارِق صوتا فلم ينشَط له ، ثم غناه عَلّويه فأطربه . فلما رأيتُ طرَبه لغناء عَلّويه دون غناء مُخَارِق آندفعتُ فغنّيته لحنى :

صــــوت

تَجَنَّبتَ ليــلَى أن يَلِجَّ بك الهوى * وهيهات كان الحبُّ قبل التجنُّبِ

فأمر لى بألف دينار ولعَلّويه بخمسمائة دينار، ولم يأمر لمخارق بشىء .

نســبة هذا الصوت

صــــوت

تَجَنَّبتَ ليلَى أن يَلِجَّ بك الهــوى * وهيهات كان الحبُّ قبل التجنُّبِ

ألَا إنّمــا غادرتِ يا أُمَّ مالكٍ * صَدًى أينما تَذهَبْ به الريحُ يَذْهَبِ

الشعر للمجنون . والغناءُ لإسحاقَ ثقيلٌ أوّلُ بإطلاق الوتر فى مجرى البنصر عن إسحاق . وغَنّى آبنُ جامع فى هذين البيتين وبيتين آخرين أضافهما إليهما ليسا من هذا الشعر، هَزَجًا بالبنصر . والبيتان المضافان :

بَرَى اللّحمَ عن أحناءِ عظمى ومَنْكِبى * هَوًى لسُلَيمى فى الفؤاد المعــذَّبِ

وإنى ســعيدٌ أنْ رأتْ لكِ مرّةً * من الدّهر عينى منزلًا فى بَنِى أبى

غنى علويه الواثق بلحن لإسحاق فأجازها

أخبرنا الحسن بن على قال حدّثنا يزيد بن محمد المهلّبىّ قال :

غَنّى عَلّويه بين يدَى الواثق يومًا :

صـــــوت

خليــلٌ لى ساهجُرُه * لذنبٍ لستُ أَذكُرُه
ولكنّى سأرعاه * وأكتُمه وأســتُره
وأُظهِــرُ أنّى راضٍ * وأَسكُتُ لا أُخَبِّرُه
لكى لا يعـلمَ الواشى * بمـا عندى فأَكْسِرُه

— الشـعر والغناء لإسحاق هَزَجٌ بالوسطى — قال : فطرِب الواثقُ طرباً شديدا، وآستحسن اللحن، وأمر لعلّويه بألف دينار، ثم قال : أهذا اللحنُ لك؟ قال : لا يا أمير المؤمنين، هو لهذا الهِزَبْرِ(١) (يعنى إسحاق) — قال : وكان إسحاقُ حاضرًا — فضحك الواثق وقال : قد ظلمناه إذًا، وأمر لإسحاق بثلاثين ألف درهم .

عارض ثقيلا لابن سريج بهزج له

أخبرنا علىّ بن عبد العزيز الكاتب عن عُبيد الله بن عبد الله بن خُرْدَاذْبَه عن أبيه قال :

كان إسحاق عند الفَتْح بن الخاقان الكَرْخىّ وعَلّويه حاضرٌ، فغنّاه عَلّويه :

١١٥ / ٥

صـــــوت

عَلِقتُــكِ ناشئًا حتّى * رأيتِ الرأسَ مُبْيَضّا
على يُسْرٍ وإعســارٍ * وفَيْضِ نوالِكمْ فَيْضَا(٢)
ألا أَحبِبْ بأرضٍ كنـ * ـتِ تحتلّينَهـا أرضا
وأهلَكِ حبّذا ما هم * وإن أبدَوْا لِىَ البُغضَا

---

(١) فى حـ : « الهربذ » . ومن معانى الهربذ : عالم الهند . (٢) فى م : « وقبض نوالكم قبضا » بالقاف والباء الموحدة .

— الشعر لآبن أُذَينةَ . والغناء لآبن سُرَيج ثقيلٌ أوّلُ بالسبابة فى مجرى البنصر، عن إسحاق . وفيه لإسحاق هَزَجٌ خفيفٌ مطلقٌ فى مجرى البنصر، عن إسحاق أيضا . وفيه للأَبْجَر ثقيلٌ أوّلُ، ولإبراهيمَ الموصليّ رَمَلٌ، جميعُ ذلك عن الهشاميّ — . قال : فغنّاه إيّاه فى الثّقيل، ثم غنّاه هَزَجًا؛ فقال له الفتحُ : لمَنِ الثقيلُ؟ فقال : لآبن سُرَيج، قال : فلِمَنِ ٱلهَزَجُ ؟ قال : لهذا الهِزَبْرِ[1] (يعنى إسحاقَ) ؛ فقال له الفتحُ : وَيْلَكَ يا إسحاق ! أَتُعارِضُ ثقيلَ آبن سُرَيج بهَزَجِكَ ؟ ! قال : فقبَض إسحاقُ على لِحيتِه ثم قال : على ذلك فوالله ما فاتنى إلّا بتحريكه الذَّقَنَ .

أخطأ المعتصم فى شعر لأبى خراش فصوّبه له

أخبرني الحسن قال حدّثنى يزيد بن محمد قال حدّثنى إسحاق قال :

دخلتُ يومًا على المعتصم وعنده إسحاقُ بن إبراهيم بن مصعَب، وآستدنانى فدنوتُ منه، وآستدنانى فتوقّفتُ خوفًا من أن أكون مُوازِيًا فى المجلس لإسحاق بن إبراهيم؛ ففَطِنَ المعتصمُ فقال : إنّ إسحاق لكريمٌ، وإنك لم تستنزل ما عند الكريم بمثل إكرامه . ثم تحدّثنا وأفضتْ بنا المذاكرةُ إلى قول أبى خِراش الهُذَلىّ :

حَمِدتُ إلٰهى بعد عُروةَ إذ نجا * خِراشٌ وبعضُ الشرّ أهونُ من بعض[2]

فأنشدها المعتصمُ الى آخرها، وأنشد فيها :

ولم أدرِ مَنْ أَلْقَى عليه رِداءَه * سوى أنه قد حُطّ[3] عن ماجِدٍ مَحْضِ

(١) فى أ ، حـ ، م : «المريد» (انظر الحاشية رقم ١ ص ٤٠٠ من هذا الجزء) .
(٢) هذان البيتان من قصيدة لأبى خراش الهذلىّ يرثى بها أخاه عروة بن مرة و يذكر نجاة خراش ابنه . وكان من أمرهما أن خرجا مغيرين فأسرا فقتل عروة، وقيض لخراش من ألقى عليه رداءه وهيأ له أسباب الهرب . والقصيدة مذكورة فى أوّل باب المراثى من ديوان الحماسة لأبى تمام والأغانى (ج ٢١ ص ٦٣ طبع أوربا) وأمالى القالى (ج ١ ص ٢٧١ طبع دار الكتب المصرية) . وفى شرح التبريزىّ لديوان الحماسة والأغانى بيان مستفيض لقصة عروة وخراش فراجعهما . (٣) ورواية الحماسة : «على أنه قد سل» .

والروايةُ "قد بُرّىءن ماجد محض" ، فغلِطتُ(١) وأسأتُ الأدبَ ، فقلتَ : ياأمير المؤمنين ، هذه روايةُ الكُتّاب وما أُخِذ عن المعلِّم ، والصحيح "بُرِّىءن ماجد محض" ، فقال لى : نعم صدقتَ ، وغمَزنى بعينه ، يحذّرنى من إسحاق ؛ وفَطِنتُ لغلَطى فأمسكتُ ، وعلمتُ أنه قد أشفق علىّ من بادرة تبدُر من إسحاق ؛ لأنه كان لايحتمل مثلَ هذا فى الخلفاء من أحد حتى يُعظِمَ عقوبتَه ويُطيل حبسَه ، كائناً من كان ؛ فنبّهنى — رحمه الله — على ذلك حتى أمسكتُ وتَنَبّهت .

غنى المأمون ثلاثين صوتا من أهزاج القدماء

أخبرنا يحيى بن علىّ بن يحيى قال قال عبيد الله بن معاوية قال عمرو بن بانة : كنّا عنـد المأمون ، فقال : ما أقلّ الهَزَج فى الغناء القديم ! ؛ وقال إسحاق : ما أكثره ! ثم غنّاه نحوَ ثلاثين صوتا فى الهَزَج القديم . فقلت لأصحابى : هذا الذى تزعمون أنه قليل الرواية ! .

أثنى عليه العباس ابن جرير

أخبرنا يحيى قال حدّثنا أبى عن إسحاق قال :

قال لى العباس بن جَرير : قاتَلَك الله ! مذكَّرُ فِطْنةٍ ، ومؤنَّثُ طبيعة ، ما أمكرك ! .

أنشد بعض الأعراب شعرا له فدعه

حدّثنا يحيى بن علىّ قال حدّثنى أبى عن إسحاق قال ، وأخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا يزيد بن محمـد عن إسحاق قال :

أنشدتُ بعضَ الأعراب شعراً لى أقول فيه :

أجَرَتْ سوابقُ دمعِك المُهْـرَاقِ * لمّـا جرى لك سانحٌ بِفِـرَاقِ
إنّ الظعائنَ يومَ ناصِـفةِ اللِّوَى(٢) * هاجتْ عليك صـبابةَ المُشْتاق

(١) كذا فى أكثر الأصول . وفى ب ، سـ : «فغلط وأسات ...» .

(٢) الناصفة : مجرى الماء ، وقيل : الرحبة فى الوادى . وقد ذكر ياقوت فى الكلام على ناصفة : ناصفة الشجناء ، وناصفة العمقين وغيرهما ، وقال : إنها مواضع ، ولم يذكر ناصفة اللوى هذه .

١١٦/٥

لم أَنْسَ إذ ألحَحْنَنَا فى رِقْبَةٍ * منهنّ بيضَ ترائبٍ وتَراقِ
وأشَرْنَ إذ ودّعْنَنَا بأناملٍ * حُمْرٍ كهُدّاب الدِّمَقْسِ رِقاقِ
ورمَتْك هندٌ يوم ذاك فأقصَدَتْ(١) * بأغَرَّ عَذْبٍ باردٍ بَرّاق
وتنفّست لمّا رأتك صبابةً * نَفَسًا تصعّد فى حَشًى خَفّاق
ولقد حَذِرتُ فما نجوت مُسَلَّما * حتى صُرِعتُ مَصارعَ العُشّاق
إنّ الخلافة أُثبِتتْ أوتادُها * لمّا تحمّلها أبو إسحاق
مَلِكٌ أغرُّ يلوح فوق جَبينه * نورُ الخلافة ساطعَ الإشراق
كُسِىَ الجلالَ مع الجمال وزانَه * هَدْىُ(٢) التُّقَى ومكارمُ الأخلاق
صحّتْ عروقُك فى الجياد وإنما * يجرى الجوادُ بصحّة الأعراق
ذخَر الملوكُ فكان أكثرُ ذُخْرهم * للمُلك ما جمعوا من الأَوْراق(٣)
وذخَرتَ أبناءَ الحروب كأنهم * أُسْدُ العَرينِ على مُتونِ عِتاق
كم من كريمةِ مَعْشَرٍ قد أُنكِحتْ * بسيوفهم قَسْرًا بغير صَداق
وعزيزةٍ فى أهلها وقَطِينِها(٤) * قد فارقتْ بَعْلًا بغير طَلاق

قال فقال لى : أَفْلَيْتَ والله يا أبا محمد؛ فقلت له : وما أفليت؟ قال : رَعَيْتَ فلاةً لم يرعَها أحدٌ غيرك .

كان المغنون يتلاشون أمامه إذا غنى

أخبرنا يحيى بن علىّ قال حدّثنى أخى أحمد بن علىّ عن عافيَةَ بن شَبيب قال : قلت لزُرْزور بن سعيد : حدّثنى عن إسحاق كيف كان يصنع إذا حضر معكم عند الخليفة وهو منقطعٌ ذاهبٌ وحلوقُكم ليس مثلُها فى الدنيا؟ فقال : كان والله لا يزال بحذْقه ورفقه وتأنّيه ولُطفه حتى نصيرَ معه أقلّ من التراب .

(١) كذا فى حـ . وأقصدت : أصابت ولم تخطئ . وفى سائر الأصول : «فأقصرت» بالراء ، وهو تحريف .
(٢) الهدى : الطريقة والسيرة . (٣) الأوراق : الدراهم . (٤) القطين هنا : الإماء والحشم .

شعره للفضل بن الربيع فى الشيب

أخبرنا يحيى قال حدّثنى أبى قال حدّثنا إسحاق قال :

دخلتُ على الفضل بن الرّبيع فقال لى: يا إسحاق، كثُر والله شَيْبُك! ؛ فقلت : أنا وذاك أصلحك الله كما قال أخو ثَقيف :

الشيبُ إن يَظْهرْ فإنّ وراءه * عمـرًا يكون خِلالَه مُتَنَفَّسُ
لم يَنتقِصْ منّى المشيبُ قُلامةً * ولَنَحْنُ حين بدا ألَبُّ وأكيسُ

قالَ : هاتِ يا غلام دواةً وقرطاسا، أكتُبْهما لى لأتسلَّى بهما .

قصته مع الفضل بن يحيى ونافذ حاجبه

أخبرنا يحيى[1] قال حدّثنى أبى قال حدّثنى إسحاق، وأخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه، وأخبرنى الحسن بن علىّ[2] عن يزيد بن محمد بن عبد الملك عن إسحاق قال :

قال الفضـل بن يحيى لأبى : مالى لا أرى إسحاقَ، عرِّفنى ما خبرُه ؟ فقال : خيرٌ. ورأى فى كلامه شيئا يُشكِّك، فقال: أعليلٌ هو؟ فقال: لا، ولكنه جاءك مرّاتٍ فحجَبه نافذٌ الخادم ولحِقتْـه جَفْوةٌ ؛ فقال له : فإن حَجَبه بعـدها فَلْيَنَكْه . فجاءنى أبى فقال لى : الْقَه، فقد سأل عنك، وخبَّرنى بمـا جرى. وجئتُ فحُجبتُ أيضا ؛ وخرج الفضل ليركبَ ؛ فوثبتُ إليه برُقْعة وقد كتبتُ فيها :

جُعلتُ فداءَك من كلّ سوءٍ * إلى حسن رأيك أشكو أُناسا
يحولون بينى وبين السـلام * فمـا إن أُسلّمُ إلّا آختـلاسا
وأنفَـذتُ أمرَك فى نافذٍ * فمـا زاده ذاك إلا شِمَـاسا

(١) فى الأصول هنا : « الحسن » ، وهو تحريف . (٢) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « عن حماد عن أبيـه قال حدّثنى إسحاق » . وظاهر أن جمـلة : « قال حدّثنى إسحاق » مقحمة من الناسخ .

فلمّا قرأها ضحك حتى غُلِب، ثم قال : أوَ قَدْ فعلتَها يا فاسق ؟! فقلت : لا والله يا سيّدى، وإنما مَزَحتُ، فخجِل نافذٌ خجلاً شديدا، ولم يَعُدْ بعد ذلك لمَسَاءتى .

سأل المعتصم عن رجل غائب ماذا يعمل فأجاب

أخبرنا يحيى بن علىّ قال حدّثنا أبو أيُّوب المَدِينىّ عن محمد بن عبد الله بن مالك قال حدّثنى إسحاق قال :

ذكر المعتصمُ يوماً بعضَ أصحابه وقد غاب عنه، فقال: تعالَوْا حتى نقولَ ما يصنع فى هذا الوقت، فقال قوم: يلعب بالنَّرْد، وقال قوم : يغنّى، فبلغتْنى النوبةُ، فقال : قل يا إسحاق، قلت : إذًا أقولَ وأُصيب، قال : أتعلم الغيبَ؟ قلت : لا، ولكنّى أفهم ما يصنع وأقدِرُ على معرفته، قال: فإن لم تُصِبْ ؟ قلت : فإن أصبتُ؟ قال: لك حُكمك، وإن لم تُصِبْ؟ قلتُ: لك دمى، قال: وجَبَ، قلت : وجَبَ، قال: فقل، قلت: يتنفّس، قال : فإن كان ميتا؟ قلت : تحفظ الساعةُ التى تكلّمتُ فيها، فإن كانْ مات فيها أو قبلها فقد قَمَرْتَنى، فقال: قد أنصفتَ، قلت : فالحُكْم، قال: آحتكم ما شئتَ، قلت: ما حُكْمى إلّا رضاك يا أمير المؤمنين، قال : فإنّ رضاى لك، وقد أمرتُ لك بمائة ألف درهم، أترى مَزِيدا؟ فقلت : ما أَوْلَاكَ بذلك يا أمير المؤمنين، قال: فإنها مائتا ألف درهم، أترى مزيدا؟ قلتُ : ما أحوجنى إلى ذلك يا أمير المؤمنين، قال: فإنها ثلثُمائة ألف، أترى مزيدا؟ قلت: ما أولاك بذلك يا أمير المؤمنين، قال : يا صفيقَ الوجه! ما نَزيدك على هذا شيئا .

مدح سفينة للأمين فأجازه

أخبرنا يحيى قال حدّثنى أبو أيوب قال حدّثنى محمد بن عبد الله بن مالك قال حدّثنى إسحاق قال :

عمِل محمد المخلوعُ[١] سفينةً فأُعجب بها، وركِب فيها يريد الأنبار. فلمّا أَمْعنَ وأنا مُقبِلٌ على بعض أبواب السفينة[٢] صاحوا : إسحاق إسحاق، فوثبتُ فدنوتُ منه؛ فقال لى : كيف ترى سفينتى؟ فقلت : حَسَنة يا أمير المؤمنين، عمّرها الله ببقائك. فقام يريد الخلاءَ وقال لى : قلْ فيها أبياتا، فقلت، وخرج فقمتُ بالأبيات، فآشتهاها جدّا وقال لى : أحسنتَ يا إسحاق، وحياتِك لأَهَبَنّ لك عشرة آلاف دينار، قلت : متى يا أمير المؤمنين؟ إذا وسّع الله عليك ! فضحك ودعا بها على المكان . ولم يذكر يحيى فى خبره الأبيـات .

عرض للواثق بشعر فى تشوقه لى أهله

أخبرنى محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

غنّيتُ الواثقَ فى شعر قلتُه وأنا عنده بسُرَّ مَنْ رأى وقد طال مُقامى وآشتقتُ الى أهلى، وهو :

صـــــوت

يا حَبّذا ريحُ الجَنوبِ إذا بدتْ * فى الصبح وهى ضعيفةُ الأنفاسِ
قـد حُمِّلتْ بردَ النّـدَى وتحمّلتْ * عَبَقًا من الخَنْجاثِ[٣] والبَسْـباسِ

فشرِب عليه وآستحسنه وقال لى : يا أبا محمد، لو قلتَ مكان «يا حَبّذا ريحُ الجنوب» : «يا حَبّذا ريحُ الشّمال» ، ألم يكن أرقَّ وأَغْذَى[٤] وأصحَّ للأجساد وأقلَّ وَخامةً وأطيبَ

(١) هو الخليفة محمد الأمين بن هارون الرشيد، سمى المخلوع لأن أهل مكة والمدينة وكثيرا من عماله خلعوه وبايعوا المأمون وهو بخراسان . (٢) فى حـ : «على باب السفينة» .
(٣) الخنجاث كما فى اللسان : شجر أصفر مرّ طيب الريح تستطيبه العرب وتكثر ذكره فى أشعارها . وقال أبو حنيفة الدينورى : إنه من أحرار الشجر وهو أخضر ينبت فى القيظ، له زهرة صفراء كأنها زهرة العرفجة طيبة الريح . وقال ابن البيطار فى مفرداته : أول ما رأيته بساحل نيل مصر فى أعلاه فى صحاريه بمقربة من ضيعة هناك تسمى شاهور وهى على طريق الطرّانة . وقال داود فى تذكرته : إنه يسمى باليونانية نرديسيون . والبسباس : نبات طيب الريح وهو المعروف بالفارسية باسم الراز يانج وفى مصر والشام باسم الشمار . (٤) أغذى : أطيب .

للأنفس ؟ فقلت : ما ذهب عليّ ما قاله أميرُ المؤمنين ، ولكن التفسير فيما بعدُ ؛ فقال : قل؛ فقلت :

ماذا تَهِيجُ من الصَّبَابة والهوى * للصَّبِّ بعد ذهوله وآليأس

فقال الواثق : إنما آستطبتَ ماتجيء به الجَنوبُ من نسيم أهل بغداد لا الجنوبَ، وإليهم آشتقتَ لا إليها؛ فقلت : أَجَلْ يا أمير المؤمنين؛ وقمتُ فقبّلتُ يده؛ فضحك وقال : قد أَذِنتُ لك بعد ثلاثة أيام، فآمضِ راشدًا؛ وأمر لى بمائة ألف درهم . ١١٨/٥

لحنُ إسحاقَ هذا من الثقيل الأوّل .

جعفر بن يحيى البرمكي وعبد الملك ابن صالح الهاشمي

أخبرنى يحيى بن علىّ قال حدّثنى أبى عن إسحاق قال :

لم أرَ قطُّ مثلَ جعفر بن يحيى ؛ كانت له فُتُوّةٌ وظَرْفٌ وأدبٌ وحسنُ غناء وضربٌ بالطبل، وكان يأخذ بأجزلِ حظٍّ من كل فنّ من الأدب والفتوة . فحضرتُ بابَ أمير المؤمنين الرشيد، فقيل لى : إنه نائمٌ، فآنصرفت ؛ فلقِيَنِى جعفرُ بن يحيى فقال لى : ما الخبر ؟ فقلت : أمير المؤمنين نائمٌ؛ فقال : قِفْ مكانَك ؛ ومضى إلى دار أمير المؤمنين فخرج اليه الحاجب فأعلمه أنه نائم ؛ فخرج إلىّ وقال لى : قد نام أمير المؤمنين ، فسِرْ بنا إلى المنزل حتى نخلوَ جميعا بقيّةَ يومنا وتغنّينى وأغنّيك ونأخذ فى شأننا من وقتنا هذا ؛ قلت نعم، فصِرْنا إلى منزله فطرحنا ثيابنا، ودعا بالطعام فطعِمنا، وأمر بإخراج الجوارى وقال : لِتَبْرُزْنَ؛ فليس عندنا من تَحْتَشِمْنَ منه . فلمّا وُضع الشرابُ دعا بقميص حرير فلَبِسه ودعا بخَلُوق فتخلّق به ،ثم دعا لى بمثل ذلك، وجعل يغنّينى وأُغنّيه؛ ثم دعا بالحاجب فتقدّم إليه وأمره بألّا يأذن لأحدٍ من الناس كلّهم، وإن جاء رسول أمير المؤمنين أَعْلَمَه أنه مشغول ؛ وآحتاط فى ذلك وتقدّم فيه إلى جميع الحُجّاب والخَدَم؛ ثم قال : إن جاء عبدُ الملك فأْذَنوا له — يعنى رجلا كان

يأنَس به ويمازِحُه ويحضُر خَلَواتِه — ثم أخذْنا فى شأننا؛ فوالله إنّا لعلى حالة سارّة عجيبةٍ إذ رُفع السِّتْر، وإذا عبدُ الملك بن صالح الهاشمىّ قد أقبل، وغلِط الحاجبُ ولم يفرِّق بينه وبين الذى يأنَس به جعفر بن يحيى . وكان عبدُ الملك بن صالح الهاشمىّ من جلالة القَدْر والتقشّف وفى الآمتناع من منادمة أمير المؤمنين على أمرٍ جليل ؛ وكان أميرُ المؤمنين قد آجتهد به أن يشربَ معه أو عنده قدحًا فلم يفعل ذلك رَفْعًا لنفسه . فلما رأيناه مقبلا ، أقبل كلُّ واحد منّا ينظر إلى صاحبه ، وكاد جعفر أن ينشقَّ غيظا . وفهِم الرجلُ حالَنا ، فأقبل نحوَنا ، حتى إذا صار إلى الرِّواق الذى نحن فيه نزَع قَلَنْسِيَتَه فرمَى بها مع طَيْلَسانه جانبًا ؛ ثم قال : أَطعِمونا شيئا ؛ فدعا له جعفر بالطعام وهو منتفخٌ غضبًا وغيظًا فطَعِم ، ثم دعا برِطل فشرِبه ، ثم أقبل إلى المجلس الذى نحن فيه فأخذ بعِضادَتَى[(1)] الباب ثم قال : اشركونا فيما أنتم فيه ؛ فقال له جعفر : ادخل ؛ ثم دعا بقميص حرير وخَلوقٍ فلبِس وتخلّق، ثم دعا برِطل ورِطل حتى شرِب عدّة أرطال، ثم آندفع ليغنّينا ، فكان والله أحسنَنا جميعا غناءً . فلما طابت نفسُ جعفر وسُرِّىَ عنه ما كان به التفت إليه فقال له : ارفع حوائجَك ؛ فقال : ليس هذا موضعَ حوائجَ ؛ فقال : لَتَفْعلنّ ، ولم يَزل يُلِحّ عليه حتى قال له : أميرُ المؤمنين علىّ واجدٌ، فأُحِبّ أن تترضّاه ؛ قال : فإنّ أميرَ المؤمنين قد رَضِىَ عنك، فهاتِ حوائجَك ؛ فقال : هذه كانت حاجتى ؛ قال : ارفع حوائجك كما أقول لك ؛ قال : علىّ دَينٌ فادحٌ ؛ قال : هذه أربعة آلاف ألف درهم ، فإن أحببتَ أن تقبِضها فآقبِضها من منزلى الساعة ، فإنه لم يمنعنى من إعطائك إيّاها إلا أنّ قَدْرَك يَجِلّ على أن يصِلك مثلى ، ولكنى ضامنٌ لها حتى تُحمَلَ من مال أمير المؤمنين غدا ؛ فسَلْ أيضا ؛ قال : آبنى ، تُكَلِّمُ أميرَ المؤمنين حتى ينوِّه بآسمه ؛ قال : قد ولّاه أميرُ المؤمنين مصرَ وزوّجه

---

(1) عضادتا الباب : خشبتاه من جانبيه .

١١٩/٥ ابنته العاليةَ[1] ومهرها ألفيْ ألفِ درهم . قال إسحاق : فقلت فى نفسى : قد سَكِر الرجل (أعنى جعفرا) . فلما أصبحتُ لم تكن لى هِمّةٌ إلا حضورَ دار الرشيد، و إذا جعفر بن يحيى قد بكّر، ووجدتُ فى الدار جَلَبة، و إذا أبو يوسفَ القاضى ونظراؤه قد دُعِى بهم، ثم دُعِى بعبد الملك بن صالح وآبنه فأُدْخِلا على الرشيد، فقال الرشيد لعبد الملك : إنّ أمير المؤمنين كان واجدًا عليك وقد رضِىَ عنك، وأمر لك بأربعة آلاف ألف درهم، فآقبِضها من جعفر بن يحيى الساعة . ثم دعا بآبنه فقال : اشهدوا أنّى قد زوّجتُه العاليةَ بنت أمير المؤمنين وأمهرتُها عنه ألفيْ ألفِ درهم من مالى وولّيتُه مصرَ[2]. قال : فلمّا خرج جعفر بن يحيى سألتُه عن الخبر، فقال : بكّرتُ على أمير المؤمنين فحكيتُ له ما كان منا وما كنّا فيه[3] حرفًا حرفًا، ووصفتُ له دخولَ عبد الملك وما صنع، فعَجِب لذلك وسُرّ به، ثم قلت له : قد ضَمِنتُ له عنك يا أمير المؤمنين ضَمانا، فقال : ما هو ؟ فأعلمتُه، قال : أَوْفِ له بضمانك، وأمر بإحضاره، فكان ما رأيتَ .

حمل علويه لحنا له الى أبيه فأعجب به وأثنى عليه

أخبرنى عمّى قال حدّثنى فَضْل اليَزيدىّ عن إسحاق قال :

لمّا صنعتُ لحنى فى :

* هل إلى نظرة إليك سبيلُ *

ألقيتُه على عَلّويه، وجاءنى رسول أبى بطَبَق فاكهة باكُورة، فبعثتُ إليه : برّك الله يا أبَةِ ووصَلَكَ ! الساعةَ أبعث اليك بأحسنَ من هذه الباكورة، فقال : إنى أظنّه قد أتى بآبِدةٍ[4]، فلم يلبث أن دخل عليه عَلّويه فغنّاه الصوتَ، فعَجِب منه وأُعجِب به، وقال : قد أخبرتكم أنه قد أتى بآبدةٍ . ثم قال لولده : أنتم تلومونى على

---

(١) كذا فى الأصول وابن الأثير (ج ٦ ص ١٤٨) والذى فى الطبرى (ص ٥٠٩ ٧ من القسم الثالث) «أم الغالية» بالغين المعجمة . (٢) الذى ذكر فى كتب التاريخ أن الذى ولى مصر من قبل الرشيد هو عبد الملك بن صالح ولم يدخلها وإنما استخلف عليها عبد الله بن المسيب الضبى . ولم نعثر فى كل هذه الكتب عند ذكر ولاة مصر عن ابن لعبد الملك هذا، ولم نجد هذه القصة فى مصدر آخر من كتب التاريخ والأدب، غير أن ابن طباطبا أوردها بعبارة أوسع فى الفخرى (ص ٢٨٢ طبع أوروبا سنة ١٨٩٤) . (٣) فى حـ : «ما كان منا وما كان منه» . (٤) الآبدة : الغريبة .

تفضيل إسحاق ومحبّتى له، والله لو كان ابنَ غيرى لأحببتُه لفضله فكيف وهو ابنى؛ وستعلمون أنكم لا تعيشون إلّا به. وقد ذكر أبو حاتم الباهلىّ عن أخيه أبى معاوية ابن سعيد بن سَلْم أنّ هذه القصة كانت لمّا صنع إسحاقُ لحنَه فى :

* غَيَّضْنَ من عَبَراتهن وقلن لى *

وقد ذكرت ذلك مع أخبار هذا الصوت فى موضعه .

سئل عن إبراهيم ابن المهدى فقال لا يحسن شيئا

حدّثنى جعفر بن قُدَامة قال حدّثنى علىّ بن يحيى قال : سألت إسحاق عن إبراهيم بن المهدىّ ، فقال : دَعْنِى منه، فليست له روايةٌ ولا دِراية ولا حكاية .

رثاؤه هشيمة الخمارة

أخبرنى الحسن بن علىّ الخفّاف قال حدّثنى فَضْل اليَزيدىّ عن إسحاق قال : كانت هُشَيْمةُ الخَمّارة جارتى ، وكانت تَخُصّنى بأطيب الشراب وجيّده؛ فماتت فقلت أرثيها :

أضحتْ هُشَيْمةُ فى القبور مقيمةً * وخلتْ منازلُها من الفتيانِ
كانت إذا هجَرَ المحبُّ حبيبَه * دَبّت له فى السرّ والإعلان
حتى يَلينَ لما تُريد قيادُه * ويصيرَ سيّئُه إلى الإحسان

قضى حاجة لإدريس بن أبى حفصة فمدحه

أخبرنى محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : سألنى إدريسُ بن أبى حَفْصة حاجة، فقضيتُها له وزدت فيما سأل؛ فقال لى[(1)]:

إذا الرجالُ جَهِلوا المكارمَا * كان بها ابنُ الموصلىّ عالمَا
أبقاك ذو العرش بقاءً دائما * فقد جُعِلتَ للكرام خاتما
إسحاقُ لو كنتَ لقيتَ حاتما * كان نَدَاه لنَداك خادما

(١) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « وقال لى » .

١٢٠/٥

قال حمّاد: وقال لى أبى: كان إدريسُ سخيًّا من بين آل أبى حَفْصة؛ فنزل به ضيفٌ، فتنمّرت آمرأتُه عليه؛ فقال لها:

مِن شرّ أيّامك اللّاتى خُلِقْتِ لها * إذا فقدتِ نَدَى[1] صوتى وزُوّارى

تشاغل عن دعوة على بن هشام فنيل منه، وردّه على ذلك

أخبرنى محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حمّاد عن أبيه قال:

كان علىّ بن هشام قد دعانى ودعا عبد الله بن محمد بن أبى عُيَيْنة، فتأخّرتُ عنه حتى آصطبحنا شديدا، وتشاغلتُ عنه برجل من الأعراب كان يجيئنى فأكتب عنه وكان فصيحًا؛ وكان عنــد علىّ بن هشام بعضُ من يُعادينى؛ فسألوا آبنَ أبى عُيَيْنة أن يُعاتبنى بشعر ينسُبنى فيه الى الخُلْف؛ فكتبَ إلىّ:

يا مَلِيًّــا بالوعد والخُلْف والمَطْـ * ـل بَطيئا عن دعوة الأصحــابِ

لَهِجًا بالأعراب إنّ لدينـا * بعضَ ما تشتهى من الأعراب

قــد عرَفنا الذى شُغِلتَ به عنّا * وإن كان غـيرَ ما فى الكتاب

قال: فكتبتُ الى الذى حمــل آبن أبى عيينة على هــذه الأبيات — قال حمّاد: وأظنه إبراهيم بن المهدىّ —:

قد فَهِمتُ الكتابَ أصــلحك اللهُ * وعنــدى عليــه رَدُّ الجوابِ

ولعَمْرِى ما تُنصفون ولا كا * ن الذى جاء منكمُ فى حسـابى

لستُ آتيــك فآعلمنّ ولا لى * فيك حظٌّ من بعدِ هذا الكتاب

عاتب على بن هشام بشعر لأنه مرض ولم يعده

قال حمّاد: قال أبى: وكتبت الى علىّ بن هشام وقد آعتللتُ أيّاما فلم يأتنى رسولُه:

أنا عليلٌ منــذُ فارقتَنى * وأنت عمّن غاب لا تسألُ

ما هكذا كنتَ ولا هكذا * فيما مضى كنتَ بنا تفعلُ

فلمّا وصلتْ إليه رُقْعتى ركِب إلىّ وجاءنى عائدا.

(١) ندى الصوت: صداه.

شعره حين عودته من البصرة

أخبرنى محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حمّاد قال :

لمّـا خرج أبى إلى البصرة خَرْجتَه الأولى وعاد ، أنشدنى فى ذلك لنفسه :

صــــوت

ما كنتُ أعرِف ما فى البينِ من حَزَنٍ * حتى تَنادَوْا بأن قــد جِىء بالسُّفُنِ
قامتْ تودّعنى والعينُ تَغْلِبهـا * فجَمْجَمتْ (١) بعضَ ما قالت ولم تُبِنِ
مالت علىّ تُفــدّينى وتَرْشُــفُنى * كما يَميــل نسيــمُ الرّيح بالغُصُنِ
وأعرضتْ ثم قالت وهى باكيةٌ * يا ليت معــرفتى إيّاك لم تكُنِ
لمّـا آفــترقنا على كُرْهٍ لفُــرقتها * أيقنتُ أنّى رهينُ الهمّ والحَــزَنِ

أنشده شداد بن عقبة شعرا لجميل فزاد عليه

أخبرنى محمد بن مَزْيد قال حدّثنى حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

أنشدنى شَدّاد بن عُقْبة لجَميل :

قِفِى تَسْلُ عنكِ النفسُ بالخُطّةِ التى * تُطيلين تخويفى بهـا ووعيــدى
فقد طالمـا من غير شكوى قبيحةٍ * رضِينا بحــكمٍ منكِ غيرِ ســديد

قال : فأنشدتُ الزُّبَيرَ بن بكّار هذين البيتين ، فقال : لو لم أنصرف من العراق إلا بهما لرأيتُهما غُنْما . وأنشدنى شدّاد لجميل أيضا :

بُثَيْنَ سَليِنى بعضَ مالى فإنمـا * يُبيَّنُ عنــد المـال كلُّ بخيــلِ
فإنى وتَكرارِى الزيارةَ نحــوَكم * لَبَيْن يَدَىْ هَجْرٍ بُثَيْنَ طويلِ

١٢١ / ٥

قال أبى : فقلت لشدّاد : فهلا أزيدك فيهما (٢) ؟ فقال : بلى؛ فقلت :

فياليتَ شِعْرِى هل تقولين بعــدنا * إذا نحن أزْمَعنــا غدًا لرَحيــلِ
ألا ليت أيامًا مَضَيْنَ رواجــعٌ * وليت النَّوَى قد ساعدتْ بجميلِ

(١) جمجم الكلام : لم يبينه . (٢) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «فيها» ، وهو تحريف .

فقال شدّاد : أحسنتَ والله ! وإن هـذا الشعر لضائعٌ؛ فقلت : وكيف ذلك ؟ قال : نفيتَه عن نفسك بتَسْمِيتك جميلًا فيه، ولم يَلْحَق بجميل، فضاع بينكما جميعا .

اجتمع هو وجماعة من المغنين عند إسحاق المصعبي

حدّثني جَحْظة قال حدّثني عليّ بن يحيى المُنَجِّم قال حدّثني إسحاق الموصليّ قال: دعاني إسحاق بن إبراهيم المُصْعَبيّ، وكان عبد الله بن طاهر عنده يومئذ، فوجّه إليّ فحضرتُ وحضر عَلّويه ومخارقٌ وغيرُهما من المغنّين ؛ فبيناهم على شرابهم وهم أسرُّ ما كانوا، إذ وافاه رسولُ أمير المؤمنين فقال : أجبْ؛ فقال : السمع والطاعة؛ ودعا بثيابه فلبسها. ثم التفت الى محمد بن راشد الخَنّاق فقال له : قد بلغني أنك أحفظ الناس لِما يدور في المجالس، فآحفظ لي كلَّ صوت يمرّ وما يشربه كلُّ إنسان، حتى إذا عدتُ أعدتَ عليّ الأصوات وشربتُ ما فاتني؛ فقال : نعم، أصلح الله الأمير. ومضى الى المأمون، فأمره بالشخوص الى بابَك(١) من غد، وتقدّم اليه فيما يحتاج اليه ورجع من عنده . فلمّا دخل ووضع ثيابَه قال : يامحمد، ما صنعتَ فيما تقدّمتُ به إليك؟ قال: قد أحكمتُه أعزّك الله، ثم أخبره بما شرب القومُ وما آستحسنوه من الغناء بعده، فأمر أن يُجمَعَ له أكثرُ ما شربه واحدٌ منهم في قدح، وأن يُعاد عليه صوتٌ صوتٌ ممّا حفظه له حتى يَستوفيَ ما فاته القومُ به، ففعل ذلك وشرب حتى آستوفى النبيذَ والأصواتَ . ثم قال لي : يا أبا محمد، إني قد عملتُ في مُنْصَرَفي من عند أمير المؤمنين أبياتًا فآسمعها؛ فقلت : هاتِها أعزّ الله الأمير؛ فأنشدني :

صـــوت

أَلَا مَنْ لقلبٍ مُسْلَمٍ للنوائبِ * أحاطت به الأحزانُ من كلّ جانبِ
تَبَيَّنَ يومَ البين أنّ اعتزامه * على الصبر من بعض الظنون الكواذبِ

(١) هو بابك الخرّمي، وكان قد خرج على دولة بني العباس، وظهر بأذربيجان وكثر بها أتباعه وآستباحوا المحرمات وقتلوا الكثير من المسلمين، ثم أخذ في أيام المعتصم هو وأخوه إسحاق وصلبا .

صـــــوت

حرامٌ على رامى فــؤادِى بسهمــه * دمٌ صبّه بيـن الحَشَى والترائبِ
أراق دمًا لولا الهـــوى ما أراقــه * فهـــل بدمِى من ثائرٍ أو مُطالِبِ (١)

قال : فقلت له : ما سمعتُ أحسنَ من هذا الشــعر قطّ ؛ فقال لى : فآصنعْ فيه ؛ فصنعت فيه لحنا ؛ وأحْضَرنى وصيفةً له ، فألقيتُه عليها حتى أخذَتْه ؛ وقال : إنما أردتُ أن أتسلّى به فى طريق وتُذكّرنى به الجاريةُ أمرَكَ إذا غنّته . فكان كلما ذكرَ أتانى بِرُّه ، إلى أن قَدِم ، عدّةَ دفعات . لم أجد لإسحاق صنعةً فى هذا الشعر ، والذى وجدتُ فيــه لعبد الله بن طاهر خفيفُ رَمَلٍ ، ذكره آبنه عُبيد الله عنه . ولمُخارِق لحنٌ من الرمل . ولعمرو بن بانة هَزَجٌ بالوسطى . ولمخارِق والطاهريّة خفيفُ ثقيل .

سأل عنه المتوكل حين كف فأحضره ثم غناه فوصله

١٢٢/٥ حدّثنى جَحْظة قال حدّثنى أبو عبد الله محمد بن حَمْدون قال :

سأل المتوكّل عن إسحاق الموصلىّ ، فعرف أنه قد كُفّ وأنه فى منزله ببغداد ؛ فكتب فى إحضاره . فلما دخل عليه رفَعه حتى أجلسه قُدّامَ السرير ، وأعطاه مِخَدّة ، وقال له : بلغنى أن المعتصم دفع إليك مخدّة فى أوّل يوم جلستَ بين يديه وهو خليفة ، وقال : إنه لا يُستجلب ما عند حُرٍّ بمثل الكرامة ؛ ثم سأله : هل أكل ؟ فقال نعم ؛ فأمر أن يُسقى ؛ فلما شرب أقداحا قال : هاتوا لأبى محمد عودا لجىء به ؛ فآندفع يغنّى بصوتٍ الشعرُ فيه والغناء له :

---

(١) فى حـ : « فهل يدرى ذامن ثائرٍ أو مطالب » .

صـــــوت

ماعلّةُ الشيخ عيناه بأربعةٍ (١) * تغرورِقان بدَمع ثم تَنسكِبُ

— قال أبو عبد الله : فوالله ما بقى غلامٌ من الغِلمـان الوقوفِ على الحَيْرِ (٢) إلا وجدتُه يرقُص طربًا وهو لا يعلم بما يفعل — فأمر له بمائة ألف درهم . ثم قال لى المتوكل : يابنَ حَمْدُون، أتحسن أن تغنّينى هذا الصوت؟ فقلت نعم؛ قال : غنّه؛ فترنّمت به؛ فقال إسحاق : من هذا الذى يَحْكينى؟ فقال : هذا ابنُ صديقك حمدون؛ فقال : وَدِدتُ أنه يُحسن أن يَحْكينى؛ فقلت له : أنت عرّضتنى له يا أمـير المؤمنين . ثم انحـدر المتوكل إلى رَقّةِ بُوصَرَا (٣)؛ وكان يَستطيبها لكثرة تغريد الأطيار بها، فغنّى إسحاقُ :

صـــــوت

أألن هَتفتْ وَرْقاءُ فى رَوْنق الضُّحى * على غُصُنٍ غَضِّ الشباب من الرَّنْدِ

بكيتَ كما يبـكى الحزين صـبابةً * وشـوقا وتابعتَ الحَنِينَ إلى نجـد

فضحك المتـوكل وقال له : يا إسحـاق ، هـذه أختُ فَعْلتك بالواثق لمّا غنّيتَـه بالصالحيـة (٤) :

طَرِبتُ إلى الأُصَيْبِيةِ الصِّغارِ * وذكّرنى الهوى قربُ المَزارِ

---

(١) يقال : عيناه تدمعان بأربعة ، أى تسيلان بأربعة آماق ، وذلك أشدّ البكاء .

(٢) كذا فى حـ . والحـير : اسم قصر بسر من رأى بناه المتوكل وأنفق على عمارته أربعـة آلاف ألف درهم . (راجع ياقوت فى الكلام على الحير) . وفى سائر الأصول : « الخبر » بالخاء المعجمة والباء الموحدة، وهو تصحيف .

(٣) الرقة : كل أرض إلى جنب واد ينبسط عليها الماء . وبوصرا : قرية من قرى بغـداد .

(٤) الصالحية : قرية قرب الرها من أرض الجـزيرة ، اختطها عبد الملك بن صالح الهاشمى .

. فكم أعطاك لمّا أذن لك فى الانصراف ؟ قال : مائة ألف درهم؛ فأمر له بمائة ألف درهم، وأذن له بالانصراف إلى بغداد . وكان هذا آخرَ عهدنا به، لأن إسحاق توفّى بعد ذلك بشهرين .

أمره الواثق أن يغنى صوتا فتطير منه وغناه

حدّثنى جَحْظة قال حدّثنى حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

دخلت على الواثق أستأذِنه فى الانحدار إلى بغدادَ فوجدته مصطبحا ؛ فقال : بحياتى غنّ :

صــــوت

ألا إن أهلَ الدار قد ودّعوا الداراَ * وإن كان أهلُ الدار فى الحىّ أَجْواراَ[1]
وقــد تركوا قلبى حزينــا متيّماً * بذكرهمُ، لو يَستطيع لقد طاراَ

فتطيّرتُ من اقتراحه له وغنّيته إياه؛ فشرب عليه مرارا، وأمر لى بثلاثين ألفَ درهم وأذِن لى فانصرفت؛ ثم كان آخرَ عهدى به . الشعر لمُطيع بن إياس . والغناء لإبراهيم الموصلىّ ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن عمرو .

استبق أحمد بن معاوية بيتا فرحم حامل الدن فكسره وشعره فى ذلك

حدّثنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال حدّثنا عبد الله ابن الفرج قال حدّثنا أحمد بن معاوية قال :

كنت فى بيتى وعَلّويه يُغنّينى :

صــــوت

أعْرَضْنَ من شَمَطٍ[2] فى الرأس لاح به * فهُنّ عنــه إذا أبصرْنَه حِيــدُ
قد كُنّ يَعهَدْنَ منّى مَنظَراً حسَناً * وجُمّةً[3] حَسَرتْ عنهــا العناقيدُ

---

(١) الأجوار : جمع جار وهو الذى يجاورك فى دار أو غيرها . (٢) الشمط : بياض شعر الرأس يخالط سواده . (٣) الجمة : مجتمع شعر الرأس .

١٢٣/٥ فوردتْ علىّ رُقعة من إسحاقَ الموصلىّ يستسقينى نبيذًا ؛ فبعثت إليه بدَنٍّ مع غلام لى؛ فلما توسّط الغلامُ به الجسرَ زُحِم فكُسِر؛ فرجع الغلام إلى إسحاق فأخبره الخبرَ وسأله مسئلتى(١) التجافىَ عنه؛ فكتب إلىّ :

يا أحمد بن معاويَهْ * إنّى رُميت بداهيَهْ
أشكو إليك فأَشْكِنى * كَسْرَ الغلامِ الخابيَهْ
ياليتها سلمتْ وكا * ن فداءَها ابنُ الزانيَهْ

فبعثت إليه بأربعة أدنان(٢)، وأعتقتُ الغلام بشفاعته فى أمره .

صنع صوتا أعجب به المعتصم والواثق وعجز المغنون عن أخذه عنه

أخبرنى جعفر بن قُدَامة ومحمد بن مَزْيد قالا حدّثنا حمّاد بن إسحاق الموصلىّ قال قال لى حمدون بن إسماعيل رحمه الله :

لمّا صنع أبوك رحمه الله هذا الصوتَ :

صـــوت

قِفْ بالديار التى عفا القِدَمُ * وغيَّرتْها الأرواحُ والدِّيَمُ
لمّا وقفنا بها نُسائلها * فاضتْ من القوم أعينٌ سُجُمُ
ذِكْرًا لعيش مضى إذا ذكرت * ما فات منه فذكره سَقَمُ
وكلُّ عيش دامتْ غَضَارتُه * مُنقطِعٌ مرّةً ومُنْصَرِمُ

ــ ولحنُه ثقيلٌ أوّلُ ــ أُعجِب به المعتصم والواثق جميعا؛ فقال له المعتصم : بحياتى ارْدُدْه على مخارق وعلّويه والجماعةِ ليأخذوه عنك، وانْصَحْهم فيه؛ فإنهم إن أحسنوا فيه نُسب إليك إحسانُهم ، وإن أساءوا بان فضلُك عليهم ؛ فردّه عليهم أكثرَ من

(١) فى ب ، سـ : « مسألة » . (٢) كذا فى ب ، حـ . وفى سائر الأصول : «أدنّ» وجمع القلة لفعل المضعف أفعال مثل عم وأعمام، وأفعل مثل كف وأكف إلا أن الكثير الأوّل. والذى ورد فى كتب اللغة جمعا لدنّ إنما هو دنان لا غير .

مائتى مرّة، وكانوا يقصِدون إلى منزله و يُرَدّه(١) عليهم، ومات وما أخذوا منه علم الله إلّا رَسْمَه . الشعر والغناء لإسحاق، ولحنه ثقيل أوّل .

خروجه مع الرشيد إلى الرقة وقصته بدير القائم وتل عزاز

أخبرنى محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حمّاد عن أبيه قال :

خرجنا مع الرشيد يريد الرقّة(٢)؛ فلمّا صِرْنا بالموضع الذى يقال له القائم نزلْنا، وخرج يتصيّد وخرجنا معه، فأبْعد فى طلب الصيد؛ ولاح لى دَيْر فقصدته وقد تعبتُ، فأشرفتُ على صاحبه؛ فقال : هل لك فى النزول بنا اليوم؟ فقلت : إى والله، وإنى إلى ذلك لمحتاج؛ فنزل ففتح لى البابَ وجلس يحدّثنى، وكان شيخا كبيرا وقد أدرك دولة بنى أمية، فجعل يحدّثنى عمّن نزل به من القوم ومَوَاليهم وجيوشهم؛ وعرَض علىّ الطعامَ فأجبتُه؛ فقدّم إلىّ طعاما من طعام الدِّيَارات(٣) نظيفا طيّبا، فأكلتُ منه، وأتانى بشرابٍ ورَيْحانٍ طَرِىّ فشربتُ منه، ووكّل بى جارية تخدُمُنى راهبةً لم أر أحسن وجهًا منها ولا أشْكَل؛ فشربتُ حتى سكِرتُ، ونِمتُ وانتبهتُ عِشاءً؛ فقلتُ فى ذلك :

صوت

بديْرِ(٤) القائِمِ الأقصَى * غزالٌ شادِنٌ أَحْوَى

بَرَى حُبِّى له جِسْمِى * ولا يَعْلَمُ ما ألْقَى

وأكتُمُ حبَّه جُهدِى * ولا واللهِ ما يَخْفَى

(١) كذا فى م . وفى سائر الأصول : «يقصدونه إلى منزله» . (٢) ورد هذا الخبر فى مسالك الأبصار لابن فضل الله العمرى (ج ١ ص ٢٦٩ طبع بولاق) مع اختلاف يسير فى بعض العبارات .

(٣) الديارات : جمع دير . وهذا الجمع لدير على كثرة وروده فى معاجم البلدان وكتب الأدب، لم نعثر على نص عليه فى معاجم اللغة التى بين أيدينا . (٤) دير القائم الأقصى : على شاطئ الفرات من جانبه الغربى فى طريق الرقة . وذكر ياقوت فى معجمه وابن فضل الله العمرى فى مسالك الأبصار بعد تعريفهما لهذا الدير قالا : «قال أبو الفرج : وقد رأيته، وهو مرقب من المراقب التى كانت بين الروم والفرس، على أطراف الحدود» . وفيهما أن هذه الأبيات لعبد الله بن مالك المغنى، وقال الخالدى : هى لإسحاق الموصلى .

ورَكبتُ فلحِقتُ بالمعسكر والرشيدُ قد جلس للشرب وطلبنى فلم أُوجَد . وأُخبرتُ بذلك، فغنَّيتُ فى الأبيات ودخلتُ اليه ، فقال لى : أين كنتَ؟ وَيْحَك! فأخبرته (١٢٤ ٥)
بالخبر وغنّيته الصوتَ، فطرِب وشرب عليه حتى سَكِر، وأخَّر الرحيلَ فى غد، ومَضَينا الى الدَّيْر ونزله ، فرأى الشيخَ وآستنطقه، ورأى الجارية التى كانت تخدُمُنى بالأمس، فدعا بطعام خفيف فأصاب منه ، ودعا بالشراب، وأمر الجاريةَ التى كانت بالأمس تخدُمنى أن تتولّى خدمتَه وسَقْيَه ففعَلَتْ ، وشرب حتى طابت نفسه ، ثم أمر للدَّيْر بألف دينار ، وأمر بآحتمال خراجه له سَبْعَ سنين ، فرحَلْنا .

قال حمّاد : فحدّثنى أبى قال : فلمّا صِرنا بتلّ عَزَاز من دَابِق[١] خرجتُ أنا وأصحاب لى نتنزّه فى قرية من قُراها ، فأقمنا بها أيّامًا ، وطلَبنى الرشيدُ فلم يجدنى . فلمّا رجَعتُ أتيتُ الفضلَ بن الربيع، فقال لى : أين كنتَ ؟ طلَبك أميرُ المؤمنين ، فأخبرته بنُزْهتنا فغضِب . وخِفتُ من الرشيد أكثر مما لقيتُ من الفضل، فقلت :

صـــوت

إنّ قلبى بالتّـلّ تلِّ عَزَازِ * عند ظَبْىٍ من الظِّباء الجَوَازِى[٢]
شادِنٍ يسكُنُ الشآمَ وفيـه * مع ظَـرْف العراق شَـكْلُ[٣] الحجاز
يا لَقَـوْمِى لبنت قَسٍّ أصابتْ * منك صفوَ الهوى وليست تُجازِى
حَلَفتْ بالمسـيح أن تُنْجِـزَ الوعـ * ـدَ وليستْ تَهُـمُّ بالإنجاز

وغنَّيتُ فيه، ثم دخلتُ على الرشـيد وهو مُغْضَبٌ، فقال : أين كنت ؟ طلبتُك فلم أجِدْك ، فآعتذرتُ اليه وأنشدتُه هذا الشعرَ وغنّيته إياه ، فتبسّم وقال : عذرٌ وأبيك

(١) دابق : قرية قرب حلب من أعمال عزاز ، بينها و بين حلب أربعة فراسخ .

(٢) انظر الحاشية رقم ٣ ص ٣٧٣ من هذا الجزء . (٣) الشكل (بالكسر والفتح) : الدل .

وأىُّ عذر ! وما زالَ يشربُ عليــه ويَستَعيدُنيه ليلتَه جَمْعاء حتى آنصرفنا مع طلوع الفجر. فلمّا وصلتُ الى رَحْلى إذا برســول أمير المؤمنين قد أتانا يَدْعونا ؛ فوافَيْتُ فدخلتُ ، وإذا ابنُ جامعٍ يتمرّغ على دُكّان فى الدار وهو سَكْرانُ يتململ ؛ فقال لى : ياَبْنَ الموصلىّ ، أتدرى ما جاء بنا ؟ فقلت : لا والله ما أدرى ؛ فقال : لكنّى والله أدرى دِرَايةً صحيحةً ، جاءت بنا نَصْرانيَّتُك الزانية ، عليك وعليها لعنة الله . وخرج الآذنُ فأذِنَ لنا ، فدخلنا . فلما رأيتُ الرشـيد تبسّمت ؛ فقال لى : ما يُضحكك ؟ فأخبرته بقول آبن جامع ؛ فقال : صَـدَق[1] ، ما هو إلا أن فقدتُكم فآشتقتُ الى ما كنّا فيه ، فعودوا بنا ، فعُدْنا فيه حتى آنقضى مجلسنا وآنصرفنا .

لحنُ إسحاق :

* بدَيرِ القـائمِ الأقصى *

خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى . وفيه للقاسم بن زُرْزُور ثقيلٌ أوّلُ . ولحنه فى :

* إنّ قلبى بالتّلّ تلّ عَزَارِ *

خفيفُ رَمَلٍ .

دخل على الرشيد ضاربا مغنيا بشعر له فطرب وأجازه

أخبرنى محمد بن مَزْيد قال حدّثنى حَمّاد عن أبيه قال :

دخلتُ على الرشيد يومًا فى عمامة قد كَوَّرتُها على رأسى ؛ فقال: ما هذه العمامة! كأنك من الأنبار . فلمّا كان من غدٍ دعا بنا اليه ، فأمهلتُ حتى دخل المغنّون جميعا قبـلى ، ثم دخلتُ عليه فى آخرهم ، وقد شددتُ وسطى بِشَدّة حرير أحمر ، ولبستُ لباسا مُشْتَهِرًا ، وأخذتُ بيدى صَفّاقَتَيْن وأقبلتُ أَخْطِر وأضرب بالصّفّاقتَيْن وأُغَنّى :

اِسمــعْ لصــوتٍ مليحٍ * مِن صنعة الأنبارِى
صوتٍ خفيفٍ ظريفٍ * يطــيرُ فى الأوتارِ

(١) فى الأصول : « ما صدق » . وظاهر أن « ما » مقحمة من الناسخ .

١٢٥ ٥ فبسط يده إلىّ حتى كاد يقوم ، وجعل يقول : أحسنتَ وحياتى ! أحسنتَ أحسنتَ ! حتى جلستُ ، ثم شرب عليه بقيّةَ يومه ، وما آستعاد غيرَه ، وأمر لى بعشرين ألف درهم . لحنُ إسحاق فى هذا الشعر هَزَج .

غنى مغن بصوت له عند الفضل بن الربيع فأعجب به

أخبرنى محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حمّاد قال حدّثنى أحمد بن يحيى المَكّىّ قال : كنتُ عند الفضل بن الربيع ، فغنّى بعضُ مَنْ كان عنده :

صوت

كلُّ شىء منكِ فى عينى حَسَنْ * ونَصِيبى منكِ همٌّ وحَزَنْ
لا تَظُنِّى أنه غيَّرنى * قِدَمُ العهد ولا طولُ الزمنْ

فقال لى : أتدرى لمن هذا ؟ فقلت : لبعض الطُّنْبُورِيّين ؛ فقال : لا ولكنه لذلك الشيطان إسحاق . لحنُ إسحاق فى هذين البيتين رَمَلٌ بالوسطى من مجموع أغانيه .

استسق جارية وهو فى ركب الرشيد الى طوس فأعجبته فقال شعرا

أخبرنى محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حمّاد عن أبيه قال :

لمّا خرجنا مع الرشيد الى طُوس كنتُ معه أُسايِرُه ، فآستسقَيتُ ماءً من منزلٍ نزلناه يقال له سَخْنة[1] ، فخرجتْ إلينا جاريةٌ كأنها ظبيةٌ ، فسقَتْنى ماءً ، فقلتُ هذا الشعر :

صوت

غزالٌ يرْتَعِى جَنَباتِ وَادِ * بسَخْنَةَ قد تمكَّنَ فى فؤادى
سقانى شَرْبةً كانت شِفاءً * لِعِلَّةِ حائمٍ حَرّانَ[2] صادى

---

(١) كذا فى الأصول ومعجم ياقوت . والذى فى المسالك والممالك لابن حوقل ، والمسالك والممالك للاصطخرى : « صحنة » بالصاد المهملة المضمومة . وهى موضع بين الدينور وهمذان .

(٢) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « غرثان » . والغرثان : الجائع . والحائم : العطشان .

وغنّيته الرشيدَ ؛ فقال لى : أتحبُّ أن أزوِّجكها ؟ فقلتُ : نعم والله يا سيِّدى ؛ قال : فاخطُبها والمهرُ علىّ وما يُصلحها ؛ فخطبتُها ، فأبى أهلها أن يُخرجوها من بلدهم . لحنُ إسحاقَ فى هذين البيتين ثقيلٌ أوّلُ . وفيه لعَلّويه خفيفُ رَمَلٍ .

صنع صوتا فأخذه أحد العامة وهو يردّده فاغتم ولم ينسبه لنفسه

أخبرنى جعفر بن قُدَامة قال حدّثنى حمّاد بن إسحاق قال :

قال لى أبى : ما اغتممتُ بشىء قطُّ مثلَ ما اغتممتُ بصوتٍ مليحٍ صنعتهُ فى هذا الشعر :

صوت

كان لى قلبٌ أعيشُ به * فاكتوَى بالنارِ فاحترقَا
أنا لم أُرْزَقْ محبّتَها * إنما للعبدِ ما رُزِقَا
مَنْ يكن ماذاقَ طعمَ رَدًى * ذاقه لا شكَّ إن عَشِقَا

فإنّى صنعتُ فيه [لحنًا](١) وجعلتُ أردّده فى جَناحٍ لى سَحَرًا ، فأظنّ أنّ إنسانا من العامّة مرّ بى فسمعه فأخذه ؛ فبكَّرتُ من غدٍ الى المعتصم لأُغَنِّيَه ، فإذا أنا بسَوّاط يسُوط(٢) الناطِفَ(٣) وهو يُغَنِّى اللحنَ بعينه إلا أنه غناء فاسدٌ . فعجبتُ وقلتُ : تُرَى من أين لهذا السَّوّاط هذا الصوت! ولعلّى إذ غنّيتُه أن يكون قد مرَّ بى هذا فسمعنى أُغنّيه ؛ وبقيتُ متحيِّرًا ، ثم قلت : يا فتى ، ممن سمعت هذا الصوت ؟ فلم يجبنى والتفتَ الى شريكه ، وقال(٤) : هـذا يسألنى ممن سمعته ! هـذا غنائى ، والله لو سمعه إسحاق الموصلىّ لَخَرِئَ فى سَرَاويله ؛ فبادرتُ والله هاربًا خوفَ أن يمرَّ بى إنسانٌ فيسمع ما جرى علىّ فأفتضح ؛ وما علم الله أنى نطقت بذلك الصوتِ بعدها .

---

(١) زيادة يقتضيها السياق . (٢) ساط الشىء : خلطه . (٣) الناطف : ضرب من الحلواء لأنه ينطف قبل استضرابه ، أى يقطر قبل خثورته . (٤) كذا فى ب ، سـ . وفى سائر الأصول : « وقال خذ إليك . يسألنى ممن ... الخ » .

كتب اليه ابراهيم ابن المهدى فى أحجية فأجابه

١٢٦ / ٥

حدّثنى جعفر بن قُدامة قال حدّثنى حمّاد بن إسحاق قال : كتبَ إبراهيمُ بن المهدىّ الى أبى : أىّ شىء تصحِيفُ : "لايُرِيحُ مثلُ الأسنّةِ". فكتب اليه أبى : تصحيفُه : "لايَرِثُ جميلُ إلا بُثَينةَ"؛ فكتب اليه : وَىْ منك !.

مدح جعفر بن يحيى ببيتين وغناه فيهما فوصله

أخبرنا جعفر قال حدّثنا حمّاد عن أبيه قال : دخلتُ يوما على جعفر بن يحيى، فرآى شَـفَتَىَّ تتحرّكانِ بشىء[1] كنتُ أعمـله ؛ فقال : أتدعو أم تَصنع ماذا[2] ؟ فقلتُ : بل أمدح ؛ قال : قل؛ فقلت :

صـــــوت

وكنتُ إذا إذنٌ عليك جَرَى لنا * تجــلَّى لنا وجهٌ أغَرُّ وسِــيمُ
علانِيَــةٌ محمــودةٌ وسَرِيرةٌ * وفعــلٌ يَسُرُّ المُعْتَفِينَ كريمُ

فاستحسنه وأمر لى بمـال جليل وكُسوةٍ ، وقال : زِدِ البيتين حُسناً بأن تصنع فيهما لحنا؛ فصنعتُ لحنا من الثقيل الثانى؛ فلم يزل يَشربُ عليهما حتى سَكِر .

قصة دخوله بيتا طفيليا

أخبرنا محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه أنه حدّثه قال : غدوتُ يوما وأنا ضَجِرٌ من ملازمةِ دار الخلافةِ والخدمةِ فيها؛ فخرجتُ وركبت بُكرةً، وعزمتُ على أن أطوفَ الصحراءَ وأتفرّجَ؛ فقلتُ لغلمانى : إن جاء رسول الخليفة أو غيرُه فعرِّفوه أنى بكّرتُ فى بعض مُهِمّاتى، وأنكم لاتعرفون أينَ توجّهتُ؛ ومضيتُ وطُفتُ ما بدا لى ، ثم عُدتُ وقد حَمِى النهـارُ ؛ فوقفتُ فى الشـارع المعروف بالمخرِّم[3] فى فِناءٍ ثخينِ الظلّ وجَناحٍ رَحْبٍ على الطريق لأستريحَ . فلم ألبثْ

---

(١) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « لشىء » . (٢) كذا فى أ ، ء ، م . وفى سائر الأصول : «أم تصنع أم ماذا ؟» . (٣) كذا فى معجم ما استعجم . وهى محلة ببغداد بالجانب الشرقىّ . وفى الأصول : «المحرّم» بالحاء المهملة، وهو تصحيف .

أن جاء خادمٌ يقودُ حمارا فارِهًا عليــه جاريةٌ راكبة، تحتها منديلٌ دَبِيقىّ(1) وعليها من اللباس الفاخر ما لا غايةَ بعده، ورأيتُ لها قَوَاما حسنا وطَرْفا فاترا وشمائلَ حسنةً؛ فخَرَصْتُ(2) عليها أنها مُغنّية، فدخلتِ الدار التى كنتُ واقفا عليها . ثم لم ألبث أن جاء رجلانِ شابّانِ جميلانِ ، فآستأذنا فأُذِن لهما فنزلا ونزلتُ معهما ودخلتُ، فظنا أن صاحب الدار دعانى وظنّ صاحبُ الدار أنى معهما ؛ فجلسنا، وأُتِى بالطعام فأكلنا وبالشراب فوُضِع، وخرجتِ الجاريةُ وفى يدها عودٌ فغنّتْ وشربنا ؛ وقمتُ قومةً، وسأل صاحبُ المنزل الرجلين عنّى فأخبراه أنهما لا يعرفانى ؛ فقال : هــذا طُفَيلىٌّ، ولكنه ظريفٌ، فأجْمِلوا عِشْرتَه . وجئتُ فجلستُ ؛ وغنّتِ الجاريةُ فى لحنٍ لى :

ذَكَرتُكِ أن مرّتْ بنا أُمُّ شادِنٍ * أمامَ المطايا تَشرئبُّ وتَسْنَحُ
من المؤلِفاتِ الرمل أَدْماءُ حُرّةٌ * شُعَاعُ الضحى فى مَتْنِها يَتَوضّحُ(3)

فأدّتْه أداء صالحا وشَرِبت . ثم غنّتْ أصواتا شتّى، وغنّتْ فى أضعافها من صنعتى:

الطُّــلُولُ الدوارِسُ * فارقَتْهـــا الأوانِسُ
أَوْحشتْ بعد أهلها * فهى قَفْــرٌ بَسَابِسُ

فكان أمرُها فيه أصلحَ منه فى الأوّل . ثم غنّتْ أصواتا من القديم والحديث، وغنّتْ فى أثنائها من صنعتى :

قُل لِمن صَــدّ عاتِبَا * ونأَى عنــكَ جانبَا
قد بلَغْتَ الذى أَرَد * تَ وإن كنتَ لاعِبَا

فكان أصلحَ ما غنّته ؛ فآستعَدْتُه منها لأُصحِّحه لهــا ؛ فأقبل علىّ رجل من الرجلين وقال: ما رأيتُ طُفَيلِيًّا أصفقَ وجهًا منك! لم تَرْضَ بالتطفيل حتى اقترحْتَ، وهذا غايةُ

(1) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٣٤٥ من هذا الجزء . (2) خرصت : ظننت وخمنت .
(3) انظر الحاشية رقم ٣ ص ٢٩٢ من هذا الجزء .

المثل "طُفَيلِيٌّ مُقْتَرِحٌ"؛ فأطرقْتُ ولم أُجبه؛ وجعل صاحبُه يَكُفُّه عنّى فلا يَكُفُّ. ١٢٧/٥
ثم قاموا للصلاة وتأخرتُ قليلا، فأخذتُ عودَ الجارية، ثم شددتُ طبقتَه وأصلحتُه إصلاحا محكما، وعُدتُ الى موضعى فصلَّيتُ، وعادوا؛ ثم أخذ ذلك الرجلُ فى عَرْبَدَتِه علىّ وأنا صامتٌ؛ ثم أخذتِ الجاريةُ العودَ فجَسَّتْه وأنكرتْ حالَه وقالت: مَنْ مَسَّ عُودى؟ قالوا: ما مسّه أحدٌ! قالت: بلى! والله لقد مسّه حاذقٌ متقدّم وشدّ طبقتَه وأصلحه إصلاحَ مُتَمَكِّن من صناعته؛ فقلتُ لها: أنا أصلحتُه؛ قالت: فبآلله خُذْه وآضرِب به؛ فأخذتُه وضربتُ به مَبدأً صحيحا ظريفا عجيبا صَعْبا، فيه نَقَراتٌ محرّكةٌ، فما بقى أحدٌ منهم إلا وثَبَ (1) [على قدمنه] وجلس بين يدىّ؛ ثم قالوا: بآلله ياسيّدَنا أتُغَنّى؟ فقلتُ: نعم، وأُعَرِّفكم نفسى، أنا إسحاقُ بنُ إبراهيمَ الموصلىّ، ووالله إنى لأَتِيهُ على الخليفة إذا طلبنى (2) وأنتم تُسمِعُونَنى ما أكره منذ اليوم لأنى تملّحتُ معكم؛ فوالله لا نَطقتُ بحرفٍ ولا جلستُ معكم حتى تُخرِجُوا هذا المُعَرْبِدَ المَقِيتَ الغَثَّ؛ فقال له صاحبُه: مِن هذا حَذِرتُ عليك؛ فأخذ يعتذِرُ؛ فقلتُ: والله لا نطقتُ بحرف ولا جلستُ معكم حتى يُخْرَجَ؛ فأخذوا بيده فأخرجوه وعادوا. فبدأتُ وغنّيتُ الأصواتَ التى غنّتها الجاريةُ من صنعتى؛ فقال لى الرجلُ: هل لك فى خَصْلةٍ؟ قلتُ: ما هى؟ قال: تُقيمُ عندى شهرا، والجاريةُ والحمارُ لك مع ما عليها من حُلِىّ؛ قلت: أفعل، فأقمتُ عنده ثلاثين يوما لا يَدرِى أحدٌ أين أنا، والمأمونُ يَطلُبنى فى كلّ موضع فلا يعرِفُ لى خبرا. فلمّا كان بعد ثلاثين يوما أسلم إلىّ الجاريةَ والحمارَ والخادمَ؛ فجئتُ بذلك الى منزلى، وركبتُ الى المأمون من وقتى؛ فلمّا رآنى قال: إسحاقُ! وَيْحَك! أين تكون؟ فأخبرتُه بخبرى؛ فقال: علىّ بالرجل

(1) زيادة عن ى. (2) كذا فى حـ. وفى سائر الأصول: «إذا كلمنى».

الساعةَ؛ فدللتُهم على بيتـه فأُحضِر؛ فسأله المأمونُ عن القصـة فأخبره؛ فقال له: أنت رجل ذو مروءةٍ وسَبيلُكَ أن تُعاوَنَ عليها، وأمر له بمائة ألف درهم، وقال: لا تُعَاشِرنّ ذلك المعربِدَ النَّذْلَ ألبتّةَ؛ وأَمر لى بخمسين ألف درهم، وقال: أَحضِرْنى الجاريةَ، فأحضرتُها فغنّته؛ فقال لى: قد جعلتُ لها نوبةً فى كلّ يوم ثُلاثاء تُغَنّينى وراءَ الستارة مع الجوارى؛ وأمر لها بخمسين ألف درهم. فربحتُ والله بتلك الرَّكْبةِ وأَربحتُ.

نسبة ما فى هذا الخبر من الأغانى

صـــوت

ذكرتكِ أن مرّتْ بنا أُم شادنٍ * أمامَ المطايا تَشرئبّ وتَسْـنَحُ
من المؤلفاتِ الرمـل أدماءُ حُرّةٌ * شُعَاعُ الضُّحَى فى مَتنِهـا يَتَوضّحُ

الشعرُ لذى الرُّمّة. والغناءُ لإسحاقَ ثقيل أوّلُ بالسبابة والوسطى، عن ابن المكىّ.

ومن أغانى إسحاق:

صـــوت

قل لمن صَـدّ عاتبَا * ونأَى عنـك جانبَـا
قد بلَغْتَ الذى أرد * تَ وإن كنتَ لاعِبا

الشعرُ والغناء لإسحاقَ. وقد تقدّم خبره قبل هذه الأخبار. ١٢٨/٥

صـــوت

الطُّـلُولُ الدّوارِسُ * فارقَتْهـا الأَوانِسُ
أَوْحشتْ بعد أهلها * فهىَ قَفْـرٌ بَسَابِسُ

الشعرُ لابن ياسين، شاعر مجهول قليل الشعر، كان صديقا لإسحاق. والغناء لإسحاق خفيفُ ثقيلٍ. وهذا الصوت من أوابد إسحاق وبدائعه.

غنى صوتا له أمام الواثق فأعجب به وحلله

أخبرني عمّي قال حدّثني يزيدُ بن محمد المهلّبيّ قال :

كنتُ عند الواثق ؛ فغنّته "شجى" التي وهبها له إسحاقُ هذا الصوتَ ؛ فقال لمخارق وعَلّويه : والله لو عاش مَعْبدٌ ما شقّ غبارَ إسحاقَ في هذا الصوتِ؛ فقالا(١) له : إنه لحسنٌ يا أميرَ المؤمنين؛ فغضب وقال : ليس عندكما فيه إلا هذا ! ثم أقبل على أحمدَ بن المكّيّ(٢) فقال : دعني من هذين الأحمقين؛ أوّلُ بيتٍ في هذا الصوت أربعُ كلمات : "الطلول" كلمة، و"الدوارس" كلمة، و"فارقتها" كلمة، و"الأوانس" كلمة؛ فانظر هل ترك إسحاقُ شيئا من الصنعة يتصرّفُ فيه المغنّي لم يُدخِلْه في هذه الكلماتِ الأربع ! بدأ بها نشيدا، وتلاه بالبسيط، وجعل فيه صِياحا، وإسجاحا، وترجيحا للنغَم، واختلاسا فيها، وعمِل هذا كلّه في أربع كلمات، فهل سمِعتَ أحدا تقدّم أو تأخر فعل مثل هذا أو قدر عليه ؟! فقال : صدق أميرُ المؤمنين، قد لحِق مَنْ قبله وسبق مَنْ بعده .

مرّ مع الواثق بدير مريم فقال فيه شعرا وغنى فيه فوصله

أخبرني جعفر بن قُدَامة قال حدّثني ميمونُ بن هارون قال حدّثني إسحاق قال : لمّا خرجت مع الواثق الى النّجَف دُرْنا بالحِيرة ومرَرْنا بِديَاراتِها؛ فرأيتُ دير مريمَ(٣) بالحِيرة، فأعجبني موقعُه وحسنُ بنائه؛ فقلتُ :

---

(١) في الأصول : « فقالوا » والسياق يقتضي التثنية، كما هو ظاهر . (٢) في الأصول : « محمد بن المكي » . والمعروف المشهور بهذه النسبة ما أثبتناه . (٣) دير مريم أو دير مارت مريم : يطلق على ديرين، أحدهما : دير قديم من بناء المنذر حسن الوضع بين الخورنق والسدير و بين قصر أبي الخصيب مشرف على النجف ؛ وسياق الخبر هاهنا يدل على أن هذا الدير هو المراد . والآخر : دير قديم أيضا بالشام ؛ ذكره البكري و ياقوت واستشهدا بهذين البيتين . قال البكري : « هو بالشام وهو دير قديم من دياراتها لاأدري أين موضعه ؛ وقد ذكره بعض الشعراء القدماء وغنى فيه ابن محرز قال :

نعم المحل لمن يسعى للذته * دير لمريم فوق الظهر معمور

ظل ظليل وماء غير ذي أسن * وقاصرات كأمثال الدمى حور

=

نِعْمَ المحلُّ لمن يسعَى لِلَــذّته * ديرٌ لمريمَ فوقَ الظهر معمورُ
ظِلٌّ ظليلٌ وماءٌ غيرُ ذى أَسَنٍ * وقاصِراتٌ(١) كأمثال الدُّمَى حُورُ

فقال الواثقُ : لا نَصطبِحُ والله غدًا إلا فيه ؛ وأمر بأن يُعَدَّ فيه ما يَصلُحُ من الليلِ ؛ وبا كرْناه فاصطبَحْنا فيه على هذا الصوتِ ، وأمر بمالٍ ففُرِّق على أهل ذلك الدّيرِ ، وأمر لى بجائزة . لحنُ إسحاق فى هذين البيتين ثانى ثقيلٍ بالبنصر .

غنى عبد الله بن طاهر فوصله

أخبرنى محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاقَ عن أبيه قال :

أخرج إلىّ عبدُ الله بن طاهر يوما بيتَىْ شعرٍ فى رُقْعة وقال : هذان البيتان وجدتُهما على بِساطٍ طَبَرِىٍّ(٢) أَصْبَهْبَذِىٍّ أُهدى إلىّ من طَبَرِسْتَانَ، فأُحبُّ أن تُغنّيَنى فيهما ؛ فقرأتُهما فإذا هما :

لَجَّ بالعــين واكِفُ * مِن هَوًى لايُساعِفُ
كُلّما كفَّ غَرْبُهــا(٣) * هَيّجتْــه المعازِفُ

= قال أبو الفرج : حدّثنا الحسين بن يحيى عن حماد بن اسحاق عن أبيه قال : نزلنا مع الرشيد بدير ماورت مريم فى بعض خرجاته الى الشام فرأى منه موضعا حسنا فنشط للشرب وقال : غنّى صوتا فى معنى موضعنا ، فغنيته

* نعم المحــل لمن يسعى للذته *

البيتين ، فطرب وشرب ؛ فقال : أهذا لك؟ قلت : لا ، هو لابن محرز ؛ فقــال لى : أنت اذا صــدى تؤدّى ما سمعت ؛ فقلت : فأنا أصنع فيه لحنا ، فصنعته فيه وغنيته . قال أبو الفرج : ولحن ابن محرز واسحاق فى هذا الشعر كلاهما من الثقيل الاوّل» ا هـ . ولم نجد هــذه الرواية التى ذكرها البكرى فى أصول الأغانى التى بين أيدينا . ولعله نقلها من كتاب الديارات للؤلف . (راجع ما كتب على هذا الدير فى معجم البلدان ج ٢ ص ٦٩٢ ومعجم ما استعجم ص ٣٧١ ومسالك الأبصار فى ممالك الأمصار ج ١ ص ٣١٧) .

(١) القاصرة من النساء : التى لا تمدّ عينيها الى غير بعلها . (٢) طبرى : نسبة الى طبرستان وهى بلدان واسعة كثيرة ، قصبتها آمل . وأصبهذى : نسبة الى أصبهذان : مدينة فى بلاد الديلم بينها وبين البحر ميلان . (٣) الغرب : الدمع .

قال : فغنّيت فيهما وغَدَوتُ بهما إليه ، فأُعجِب بالصوت ووصلني بصلة سَنِيّة ، وكان يَشتهيه ويَقترحه ، وطرحتُه على جميع جواريه ، وشاع خبر إعجابه [به][1] . فبينا المعتصمُ يوما جالسٌ يُعرَضُ عليه فرشُ الربيع ، إذ مرّ به بِساطُ ديباجٍ فى نهاية الحسن عليه هذان البيتان ومعهما :

إنما الموتُ أن تفا * رقَ مَنْ أنت آلِفُ
لك حُبّانِ فى الفؤا * د تَلِيدٌ وطارِفُ ١٢٩ / ٥

فأمرَ بالبساطِ فحُمِل إلى عبد الله بن طاهر ، وقال للرسول : قل له : إنى قد عرفتُ شغفك بالغناء فى هذا الشعر ، فلما وقع هذا البساط أحبَبْتُ أن أُتِمّ سرورَك به . فشكر عبدُ الله ما تأدّى إليه من هذه الرسالة وأعظمَ مقدارَه ، وقال لى : والله يا أبا محمد لَسُرورِى بتمام الشعر أشدُّ من سرورى بكل شىء ؛ فألحِقهما فى الغناء بالبيتين الأوّلين ، فألحقتهما .

نسبة هذا الصوت

صــــوت

لجَّ بالعين واكفُ * مِن هوًى لا يُساعِفُ
كلّما كفَّ غَرْبُها * هيّجَتْه المَعازِفُ
إنما الموتُ أن تُفا * رِقَ مَنْ أنتَ آلِفُ
لك حُبّان فى الفؤا * د تَلِيدٌ وطارِفُ

ولم أعرف من خبر شاعره غيرَ ما ذكرتُه فى هذا الخبر . والغناء لإسحاق هَزَجٌ بالوسطى .

(١) الزيادة عن ء .

مقدار صنعته

أخبرنا يحيى بن علىّ بن يحيى قال حدّثنا أبو أيّوب المَدينىّ عن آبن المكّىّ عن أبيه قال :

قلت لإسحاق يوما : يا أبا محمد، كم تكون صنعتُك؟ فقال : ما بلغت مائتين قطُّ.

مرضه و وفاته

أخبرنا يحيى بن علىّ قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق قال :

قال لى وكيل بن الحَرُونىّ : قلت لأبيك إسحاق : يا أبا محمد، كم يكون غناؤك؟ قال : نحوًا من أربعمائة صوت . قال : وقال له رجل بحضرتى : مالك لا تُكثر الصنعةَ كما يُكثر الناس؟ قال : لأنّى إنما أنقُر فى صخرة .

ولإسحاق أخبار كثيرة قليلة الفائدة كثيرة الحَشْو، طرحتُها لذلك؛ وله أخبار أُخَر حسُن ذكرها فى مواضع تليق بها فأخّرتها وآحتبستها عليها؛ وفيما ذكرتُه هاهنا منها مقنع

وتوفّى إسحاق ببغداد فى أوّل خلافة المتوكّل (١). فأخبرنى الصُّولىّ قال ذكرَ إبراهيمُ ابن محمد الشّاهينىّ :

أنّ إسحاق كان يسأل اللهَ ألّا يبتليَه بالقُولَنْج (٢) لِمَا رأى من صعوبته على أبيه؛ فرأى فى منامه كأنّ قائلا يقول له : قد أُجيبت دعوتُك ولستَ تموت بالقولنج، ولكنك تموت بضدّه، فأصابه ذَرَبٌ (٣) فى شهر رمضان سنةَ خمس وثلاثين ومائتين؛ فكان يتصدّق فى كل يوم أمكنه أن يصومه بمائة درهم؛ ثم ضعُف عن الصوم فلم يُطِقْه ومات فى شهر رمضان .

---

(١) الذى فى ابن خلكان والنجوم الزاهرة أن مولده كان فى سنة خمسين ومائة وهى السنة التى ولد فيها الإمام الشافعىّ ومات فيها الإمام أبو حنيفة رضى الله عنهما، فتكون سنه خمسا وثمانين سنة . (٢) القولنج : مرض معوى مؤلم، يعسر معه خروج الثفل والريح . (٣) الذرب : داء يعرض للمعدة فلا تهضم معه الطعام، و يفسد فيها فلا تمسكه .

أخبرنا الحسن بن عليّ قال حدّثني يزيد بن محمد المهلّبيّ قال :

نُعِي إسحاقُ الى المتوكّل فى وسط خلافتــه، فغَمّه وحزِن عليه، وقال : ذهب صدرٌ عظيمٌ من جمــال الملك وبهائه وزينته ؛ ثم نُعِي اليــه بعده أحمدُ بن عيسى بن زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبى طالب صلوات الله عليــه، فقال : تكافأت الحالتان ، وقام الفتح بوفاة أحمــد — وما كنت آمَنُ وَثْبَتَــه عليّ — مقامَ الفَجيعة بإسحاق؛ فالحمد لله على ذلك .

حدّثني أحمد بن جعفر جَحْظة قال حدّثني رجل من الكتّاب من أهل قُطْرَبُّل قال حدّثني أبى عن أبيه قال : رأيت فيما يرى النائم قائلا يقول لى :

مات الحُسَان ابن الحُسَا * نِ ومات إحسانُ الزمانِ

فأصبحت من غد فركبت فى بعض حوائجى ، فتلقّانى خبر وفاة إسحاق الموصــليّ .

ما رثاه به الشعراء

١٣٠ / ٥ وقال إدريس بن أبى حَفْصة يرثى إسحاق بن إبراهيم الموصليّ :

ســقى اللهُ يآبنَ الموصليّ بوَابِلٍ * من الغيث قبرًا أنت فيــه مقيمُ
ذهبتَ فأوحشتَ الكرامَ فما يَنِي * بعَــبْرته يَبْكى عليـــك كريم
إلى الله أشكو فقدَ إسحاق إنّنى * وإن كنت شيخا بالعراق يَتيم

وقال محمد بن عمر الجُرْجانى يرثيه :

على الجَــدَثِ الشرقيّ عُوجَا فسلِّما * ببغداد لمّــا ضَنّ عنه عوائدُهْ
وقُولَا له لو كانَ للموت فِدْيةٌ * فَداك من الموت الطَّريفُ وتالدُه
أإسحاقُ لا تَبْعَدْ وإن كان قد رمَى * بك الموتُ وِرْدًا ليس يَصْدُر واردُه

إذا هزل اخضرّت فنونُ حديثه * ورقّتْ حواشِيه وطابت مَشاهدُه
وإن جدّ كان القول جِدّا وأقسمتْ * مَخارجُه ألّا تلينَ معاقِدُه
فبَكِّ على ابن الموصلىّ بعَبْرةٍ * كما ارفَضَّ من نَظْم الجُمان فرائدُه

وقال مصعَب بن عبد الله الزُّبيرىّ يرثيه — نسخت ذلك من كتاب جعفر ابن قُدَامة ، وذكر أن حمّاد بن إسحاق أنشده إياها ، ونسختُه أيضا من كتاب الحَرمىّ بن أبى العَلاء يذكر فيه عن الزُّبير عن عمّه مصعَب أنه أنشده لنفسه يرثى إسحاق — :

أتدرِى لمن تَبْكى العيونُ الذّوارِفُ * ويَنْهَلُّ منها واكِفٌ ثم واكِفُ
نعمْ لامرئ لم يبقَ فى الناس مثلُه * مفيدٌ لعلم أو صديقٌ مُلاطِفُ
تجهّز إسحاقٌ الى الله غاديًا * فلله ما ضُمّتْ عليه اللفائفُ
وما حَمَل النعشَ المزجّى عشيّةً * الى القبر إلا دامعُ العين لاهِفُ
صدورهمُ مَرْضَى عليه عَميدةٌ * لها أَزْمَةٌ[1] من ذكره وزَفازِفُ
ترى كلَّ محزونٍ تَفيض جفونُه * دموعًا على الخدّين والوجهُ شاسِفُ[2]
جُزِيتَ جزاءَ المحسنين مُضاعفًا * كما كان جَدْواك النّدى المتضاعِف
فكم لك فينا من خلائقَ جَزْلةٍ * سبقتَ بها منها حديثٌ وسالف
هى الشّهدُ أو أحلى الينا حلاوةً * من الشهد لم يمُزَج به الماءَ غارِفُ
ذهبتَ وخلّيتَ الصديق بعَوْلةٍ * به أسفٌ من حزنه مترادِفُ

---

(١) أزمة : ضيق وشدة . وزفازف (واحدها زفزفة) وهى فى الأصل حنين الريح وصوتها فى الشجر . يريد أنه يكون بصدورهم عند ذكره نشيج وزفير من الحزن عليه . (٢) الشاسف : اليابس ضمرا وهزالا .

إذا خَطَـراتُ الذكرِ عاودْنَ قلبَه * تتابع منهنّ الشـؤونُ النـوازف
حبيبٌ إلى الإخوان يَرْزُون ماله[(١)] * وآتٍ لما يأتى آمرؤ الصدقِ عارف
هو المَنّ والسَّلْوى لمن يستفيده * وسمٌّ على من يشرب السمّ زاعِف
بكت داره من بعـده وتنكّرتْ * مَعالمُ من آفاقِها[(٢)] ومعـارف
فما الدار بالدار التى كنت أعترِى * وإنّى بها لولا آفتقاديك عارف
هى الدار إلّا أنّها قـد تخشّعتْ * وأَظْلم منها جانبٌ فهو كاسِف
وبان الجمال والفَعال كلاهما * من الدار وآستَنّتْ[(٣)] عليها العواصف
خلتْ داره من بعده فكأنما * بعاقبةٍ لم يُغْنِ فى الدار طارف ١٣١/٥
وقـد كان فيها للصديق مُعَرَّسٌ[(٤)] * وملتَمَسٌ إن طاف بالدار طائف
كرامةُ إخوانِ الصـفاء وزُلفةٌ * لمن جاء تُزْجِيـه اليـه الرّواجف
صَحابتُه الغُـرّ الكرام ولم يكن * ليَصْحبَه السُّـودُ اللئام المَقارِف[(٥)]
يَـؤول اليـه كلّ أبلجَ شامخٍ * ملوكٌ وأبناء الملوك الغَطارف
فلُقّيتَ فى يمـنى يديْك صحيفةً * إذا نُشرتْ يومَ الحساب الصحائف
يَسُرّ الذى فيها إذا ما بدا له * ويَفْتَرّ منها ضاحكا وهو واقف
بما كان ميمونًا على كلّ صاحب * يُعين على ما نابه ويُكانِف

(١) يرزون : أصله يرزءون ، سهلت همزته ثم حذفت لإسناد الفعل الى ضمير الجمع .

(٢) فى الأصول : « آفاتها » ، ولا يستقيم بها الكلام . وقد آثرنا ما أثبتناه لاستقامة الكلام به مع قرب رسمه من رسم ما فى الأصول .

(٣) استنت : انصبت .

(٤) المعرّس : موضع التعريس وهو نزول القوم آخر الليل للاستراحة من السفر ، وقيل : التعريس النزول فى المعهد أىّ حين كان من ليل أو نهار .

(٥) المقارف : الأنذال ، وهم أيضا الذين أمهم عربية وأبوهم غير عربى .

سريعٌ إلى إخــوانه برضــائه * وعن كلّ ماساء الأخِلّاءَ صارِف (١)

أرى الناسَ كالنَّسْناس (٢) لم يبق منهمُ * خلافَـك إلا حُشْــوةٌ (٣) وزَعانِف

أخبرنا يحيى بن علىّ قال : أنشدنى أبو أيّوبَ لأحمـد بن ابراهيم يَرْثِى إسحاقَ فى قصيدة له :

لقد طاب الحِمامُ غداةَ أَلْوَى * بنفس أبى محمــدٍ الحِمامُ

فلو قُبِـل الفِـداءُ إذًا فَدَتْه * ملوكٌ كان يألفها كِرامُ

فلا تَبْعَد فكلُّ فتًى سيَثْوِى * عليـه التُّرْبُ يُحْثَى والرِّجامُ (٤)

قال وقال أيضا يرثيه :

لله أىُّ فتًى الى دار البِــلَى * حمَل الرجالُ ضُحًى على الأعوادِ

كم من كريم ما تَجِفُّ دموعُه * من حاضر يبكى عليـه وبادِ

أمسى يؤبِّنه ويعرف فضلَه * من كان يَثْلِبــه من الحُسّاد

فسقَتْكَ يابْنَ الموصلىّ روائحٌ * تُرْوِى صداكَ بصَوْبها وغَوادِ

وقد بقيتْ من أخبار إسحاق بقايا مثلُ أخباره مع بنى هاشم ، وأخباره مع إبراهيم ابن المهدىّ وغيرها ، فإنها كثيرة ، ولهـا مواضع ذُكِرت فيها وحسُن ذكرها هنالك ، فأخّرتُها لذلك عن أخباره التى ذُكرت هاهنا ، حَسْبما شرَطنا فى أوّل الكتاب .

(١) فى أ ، جـ ، ء : «نال» . (٢) النسناس : خلق فى صورة الناس ، مشتق منه لضعف خلقهم . وذكر ابن منظور صاحب لسان العرب معانى أخرى فى مادة « نسس » فانظرها .

(٣) يقال : هو من حشوة بنى فلان ، أى من رذالهم . (٤) الرجام : الحجارة التى تجمع على القبور .

ومما فى المائة المختارة من صنعة إسحاق بن إبراهيم :

صـــوت

أَلَا قاتلَ اللهُ اللِّوَى من مَحَلَّةٍ * وقاتلَ دُنْيانا بها كيف ذَلَّت
غَنِينا زمانًا باللِّـــوَى ثم أصبحتْ * عِراصُ اللِّوَى من أهلها قد تخلَّتِ .

عَرُوضه من الطويل . الشعرُ للصِّمَّة القُشَيْرِىّ، والغِناء لإسحاق، ولحنه المختار ثقيلٌ أوّلُ بالوسطَى فى مجراها .

انتهى الجزء الخامس من كتاب الأغانى

ويليـــه الجـــزء الســادس

وأوّله أخبـار الصِّـــمّة القشـــيرىّ ونســـبه

فهرس

الجزء الخامس من كتاب الأغانى

فهـــرس الشــــعراء

فهـــرس رجال الســـند

(أ)

(١) ورد هذا الاسم فى ص ٣٨٥ : ١ باسم «أبو حارثة الباهلى» وهما شخص واحد .

(١) مر فى فهرس الجزء الرابع باسم "سعد بن إياس" وهو خطأ .

(١) ورد هذا الاسم فى ص ٢٧٣ : ١٤ باسم "الحسين ابن يحيى أبو الجمان" وهما شخص واحد .

(غ)

(ن)

(هـ)

فهـــــرس المغنين

(هـ)

(و)

(ى)

فهـــرس رواة الألحـان

فهـــرس الأعـــلام

(خ)

(ر)

(ز)

(س)

(ص)

(ض)

(ط)

(ظ)

(ع)

(هـ)

(ى)

فهرس الأمم والقبائل والأرهاط والعشائر ونحوها

فهـــرس أسماء الأماكن

فهـــرس أسمـاء الكـتب

(ن)

(و)

فهرس القوافى

صدر البيت	قافيته	بحره	ص س
فانك	نكوبُ	وافـــر	٢١٥ : ٤
كثاقبة	الثقوبُ	«	٢١٥ : ١٠
رقيـة	الحبُّ	مجزوء الوافر	٩٥ : ٦
ألا	بالكوكبُ	«	٢٨٣ : ٦
راجع	يجنبُ	كامـل	٢٤١ : ١٥
وأنى	الكتابِ	«	١٥٥ : ٢٢
واذا	كلابِي	«	٢٦٣ : ٣
ليس	مؤنبَا	مجزوء الكامل	٣٤٥ : ٢
ليس	الركبُ	رجــز	٧٤ : ١٣
ياليت	طبيبِ	«	٣٤٩ : ١١
علق	وشاَبا	مجزوء الرمل	١٢٦ : ٦، ١٢٨ : ٧
مل	بِي	«	٢٥٣ : ٨
عاد	تنسكبُ	منسرح	٧٩ : ٢، ٨٣ : ٤
ما نقموا	غضبُوا	«	٨٢ : ٥، ٨٤ : ٩، ٨٥ : ٧
يحمل	أديبُه	«	٢٧٤ : ٩
قد	بمالِي	خفيف	٢٢٩ : ١٣
أصبح	الأحبابِ	«	٢٥٨ : ١
يامليا	الأصحابِ	«	٤١١ : ٩
قد	الجوابِ	«	٤١١ : ١٤
هاج	الربابَا	«	٢٦٥ : ٩
علل	ويطربُوا	مجزوء الخفيف	٧٢ : ٧
منع	مصعبُ	«	٧٦ : ٧
قل	جانبَا	«	١٩٩ : ١٢، ٣١٥ : ١١، ٣١٦ : ١١، ٤٢٤ : ١٦، ٤٢٦ : ١٤
علق	بتعذيبِي	سريع	٢٨٢ : ٦
سما	تنصبِ	متقارب	٢٨ : ٢٠

(ت)

صدر البيت	قافيته	بحره	ص س
عسى	لقيتُ	طـويل	٣٥٣ : ١٣
تضوّع	خفراتِ	«	١٦٦ : ٩
آيا	وعلّتِ	«	٣٥٨ : ٧
ألا	غنتِ	«	٣٥٩ : ٦
فإن	وأكدتِ	«	٣٦٠ : ٨
شربت	انتشيتُ	وافـر	٢٩٦ : ١١
أعاذل	ارعويتُ	«	٢٩٩ : ١١
فإذا	هاتِ	مجزوء الكامل	١٥٢ : ١٦
ردّوا	لمتّي	رجز	٤٤ : ٢
دوشار	منبتِي	مجزوء الرجز	١٥٨ : ٤
ولقد	مجربَها	رمل	٢٥١ : ١٥
نفسى	خنتِ	سريع	٢٤٩ : ٤
بالله	نسيتُ	«	١٦٨ : ٨
لو	يليت	«	١٦٨ : ١٠
علنى	صلتكْ	منسرح	٣٣٦ : ١
أعمرو	وعذبتى	متقارب	٢٢٣ : ٣

(ث)

صدر البيت	قافيته	بحره	ص س
نعم	ثلاثُ	خفيف	٢٢٥ : ٩
إنْ	خنثْ	رمل	٣٠١ : ١

(ج)

صدر البيت	قافيته	بحره	ص س
حديثا	منضجُ	طـويل	١٠٠ : ٩
تطاول	ما تفرجُ	«	١١٥ : ١١

(ز)

صدر البيت	قافيته	بحره	ص	س
إنى	علقا	بسيط	٣٩٧	١٢
تكلم	بالنفاق	وافر	١٢٥	١٥
أبى	أخلاقُه	مجزوء الوافر	٣٤٥	٧
ياقبر	وبروقُ	كامل	٢١٢	٨
ولقد	الموثق	«	٣٧١	٨
أجرت	بفراق	«	٤٠٢	١٦
إذا	الصدقُ	هزج	٣٩٨	١١
قد	العناقُ	رجز	٣١	١
قد	بالمحاق	«	٣٥٣	٦
هاج	بروقُ	مجزوء الرمل	٣٠٠	٦
يمشون	والحلقُ	منسرح	٢٥٢	٤
طفلة	العناق	خفيف	٥١ ، ٥٤	١٠ ، ٩
إذا	العقعق	متقارب	٢٠٥	٩
أيا	عاتق	«	٢٢٠	١

(ك)

صدر البيت	قافيته	بحره	ص	س
أحبك	بالفوارك	طويل	٣٢٩	١

(ل)

صدر البيت	قافيته	بحره	ص	س
فؤادى	فيغسلُ	طويل	٥٠	١٦
وأبكى	تبذلُ	«	٩٦	٧
عليك	وابلُ	«	٢٥٧	١٢
ففى	رحيلُ	«	٣١٨	١٧
وآمرة	سبيلُ	«	٣٢٢	٨
أرى	ونائلُه	«	١٤٨	٢
ويفرح	النصلِ	«	١٨١	٢
ومكحولة	خذل	«	٣٢١	٧
سق	النحلِ	طويل	٣٣١	١٢
يقول	الفضلِ	«	٣٤٧	١
ولست	بقليلِ	«	٩٥	١٣
بثين	بخيلِ	«	٤١٢	١٥
فياليت	لرحيل	«	٤١٢	١٨
اذا	ونائلِ	«	٨٢	١٧
أبعد	وجندل	«	١٠٤	٦
اذا	وائلِ	«	١٣٦	٣
أعف	وأنجلِ	«	١٥٣	٣
فإن	منهلِ	«	٢١٣	١٢
أفاطم	فاجملى	«	٣٠٠	١١
فإن	سنابلِ	«	١١٣	٧
أيا	السلاسلِ	«	١٦٢	١٦
خليلىّ	المنازل	«	٣٦٣ ، ٣٦٤	١٣ ، ٦
أعاذلتى	العذلا	«	٣٣٣ ، ٣٣٤	٤ ، ١١
وإنى	فيصلا	«	١٣	٥
وما	تمثلا	«	١٦	٤
ألا	محجلا	«	١٦	١٦
أنابغ	مجهلا	«	١٧	٤
أتانى	المذللا	«	١٨	١
ويوم	مقلقلا	«	٢٤	١٥
ونحن	نخيلا	«	٣٨	٨
ومنا	أعزلا	«	٤٣	١٦
ومنا	تحللا	«	٤٤	٥
وصدت	معضلا	«	٥٢	١٥
تركنا	مجدلا	«	٥٥	١٢

(ن)

فهرس أنصاف الأبيات

مرتبة حسب أوائل كلماتها

فهـــرس أيام العـــرب

فهـــرس الأمثـــال

فهـــرس الموضـــوعات

نسب ابراهيم الموصلى وأخباره

صفحة

صفحة

شيء من ذكر ابن هرمة أيضا

أخبار اسحاق بن ابراهيم

تنبيـــــه

قد روعى فى هذا الجزء والذى قبله نظام خاص برجال السند لم يتبع فى الأجزاء السالفة وهو ألا يثبت من أرقام الصفحات والأسطر التى ورد بها الاسم إلا ما اختلف فيها الراوى والمروى عنه وأما ما اتحد فيها السند فيكتفى منها برقم واحد .

استدراك خاص بالجزء الرابع من الأغانى

فى الجزء الرابع ص ٢٩ س ١٦ : قال حدّثنى على بن محمـد المشامى عن جده ابن حمدون" وهو تحريف وصوابه : "عن جدّه حمدون" وهو حمدون بن إسماعيل جد على بن محمد بن نصر المشامى لأمه وأما ابن حمدون فهو خال علىّ لا جده وقد جاء فى فهرس هذا الجزء "ابن حمدون محمد" وهو خطأ كذلك .

استدراكات خاصة بهذا الجزء

ورد فى ص ٤٣ من هذا الجزء اسم "مسمع بن مالك" والظاهر أنه "مسمع ابن عبد الملك" أخو "عامر بن عبد الملك المسمعى" الذى ورد ذكره فى ص ٤٤ وتلاحظ صفحة ٥٥ ففيها تصريح بأنهما أخوان .

جاء فى ص ١٠١ س ٧ ، ٨ أن أبا السمح كان يتيما فى حجر عبد الله بن جعفر ويلاحظ هذا مع ما ورد فى ص ١٠٦ س ١٦ ، ١٧ من أن ذلك كان مالكا ابنه لا هو .

ورد فى ص ١٠٥ س ١٦ : "عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله" . وصوابه : "عبـد الرحمن بن محمد بن عبـد الله" كما فى ص ١١٣ س ٥ والمعارف لابن قتيبة ص ٦٠ والطبرى فى أكثر من موضع .

ورد فى ص ١١٣ س ١٩ : فى ط ، ى : "الجارى" . وينبغى أن يكون هكذا : فى ط ، ى : "الحارى" وهو تحريف .

قال أبو الفرج ص ١٣٧ س ٩ "والقول الأوّل أصح" واستدل على ذلك بشعر أبى زبيد . والشعر لا يؤيد أبا الفرج فيما ذهب اليـه . ولعل صواب العبارة :

"والقول الثانى أصح" إذ ابن أبى مرىّ الوارد فى الشعر هو مرىّ بن أوس لا ابنه الربيـع .

ورد فى ص ٢٨٠ س ٦ ، ٢٩٠ س ٦ اسم "على بن محمد بن نصر الهشامى" باسم "على بن محمد بن نصر الشامى" وهو تحريف .

ورد فى ص ٣٢١ س ٧ اسم "أبى عبد الله الهشامى" محرفا الى الهاشمى .

ورد فى ص ٣٧٩ س ١٦ : "أخبرنى جحظة عن محمد بن أحمد بن يحيى المكى عن أبيه قال : ... " الخ .

والظاهر أن صواب العبارة ... عن أبيه عن جده قال : ... الخ . لأن صاحب الخبر هو يحيى المكى جد محمد كما هو ظاهر من سياق الخبر بعد لا أحمد أبوه .

ورد فى صفحة ٣٩٣ س ١ من هـذا الجزء : "وحدّثنى عمى عبـد الله بن أبى سعد ... " الخ . وصوابه : وحدّثنى عمى عن عبد الله ... الخ .

منافذ بيع
الهيئة المصرية العامة للكتاب

مكتبة المعرض الدائم

١١٩٤ كورنيش النيل - رملة بولاق

مبنى الهيئة المصرية العامة للكتاب

القاهرة - ت : ٢٥٧٧٥٣٦٧

مكتبة مركز الكتاب الدولى

٣٠ ش ٢٦ يوليو - القاهرة

ت : ٢٥٧٨٧٥٤٨

مكتبة ٢٦ يوليو

١٩ ش ٢٦ يوليو - القاهرة

ت : ٢٥٧٨٨٤٣١

مكتبة شريف

٣٦ ش شريف - القاهرة

ت : ٢٣٩٣٩٦١٢

مكتبة عرابى

٥ ميدان عرابى - التوفيقية - القاهرة

ت : ٢٥٧٤٠٠٧٥

مكتبة الحسين

مدخل ٢ الباب الأخضر - الحسين - القاهرة

ت : ٢٥٩١٣٤٤٧

مكتبة ساقية

عبد المنعم الصاوى

الزمالك - نهاية ش ٢٦ يوليو

من أبو الفدا - القاهرة

مكتبة المبتديان

١٣ش المبتديان - السيدة زينب

أمام دار الهلال - القاهرة

مكتبة ١٥ مايو

مدينة ١٥ مايو - حلوان خلف مبنى الجهاز

ت : ٢٥٥٠٦٨٨٨

مكتبة الجيزة

١ ش مراد - ميدان الجيزة - الجيزة

ت : ٣٥٧٢١٣١١

مكتبة جامعة القاهرة

بجوار كلية الإعلام - بالحرم الجامعى - الجيزة

مكتبة رادوبيس

ش الهرم - محطة المساحة - الجيزة

مبنى سينما رادوبيس

مكتبة أكاديمية الفنون
ش جمال الدين الأفغانى من شارع
محطة المساحة - الهرم
مبنى أكاديمية الفنون - الجيزة
ت : ٣٥٨٥٠٢٩١

مكتبة الإسكندرية
٤٩ ش سعد زغلول - الإسكندرية
ت : ٠٣/٤٨٦٢٩٢٥

مكتبة الإسماعيلية
التمليك - المرحلة الخامسة - عمارة ٦
مدخل (أ) - الإسماعيلية
ت : ٠٦٤/٣٢١٤٠٧٨

مكتبة جامعة قناة السويس
مبنى الملحق الإدارى - بكلية الزراعة -
الجامعة الجديدة - الإسماعيلية
ت : ٠٦٤/٣٣٨٢٠٧٨

مكتبة بورفؤاد
بجوار مدخل الجامعة
ناصية ش ١١، ١٤ - بورسعيد

مكتبة أسوان
السوق السياحى - أسوان
ت : ٠٩٧/٢٣٠٢٩٣٠

مكتبة أسيوط
٦٠ ش الجمهورية - أسيوط
ت : ٠٨٨/٢٣٢٢٠٣٢

مكتبة المنيا
١٦ ش بن خصيب - المنيا
ت : ٠٨٦/٢٣٦٤٤٥٤

مكتبة المنيا (فرع الجامعة)
مبنى كلية الآداب -جامعة المنيا - المنيا

مكتبة طنطا
ميدان الساعة - عمارة سينما أمير - طنطا
ت : ٠٤٠/٣٣٣٢٥٩٤

مكتبة المحلة الكبرى
ميدان محطة السكة الحديد
عمارة الضرائب سابقًا

مكتبة دمنهور
ش عبدالسلام الشاذلى - دمنهور

مكتبة المنصورة
٥ ش الثورة - المنصورة
ت : ٠٥٠/٢٢٤٦٧١٩

مكتبة منوف
مبنى كلية الهندسة الإلكترونية
جامعة منوف

مكتبـــات ووكـــلاء
البيع بالدول العربية

لبنان

١ - مكتبة الهيئة المصرية العامة للكتاب
شارع صيدنايا المصيطبة - بناية الدوحة- بيروت - هاتف: ٩٦١/١/٧٠٢١٣٣
ص. ب : ٩١١٣ - ١١ بيروت - لبنان

٢ - مكتبة الهيئة المصرية العامة للكتاب
بيروت - الفرع الجديد - شارع الصيدانى - الحمراء - رأس بيروت -بناية سنتر ماربيا.
ص. ب : ١١٣/٥٧٥٢
فاكس: ٠٠٩٦١/١/٦٥٩١٥٠

سوريا

دار المدى للثقافة والنشر والتوزيع -
سوريا - دمشق - شارع كرجيه حداد - المتفرع من شارع ٢٩ أيار - ص. ب: ٧٣٦٦ - الجمهورية العربية السورية

تونس

دار المعارف
طريق تونس كلم 131 المنطقة الصناعية بأكودة
ص. ب: 215 - 4000 سوسة - تونس .

المملكة العربية السعودية

١ - مؤسسة العبيكان - الرياض -
تقاطع طريق الملك فهد مع طريق العروبة (ص. ب: ٦٢٨٠٧) رمز ١١٥٩٥ - هاتف : ٤٦٥٤٤٢٤ - ٤١٦٠٠١٨

٢ - شركة كنوز المعرفة للمطبوعات والأدوات الكتابية - جدة - الشرفية -
شارع الستين - ص. ب: ٣٠٧٤٦ جدة : ٢١٤٨٧ - هاتف : المكتب: ٦٥٧٠٧٢٢ - ٦٥١٠٤٢١ - ٦٥١٤٢٢٢ - ٦٥٧٠٦٢٨.

٣ - مكتبة الرشد للنشر والتوزيع -
الرياض - المملكة العربية السعودية - ص. ب: ١٧٥٢٢ - الرياض: ١١٤٩٤ - هاتف : ٤٥٩٣٤٥١.

٤ - مؤسسة عبدالرحمن السديرى الخيرية -
الجوف - المملكة العربية السعودية - دار الجوف للعلوم ص. ب: ٤٥٨ الجوف - هاتف: ٠٠٩٦٦٤٦٢٤٣٩٦٠ فاكس: ٠٠٩٦٦٤٦٢٤٧٨٠

الأردن - عمان

١ - دار الشروق للنشر والتوزيع
هاتف : ٤٦١٨١٩٠ - ٤٦١٨١٩١
فاكس: ٠٠٩٦٢٦٤٦١٠٠٦٥

٢ - دار اليازورى العلمية للنشر والتوزيع
عمان - وسط البلد - شارع الملك حسين
هاتف : ٩٦٢٤٦٢٦٦٢٦ +
تلى فاكس : ٩٦٢٦٤٦١٤١٨٥ +
ص. ب: ٥٢٠٦٤٦ - عمان: ١١١٥٢ الأردن.

الجزائر

١ - داركتاب الغد للنشر والطباعة والتوزيع
حى 72 مسكن م. ب. أ. ع. عمارة هـ محل ٠٢ - جيجل - هاتف : 034477122 - فاكس : 034495697
موبايل : 0661448800

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب
ص. ب : ٢٣٥ الرقم البريدى : ١١٧٩٤ رمسيس
www. maktabetelosra. org.eg
E - mail : info@egyptianbook.org.eg

هذا كتاب، ننشره للناس لأنه بعض تراثنا القديم؛ الذى يجب إحياؤه وتمكين الأجيال المعاصرة من الانتفاع به ما استطعنا إلى ذلك سبيلا.

وننشره كذلك؛ لأن أوساط المثقفين فى هذا العصر أشد مايكونون حاجة إليه، فهو يقرب إليهم من الأدب العربى القديم بعيدًا، وييسر لهم منه عسيرًا، ويتيح لأكثر عدد ممكن منهم أن يقرءوا أشياء ما كان لهم أن يقرءوها أو يذوقوها لو لم يذع فيهم مثل هذا الكتاب.

وعنوانه ينبئ عن موضوعه وعن قيمته وعن شدة الحاجة إليه فى هذه الأيام. فالمثقفون جميعًا يسمعون عن كتاب أبى الفرج الأصبهانى، وهم يعرفون هذا الكتاب أكثر مما يعرفون اسم صاحبه، على شهرته وبعد صوته فى الشرق والغرب منذ قرون طوال وأى مثقف لم يسمع بكتاب الأغانى، ولكن معرفة اسم الكتاب شىء وقراءته شىء آخر.

طه حسين





ISBN# 9789774215518



٣٠٠ جنيه (٢٤ جزءًا)